التعارف

تعريف بالذّات ومعرفة للآخر

التّعارف تعريف بالذّات ومعرفة للآخر

بدر العبريّ

الطبعة العربية الأولى 2022

© حقوق الطبع محفوظة بموجب عقد 2022

الآن ناشرون وموزعون

الأردن، عمّان

alaan. publish@gmail. com

هاتف: 797162720، 65620722 (962+)

الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

سلطنة عمان، مسقط

omani- writers@hotmail. com

هاتف: 96824346753+ / 96824346754+

المدير العام: د. باسم الزعبي

تصميم الغلاف: بسام حمدان

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال، دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنفه ولا يعبّر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

رقم الإيداع في سلطنة عمان: (2019/1225)

ISBN: 978- 99969- 3- 365- 3

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية: (2019/12/6604)

بدر العبريّ

التّعارف

تعريف بالذّات ومعرفة للآخر

إضاءة قلم

الحلقة الثانية

- الرّحلة الشّيكاغيّة.
- الرّحلة الظَّفاريّة.
- الرّحلة البحرينيّة.
- الرّحلة التّكساسيّة.

تقدمة

لا أزعم أنّ هذا الكتاب يدخل في «فنّ الرّحلات»، فلهذا الفنّ شروطه وأدبياته، ولكنّه محاولة للاقتراب، من الجانب التّوثيقي المتعلق بالإنسان من حيث تعايشه وتعارفه، حاولتُ الاقتراب منه لأرى الاختلاف في جانبه الجميل الّذي يُثْري الحياة ويَبْنيها، وإنْ تباين لونًا وعِرقًا ولُغةً ودينًا وتوجُّهًا.

لقد سبق أنْ صدر لي في الجمعيّة العُمانيّة للكُتّاب والأدباء (إضاءة قلم) عام 2019م، وكان حول التّعايش، وفيه الرّحلة القُمّيّة والكويتيّة مع رحلة الحجّ، ولقي قبولًا جيّدًا، فأردتُ أن تكون الحلقة الثّانية حول التّعارف، وضمَّنْتُه الرّحلة إلى شيكاغو 2018م، والرّحلة إلى ظَفار والبحرين وتكساس 2019م، مع ملاحقَ مكمِّلة، وكشّاف للكتاب.

إنّ الغاية من هذا الكتاب هي التّعارف مع الآخر ذاته، حيث نقترب منه ونتعرف عليه، ولهذا حاولت أن أنقل الصّورة في الجملة كما هي، وأن أترك للقارئ مجالًا للتّأمل والنّقد والنّظر.

كتبه بدر بن سالم بن حمدان العبري

الموالح الجنوبيّة/ ولاية السّيب – سلطنة عُمان

مساء السّبت 1 ذو القعدة 1442هـ/

12يونيو (حزيران) 2021م

الرّحلة الشّيكاغيّة

- **الغاية والاستعداد والذّهاب**

بدعوة كريمة من مؤتمر العرب الأمريكيين السّابع الّذي سيعقد في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكيّة؛ وشيكاغو تقع في ولاية إلينوي، وتَتْبَعُ مقاطعة كوك، وتُعتبر في المرتبة الثالثة بين أكبر مدن الولايات المتحدة الأمريكية بعد نيويورك ولوس أنجلوس، وهي مدينة في قمّة الجمال والنّظافة والنّظام، وسيأتي الحديث عنها كثيرًا في الحلقات المقبلة، حيث تحوي الغرائب والعجائب، والتّناقضات والعِبَر.

والمؤتمر الّذي سيُعقَد من 16 إلى 19 أغسطس(آب) 2018م، وهو من تنظيم المَحفل الرّوحانيّ المركزيّ للبهائيين في الولايات المتحدة، حيث قدّم لي أحد المشاركين دعوة لستتين خلتا؛ فاعتذرتُ لارتباطي حينها بعُمرة طلاب جامع الدّعوة السّنويّة، وبما أنَّ الحجّ هذا العام دخل في أغسطس (آب)، وهذا يعني أنَّه لا يمكن الذّهاب إلى العُمرة، ولهذا عندما جاءتني الدّعوة تشجعتُ بصورة أكبر، ومع هذا كنتُ متردّدًا لسببين: الأول أنّ المؤتمر تنظيم بهائيّ، فهو قد يُسبِّبُ لي بعض المشكلات هنا، ومع هذا رغبةً منّي في الاكتشاف ومعرفة الآخر رأيتُها فرصة لا تُعوّض، والثّاني أنَّ الدّعوة جاءت قبل أقلّ من شهر من المؤتمر، وهذا يعني أنني قد لا أحصل على التّأشيرة، ومع هذا قلتُ: الدّنيا تجارب.

وتصوّرتُ بدايةً أنَّ الحصول على تأشيرة إلى الولايات المتحدة الأمريكيّة

مُعقّدٌ كالحصول على الشّنجن أو الشّنغن الأوربيّ، ولهذا حجزتُ التّذكرة والسّكن وعملتُ التّأمين الصّحيّ، وأخذت كشف الحساب البنكيّ لستة أشهر، وصوّرتُ الشّهادات وشهادة العمل وشهادة الرّاتب وشهادة إثبات العمل، إلّا أنني فوجئت بأنّهم لا يطلبون غير الجواز وصورتين فقط وورقة التّسجيل الإلكترونيّ!

كذلك اختلفت الرّوايات في الفترة الزّمنيّة للحصول على التّأشيرة فقال بعضهم: إنَّها تتأخَّر والوقت لا يكفي، وقال آخرون: إنّ الأمر يختلف؛ فتارة يعجّلون بها وتارة يؤخّرونها حسب الشّخص، ومنهم من قال: إنَّ الموضوع لا يتأخّر، فجربتُ الحظَّ، وسجَّل لي أحد الإخوة إلكترونيًّا، فكان الموعد يوم الأربعاء 25 يوليو في السّاعة التّاسعة والنّصف صباحًا، ومن حُسن الطّالع أنَّ الّذي أجرى المقابلة معي شارك في المؤتمر سابقًا حسب كلامه، وكانت سهلة أُنجِزت في دقائق، ثمّ قيل لي: استلم الجواز يوم الأحد، أي في بداية الأسبوع المقبل مع التّأشيرة!

وكنتُ خائفًا لأنَّ في جوازي تأشيرة إيرانية، فكنتُ مُتَردِّدا، وأتساءل: هل أغيِّر الجواز أم لا؟ مع أنّه لم ينتهِ، فسُئِلْتُ في المقابلة: لماذا ذهبتَ إلى إيران؟، فقلتُ: بغرض السياحة، مع أنّني ألقيتُ محاضرتين في مدينة قُم، كما أشرت في الرّحلة القُمِّيّة من: 22/ 2 وحتى 26/ 2 لعام 2017م، ومع هذا كانت الرّحلة في جوّها سياحة علميّة وتعارفيّة [1].

(1) نشرت في كتاب «إضاءة قلم» (الحلقة الأولى) التّعايش تأملات ومذكرات، الجمعيّة العُمانيّة للكُتّاب والأدباء، ودار مَسعى، الطّبعة الأولى – 2018م – ص ص: 65 - 101.

وكنتُ قد قدّمتُ يومين قبل المؤتمر، وزدتُ كذلك يومين بعده لهدف تسجيل حلقات يوتيوبيّة، وزيارة بعض المعابد والأديان، ونسّقت مع أحد الإخوة المرتبطين بمركز الأديان، فرحّبوا بالفكرة، ونسّقوا الجدول، وأصرّوا على تحمُّل نفقة السّكن والتّغذية والنّقل والمُترجِم، فجزاهم الله خيرًا.

المهمّ، أنَّ سفري كان يوم الإثنين السّاعة الحادية عشرة والنّصف ليلًا حَسَب توقيت مسقط، إلّا أنّ الطّائرة تأخّرت لمدّة ثُلُث ساعة بسبب هبوطها المتأخّر، وما يَعْقُبُهُ من تعبئة الوقود وتنظيف الطّائرة، وكنتُ مغادرًا على الطّيران السّويسريّ، وفي القاعة كنتُ أتحاور مع رجل بريطانيّ يبدو في الخمسين من عمره، يعشق مسقط كثيرًا، لهدوئها وسكونها!

وبالطبع فلن أتحدّث عن مطار مسقط، فقد تحدّثتُ عنه في الرّحلة الكويتيّة: 8 – 11 مايو 2018م[1]، حيث أقلعنا قرب الثّانية عشرة ليلًا إلى دبي، ولم ننزل في دبي، فقد هبطت الطائرة فقط لحمل الرّكاب والمسافرين، لذا كان الوقوف سريعًا، ومن دبي إلى مطار زيورخ في سويسرا.

جلس معي في مقعد الطّائرة المُبتعَث العُمانيّ محمّد بن محمود بن عبد الله العبدليّ من ولاية مَنَح، التقيتُ به لأوّل مرّة، وله صلة قرابة كبيرة بأبي مصعب المهندس سالم العبدليّ، والشّيخ خالد العبدليّ، وهو مُبْتعَث كطالب تجارة في مدينة Salt Lake – أي مدينة المِلح – الأمريكيّة، وهذي المدينة عاصمة ولاية

(1) نشرت أيضًا في كتاب «**إضاءة قلم» (الحلقة الأولى) التّعايش تأمّلات ومذكّرات**، مصدر سابق، ص ص: 103 – 146.

يوتا، وفيها ينتشر المورمون[1]، المذهب الّذي تأسس عام 1830م على يَدَيْ جوزيف سميث (ت 1844م)، وتسمى كنيستهم بكنيسة يَسوع المسيح لقدّيسي الأيام الأخيرة، ولهم خمسةَ عشرَ مليون عضوٍ في العالم يُبشّرون بهذا المذهب، ولهم تعاليمهم كدفع العُشُور، ولا يباشرون العلاقات الزّوجيّة قبل الزّواج، وهذا في الأصل مُحرَّم في الكنائس المسيحيّة عمومًا، إلا أنّه حدث تراجع في الكنيستين الكاثوليكيّة والبروتستانتيّة في هذا المجال، كما أجازت بعض هذه الكنائس زواج المِثْليّين حاليًّا، كذلك يُحَرِّم هذا المذهب شرب الخمر والعمل يوم الأحد، ويمتنع العديد منهم عن شرب الشّاي والقهوة لاحتوائهما على الكافيين، ولا يدخّنون، وبعضهم يُحرِّم على النّساء لبس الملابس القصيرة والسّراويل، ويهتمّون بالأُسرة وكثرة الإنجاب والضّيافة والكرم (للمزيد ينظر الموسوعة العالميّة ويكيبيديا).

والمورمون غير الموارنة[2] الكاثوليك، نسبة إلى مارون الرّاهب السّريانيّ (ت 410م)، ومركزهم بلاد الشّام ولبنان خصوصًا، وكان من المقرّر أنْ نُجري لقاء مع المورمون؛ إلا أنّنا لم نتمكن لعدم ردّ الكنيسة أولًا، ولضيق الوقت ثانيًا، ثمّ لرغبتي في أنْ يكون للمسيحيّة (النّصرانية) سلسلة مستقلّة من الحوارات مع جميع المذاهب المسيحيّة في المستقبل بإذن الله تعالى، ومع هذا التقيتُ بشهود يهوه، ورفضوا التّسجيل، إلا أنّني أجريتُ معهم حوارًا سريعًا،

(1) سيأتي الحديث عن المورمون بشكل أوسع في الرّحلة التّكساسيّة من خلال اللّقاء مع الأسقف الدّكتور تيد آساي من المورمون في دالاس.

(2) أجرينا لقاء عن الموارنة مع الدّكتور الأب الماروني حنّا إسكندر من لبنان، وسنضيف اللّقاء في ملاحق الكتاب.

سنشير إليه في حينه من هذه الرّحلة [1]، وكذلك لم يردّ المعبد اليهوديّ على طلبنا، ولكنّنا تلقينا استجابة في تكساس، وهي بعيدة جدًّا عنّا، ولعلّ ذلك يتحقَّق لنا في المستقبل[2].

وسَمَّيتُ هذه المدينة بمدينة المِلْح نسبة إلى البحيرة المالحة الكبرى. والطّالب المبتعث محمد العبدليّ من مَنَح شاب ذكيّ، شاركتُه في حوار حول جوانب متعددة، وتذاكرنا أخيرًا في النّحو العربيّ، وإعراب بعض الجُمل.

وحقيقة الأمر أنّني أغبِط الّذين يَدرُسون في الخارج، على غُربتهم وفراغهم، وخاصّة وهم في أرض المعرفة والحضارة، فوجودي لبضعة أيام في شيكاغو علّمني الكثير، فكيف بمن يبقى في الغربة سنوات؟ وكنتُ نشرتُ مقطعًا في قناتي اليوتيوبيّة بعنوان: رسالة إلى المُبتعَثين خارج الوطن للدّراسة وطلب العلم في رمضان الماضي 1439هـ، بطلب من الأستاذ محمد الباديّ المُبتعَث في أستراليا.

وشاركَنا الحوار الطّالبُ Andre Lourenco من البرتغال الذي يدرُسُ علم الأديان في سويسرا، ويعود أصلُه لأب مغربيّ مسلم وأمّ مسيحيّة من البرتغال، إلا أنّه لا يؤمن بالأديان ولا بالإله، وجاء عُمان في زيارة لمدّة ثلاثة أسابيع، وزار العديد من مناطقها، إلا أنَّ ظَفار لم تعجبه، ولكلٍّ رأيُه، وهنا أنقلُ ما رأيتُ، وكنت أحمل كتاب تاريخ الأديان وفلسفتها للعميد الرّكن طه الهاشميّ (ت 1961م) طُبِع سنة 1963م، فلهذا كان الحديث حول الأديان القديمة

(1) كما شاركتهم أيضًا في جلسة معرفيّة حول شهود يهوه، سنذكُرُها في الرّحلة التّكساسيّة .

(2) تمّ تسجيل ذلك مع الحاخام رابي دايفيد في دالاس في الرّحلة التّكساسيّة .

لتخصص الشّاب البرتغاليّ فيها، ومن ثمّ عن المورمون، وكان البرتغاليّ يتحدّث الإنجليزيّة، والمبتعث العُمانيّ يُترجم لي.

وصلْنا زيورخ في السّاعة السّادسة وخمس وعشرين دقيقة، وهذه هي المرة الثّانية لي في هذا المطار، حيث نزلتُ فيه عندما زرتُ سويسرا مع الأهل قبل عامين، وهو مطار ليس بالكبير جدًّا، والأوربيون لا يهتمون بالدّيكور كثيرًا، واستغرقَتِ الطّائرة من دبي إلى زيورخ ستّ ساعات وخمسين دقيقة، ومدّة (التّرانزيت) ثلاث ساعات وربع السّاعة.

وقُبيل الصّعود قيل لنا: اصعدوا إلى الأعلى إلى القاعة التي تُنهى فيها إجراءات الدّخول إلى أمريكا مع ختم بطاقة السّفر، وكانت هناك قاعة أخرى رأيتُ بعض الناس يدخلون إليها، وهي مُغلقة بحائط خشبي صغير، ولمّا أتى دوري قالوا لي: لماذا تريد الذّهاب إلى أمريكا؟ فأخرجتُ لهم ورقة التسجيل في المؤتمر، فخُتِمَتْ ورقتي مباشرة دون تأخير، وهنا رأيتُ امرأة شاميّة محجَّبة مع ابنها الصّغير تخرج من هذه الغرفة المغلقة، فسألتها لماذا هذه الغرفة؟ قالت: هنا يدخل بعض الناس فيسألونهم بعض الأسئلة، ثم نزلتُ إلى قاعة الانتظار.

أقلعت الطّائرة من زيورخ في السّاعة التاسعة وأربعين دقيقة بتوقيت زيورخ، ووصلْنا مطار شيكاغو في السّاعة الثّانية عشرة وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت شيكاغو، واستمرت الرّحلة تسع ساعات وخمسًا وأربعين دقيقة، واسم مطار شيكاغو (مطار أوهير الدّوليّ)، ويعتبر الثّاني عالميًّا بعد مطار (هارتسفيلد جاكسون) في أتلانتا.

وفي الحقيقة لم أشعر بتعب الرّحلة خلافًا لما صُوِّر لي، إلّا في السّاعات الأخيرة، إذ شعرت بالملل لكوني جلست مع رجل عجوز أمريكيّ وزوجته العجوز الأمريكيّة، أمّا هو فلا يكاد يتكلّم، وأمّا هي فكانت في أغلب الرّحلة تقرأ في كتابها، وأمّا أنا فلم أستطع القراءة من التّعب، وكذلك فإنّ الأفلام والبرامج في شاشة الطّائرة قليلة، ولا توافقُ ذوقي في جملتها، لهذا بدأتُ أحسب الوقت بكلّ بطء، ومع هذا كان الكرم في الطّائرة السّويسريّة كبيرًا، والعصائر والحلويات والقهوة تمرّ بين فترات ليست بعيدة، وهذا ما خفَّف عني بعض السّأم.

لمّا وصلتُ إلى مطار شيكاغو كان هناك لافتة مكتوب عليها: ممنوع التّصوير واستخدام الهاتف، وكانت الحركة سريعة جدًّا، والتّعامل في قمّة التّواضع والأخلاق، وهنا تُنهي إجراءاتك بنفسك، حيث توجد آلة تصور الجواز وتُصوّرك وتَبصم، وأنا لم أعرف استخدامها، فأشرتُ إلى إحدى العاملات هناك، فقامت بالدّور عنّي بكلّ سرعة، ثمّ أخرجَتِ الآلةُ ورقة صغيرة، فذهبتُ إلى المنضدة، فسألتني لماذا أتيتَ؟ فأخرجتُ لها ورقة التسجيل في المؤتمر، ورحّبَتْ بي مع ابتسامة، وخَتمتِ الجواز.

وفي الطّائرة أُعطيتُ ورقة زرقاء سجّلْتُ فيها بياناتي ومكان سكني، وتصريحًا عما إذا كنت أحمل طعامًا أو نقودًا أو حيوانات، وأنا شخصيًّا لم أعرف تسجيل بعض بنودها، فجلستُ كالمُعلّقة لا أدري مَنْ أسأل، ومِنْ حُسْنِ الطّالع أن مرّت بجانبي طالبتان، عرفْتُ أنّهُما من عُمان، طلبْتُ منهما

المساعدة، فلم تُقصّرا، ومع هذا لم أُسْأَل عن هذه الورقة وهي معي حتى اللّحظة!

استلمْتُ حقيبتي، ووجدت أخًا من مركز الأديان خارجًا، ووفّر النُّزُل الذي سأنزل فيه سيارة، وكان اسم النُّزُل Motel 6، وهو قريب من المطار، لذلك وصلنا بسرعة، وكانت الإجراءات سريعة، وهنا كان الاستعداد لشراء البطاقة والغداء وزيارة معبد زرادشتيان كما سنرى لاحقًا.

- **زيارة معبد زرادشتيان وتسجيل حلقة عن الزّرادشتيّة**

بعدما وصلنا إلى النُّزُل Motal 6 وكان قريبًا من المطار، ذهبتُ لأداء صلاتَي الظُّهر والعَصر، وهنا لم أهتدِ إلى القِبلة، فأخذْتُ بعموم قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة/ 155)، وبعدها ذهبنا إلى المطعم المكسيكيّ؛ وطلب المرافق سيارة أجرة عن طريق الأوبر، وهنا يمكنك بسهولة أن تطلب سيارة نقل مع الشّركات المختلفة، والدّفع يكون مقدَّمًا، وعندهم عادة (البخشيش) أيضًا، ولكنّها بصورة مهذّبة، عن طريق البطاقة البنكيّة، وهم لا يكادون يستخدمون النّقود، وَجُلُّ معاملاتهم، ولو كانت بسيطة، تكون عن طريق بطاقة الائتمان، وعندما تريد حجز سيارة يظهر لك في خريطة الهاتف موقع السّيارة الآن، وكم دقيقة ستستغرق حتى تصل إليك، وفي أيّ الطّرق هي الآن؟ وتشاهدها عن طريق خريطة الهاتف، ويمكنك أن تختار غيرها إنْ تأخرتْ ولو لدقيقة دون أن تفقد نقودك، ثمّ لمّا تصل السّيارة إليك لا يسألك السائق إلى أين تريد الذّهاب؛

لأنّك أرسلت له الموقع عن طريق الخريطة، فيحملك إلى تلك النّقطة، وتخرج بكلّ سهولة حيث تكون قد دفعت سابقًا؛ والسّيارة مزودة بخريطة وأحيانًا (بكاميرا)، وبأسلاك شحن الهواتف، ومنهم من يحمل معه بعض الحلويات هدية لزبائنه، وعندهم خياران: فإمّا أن تريد السّيارة لك وحدك وإما أن يشاركك فيها أحد آخر، والخيار الثّاني أرخص سعرًا، وعادة يجلس الزّبائن في الخلف، والسّائق قد يكون رجلًا وقد تكون امرأة، ويقابلون زبائنهم بابتسامة وترحيب كبير عادة، وسيارات الأوبر لا تتميز عن سيارات الأجرة العادية (التّكسي)، وهي أرخص بكثير من سيارات الأجرة.

وصلْنا المطعم المكسيكيّ، وهو من سلسلة المطاعم المكسيكية المنتشرة في أمريكا، وسُمّي بذلك نسبة إلى دولة المكسيك، وهي جمهوريّة دستوريّة فيدراليّة في شمال أمريكا، والمكسيكيّون منتشرون في الولايات المتحدة الأمريكية، وبلادهم ليست غنيّة، كما تعاني من العصابات الّتي تؤثر في وضعهم الاقتصاديّ والمعيشيّ والأمنيّ. وفي هذا المطعم تطلب الأرز المكسيكيّ واللّحم والدّجاج، وتختار بنفسك من الخضروات والعصائر والمشروبات، والعديد من مطاعمهم يحوي المشروبات الكحوليّة (الخمر) والمشروبات الغازيّة، واللّحوم المتوفرة هنا هي غالبًا لحم الخنزير، وتتوفر أحيانًا لحوم البقر والضّأن، ولحم الدّجاج منتشر بكثرة، والأرز له لونان في طبخه الأبيض والبُنيّ، وهو قريب من الأرز المصريّ. وتَهتمّ مطاعمهم بالنّباتيين، لكثرة النّباتيين عندهم، ولهم أكَلاتهم الخاصّة، مثل بعض الأكَلات القريبة من اللّحم ولكنّها نباتيّة، وهناك مطاعم مخصصة كليًّا للنّباتيين، وأنا عادة أطلب الدّجاج،

وشخصيًّا آخذ بعموم قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**﴾ (المائدة/ 5) والآية نزلت في أهل الكتاب في عصر النّبيّ ﷺ، وهم يؤمنون بالكتب الموجودة الآن نفسها، ولهم طريقتهم الخاصّة في التّذكية. والمسيحيّة ظاهرة في الغرب، ولهم كنائسهم وصُلبانهم ونواقيسهم، والأصل عموم الخطاب ما لم يُخَصَّص بمُخَصِّص، فلحم الخنزير مُخصَّص بنصّ واضح يَخرج من عموم الجواز، وللشّيخ بيّوض (ت 1981م) تأويل جميل لهذا الواقع في فتاواه من أراد المزيد.

بعد هذا ذهبنا إلى شركة الاتصالات، واختار لي صاحبي شركة T. Mobile لكونها الأفضل. (والنّت) عندهم سريع، وأنت هنا بين خيارين: فإمّا أن تختار مقدارًا معينًا من (الغيغا) أو تريده مفتوحًا، وقد اخترتُ بدايةً عرض (اثنين غيغا)، إلا أنّه انتهى بسرعة، فاضطُرِرتُ إلى أن أذهب ثانية في يوم آخر، ومن حُسن الطّالع أنّ الموظف هناك كان مصريًّا من الإسكندريّة، فأخذَنا الحديث عن الإسكندريّة وريّا وسكينة ومصر والوضع الحالي، فاختار لي عرض (عشرة غيغا)، ورفض أخذ مال البطاقة، وقال: أنت ضيف عندنا، وبعد إصرار كبير وافق، ودعاني لزيارته، إلا أنني اعتذرتُ له، لأنَّ جدولي مزدحم، ولا أريد إضاعته في زيارات جانبيّة، وقد ظلّ الرّصيد متوفّراً حتّى العودة.

ثمّ ذهبنا إلى النُّزُل، وكان عندنا ساعة فقط، وكنتُ متعبًا لأنّ الطّريق أخذ حوالي عشرين ساعة، لم أَنَمْ فيها إلّا غفوات سريعة، ولأنّ الموعد مع المعبد السّاعة الخامسة عصرًا، وهو يَبْعُد عن النُّزُل حوالي ساعة، حاولت مدافعة النّوم والتّعب قَدْر المستطاع.

وصلنا إلى المعبد في السّاعة الخامسة، واسمه معبد زرادشتيان، واستقبَلَنا الأستاذ (كيخسرو مؤبد)، وهو رجل كبير السّن، ومحترم ومتواضع، ويقوم بخدمة المعبد، وليس كاهنًا. وعامّةً، فإنَّ مَنْ يخدمون المعبد هم من كبار السّن، ويوجد بعضهم من الشّبّان، ورأيت من الكهنة شبّانًا، وأغلب الحضور أيضًا من كبار السّن، والآخرون متفاوتون في أعمارهم، ومنهم صغار السّن، وهم قلّة.

والزّرادشتيّة نسبة إلى زرادشت، من الدّيانات القديمة، جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا أنّها تأسست منذ أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة، ويُؤْمِنُ أتباعها بالإله الواحد، ويُسمّونه (أهورامزدا) أي الإله الحكيم، ومقرّ الزّرادشتيين إيران، خصوصًا في منطقة يَزد، إلا أنّهم بعد الاضطهاد هاجروا إلى الهند خصوصًا، وكتابُهم (الأفتيسا) مختارات من الكتاب المقدّس للزّرادشتيّة، وهو مجموعة من الصّحف، ولغتهم الأفستيّة، وهي قريبة من اللغة الهنديّة القديمة (السّنسكريتيّة)، ومع هذا لهم لغاتهم الخاصة حسب البلدان.

ويُطلِق العرب على الزّرادشتيّة المَجوس، وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن بهذه اللّفظ في سورة الحج (آية 17): ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ وقد سبق لي أن كتبتُ مقالًا بعنوان: «الشّيعة والمجوس» قلتُ فيه: (والمجوسيّة اختُلِف فيها كيف دخلت إلى العربيّة، فقيل هي في الأصل مَكوس، أي كلمة فارسيّة، ثمّ شاع بأنَّ المجوس هم عَبَدَةُ النّار، إلا أنَّ المصادر الأولى مختلفة؛ فقيل: المجوسيّ هو الكاهنُ عند

الأشوريّين وقُدامَى الفُرس، أي مَكوسيّ مثل الحَبْر عند اليهود، والرّاهب عند الهندوس، والكاهن عند النّصارى، والعالِم عند المسلمين، وقيل: هو الكاهن المخصوص بالسِّحر، أي بمعنى السّاحر، وقيل: هو المشتغل بالنّار في المعبد، وذلك لأنَّ الزّرادشتيّة من الأديان التي تؤمن بوجود إله للخير وإله للشّر، فهي لا تنكر وجود إله، وتؤمن باليوم الآخر، وبالثّواب والعِقاب، وَفق فلسفتهم في ذلك، ويعتبرون أنّ للنّار والماء رمزية، فالنّار والماء رمز الحياة، كما عند بعض الفلاسفة في رباعية الماء والتّراب والهواء والنّار، والنتيجة في نظري أنّه لا توجد في الحقيقة طائفة في فارس تعبد النّار، والفُرْس غالبهم زرادشتيّ، والزّرادشتيّة لا يعبدون النّار كإله، كما أنّ الهندوس لا يعبدون البقر كإله، ومن الفُرس مندائيون أو يزيديون، وهم موحِّدون أيضًا، ولا أعلم مصدر فكرة أنّ المجوس هم عبدة النّار حرفيًّا، ولعلّها من الأخبار الّتي تناقلها النّاس ثمّ أخذها الفقهاء والمؤرخون على علّاتها، كباقي الأخبار) انتهى.

في البداية حضرْنا طقس المقتاد، وهو يتوافق مع نهاية العام عندهم، ويستمر خمسة أيام متواصلة، حيث يتحلّق رهبانهم على النّار، ويَتْلُون من كتابهم المقدّس، ويدعون للأموات، ولم أفهم شيئًا لأنّه مكتوب بلغتهم القديمة، ويُحْضِرون صحنًا فيه بعض الخضَرَوات، وصحنًا فيه زهور وورود، والآخرون يستمعون بخشوع.

وعندهم في المعبد غرفة يتحلّق فيها أربعة من الرّهبان وقوفًا، والظّاهر أنهم يأتون بالأذكار والأدعيّة، والحضور يستقبلونهم في خشوع، منهم من يتلو ومنهم من يبكي.

وفي المعبد ينزعون أحذيتهم، ويلبسون غطاء صغيرًا على الرّأس، أُلبِسنا إيّاه عندما دخلنا، وهذه العادة وجدتُها عند الهنود المسلمين أيضًا، وهو الغطاء نفسه أو قريب منه تقريبًا.

ولمّا انتهى الطّقس الّذي كان تقريبًا أقلّ من ساعة، جلسنا مع الأستاذ كيخسرو مؤبد في مكتبة المعبد، وتحدّثنا معه في نصف ساعة عن كتبهم المقدّسة، وعن النّار والعناصر الأربعة، وحدّثَنا عن إحراق الإسكندر المقدونيّ كتبَهم ومكتباتِهم عندما هاجم بلاد فارس؛ فلم يبق منها سوى القليل، وأنّ أعياد الزّرادشتيين الإيرانيين تختلف عن أعياد الزّرادشتيين البارسيين الّذين يعيشون في الهند، وتحدّثنا عن منطقة يَزد في إيران، وقال: إنَّه لا يوجد عندهم أماكن مقدّسة، ولكنَّ لهذه المنطقة قيمتَها عندهم، ولمّا حدث الاضطهاد أخذوا النّار معهم إلى الهند، ولا زالت مشتعلة إلى اليوم، وأنّهم لا يُبشّرون بِدينهم، والدّخول في دينهم ليس سهلًا.

وعندما طلبنا منه تسجيل الحلقة اعتذر لعدم تمكّنه، واقترح لنا الأستاذ هوشدار، وقبل هذا أصرّوا على أن نتناول العشاء معهم، وكان عشاء خفيفًا من الأرز واللّحم والدّنجو وبعض الخضروات البسيطة حسبما أتذكّر، وكانت امرأة زرادشتيّة قد تبرعت بطبخه، ويبدو أنّها تتطوع بذلك سنويًّا في هذه المناسبة، ونساؤهم يختلطْن بالرّجال في المعبد، ويضعْن ساترًا خفيفًا على رؤوسهنّ، والكبيرات منهنّ يلبسن ملابس واسعة، أمّا الصّغيرات فيلبسن حسب الثّقافة الغربيّة.

والأستاذ هوشدار من التّجار الأغنياء، وله شركة كبيرة أخذَنا لرؤيتها من الخارج لمّا رجعنا، وهو في أمريكا منذ أكثر من أربعين سنة، ويأمُل أن يرجع إلى الهند بعد خمس سنوات للتّفرغ لمساعدة النّاس والفقراء في الهند وخدمة وطنه الأم، وهو رجل متديّن بشكل كبير جدًّا، وعمومًا تظهر سِيما التّدين والتّواضع وخدمة الآخر في نفوسهم، وتشعر بذلك مباشرة من خلال ترحيبهم بك عندما تزور معبدهم.

سجلنا حلقة يوتيوبيّة مع هوشدار عن الدّيانة الزّرادشتيّة في برنامج «حوارات» الحلقة السّادسة والعشرين، ونُشِرت في 15 أغسطس (آب) عام 2018م.

تحدّث بداية عن أنّ الزّرادشتيّة هي طريقة التّعامل مع الحياة من خلال ثلاثة عناصر: التّفكير الطّاهر، والكلام الطّاهر، والعمل الطّاهر. ثمّ قال: إنّ النّار رمز للنّور، والنّور قِبْلة لهم، ففي الظّهر مثلًا يستقبلون الشّمس، وفي اللّيل يستقبلون الإضاءة أو النّار، ولهم أمكنة مقدسة في الهند بعد هِجْرتهم من إيران قبل ألف وثلاثمئة سنة تقريبًا، والمكان اسمه آتاش بهرام (نار الرّوح القُدُس) وهو موجود في مدينة أودفادا بولاية كوجورات الهنديّة، والنّار مشتعلة في هذا المكان منذ تلك الفترة، ولم تنطفئ، ولهم مكان آخر في الهند مقدّس أيضًا اسمه آتاش أدران، والواقع أنَّ أيَّ مكان تُشعَل فيه النّار في المعبد أو في البيت يُعتبَر مكانًا مقدّسًا، وأمّا منطقة يزد في إيران فهي منطقتهم الأولى الّتي نشأت فيها ديانتهم.

ثـمّ قـال: إنّ النّـاس قبـل زرادشـت كـانوا يعبـدون النّـار والتّربـة والـزّلازل ونحوها، فجاء زرادشت ونقلهم إلى عبادة الإلـه الواحـد، وأنّ العناصـر الأربعـة (الماء والهـواء والنّـار والتّربـة) جـزء مـن الطّبيعـة لا يسـتغني عنهـا الإنسـان، لـذا يجب احترامهـا وتوقيرهـا والمحافظـة عليهـا، لهـذا يجعلـون مـن هـذه العناصـر الأربعة رمزيّة في دعواتهم.

وأضاف: إنّ أهمّ الكتب عند الزّرادشتيّة كتاب «أبستاق»، جاء بـه زرادشـت، وهو كتاب شِعري يصعب تحريفه، ثمّ جاء مَنْ أتَوا بعده بكتب أهمها كتاب «أفيستا» الذي كتبه مجموعة من العلماء، وهناك كتب تصل إلى اثنين وسبعين كتابًا مقدّسًا، ومنها في الطّب والأحكام، وفُقِدت مع مرور الزّمن، وبسبب تعرضهم للاضطهاد والتهجير.

وعـن الطّقـوس قـال: إنّ عنـدهم خمسـة أوقـات في اليـوم، يـذكرون فيهـا الخالق، بيد أنّه لا توجد صلاة مخصوصة في هذه الأوقات، وعندهم خمس مراحل عمريّة يَمُرّ بها الإنسان، ويتوقف عند كلّ مرحلة بالدّعاء، ولا يوجد عندهم صيام؛ لأنّ فلسفتهم تَقضي أن يحافظ الإنسان على صحة جسده طول العام، وفي نهاية كلّ عام زرادشتيّ عندهم أيام خمسة يسمونها المقتاد، فيها يدعون للأموات؛ لأنّهم يؤمنون بنظريّة الحُلول والتّجسد، إلا أنّهم لا يؤمنون بتناسخ الأرواح، ويستخدمون الورود في الأدعية، وهي رمزية للتّجسّد، والجسد عندهم عبارة عن لباس لا أكثر، لهذا فإنَّهم لا يُحرقون أمواتهم تكريمًا للنّار، ولا يدفنونهم تكريمًا للتّربة، ولا يرمونهم في البحر تكريمًا للماء، ولهذا

كانوا في السّابق يجعلونه في مكان مرتفع تأكله الطّير، وأمّا الآن فعادة يتبرعون بأجزاء أجسامهم للمؤسسات المهتمة بهذا.

وبيّن أنَّ الإنسان عندما يعمل صالحًا فسوف يتّسع له صراط جسر المرور في اليوم الآخر ليوصله إلى النّعيم، وعندما يعمل السّيئات فسوف يضيق حتى يسقطه في النّار، وهي ليست أبديّة.

وذكر أهم الأعياد عندهم عيد النّيروز، وهو مرتبط بالزّهور والورود، وعندهم عيد الجمبار الذي يستمرّ خمسة أيام، وهذا العيد مرتبط بالزّراعة والتّربة والأرض، إذْ يجتمع العديد من الأهل والعشيرة في هذه الأعياد لتناول ما أنبتته الأرض.

ثمّ أشار إلى أنّ الزّرادشتيّة لا يزيدون عن مئتي ألف، وينتشرون في الهند وإيران، وحاليًّا في كندا والولايات المتحدة الأمريكيّة والصّين، وهم عمومًا يحترمون الأديان الأخرى؛ لأنَّ زرادشت ذكر أنّه ستأتي أديان ورسل من بعده، وهو يُشَبّه الأديان بالجبل، إذْ إنَّ غاية الجميع – وإن اختلفت أديانهم – الوصول إلى قمّة الجبل، والكلّ في النّهاية سيصل.

ثمّ لمّا انتهينا من تسجيل الحلقة ذهبنا إلى المنصة ليشرح لنا اللّوحة في مسرح الذّكر حول النّار، وفيها شخص مرسوم له جناحان كبيران رافعًا يده إلى الأعلى، وكلّ جناح مقسّم إلى خمسة أقسام، ويحمل حلقة دائريّة صغيرة في يده، وفي وسطه حلقة دائريّة كبيرة، ويتدلّى من هذه الحلقة عمودان (ميزانان) أفقيان يمينًا ويسارًا، وتحت العمود تتدلّى ثلاث طبقات من الرّيش، فالرّأس دلالة على الحكمة والعقل والفكر، والجناحان الكبيران إشارة إلى الرّقيّ

والسّموّ، وانقسامها خمسة أقسام إشارة إلى المراحل الخمس اليوميّة والعمريّة الّتي يمرّ بها الإنسان، والطّبقات الثّلاث في الأسفل إشارة إلى التّفكير الطّاهر، والكلام الطّاهر، والعمل الطّاهر، والعمودان عبارة عن ميزاني: الخير والشّر، فإذا توافقت الثّلاثة مع العقل والفكر توازن معه الخير والشّر، والدّائرة الواسعة هي حياته واستمرارها في التّجسد، ورَفْعُ يديه إشارة إلى التّبتّل والدّعاء.

وبعد هذا أصرّ على توصيلنا بسيارته بنفسه، ومع أنّه رجل غنيّ وصاحب شركة، كانت سيارته متواضعة جدًّا، ونُزُلنا (الفندق) يَبْعُد حوالي ساعة، وخلال ذلك أخذَنا لرؤية شركته وبيته، وفي الحقيقة لم أشعر بمرور الوقت بسبب مدافعة النّوم، فقد أحسسْتُ أنّنا وصلنا بسرعة، ونزلَ لتوديعنا، وقال: إنّه بالخدمة متى أردنا، ورجعْنا إلى النّزل لنستعدَّ ليوم جديد نزور فيه المعبد البوذيّ.

• زيارة معبد ميدوست وتسجيل حلقة عن البوذيّة

لمّا رجعنا إلى النُّزُل، وكانت السّاعة الحادية عشرة ليلًا أخذَني النّوم بسرعة، إلا أنني استيقظتُ الثّالثة فجرًا لكي أقوم بدبلجة بسيطة في هاتفي لتسجيل حلقة الزّرادشتيّة مع الزّرادشتي هوشدار، حيث أستخدم برنامج KineMaster ثمّ أرفعها إلى اليوتيوب، وأقوم بنشره في وسائل التّواصل لتعمّ الفائدة لمحبّي المعرفة والثّقافة واكتشاف الآخر.

وممّا ساعدني على النّشاط وجود القهوة الأمريكيّة في النُّزُل لمدة أربع وعشرين ساعة، وكنتُ قبل فترة لا أستسيغ شربها، مع أنّها أخفّ من القهوة

التّركيّة أو المغربيّة التّقليديّة، ومع هذا لمّا ابتعدت عن الإكثار من القهوة العُمانيّة – لأنها سببت لي بعض الضّغط – رأيتُ في القهوة السّعوديّة والكويتيّة خير بديل؛ لأنَّها خفيفة فأصبحت لي عادة أنْ اشتري منها لمدّة عام، إلا أنَّها لا تنشِّط الذّهن، وفي الوقت نفسه فإنَّ كثرتها لا تضرّ، ومع هذا وجدت القهوة الأمريكيّة منشِّطة للذّهن وليست ثقيلة كالتّركيّة، ويكفي أن تشرب منها قليلًا.

المهمّ أنَّني استطعتُ أن أنهي الدّبلجة والرّفع والنّشر مبكرًا، وفي بداية صباح الأربعاء الرّابع عشر من أغسطس(آب) ذهبنا إلى منطقة مينوموني في شيكاغو، وهي منطقة في قمّة الجمال والنّظافة والنّظام والإبداع الإنسانيّ، البيوت في أشكال هندسيّة رائعة، وطرق المشاة نظيفة ومُرتَّبَة ومُشجَّرَة، والكلّ يسير في نظام بديع، حتى الأطفال وهم يذهبون إلى المدرسة، فلا تسمع صُراخًا، فسبحان من أبدع العقول لتفلسف الحياة نظامًا وإبداعًا.

وهذه المنطقة في الأصل يقطنها اليابانيون كما أخبرَنا، ولمّا قامت الحرب العالميّة الثّانية 1939م، تمّ تهجيرهم والزّج بالعديد منهم في المنافي والسّجون، وأمّا الآن فهي خليط من أجناس متنوعة.

ذهبنا بداية إلى مطعم SUBWAY، وهو مطعم أمريكيّ للوجبات السّريعة تأسس عام 1965م على يَدَي فريد ديلوكا وزميله بيتر بوك، ويحمل الفكرة نفسها في العالم أجمع، ثمّ ذهبنا إلى معبد ميدوست، في الموعد المحدَّد، وهناك التقينا بالرّاهب جيسي زفالا، وهو قائم على المعبد وتنظيفه وإدارته، وفي البداية لمّا أخبرناه برغبتنا في تسجيل حلقة يوتيوبيّة معه قال: لكم عشرون دقيقة؛ لأنّي مرتبط بتنظيف المعبد، وقبلَها نزلْنا إلى الأسفل ليُرينا بعض الصّور

من عيد الأرز والرّقص على الأموات، ثمّ ذهبنا إلى مكان الصّلاة ودخلنا بالحذاء، وكذلك توجد الكراسي في المعبد، وقال: هذا من التّأثر بالحضارة الغربيّة؛ لأنَّ الأصل عدم الدّخول بالحذاء، وكذا الجلوس على الأرض. ويوجد في المعبد محراب مرتفع فيه تمثال بوذا، وبمقدمته آنية فيها بعض التّراب، واقترح علينا أنْ نسجّل الحلقة في المحراب المرتفع والقريب من التّمثال.

وكانت الحلقة رقم سبعة وعشرين، وبُثَّت في السّادس عشر من أغسطس(آب)، وبيّن في البداية أنّ البوذيّة نشأت في الهند قبل ألفين وستمئة سنة، حيث نشأت على يد سيدهارتا بوذا، وكان صاحب سلطة وغنًى، فترك ذلك واهتمّ بالأمور البشريّة، وانتشرت هذه الدّيانة في كوريا واليابان والصّين، وهي تنتشر الآن في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وعدد أتباعها كبير جدًّا، وهي تنتشر في الصّين بقوّة رغم الاضطهادات.

وبيّن لنا أنَّ البوذيّة منبثقة من الهندوسيّة، وأنّ بوذا جاء لإصلاح الهندوسيّة، لذا أنكر من البداية تعدُّد الآلهة، وأنكر فلسفة أنَّ الآلهة تتحكم في تصرفات الإنسان، فالإنسان هو من يتحكّم في نفسه، وهو مسؤول عن تصرفاته، وبوذا إنسان طبيعيّ وليس نبيًّا، فهو إنسان ترك السّلطة والمال، واختلى لتربية نفسه حتى وصل إلى درجة كبيرة من الكمال الإنسانيّ، وقد تخلّص من الكراهيّة والأنانيّة والحقد، وأصبح قلبُه مليئًا بالحبّ للآخر، وبالأخلاق الفاضلة، فالبوذيّة هي تربية للنّفس الإنسانيّة، والنّفس طبيعتها الخطيئة وليس الكمال؛ وقال: لذا فنحن نحاول تقليد بوذا في الارتقاء بهذه النّفس البشريّة، وشيئًا فشيئًا ترتفع إلى درجة الكمال.

كذلك بيّن أنَّ بوذا لم يأتِ بكتاب كالتّوراة والإنجيل والقرآن، فالبوذيّة عبارة عن قوانين وأخلاق يتخلّق بها الإنسان، وليست عبارة عن كتاب ما، وهناك مفهوم الجواهر الثّلاثة في البوذيّة: الجوهر الأول: بوذا ويسمونه أيضًا الأرض المقدّسة أو الأرض الطّيبة، وهذه الأرض الطّيبة لا تبدأ بعد الموت وإنّما من الحياة، فهنا البوذيّ يحاول أن يتخلّق بالصّفات الحسنة كالتّواضع والحبّ والمعاملة الحسنة، والبعد عن الصّفات السّلبيّة كالكِبر والغرور. والجوهر الثّاني: الدّاراما أي القوانين الّتي جاء بها بوذا لتنظيم المجتمع، وهذه القوانين كُتِبَت بعد وفاته بثلاثمئة سنة، كتبها الرّواة على شكل القصّة، وقد وصلت إلى أربع وثمانين قصة، لهذا هناك مَنْ يرفض العديد من هذه القصص، ومذهبهم الجديد لا يُقِرّ إلا ثلاث قصص فقط. والجوهر الثّالث: السّانغا أي المجتمع البوذيّ، ويرون أنّ الرّهبنة ليست مخصوصة في أشخاص معيّنين؛ فمن حقّ أيّ بوذي أنْ يكون راهبًا من خلال التّخلق بأخلاق بوذا وتعاليمه.

ثمّ تحدّث عن اليوجا، والأصل أنَّها شعيرة دينيّة عبارة عن دعاء لمدة ساعة أو ساعتين، والآن أصبحت رياضة يمارسها البعض، وهم يركزون على الدّعاء في كلّ ساعة ووقت، خصوصًا عند الطّعام والنّوم مثلًا، ومع هذا يأتون إلى المعبد أحيانًا، ويقرؤون القصص الثّلاث ممّا صحّت نسبته إلى بوذا، وهم في مذهبهم يقرؤونها باليابانيّة، وأحيانًا يصاحبها بعض الحركة كالانحناء.

أمّا عن الصّيام، فأهل المتوفى يصومون تسعة وأربعين يومًا، إلا أنّ هذا التّقليد حاليًّا يكاد يختفي، والصّيام عندهم يكون عن اللّحوم، ومن أراد أن يصوم فليصم بينه وبين نفسه، ولا يذكر ذلك لأحد.

وفكرة الآلهة غير حاضرة في البوذيّة، فبوذا هو أعظم شخصيّة في الوجود، فقد وصل إلى درجة الكمال الإنسانيّ، والدّارُ الآخرة أيضًا غير حاضرة في فكرهم، فهم يؤمنون بفكرة التّناسخ.

ثمّ أوضح أنّ البوذيين يعتمدون كثيرًا على السّماع أكثر من الحديث، وينقسمون إلى قسمين: التّيرافادا أو العربة الصّغيرة، وتعني الكهنة الّذين يعذّبون أنفسهم، ويجسّدون بوذا الّذي نام على مسامير، وعُلّق من الأعلى، وامتنع عن الأكل حتى ضَعُف جسمه ونحل، وهؤلاء الرّهبان يَحْلِقون رؤوسهم، ولا يتزوَّجون، ويُعذّبون أنفسهم، والقسم الثّاني الماهايانا أو العربة الكبيرة، وهم الّذين يطّبقون تعاليم بوذا، ويستمعون إليها، ويتمثلون بها.

والبوذيون لا يؤمنون بكتاب الجيتا عند الهندوس، ولكن يمكنهم الاستفادة من بعض الحكم فيه، ويمكن أن يُنتقَد أيضًا، ويؤمنون بوحدة الوجود أي أنّ الذّات البشريّة واحدة، فهي جوهرة واحدة أي بوذا، ولهذا بعد أن يموت الإنسان يعود إلى الحياة من جديد، ويحرقون الأموات؛ لأنّ هؤلاء الأشخاص لن يُذكَروا بعد وفاتهم إلا في المعابد باستثناء المشاهير، فأرواحهم لم تمت في الحقيقة، وإنّما تنتقل إلى شخص آخر.

وبعد هذا تحدّثَ عن عيد الأرُزّ، وبيّن أنّه ليس طقسًا دينيًّا في حقيقته، وإنّما هو اعتراف بنعمة الأرُزّ، وأنّه سبب لحياة العديد من البشر، يحتفلون به في

ديسمبر من كلّ عام، ويصنعون من الأرُزّ كعكًا يدّخرونه إلى اليوم المحتفى به، فيأكلونه مع الأصدقاء والأهل، وأمّا في عيد الرّقص، فيرقصون مع الأموات لاعتقادهم بأنّ موت الإنسان يرجع إلى تكوينه الأول في وحدة الوجود أي بوذا.

وقبل النهاية كان الحديث حول المذهب الياباني البوذيّ الجديد الّذي أسّسه ياباني اسمه شن رن يوشن، وهذا الرّجل كان قبل ثمانمئة سنة إنسانًاعاديًّا، نزل من الجبال، ونَقدَ بعض القضايا في البوذيّة التّقليديّة كقولهم بعَدَم طهارة المرأة، وأنّها لا يمكن أن تكون راهبة، وكذا فالصّياد الّذي يصيد الحيوانات لا يعطونه حق الرّهبنة، وأيضًا الصّياد الّذي يصيد السّمك؛ لأنّهم يرونه غير نباتي، فقام بنقض مثل هذه الأمور ليفتح الرّهبنة لأكبر عدد من النّاس، ولهم حاليًّا حوالي خمسة وثلاثين معبدًا في العالم خصوصًا في اليابان، ولهم في أمريكا ما يقارب ثلاثة وأربعين معبدًا.

وأخيرًا بيّن أنّ البوذيّة ليست دعوة تبشيريّة في الأصل، ولكنّهم يرحبون بالانضمام إليهم، وشعار البوذيّة دائرة تنقسم إلى ثمانية أقسام، وهي عبارة عن القوانين الّتي يسير عليها النّاس، من صفات حسنة كالفهم والدّعاء والحياة وهكذا.

وكان من المفترض أنْ نأخذ من وقته عشرين دقيقة، فأخذْنا أكثر من ساعة؛ لأنّه كان يُسهِبُ في الحديث. وبعد زيارتنا للمعبد توجهنا إلى مطعم نباتيّ، لأنّ عندهم مأكولات نباتيّة تُشْبه اللّحم، والمطاعم النّباتيّة في أمريكا مزدحمة، وعليها إقبال كبير، وبعد الغداء اتّجهنا إلى معبد إيسكان للفيدس (الهندوسيّة) كما سنرى لاحقًا.

- **زيارة معبد إيسكان وتسجيل حلقة عن الفيدس من الهندوس**

بعد تناول الغداء في المطعم النّباتيّ ذهبنا إلى النّزل 6 Motal القريب من المطار لنتقل إلى نُزُل يحمل الاسم نفسه في منطقة Milwaukee Ave لكونه أقرب من موقع المؤتمر الّذي ستتحدث عنه لاحقًا.

ثمّ ذهبنا إلى معبد إيسكان للفيدس (الهندوس) في منطقة W Lunt Ave، وكان الجوّ مطيرًا، إذ وصلنا وقتَ العصر، وهنا كان عندهم طقس الذِّكْر، إذ يقومون بالّذكر مع الموسيقى والطّبل والرّقص، ويجلس الرّجال في جهة والنّساء في جهة، إلّا أنّ النّساء لا يرقصْن.

وعندما تدخل المعبد عليك أن تخلع الحذاء، ورأيت بعضهم يسجد، وسجودهم أن ينام الشخص على الأرض منكبًّا على بطنه ووجهه، وجعلوا لمؤسس المعبد تمثالًا، وهو من الهند، واسمه برابوباد، وعن طريقه انتشر هذا المذهب من الفيدس في أمريكا، وفي المعبد تمثال كريشنا وزوجته وفيشنو، ويفتحون السّتارة عندهم وقت الصّلاة في أول الصّباح وأول اللّيل؛ وتوجد لوائح فيها عبارات الذّكر على جوانب المعبد.

وفي البداية استقبلَنا الرّاهب أتشاريا، وأصله أمريكيّ مسيحيّ، إلا أنّه وجد الرّوح في الفيدس، وأصبح راهبًا مع حُبّه للمسيح، وهو متحمّس كثيرًا للفيدس، ويرفض أن نسمّيَها بالهندوسيّة؛ لأنّ الهندوسيّة نسبة إلى هندو، وأطلقها عليهم خصومهم الفرس، والفيدس نسبة إلى الفيدا، وهو من كتبهم المقدّسة.

وأتشاريا رجل في مُقتبل العمر، متواضع جدًّا لا تفارقه ابتسامته، ولمّا فرغوا من الصّلاة والذّكر أخذَنا إلى غرفة في أعلى المعبد، وهناك سجّلْنا اللّقاء في قناتي اليوتيوبيّة عن الفيدس في برنامج حوارات الحلقة الثّامنة والعشرين، وذلك يوم الأربعاء 15 أغسطس (آب) في السّاعة الثّامنة مساء، وتمّ بثّه يوم السّبت 18 أغسطس (آب).

والهندوسيّة عمومًا من أقدم الدّيانات، وفلسفتُها معقّدة لتعدد مذاهبها ورؤاها، وهي ذات انتشار في الغرب؛ لكونها قليلة التّكاليف الدّينيّة، ولمَلْئِها الفراغ الرّوحي عن طريق الموسيقى والرّقص مع الذّكر، وهذا لا يتعارض مع ثقافة الغرب، لاهتمامها بالأسرة والأخلاق والقيم الكبرى.

في البداية بيّن أنّ الفيدس أقدم ديانة وهي الخلاص الّذي تحتاجه البشريّة إلى الأبد، وهي لا تُخْتصر في كتاب؛ لأنّها عبارة عن الحياة والحكمة والفلسفة، وهذه لا يمكن اختصارها في كتاب، إلا أنّه يوجد لديهم كتاب مقدّس وهو كتاب الجيتا.

ثمّ بيّن أنّه لا يوجد فرق بين الفيدس والبراهمان، فالبراهمان هو الإله، والنّاس أرواح بحاجة إلى الإله المقدّس أي البراهمان، ويسمى أيضًا الكريشنا، والنّاس يجسّدون الإله في هذه الحياة، فالإله روح، والبشر يجسّدون هذه الرّوح، فالعلاقة بين البشر والخالق هي علاقة حبّ، ففي البداية تكون العلاقة بينهما علاقة الأبناء بالأب، ثمّ علاقة الصّداقة، وبعدها يَصِلُون إلى علاقة الحبّ، والعلاقة سوف تتكامل وتتجسّد في الدّار الآخرة.

وفي أواخر عام 1800م بدأت الفيدس تدخل إلى الغرب وأوروبا خصوصًا، ثمّ أمريكا، وتقبَّلها النّاس، فَتَصوُّرُ أنّ في الفيدس آلهة متعددة غير صحيح، ولكنّ الحقيقة أنه لا يوجد تَعَدُّدُ آلهة في الفيدس، وإنّما هو إله واحد، أي الكريشنا، والباقي عبارة عن ملائكة كباقي الأديان يُسَمَّوْن الدّيفس، وهم الواسطة بين الإله والبشر، فالخطأ تَصَوُّرُ البعض أنّ الواسطة آلهة، فنسبوا إليهم تعدّد الآلهة.

وأمّا البقرة فهي شيء مقدّس في كتابهم، بيد أنّها ليست واسطة ولا آلهة، والبقرة والإنسان متناغمان في الطّبيعة، فالحياة تُبْنى على البساطة، وهذا يكون إذا تعايش مع البقر، فالثّور يخدمه في مزرعته، والبقرة تعطيه الحليب، ومنه يصنع الألبان والجبن والزّبد، فلهذا لا تُقتَل البقرة لئلّا نفقد هذه المشتقات، واحترام جميع الحيوانات واجب، إلا أنَّ تعاليم الفيدس تقضي بألّا تُقتَل البقرة.

وهم يركزون على الحبّ الإلهيّ، وهو موجود في التّوراة والإنجيل والقرآن، إلا أنّهم يتميزون بأنّهم يحاولون تجسيد هذا الحبّ الإلهيّ من خلال تسع مراحل متشددة، ففي المرحلة الأولى مثلًا عليه أن يذكر اسم الله مع التّسبيح حوالي خمسة وعشرين ألف مرة في اليوم فيقول: هاري كريشنا هاري راما، حتى يصل إلى المرحلة الثّانية، ثم يقول فيها ثلاثمئة ألف مرة في اليوم، حتى يصل إلى المرحلة التّاسعة.

وتوجد مزارات مقدّسة لهم في الهند، وفيها يُسبّحون مع الألحان والتّراتيل، واليوجا حركات رياضيّة، وهم يركزون على الرّوح كثيرًا.

والصّيام عندهم حسب الاستطاعة، سواء أصام الإنسان أسبوعين في الشّهر أم بعض الأيام، وحتى نصف يوم، ويتوقفون في اليوم لمدّة أربع وعشرين ساعة عن الطّعام.

وأمّا الفرق بين البوذيّة والفيدس فيتمثل في نقطتين: الأولى أنّ البوذيّة فلسفة لا تؤمن بالإله، بينما في الفيدس فإنهم يؤمنون بالإله، ويعمل البوذيون للتّخلص من العذاب الّذي بداخلهم، أمّا الفيدس فيتقرّبون بذلك إلى الله. والكارما عندهم نوع من العدل الإلهيّ أو ردّة الفعل، فإن فعلْتَ خيرًا تجد خيرًا، وإن فعلْتَ شرًّا تجد شرًّا.

والرّوح عندهم موجودة في الحيوانات والإنسان، وهذه الرّوح تعود وتتطور، من عالم الحشرات فالنّباتات فالأسماك ثمّ روح الحيوانات، حيث تتطور إلى روح الإنسان، وتتطوّر روح الإنسان إذا عمل صالحًا لتصل إلى الدّيفس وهي مرتبة بين الإله والإنسان، والعكس صحيح فإذا عمل الإنسان سيئًا فترجع روحه إلى عالم الحيوانات كالكلب مثلًا، والرّوح شيء مقدّس وأَبَديّ، وهي لم تُولَد، بينما يفنى الجسد.

وأمّا وحدة الوجود فهي محلّ خلاف عند الفيدس، فبعضهم يرفضها، وبعضهم يتقبّلها بشكلها الفلسفيّ المعقَّد، وبعضهم الآخر يتقبّلها في شكلها البسيط، فيرفضون أن يُجعَل الكلّ في ذات واحدة، فهذه يرفضها العقل، وهي خلاف للعدل، فكيف لو ارتكب أحد خطيئة؛ فهل يَتَّحِد الكلّ في الاشتراك بضررها، ولكن من الممكن أن تُقبَل من باب وحدة الخالق؛ لأنّه قسّم عطاياه بين الجميع من بشر وحيوانات وغيرهم.

ويرى الرّاهب أتشاريا أنَّ الأديان جميعًا تريد الوصول إلى الخالق، ولكن الطّرق والوسائل تختلف، فمن الخطأ أن نقول: هذا على حقّ وذاك على باطل، وهذا قريب وذاك بعيد، والصّواب أنَّ الجميع يريد الوصول إلى الإله الخالق.

والشّيطان أسوأ ما يواجه الإنسان في الحياة، وهو متعلّق بالجسد، لهذا يحاول الإنسان تلبية متطلبات شهوات الجسد، فعندما تخرج الرّوح يبقى الجسد بمتعلقاته، فهنا يتخلّصون منه بحرقه، وهي في الوقت نفسه عبرة لكي يرتبط الإنسان بالرّوح ولا يهتمّ أكثر بجسده.

وعندهم أنّ المرأة خُلقت لخدمة زوجها وخدمة كريشنا، والزّوج عليه أن يخدم كريشنا، فإذا مات الزّوج تكون الزوجة خادمة له حتى بعد وفاته، فحدث في فترة ما في الهند أنّ بعض النّساء طالبْن بأن يُحرَقْن مع أزواجهنّ بعد وفاتهم، حتى تحوّلت إلى ثقافة تُجْبِرُ المرأة على أن تُحرَق مع زوجها المتوفّى، إلا أنَّ هذا القرار مُنِع في الفترة الأخيرة، فانتهت هذه الثّقافة، وفي مذهب هاري كريشنا يحرّمون ذلك.

والإله واحد وإن اختلفت المسميات، وهناك فرق بين البراهما والبراهمان، فالبراهمان هو كريشنا، أمّا البراهما وفيشنو وشيفا فهم ملائكة، والبراهما متعلّق بالوجود، وفيشنو يحفظ الوجود، وشيفا يدمّر هذا الوجود في آخر الزّمان.

تنتشر الفيدس في الهند وبنجلاديش ونيبال وسيرلانكا، والآن في أوروبا وأمريكا؛ وجاءت إلى أمريكا في القرن التّاسع عشر، وجاء من الهند برابوباد

ونشر مذهبه هاري كريشنا في أمريكا، ولم يتأثر هذا المذهب بالحضارة الغربيّة، بل أثّر فيها.

وعمومًا فالّذي لاحظتُه أنّ الفلسفة الهندوسيّة معقدّة لتداخل الفلسفات فيها، وتَعدُّد النّظرة العَقَديّة والمذهبيّة داخلها، وهذا ما سنَلْحظه عندما نتحدَّث عن زيارة المعبد الهندوسيّ في شيكاغو نفسها في هذه الرّحلة لاحقًا.

وبعد الانتهاء من التّسجيل أَصرَّ الرّاهب على أن نشاركهم العشاء، إذْ يوجد في المعبد مطعم يُقدّم الوجبات للنّاس دون مقابل، وهذا ما لحظتُه في المعبد الزّرادشتيّ والسّيخيّ أيضًا، إلا أنّني تناولتُ شيئًا بسيطًا لكوني لم أعتد كثيرًا على الطّبخ الهنديّ التّقليديّ، وخاصّة النّباتيّ.

ثمّ ودّعَنا إلى خارج المعبد، وهنا ذهبنا إلى النُّزُل، ووصلنا قرب الحادية عشرة ليلًا لنستعدّ ليوم آخر من الزّيارات وافتتاح المؤتمر.

• افتتاح المؤتمر (الوحدة في التنوع)

رأينا سابقًا أننا انتقلنا إلى النُّزُل Motal 6، ومع كونه يحمل اسم النُّزُل السّابق وتابعٌ للشّركة ذاتها، إلا أنّ هذا النُّزُل لا تتوفر فيه القهوة المجانيّة إلّا من السّاعة الثّالثة ليلًا وحتى الظّهر، خلافًا للنّزل السابق حيث القهوة متوفرة طوال الوقت متى شئْت؛ ثمّ إنَّ شبكة الإنترنت في هذا النُّزل ضعيفة جدًّا، وقد سجلتُ حلقة مع البوذيّة والفيدس (الهندوس) كما رأينا في الحلقتين الماضيتين، وأريدُ رفعهما؛ لأنّي أقوم بالتّسجيل عن طريق الهاتف، وذاكرة

الهاتف محدودة، ثمّ إنَّني أخاف من فقدهما، لهذا ذهبنا أوّل الصّباح إلى كوستا، فرفعتُ الحلقات بسرعة لكون الشّبكة جيدة جدًّا هناك.

ثمّ ذهبنا إلى زيارة بعض المؤسسات الأهليّة، فوجدنا لديهم اهتمامًا كبيرًا بالإنسان والمشردين خصوصًا، وزُرنا أحد المجمعات لمؤسسة خيريّة، فوجدنا فيها قاعة للطّعام، حيث يوفرون ثلاث وجبات، وقاعة كبيرة لفحص الدّم والجانب الصّحيّ، وقاعة للرّياضة، كما توجد قاعة للموسيقى والرّقص، وقاعة للنّدوات التّثقيفيّة والمسرح، وقاعة كبيرة للتّعارف واستخدام أجهزة (اللّاب توب) والقراءة، مع إعداد الشّباب علميًّا وعمليًّا، وهذا خلاف أماكن المشردين في بعض الدّول العربيّة للأسف، حيث تجد وضعًا غير إنسانيّ، مع استغلال حاجة هؤلاء لمصالح فئويّة ومذهبيّة باسم الإعانة والإغاثة.

ورأيت عندهم حفاوة الاستقبال الكبير لمن يزورهم، مع التّنظيم، ويعملون دون أجرة، لأجل إعانة الآخر فقط؛ فالمدرس والطّبيب والمدرّب والإخصائيّ والمشرف والمنظّف والإداريّ كلّهم يعمل متطوّعًا دون مقابل حسبما فهمتُ، مع النّظافة الكبيرة، والتّعقيم المستمر للمبنى، والطّابق الأعلى والظّاهر أنّه الثّالث أو الرّابع مؤجَّر، استأجرتْه طائفة من اليهود لتعليم النّاشئة عندهم، ويوجد (مول) كبير مفتوح على هذه المؤسسة الخيريّة، فلا أدري أهو وقف لها أم لا؟

ثمّ ذهبنا لممارسة رياضة المشي ثمّ الغداء، وبعدها رجعنا إلى السّكن لنستعد للذّهاب إلى افتتاح المؤتمر الّذي تلقيتُ دعوة لحضوره، وعنوانه: **الوحدة في التّنوع**، وهو المؤتمر السّنويّ السّابع الّذي ينظّمه العرب

الأمريكيون، ومع أنَّ البهائيين يشرفون عليه، لكنّه مفتوح للجميع من جميع الأديان؛ ولهذا فإنَّ العديد من المسلمين أيضًا يشاركون فيه حضورًا أو مشاركة بورقة عمل.

وقد عُقد هذا العام في 16 أغسطس (آب) عام 2018م، واستمرّ حتى 19 من الشّهر نفسه، في فندق Double Tree Hilton في منطقة Skokie Blvd، وافتُتِحت أعماله من السّابعة إلى التّاسعة مساء، وسيأتي الحديث عن أوراقه وبعض فعالياته بصورة عامّة.

وممّا يُعجبني في المؤتمرات ورشاتُ العمل المصاحبة الّتي تستهدف الشّبان بصورة كبيرة، وهذا رأيته في مؤتمرات مؤسسة مؤمنون بلا حدود، كما يعجبني أن تكون الأوراق قليلة، ورؤية البرنامج واضحة، والأهداف محددة، فليست العِبرة في أن يشارك ستّون أو سبعون أو حتى مئة مشارك بلا برنامج واضح، مع أوراق عمل متناثرة، فهذا ضياع للوقت والمال، فإذا شارك عشرون باحثًا في موضوع مُحدَّد وقُتل الموضوع بحثًا، وحقق أهدافه، مع ترك فترة كافية للتّداول والنّقاش، خير من أن تُقدَّم مائة ورقة عمل تُقرأ وكأنّها جريدة الصّباح، ثمّ يخرجون بتوصيات عموميّة تنتهي بانتهاء المؤتمر!

ومن سوء الطّالع نَغَص عليّ ارتفاع الضّغط حياتي قبل الذّهاب إلى المؤتمر، وهذا يسبب لي الغثيان الكبير مع الصّداع الشّديد الّذي لا يذهب غالبًا إلّا بإبرة أو سقاية، فاضطُرِرتُ للذّهاب إلى أقرب مشفى؛ لأنَّ حضور الطّبيب إلى النُّزُل مُكلِف، كما أنَّني قمتُ بعمليّة التّأمين الصّحي قبل السّفر.

وقد تعلّمتُ من أسفاري أنَّ عليَّ ألّا أسافر حتّى ولو كانت الدّولة قريبة أو فقيرة إلا بتأمين، فأن تدفع عشرين ريالًا أفضل من دفع العشرات، فالمرء لا يعرف ما يُصيبه في سفره، وهذا ما حدث لي في إحدى الدّول العربيّة، حيث أصابني هذا الأمر، فاضطُرِرْتُ لأخذ سقاية، وكلفتني ما يقارب مئة وستين ريالًا عُمانيًّا، في حين أن تكلفتها عندنا لا تصل عشرة ريالات في المراكز الخاصّة.

والعلاج في أمريكا مرتفع جدًّا، والمشكلة أنَّهم لا يعالجون مباشرة، فلابدّ من أن تدخل في فحوصات أوليّة ليعرفوا سبب المرض، فليس سائداً عندهم صرف الدّواء هكذا دون فحص، وهذا مع أهمّيته سوف يكلف غير المُؤَمّن الكثير من المال، ولهذا فإنَّهم أحيانًا يخافون من المشفى أكثر من المرض نفسه كما أخبرني صاحبي، والتّأمينات تُرهِقهم كثيرًا، وإذا لم تؤمّن فقد تتحمل أموالًا تُرهِقك طوال عمرك إنْ لم تُرحَم بفاعل خير أو مؤسسة خيريّة!

ولهذا نجد أهل الخير عندهم يتبرّعون في الفحص الطّبي المجاني والإبر الوقائيّة والتّطعيمات الصّحيّة، ونجدها أحيانًا في الطّرقات، وأذكر أنَّنا لمّا كنّا في مطعم المؤتمر؛ فإنَّ إحدى العاملات سقط منها أحد الصّحون وانكسر، وكان المشرف من أصل سودانيّ، فسألته إذا أمكن لي مساعدتها في تحمّل قيمته، فضحك، وقال: ليست المشكلة في المادّة، فقد سقط دون تعمّد منها لهذا لا تُحاسَب، ولكنَّه لو أصاب شخصًا وتسبب له بجرح ولو كان بسيطًا فسوف يكلّفها علاجُه كثيرًا، إن كانت لم تقم بالتّأمين، ومن الطّرافة أنَّه تّبيَّن لي أنَّ هذا السّوداني كاتب صحفيّ، وأنّه سينشر كتابه الأول قريبًا، وبسبب

الظّروف السّيئة في بلده، ولأنّ (الكتابة لا تؤكل عيش) كما يُقال؛ فقد أجبره الوضع على أن يهاجر إلى أمريكا، ويعمل في مطعم! وهو رجل مثقف ومطّلع جدًّا.

المهمّ أنَّ الأمور مرّت بسلام، والحمد لله، وكان الغيث يهطل في الخارج، فقلنا: نقوم برياضة المشي قليلًا مع هذا الجوّ الجميل؛ ولأنَّ جلسة افتتاح المؤتمر انتهت، ولم نتمكن للأسف من حضورها، والحمد لله على كلّ حال، رجعنا إلى النُّزُل لنستعدّ لحضور أولى جلساته في الصّباح الباكر.

- **اليوم الأول للمؤتمر (1-2)**

في أول صباح يوم الجمعة 17 أغسطس (آب) عام 2018م انطلقنا إلى فندق Double Tree Hilton في منطقة Skokie Blvd لحضور أوّل أيام المؤتمر، وذكرتُ سابقًا سبب عدم حضورنا للافتتاح.

وصلنا السّاعة الثّامنة، وحضرتُ الفطور معهم، وهنا التقيتُ بصديقي القديم الأستاذ الجليل بيان النّوريّ، وهو من الطّائفة البهائيّة، وكان يعمل في عُمان في محلّ للنّظارات، وهو الآن في أمريكا في ولاية تكساس يعمل في محلّ للنظارات أيضًا، وكان بيننا في عُمان حوار ونقاش كبير حول البهائيّة في العديد من جوانبها، نتّفق أحيانًا ونختلف كثيرًا، ويبقى الودّ الإنسانيّ يجمع بيننا، والرّجل خلوق ومتواضع جدًّا.

ذهبت لتسجيل الحضور ثمّ دخلتُ إلى القاعة ثمّ بدأ التّعارف، وهنا تعرفت على العديد ممّن حضر من أماكن مختلفة من الخليج والعراق واليمن

ومصر وإيران وكندا وبريطانيا وأمريكا وغيرها، منهم من حفظتُ اسمه ومنهم من نسيت، ومنهم المشارك، وأغلبهم المستمع!

افتتحت السّيدة فاتن أردكاني المؤتمر ورحّبتْ بالجميع، ثمّ كانت كلمة المؤتمر للدّكتورة سنا روحاني، وتحدّثت أنَّه لا تناقض بين العلم والدّين، وأنَّ التّنوّع بين البشر طريق الوحدة، فالوحدة تقوم على القِيَم والمبادئ الإنسانيّة، ولكنَّنا نختلف في التّعبير عن ثقافاتنا، والوصول إلى هذه الوحدة يحتاج إلى تضحيات ومثابرة، فلا بدّ من وضع رؤية عالميّة لتحقيقها تحت ظلّ الإخوة الإنسانيّة.

وتعقيبا منّي على هذه الكلمة: فإنَّني وإنْ كنت أتّفق معها على جملة الكلام إلّا أنَّ قضية التّناقض بين العلم والدّين صراع قديم، وبينهما توافق وتضادّ، فلا يمكن أن ندّعي أنَّه لا يوجد تناقض بينهما؛ لأنَّ الدّين كما هو مبادئ سماوية، دخل فيه الاستنتاج العقليّ المتطوّر، والرّواية البشريّة المتراكمة، فشكّلت في جزئياتها جزءًا من الدّين بمرور الزّمن، وخاصّة في مجال الكون والعلم، فيظهر ما يضادّه ويناقضه بحثًا، لهذا تكون الكلمة للعلم؛ لأنَّ جوهر الأديان الدّعوة إلى السّير والبحث والنّظر، ولا تدعو إلى شيء ينقضها ويبطلها بقدْر ما يثبت صحة ما دخل إليها، وتراكم على مرور الزّمن. وكذلك الوحدة والتّنوع، فأنا أرى أنَّ الأصل بين البشر التّنوع وليس الوحدة كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ (الرّوم/ 22) إلا أنَّ الوحدة تتمثَّل في الإقرار بالتّنوّع وأهميّته، ثمّ في استثمار هذا التّنوع في خدمة الجنس البشريّ، وتتمثل الوحدة في وحدته كجنس له كرامته وحريته، وهذا لا يكون إلّا من خلال الاستفادة من

التّنوع الّذي جُبل عليه، لهذا فإنَّه في الدّول الّتي تتنوع فيها الأديان واللّغات والمذاهب والأجناس والعادات والثّقافات يشكل هذا لها عنصراً قويًّا اقتصاديًّا وسياحيًّا إذا أُحسنَ استثماره، لا أنْ يكون عنصر صراع وخراب لأسباب مصلحيّة وسياسيّة في الأصل.

بعدها كانت كلمة السّيد سمندريّ هنداوي استشاري تنمية إداريّة وتطوير الأعمال، وهو باحث وخبير في العلوم والتّكنولوجيا والاقتصاد والتّعليم والمنظمات غير الحكوميّة من جمهورية مصر العربيّة، وقد طرح بداية الأسئلة الفلسفيّة التقليدية كقولهم: لماذا خُلِقْنا؟ ومَنْ خَلَقَنا؟ وهل يوجد إله؟ ومن أين أنت؟ وهل نحن مُخيَّرون أم مُسيَّرون؟ ولماذا يُعاني الأبرياء من الأمراض والكوارث؟

وللإجابة عن هذا وغيره ظهرت مدارس فلسفيّة حاولت أن تجيب، وهكذا تظهر مدرسة جديدة لتنقض الفكر السّابق أو بعضه، حتى ظهرت مدارس تُنكر الحقائق الدّينيّة، وتختزل التّجربة الرّوحانيّة في الخوف، فظهر في القرن العشرين التّحول من التّفكير الرّوحانيّ إلى التّفكير الماديّ، وبهذا نرجع إلى العصر الحجريّ.

ثمّ بيَّن السّيد سمندريّ هنداوي أنَّ الوطن فكرة، وكثيرًا من قرارات الإنسان تنبع من عواطف لا من أفكار، ومع هذا فالإنسان يسعى إلى التّغيير، ولو حاول البعض رفض التّغيير إلا أنَّه لن يتوقف؛ لأنَّه طبيعة البشر، وهنا ذكر نماذج معاصرة أغلبها مصريّة، كطه حسين (ت 1973هـ)، ومحمّد عبده (ت 1905م)، والزّهاويّ (ت 1936م)، ومي زيادة (ت 1941م)، وسلامة

موسى (ت 1958م)، ولطيفة الزّيات (ت 1996م)، وأمّ كلثوم (ت 1975م)، ونجيب محفوظ (ت 2006م)، وفرج فودة (1992م)، وعلى الورديّ (1995م).

ثمّ دخل السّيد سمندريّ في موضوع التّعصّب وعوامله، فهو يرى أنَّ للإنسان الحقّ في الحصول على المعرفة، إلا أنّ قمعه ومنعه يؤدي إلى ولادة التّعصّب في داخله، والتّعصّب يَنتُج عنه صراع وتمرّد، كما يُولَد عنه أيضًا جمود وتطرف، فلكلّ شيء ردّ فعل.

وبطبيعة الحال فأنا أوافق السّيد سمندريّ هنداوي في الكثير ممّا طرحه، إلا أنّ الجسد يشمل الرّوح والمادّة، فالتّركيز على المادّة مع الإخلال بالرّوح يُولّد خللًا، والعكس صحيح، فكلاهما جزء تكوينيّ في الإنسان، وعليه فإنَّ ملْء فراغ الرّوح بأي شيء قد نراه مناقضًا للأديان شيء طبيعيّ إذا أهملت الأديان رسالتَها، أو أهملت الجانب التّكوينيّ في الجسد فتحدث ردّة فعل!

ثمّ جاءت ورقة السّيدة نهى كرمستجي من مملكة البحرين، وهي مدرِّبة معتمدة، وفنانة تشكيليّة، مهتمَّة بالتّعايش وخدمة المجتمع وتطويره، وعضو في جمعيّة البحرين للتّدريب وتنمية المجتمع وتنمية الموارد البشريّة، والنّادي العلميّ للتّواصل الاجتماعيّ، وقد انطلقت في البداية من الحوار، ورأت أنّه قادر على علاج الخلاف، حيث يتعامل الحوار مع مجتمع له خيوط: الخيوط الطّوليّة المتمثلة في الأفكار والقيم، والخيوط العرضيّة المتمثلة في الأفراد واختلافاتهم.

وبيَّنت أنّ الحوار في السّابق كان في جملته مقصورًا على كبار السّنّ والقوم، وأمّا الآن فالكلّ يشارك في الحوار، لأنّ مرحلة النّضج تقدّمت.

ثمّ طرحت كرمستجي جدليّة الأولوية: هل نجد حلًّا للخلافات أولًا أم نحقق الوحدة والاتّحاد؟ أم العكس، وقالت: إنَّ الفكر المعاصر يرى أنّ الأَوْلى هو أن نجد حلًّا للخلافات.

وفي الحقيقة إنَّني أوافق السّيدة كرمستجي في العديد من جوانب الورقة بيد أنَّ بعضهم يُفرّق بين الخلاف والاختلاف وبعضهم يراهما مترادفين، ومنهم يرى الأول تكوينيّا والثّاني مذمومًا، فالخلاف طبيعيّ بين البشر، والاختلاف قائم على التّعصّب وعدم الاعتراف بالآخر، وهذا هو المذموم.

عمومًا كانت جلسة المناقشة بعد هاتين الورقتين، ثمّ كان وقت الغداء وبعدها مواصلة الورقات وورشات العمل كما سنرى لاحقًا.

- **اليوم الأول للمؤتمر** (2-2)

بعد تناول الغداء، وأخذ قسط من الراحة، كانت الجلسة الثّانية من المؤتمر في يومه الأول، وبدأتْ مع السّيد مريوان النّقشبنديّ عن **تجربة كوردستان العراق في التّنوع والحريّات الدّينيّة: أسباب النّجاح والتّحديات**، والنّقشبنديّ ناشط إعلاميّ، باحث في مجال التّعايش السّلميّ، والحريات الدّينيّة، وهو مدير العلاقات والتّعايش في وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة بإقليم كردستان.

وأقليم كردستان العراق يقع في شمال العراق، نشأ - كما في الموسوعة العالميّة ويكبيديا - في مارس(آذار)1970م عقب سنوات من القتال والمعارك، ويتمتع بحكم ديمقراطيّ برلمانيّ، وله مئة وأحد عشر مقعدًا.

في البداية تحدّث النّقشبنديّ عن الأكراد وانتشارهم في سوريا والعراق وإيران وتركيا، وأغلبهم مسلمون سنّة تغلب عليهم الطّرق الصّوفيّة، وتعيش معهم بعض الأطياف كاليزيديين والمسيحيين، وهم متسامحون ومتعايشون، وضرب ثلاثة أمثلة من نماذج التّعايش بينهم، الحالة الأولى سمع عنها، والثّانية والثّالثة عايشهما.

أمّا الأولى فتعود إلى عام 1932م، إذْ كان يوجد العديد من اليهود في كردستان العراق، وهم ممّن حافظوا على التّقاليد اليهوديّة بعد السّبي البابليّ، وعاشوا حياة قاسية على التّجارة والرّعي والزّراعة، ففي مدينة حَلَبْجة ضغطت الحكومة آنذاك باتجاه عدم التّعامل مع اليهود، وفي أحد أيام عام 1932م حاول أغنياء اليهود بناء معبد (كنيس) كبير لهم، ولضغوط من الحكومة لم يُعْطَوا مواد البناء، فذهبوا يشتكون حينها إلى قطب النّقشبنديّة إحسان النّقشبنديّ، فقام القطب بنفسه بتقطيع الأخشاب وأعطاهم إياها، ولتأثيره في المجتمع رضخ النّاس، وبُني المعبد رغم اعتراضات الحكومة، وقد كان اليهود متعايشين مع السّكان حتى قيام إسرائيل (الكيان المحتل)، فخرج الكثير بأنفسهم، ولم يجبرهم أحد على الخروج.

والنّموذج الثّاني يعود إلى عام 1988م عندما كنت في المرحلة الإعداديّة في مدينة حَلَبْجة، حيث كان هناك تبادل قصف بين العراق وإيران، بسبب استيلاء الإيرانيين عليها، وأثناء وجود الجنود العراقيين فيها؛ قصفت الطّائرات العراقيّة المكتوب عليها «الله أكبر» المدينة، وقتلت بالكيماوي حوالي خمسة آلاف شخص كان والدي أحدهم، ويوجد حتّى الآن عشرة آلاف معوّق نتيجة هذه

الحرب، والشّاهد أنَّ هناك عشرات الجنود العراقيين كانوا تائهين لا يعرفون أين يذهبون، وقام الأهالي بمرافقتهم وإعانتهم رغم القصف والألم!

والنّموذج الثّالث في حرب داعش لليزيديين أو الإيزديين في بلدة سنجار بِكُردستان العراق، واليزيديون من الطّوائف الموحدة، الّتي تتخذ من الطّاووس رمزًا لها، وهي أقليّة تنتشر خصوصًا في العراق وسوريّة، ولها طقوسها الخاصّة، وعندما حدث اضطهاد لليزيديين من قبل داعش؛ كان مِنْ كُردستان جنديّ مُسلم جاءته الفرصة للحَج بواسطة القرعة، وقد دفع أربعة آلاف دولار من أجل ذلك، وقبل أربعة أيام من ذهابه؛ هاجمت داعش بلدة اليزيديين، فترك الحجّ، وذهب لنصرة اليزيديين حتى استشهد في المعركة!

ومع أنَّ الحكومة في السّابق كانت تدفع منحة ماليّة لكلّ من يدخل في الدّين الإسلاميّ السّنيّ، إلا أنّ الطّريقة النّقشبنديّة تُقِرّ بالحريّات الدّينيّة والتّعايش بين الطوائف جميعًا.

وكانت وزارتنا تُسمَّى بوزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، فأقنعتُهم بتغييرها إلى وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، وصُوّت لذلك بالإجماع في عام 2007م، لتضمّ أيضًا المسيحيين واليزيديين مع إخوانهم المسلمين.

وفي عام 2015م أنجزْنا قانون حقّ المكوِّنات، فأيّ شخص ظُلِم بسبب دينه يرجع إليه حقّه، ومن حقّ أيّ شخص أن يغيِّر دينه، على أنّ القانون يَشترط ألّا يتعارض ذلك مع حقوق الطّوائف الأخرى، فاعترض البعض بأنّ الشّريعة الإسلاميّة المصدر الرّئيس للقانون، وتغيير الدّين يعتبر رِدّة، فذهبت إلى بغداد والنّجف للنّظر في القانون، ومراعاة الأديان الأخرى كاليهوديّة والبهائيّة، وفي

عهد صدام (ت 2006م) كان يُعدَم أيُّ شخص يُكتَشف أنّه بهائيّ!

وطلبتُ أن يكون لجميع أتباع الأديان ممثّل رسميّ، بمن فيهم المسلمون واليهود والمسيحيون والزّرادشتيون واليزيديون والبهائيون وغيرهم.

قلتُ، ومازال الحديث لكاتب هذه المذكرات: تضمّ العراق أجناسًا مختلفة، فهناك العرب وهم الأغلب، والأكراد، والآشوريون، والتّركمانيون، والشّبك، والأرمن، والشّركس. وأغلب أهل العراق مسلمون، فالأغلب منهم شيعة إماميون جعفريون، ثمّ يأتي السُّنّة بعدهم بنسبة كبيرة، وأغلبهم أشاعرة وماتريديّة، ومنهم سَلَفيّون، وتغلب عليهم الطّرق الصّوفيّة، وأشهر هذه الطّرق القادريّة، ومن القادريّة الكسنزانيّة، ثمّ الطّريقة الرّفاعيّة، والنّقشبنديّة، والخضريّة، والنّبهانيّة، والخالديّة؛ والسّنة في العراق إمّا أحناف وإمّا شافعيّة وإمّا حنابلة، ثمّ يأتي بعد المسلمين المسيحيون، وأغلبهم كلدانيون كاثوليك، ثمّ يليهم السّريانيون الأرذوكس، ثمّ الإنجيليون، وبعد المسيحيين يأتي اليهود الصّابئة المندائيون، ثمّ اليزيديون والبهائيون، ثمّ الكاكائيون والشّبكيون، إلى غير ذلك من المذاهب المعاصرة على شكل فرديّ، فضلًا عن التّوجهات السّياسيّة والفكريّة والأدبيّة كالعَلمانيّة والرّبوبيّة والبعثيّة واللّيبراليّة والعقلانيّة والحداثة، والقرآنيين، وحركات الإخوان، وحزب الدّعوة وغيرها.

ونأتي مرة أخرى إلى السّيد مريوان النّقشبنديّ الذي يقول (حسب ما فهمتُ من كلامه): عَمِلْنا نحن الأديان الثّمانية في كردستان العراق ضمن فريق واحد، وكوّنّا مديريّة بعنوان التّعايش الدّينيّ بالتّعاون مع هيئة الأمم، وطلب

الملحدون المشاركة والانضمام، وأن يكون لهم ممثّل في وزارة الأوقاف، إلا أنّه لم يوافَق على طلبهم لكونهم ليسوا من هذه الأديان.

واختتم بحديثه عن الإسلام الكرديّ، وهو إسلام متعايش منذ القدم مع غيره، وساعدَت على ذلك الطّرق الصّوفيّة المنفتحة كالنّقشبنديّة والخالديّة، وهم لا يتوقفون عند ظواهر النّصوص، كما أنَّ قوانين وزارة الأوقاف في كردستان العراق ساعدت على تحقيق التّعايش، ومحاربة دعوات التّطرف، وكذلك أُلغيت المناهج والكتب الّتي تدعو إلى التّطرف، حيث يوجد عشرون ألف طالب يدرسون في الكليات الدّينيّة، فهنا يحدث تأهيل المدرّس والمرشد والإمام بعيدًا عن خِطاب الكراهيّة وإلغاء الآخر.

ثمّ ألقت الدّكتورة هدى محموديّ الأستاذة الجامعيّة، وعميدة كليّة الفنون في جامعة نورث وسترن في ولاية إلينوي سابقًا ورقة بعنوان: **السّلام العالميّ في عالم متنوّع، والبحث عن حلول**، وتحدّثت فيها بداية عن التّفرقة بين الشّرق والغرب في عقولنا فقط، وليس في الأمر الواقع، بيد أنّ التّأثر بين الشّرق والغرب قديم جدًّا، ونحن بحاجة إلى تحدّيين: الأول تحدّي الوحدة في التّنوع، لأنَّ التّنوع في الحقيقة وحدة، والتّحدّي الثّاني المتمكن في السّلام، فكيف يمكننا أنْ نُرسي السّلام في ظلّ هذا التّنوع؟

ثمّ تطرقت إلى العنف ضدّ النّساء والأطفال، وقضيّة اضطهاد بعض الجماعات للجماعات الأخرى، ورفض التّعامل معها، وبيَّنت أنّ الإرث الثّقافيّ يُسهِم في الوحدة دون حصر، ولا يصحّ إسقاط الإرث لبعض الجوانب والتّطبيقات السّلبيّة.

وعمومًا فأنا أتّفق مع الدّكتورة في قضيّة التّفريق بين الشّرق والغرب كناحية إنسانيّة، فلا فرق بين الشّرق والغرب في هذا، لكنَّ الاختلاف الجغرافيّ، وأثر ذلك على الإنسان الشّرقيّ أو الغربيّ لا يمكن تجاهله بحال من الأحوال، بيد أنَّ الاختلاف في هذا عنصر ثراء في الحقيقة إذا أدركنا الذّات الإنسانيّة الواحدة.

وسبق أن أشرت إلى قضيّة الوحدة والتّنوع، وأسلفت أنَّ التّنوع هو الأصل، شريطة أن يُسَخَّر لخدمة الذّات الواحدة أي الإنسان.

وبعد نهاية الجلسة أعدّ المؤتمر ورشتَي عمل: إحداهما حول **تنمية الذّكاء العاطفي لدى الأطفال** للدّكتورة ناديا بو هناد من دولة الإمارات العربيّة المتحدة، وسيأتي الحديث عن الباحثة، والثّانية حول **تصميم الحوار المجتمعيّ** مع السّيدة نهى كرمستجي من مملكة البحرين، وقد تحدّثتُ عن الأستاذة سابقًا.

وقد ارتأيتُ أنْ اختار الورشة الثّانية؛ لارتباط موضوعها بعملي الاجتماعيّ، وفي البداية تحدّثت الأستاذة عن الحوار المجتمعيّ، وطلبتْ منّا ضرب بعض النّماذج العمليّة الّتي يمكن أن يكون حولها حوار مجتمعيّ، ثمّ وزّعت علينا قُصاصات وطلبت منّا تجميعها، ومن هذه القصاصات يتكوّن لدينا في النّهاية تصميم الحوار المجتمعيّ.

والتّصميم بداية يبدأ من تحليل إطار النّزاع، بحيث يؤطّر ليكون واضحًا وضيّقًا في الوقت ذاته، كي لا يتشتّت موضوع النّزاع، ثمّ يأتي التّخطيط الاستراتيجيّ عقب التّأطير، فعندما يؤطَّر النّزاع يأتي التّخطيط ووضع الاستراتيجيات، لننتقل إلى اختيار الأطراف الفاعلة حسب القضيّة، كعضو

مجلس الشّورى، أو شيخ المنطقة، أو البائع الّذي له فاعليّة في المجتمع، أو الكاتب المؤثر في المنطقة، وهكذا، فهذا يختلف حسب النّزاع، وحسب المنطقة، والحلقة الّتي يدور حولها النّزاع، ومن يتضمّنهم النّزاع؛ فعندما نختار الأطراف الفاعلة يأتي اختيار الموقع والجدول الزّمنيّ، إذْ لا بدّ من تحديد الموقع الّذي تشمله القضيّة المتنازَع حولها، والفترة الزّمنيّة التي يمكن العمل فيها، وعندما يتحدد الموقع والزّمان يأتي تحديد البيئة الآمنة وحساسية النّزاع، حيث نختار بيئة آمنة تضيّق النّزاع، كأنْ يكون مجلس البلدة أو مجلس مِمَّن يرتضيه الجميع، ثمّ يكون التّرويج للمبادرة، واستغلال الطّاقات الفاعلة في ذلك للمشاركة في التّرويج، وأخيرًا يأتي دور المتابعة والتّقييم.

وفي أثناء الحديث ضربتُ لها تجربة سلطنة عُمان في التّوفيق والمصالحة مثلًا فيما يتعلّق خصوصًا بالجوانب الأسريّة والاجتماعيّة، فأُعجِبَتْ بها.

وكان اليوم الأول من الورشة عن الجانب النّظري، أمّا الجانب التّطبيقيّ فكان في اليوم الثّاني كما سنرى.

وفي ختام اليوم الأول من المؤتمر كانت سهرة فنيّة مع فرقة الشّام والفنانة لبنى القنطار، إلا أنّني لم أحضر بسبب التعب الذي حلّ بنا في هذا اليوم، ولنستعدَّ ليوم آخر جديد، فذهبنا إلى المطعم للعشاء ثمّ رجعنا إلى السّكن استعدادًا لليوم الثّاني من المؤتمر.

- **اليوم الثّاني للمؤتمر (زيارة مشرق الأذكار في شيكاغو)** (1-2)

بعد يوم كامل مزدحم بالعمل في اليوم الأول من المؤتمر، بدأنا صباح يوم

السّبت 18 أغسطس (آب) عام 2018م بجدول أعمال اليوم الثّاني، فخرجنا من النُّزُل مبكرين لسببين: الأول إدراك الفطور مع الجماعة، والثّاني أخْذ أكثر الوقت للتّعارف والنّقاش العلميّ والمعرفيّ.

كان أوّل أعمال المؤتمر زيارة المعبد البهائيّ (مشرق الأذكار) في وِيلمت، ويسمّي البهائيون معابدهم بمشرق الأذكار، ومعبد شيكاغو الأقدم من حيث الإنشاء كأوّل معبد بهائيّ في العالم، وكما جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا عدد المشارق حاليًّا سبعة، بالإضافة إلى معبد شيكاغو. وتتعدَّد أمكنة تواجد هذه المشارق، «فمشرق الأذكار في مدينة نيودلهي بالهند، وفي مدينة سيدني باستراليا، وفي جزيرة سموا الغربيّة، وفي مدينة كمبالا في يوغندا، وفي مدينة بنما بدولة بنما، وفي مدينة لانغنهاين قرب مدينة فرانكفورت في ألمانيا، ولهم معبد جديد قيد الإتمام في أمريكا الجنوبيّة».

أمّا معبد الأذكار في شيكاغو؛ فقد بدأت هندسته في مفتتح القرن العشرين في عهد عبد البهاء عباس أفنديّ (ت 1921م)، إذ قام بهندسته الكَنديّ من أصول فرنسيّة Louis Bourgeois عام 1907م، وتمّت الموافقة عليه عام 1920م، ووَضع عباس أفندي حجر الأساس، ولعلّه وضع حجر الأساس قبل الموافقة على بنائه؛ لأنّ عبد البهاء زار أمريكا عام 1912م، ضمن رحلته الّتي انطلق بها من مصر، والتقى بشخصيات دينيّة في مصر كمحمّد رشيد رضا (ت 1935م)، وسلّم عباس أفندي المهمّة لامرأة، ممّا أثار غضب العديد من الرّجال الذّكور.

وافتُتِح مشرق الأذكار سنة 1951م، في عهد شوقيّ أفندي ربانيّ خليفة عباس أفنديّ وابن بنته المتوفى سنة 1957م، فقد تأخّر بناؤه بسبب الحربين

العالميتين الأولى والثّانية، وما ترتّب على ذلك من أوضاع ماديّة سيئة، وقد حضر الافتتاح خمسة آلاف شخص تقريبًا.

والبناء فخم جدًّا، يتضمن جوانب تعليميّة وترفيهيّة، بجانب مكتبة للبيع، وقاعة العرض المرئيّ، ومتحف في الأسفل، وقاعة للمخطوطات والوثائق، مع قاعة مخصَّصة للعبادة، وممشى كبير للرّياضة والمشي، وفيه تسعة أبواب، وتسع حدائق؛ والبهائيون كما سيأتي يقدّسون الرّقم تسعة، لاعتقادهم أنّ الأديان المقدّسة تسعة، وهي: الهندوسيّة، والبوذيّة، والزّرادشتيّة، والصّابئة، واليهوديّة، والمسيحيّة، والإسلام، والبابيّة، والبهائيّة، كما أنّ كلمة بهاء مجموع حروفها عندهم بالعدد تسعة.

ووضعوا جميعًا شعارات الأديان في المنارات، إلى جانب أنّهم أضافوا شعار الدّيانة القديمة للهنود الحمر الأمريكيين، وشعارهم قريب من الصّليب.

وفي محلّ العبادة لا يُسمح بالصّلاة حتّى للبهائيين، وهو محلّ للدّعاء والتّأمل والتّفكر فقط، وإذا أردت أن تصلّي فاذهب إلى الحديقة، واختر لك مكانًا، وفيها كراسٍ تشبه كراسيّ الكنائس ومعابد بعض البوذيين، وأذكر أنّني أردت أن أصلّيَ الظّهر والعصر، فقيل لي صلِّ في أيّ مكان من الحديقة، فصلّيت فيها.

كان موعد الانطلاق من النُّزُل السّاعة التّاسعة صباحًا، وتأخرنا فقط أربع دقائق، واعتذروا لنا عن ذلك إذ كان لسبب عارض، أمّا نحن وللأسف فمن الطبيعي أنَّه إذا كان موعدنا التّاسعة أن ننطلق في التاسعة والنصف أو حتى بعد ساعة، والغريب مع أنّ العديد من هؤلاء عرب، إلا أنّهم يتقيدون بالثّانية في

الجدول، فإذا كان موعد الرّجوع العاشرة مثلًا، تجدهم قد تجّمعوا قبل الموعد، وقد رأيت في المؤتمر التّقيّد الدقيق بالوقت، والتّأخر لا يكاد يُذكر.

وصلنا إلى مشرق الأذكار، وفي البداية استقبلَنا السّيد كريس، وهذا سجّلنا معه حلقة يوتيوبيّة عن البهائيّة سيأتي الحديث حولها، ثمّ دخلنا إلى المبنى الجديد، وفيه معرض للصّور والخرائط، ثمّ نزلنا إلى قاعة في الأسفل للعرض تشبه قاعات السّينما، وفيها عُرِضَ لنا فيلم باللّغة الإنجليزيّة عن تاريخ مشرق الأذكار وعمله وأهدافه، وعن الجامعة البهائيّة، ثمّ تُرجِم بصورة مختصرة إلى العربيّة، وأذكر أنَّ من قام بالتّرجمة السّيدة فاتن أردكانيّ، ثمّ فُتِح المجال للأسئلة، وبعد هذا ذهبنا إلى المكتبة المُعدَّة للبيع، واشترينا مجموعة من الكتب، إلا أنّ العديد منها كان موجودًا في مكتبتي في السّابق.

وبعد هذا ذهبنا إلى مكان العبادة في المبنى القديم، مكتوب في قبتها من الدّاخل باللّغة العربيّة والنّقش الفارسيّ: يا أبهى البهاء، وهنا أوّل ما تدخل تُعطى كتيِّبًا صغيرًا للدّعاء والمناجاة، ثم تُرجعه عند الخروج، والكتيِّب حسب لغتك؛ ولا يُسمَح لك بالحديث مع أحد، أو استخدام الهاتف، وبين فترة وأخرى يدعو شخص بصوت مُرتِّل، وأغلب أدعيتهم عن تحقيق الوحدة بين الجنس البشريّ، وإرساء السّلام في العالم، وقيل لي هنا: إنّه يُسمح عندهم بقراءة أدعية مِمّا جاء عن البهاء في الأقدس أو الإيقان أو عبد البهاء في خُطَبه ومؤلفاته أو شوقي أفنديّ، ولا يُسمح بغيرها بالنّسبة لهم، والمكان عمومًا تشعر فيه بالسّكينة والهدوء الكبير، لأنَّ الهدف منه المناجاة والتّفكر والتّأمل الذّاتيّ.

وفي الحديقة تجد النّاس من مختلف الأديان، فذاك يقرأ، وآخر يصلي، وثالث يمارس الرّياضة، ورابع مع عروسه في يوم زواجه، إذْ يأتي المتزوجون إلى هذا المكان للتّصوير والذّكرى.

ثمّ أخذنا صورة جماعيّة، وبعدها رجعنا إلى الحافلة، فالنُّزُل المُعَدّ للمؤتمر لتناول وجبة الغداء، وبعده أوراق أعمال اليوم الثّاني للمؤتمر كما سنرى.

- **اليوم الثّاني للمؤتمر: الجلسات (2-2)**

تحدّثنا في الجزء الأول من اليوم الثّاني من المؤتمر عن زيارة مشرق الأذكار في وِيلمِت، ثمّ رجعنا إلى فندق المؤتمر للغداء، وكان هناك وقت حتّى موعد الجلسة الأولى في الثّالثة والرّبع ظهرًا، قضيناها في النّقاشات الفكريّة والعلميّة المنفردة والجانبيّة، خصوصًا ما يتعلّق بالإسلام، والتّهم الموجهة إليه كالإرهاب والتّكفير والجمود والرّجعيّة، والإسلام بريء من ذلك في الحقيقة براءة الذّئب من دم يوسف عليه الصّلاة والسّلام، والنّاس لا يميزون بين سلوك الأتباع وبين أصول دينهم، وقلّ مَن يُكلّف نفسه عناء البحث عن أصل هذا التّصرف، وبعضهم يفرح لذلك لما في قلبه من حقد وكراهية للغير، مع تعصّب مَقيت للذّات.

بدأت الجلسة بورقة للدّكتورة ناديا بوهنّاد بعنوان: **دور الأسرة في حماية الأطفال من التّطرّف**، والدّكتورة مديرة مؤسسة ناديا بوهنّاد للتّطوير والتّوجيه، والمديرة السّابقة لجمعيّة الإمارات النّفسيّة، والعميدة المساعدة السّابقة،

وأستاذة في كليّة علم النّفس في جامعة الإمارات العربيّة المتحدة، وقدّمت الجلسة السّيدة سارة أحمدي.

وقد تحدّثت د. بوهنّاد في ورقتها عن ضرورة حماية الطّفل من التّطرف، وأنّه مستهدف من قبل جماعات متطرفة، خصوصًا في الشّبكات المعاصرة، فأي أسرة لا توجد فيها قوانين فإنّ ذلك يعني أنه لا يوجد فيها نظام، ولهذا تميل الدّكتورة إلى تسمية وزارة التّربية والتّعليم بوزارة التّعليم؛ لأنّ التّربية للأسرة، ولا بدّ من وجود هيئة تتعاون مع الأسرة في ذلك، والوعي الأسريّ لا يعتمد على الشّهادات، فبعض الآباء لديهم ماجستير ودكتوراه، ولكنهم يفتقدون الوعي في التّربية الأسريّة.

وفي عام 2012م أطلق سموّ الشّيخ محمّد بن زايد في الإمارات مبادرة تدعم الجانب التّعليميّ سمّاها التّربية الأخلاقيّة، وهي تعتمد على مبادئ منها التّسامح والاحترام والمشاركة وروح المبادرة.

وتطرقت إلى تنمية الحبّ في نفوس الأطفال غير المشروط، حيث يربط بالإنسان، وليس مقتصراً على دين أو مذهب أو توجّه، وعليه فالأسرة تقوم على الحبّ الذي يربى عليه الطّفل.

ثمّ تطرقت إلى جوانب تُهَدِّد الأسرة كالتّنظيمات السّريّة والإرهاب وداعش والفهم السّلبيّ للثّورات، وفي المقابل أشارت إلى ضرورة فهم الإسلام وفق الحريّة والعدالة والمسؤوليّة، مع تنمية تقدير الذّات.

وبعد الورقة كانت جلسة للمناقشة، تَبعتْها جلسة حواريّة عن **تجارب الشّباب في التّعايش والتّعدديّة من أرض الواقع**، وتمّ اختيار الاتصال مع شابّين

من اليمن، أوّلهما عن طريق الاتصال المرئيّ مع شاب اسمه عمر، يَدْرس في الولايات المتحدة الأمريكيّة، ولم يتمكَّن من الحضور إلى المؤتمر، والثّاني مع ندى، وهي تَدْرُس أيضًا في أمريكا، شاركت في المؤتمر حضوريًّا، وأدارت الجلسة السّيدة هند التّميمي.

وكما أسلفتُ سابقًا فإنّ الورشات الشّبابيّة المصاحِبة للمؤتمرات أو المستقلة، وكذا الحوارات، لها أهميتها الكبيرة، بحيث يُعطى الشّباب مساحة واسعة من القُرب والحوار.

وبعد هذه الحلقة الحواريّة كانت ورشتان في السّاعة الخامسة والرّبع عصرًا تكمّلان ورشة اليوم الأوّل في المؤتمر، الأولى- كما أشرنا سابقًا - بعنوان: **تيسير الحوار المجتمعيّ** للسّيدة نهى كرمستجيّ، والثّانية حول **دورة التّعصُّب** للسّيد سمندريّ هنداوي، وشاركتُ سابقًا في الأولى، وكانت جلسة حواريّة، وأمّا اليوم الثّاني فكانت تطبيقيّة، حيث طُلِب منا أنْ نُكوِّن فريقًا يحوي رئيس البلديّة، وعضو المجلس البلديّ، ومحافظ المدينة، وشيخ القبيلة، وبعض رؤساء المجتمع المدنيّ، والمواطنين وهكذا، وطُلِب أنْ نختار موضوعًا نناقشه، فاختاروا قضيّة استخدام مولّدات الكهرباء عند ساحل البحر، وهي تُحدِث ضوضاء، وكذا قضيّة النّظافة عند السّاحل، ومن يتحمّل ذلك، وكيف يمكن علاج هذا الأمر؟ إذ يُحمِّل بعضُهم رئيسَ البلديّة ذلك، وبعضهم يحمّل المجلس البلديّ في عدم القيام بدوره. وتمّ النّقاش لأجل الوصول إلى حلول من خلال المناظرة والرّأي الآخر، مع احترام جوّ المناظرة، والانطلاق من

الخطـوات في الحـوار الّتـي أشـرنا إليهـا في اليـوم الأول، وأُعْطيـتُ دور عضـو المجلس البلديّ، وترأس مجلس الحوار السّيدة فاتن أردكانيّ.

وبعد هذه الجلسة الأصل سنحضر جلسة فنّية لفرقة الشّام مع الفنانة لبنى القنطـار، لكننـا لـم نحضـر كـاليوم الأول لسـبب التّعـب، وللرّغبـة في ممارسـة المشي، وخاصّة أنَّ الجوّ كان رذاذًا ممتعًا، وبعدها رجعنا إلى النُّزُل بعد تناول العَشاء؛ لنستعدّ لليوم الختاميّ في المؤتمر، وزيارة بعض الأماكن السّياحيّة.

- **اليوم الأخير للمؤتمر وسياحة سريعة مع زيارة لشهود يهوه**

في السّاعة السّابعة والنّصف يوم الأحد 19 أغسطس (آب) ذهبنا إلى نُزل المؤتمر لتناول وجبة الفطور مع المشاركين بداية، ثـمّ لحضـور اليـوم الأخيـر، حيث كانت الجلسة في التّاسعة والنّصف صباحًا، وأدار الجلسة السّيد عمرو حسـني، وافتتحهـا بمحاضـرة أختـه الـدّكتورة سوسـن حسـني الهـادي، مـديرة مؤسسـة بـديع، ورئيسـة قسـم اللّغـات الشّـرقيّة سـابقًا في جامعـة كـانتبري في نيوزيلاندا.

والدّكتورة سوسن خريجة الدّفعة الأولى من الفتيات من جامعة الأزهر، بعدها حصلت على الماجستير (والـدّكتوراه) في اللّغة العربيّة، ودرَّسـت هـذه اللّغـة لمـدة أربعـة عقـود في مصـر والإمـارات والسّـودان والصّـين ونيوزيلنـدا، وأخيرًا في بريطانيا» [1]. (موقع هِسْ بريس على الشّبكة العالميّة). تحدّثَت عـن

(1) لنا حلقة خاصّة مع الدّكتورة سوسن حسني حول اللّغة العربيّة وتحدّياتها في الغرب، وفي الحلقة شيء من ذكرياتها، نشير إليه في الرّحلة التّكساسيّة .

كتابها الصّادر عن دار زحمة كتاب للثّقافة والنّشر، بعنوان: **رحلتي من الإيمان إلى الإيقان**، تحكي قصّة أسرة بهائيّة مصريّة تعرضت للاعتقال في فبراير عام 1985م، مع تسعة وأربعين بهائيًّا، وإحدى عشرة امرأة، وضُبِطَت لديها كتب دينيّة بهائيّة اعتُبِرت دليل إدانة، وتمّ ترحيل النّساء إلى سجن القناطر، والرّجال إلى سجن الاستئناف، ووُجِّهت إليهم تهمة قلب نظام الحكم، وبيَّنت أنّ الحكومة المصريّة قبل عام 1952م أعطت الحريّة للبهائيين في مصر، فكان لهم دار نشر لمطبوعاتهم، وخُصّصت لهم مدافن خاصّة، وكان الملك يرسل مبعوثًا خاصًّا لحضور الاحتفالات البهائيّة في حيّ العباسيّة بالقاهرة، ولكنّ الحال تغيّرت بعد ثورة عام اثنين وخمسين، ووصول جمال عبد النّاصر (ت 1970م) إلى الحكم، فصدر قرار عام 1960م بحلّ المحافل البهائيّة ومراكزها ومصادرة أملاكها، وحظْر ممارسة الطّقوس». (للمزيد ينظر: كتاب رحلتي من الإيمان إلى الإيقان، وموقع مجتمع على الشّبكة العالميّة).

وبطبيعة الحال أرّخَت الدّكتورة لمعاناتها ومعاناة جماعتها من البهائيين، واستمعنا إليها ولم نستمع إلى الطّرف الآخر، وسبب الاعتقالات والتّهميش، فيبقى في دائرة الخبر[1].

وأنا عقّبت على قضيتين: الأولى العنوان، وهو رحلتي من الإيمان إلى الإيقان، فهل الإيقان هنا اليقين، أم الإيقان كتاب الإيقان للبهاء حسين عليّ النّوريّ (ت 1892م)، وهو الكتاب الثّاني بعد الأقدس من حيث رتبة المقدّس

(1) ممّن أرّخ الاتّجاه الآخر الدّكتورة عائشة بنت عبد الرّحمن المعروفة ببنت الشّاطئ [ت 1998م] في كتابها قراءة في الوثائق البهائيّة، طبع سنة 1986م.

عند البهائيين، فإنْ كان الأوّل فلا يستقيم المعنى؛ لأنّ الإيمان تصديق، وهو من ثمرة اليقين، إلّا إذا كان يُقصد بالإيمان الإسلام، وإنْ كان الثّاني فكذلك غير منضبط أيضًا، إلّا إذا كان الأمر درجات الإيمان بهذه الدّيانة، بداية من التّصديق وصولًا إلى درجة اليقين والاطمئنان.

والتّعقيب الثّاني وهو قضيّة التّبشير، إذ إنّ غالب الدّول العربيّة والعديد من الدّول الأخرى ترى أنّ التّبشير بِدين جديد أو مذهب أو فكر مخالِف لما عليه المجتمع؛ تراه تهديدًا للسّياج المجتمعيّ، وهو بذاته تهديد للأمن القوميّ، فضلًا عن ارتباط الدّيانة أو المذهب بولاءات خارجيّة، أمّا الممارسة الفرديّة دون تبشير من حيث أصل الإيمان والاقتناع بدين أو فكر أو مذهب؛ فهذا غير مُجَرَّم، وهو حريّة شخصيّة، إلّا إذا اقترن بالدّعوة والتّبشير، فهنا - حسب علميّ - تكون المساءلة، وقد يكون التّجريم، من باب حفظ السّياج المجتمعيّ العام الّذي استقر عليه هذا المجتمع وقد طُرِح التّعقيب الأول، وأمّا التّعقيب الثّاني فلم يُطرح؛ لأنّ التّعقيب في المؤتمر يكون مكتوبًا في ورقة صغيرة وليس تحدّثا!

وكانت بعدها استراحة لربع ساعة، وهنا استثمرتُ الوقت في توقيع كتابين للدّكتورة، الأول الكتاب المذكور، والثّاني كتاب جنّة الكلمة الإلهيّة، دراسة في الكتب المقدّسة، والثّاني بالاشتراك مع عبد العزيز الهادي، من طبع دار السّاقي، وكان توقيعها: «أدعو الله أن يجمعنا في ظلّ الكلمة الإلهيّة يوم لا ظلّ إلّا ظلّه».

ثمّ بدأت الجلسة الثّانية في السّاعة الحادية عشرة، وكانت حلقة نقاش بعنوان: **الوحدة في التّنوع**، بإدارة السّيد عمرو حُسني، حيث كانت كلمة أخيرة

عـن الموضـوع للمحاضـرَين: السّـيد سـمندري هنـداوي، والسّـيدة نهـى كرمستجي، والسّـيد مريـوان النّقشـبندي، والـدّكتورة ناديـا بوهنّـاد، والـدّكتورة سوسن حُسني.

وختامًا كانت كلمة الشّكر وتأملات المشاركين، وختام المؤتمر، ثـمّ ودّعْنـا الجميع، وهنا كنتُ مع أسرة عراقيّة: الأستاذة ثريّا وأخيهـا الأسـتاذ سـمير، جـاءا إلى أمريكا منذ فترة طويلة، ولا يعرفان العربيّة، وهمـا كبيـران في السّـن، وعنـدما تشاهد الرّجل في لباسه كأنّك ترى الهنود الحمر في الأفلام، وهـو رجـل لطيـف جـدّا، تحـدّثنا طـويلًا عـن الهنـود الحمـر، فقـا:ل مـا تشـاهده في الأفـلام لـيس صـحيحًا في أغلبـه، حيـث يقومـون بتشـويه صـورتهم، وتصـويرهم بالسّـذَّج والبرابرة الّذين لا يبالون بقانون، ويسفكون الدماء، وأَصرَّ أكثر مـن مـرة علـى أنْ أذهب معه إلى ولايـة أريزونـا، وهـي تبعـد عـن شـيكاغو بالسّـيارة حـوالي اثنتـي عشرة ساعة، ووعدته أنّني سأزورهم يومًا ما، وسوف أوثّق بنفسي مـا أرى بـإذن الله تعالى، فعسى أن يكون ذلك قريبا [1].

وبعـد المـؤتمر ذهبنـا إلـى الغـداء، وإلـى النُّـزُل للّراحـة قلـيلًا، ثـمّ ذهبنـا إلـى منطقـة Downtown Chicago وهنـا رأيـتُ عظمـة المدينـة، ورأيـت ناطحـات السّحاب، والجسور والمحلات، وعظمة البناء التي لم أرَ مثلهـا في حيـاتي إلّا في الأفلام، وخاصّة شارع Magnificent Mile، والنّاس (كلّ في فلـك يسـبحون)، والمدينة منظمة جدًّا ونظيفة، ولا تسـمع فيهـا ضوضـاء أو صـخبًا، ومررنـا علـى

(1) الأصل موعدنا معهم صيف 2020م، ولكن كورونا حالت دون ذلك، والحمد لله على كلّ حال.

ماكدونالدز، فقيل لنا: هذا أكبر فرع لها في العالم؛ وشركة ماكدونالدز تأسست في عام 1940م، ثمّ ذهبنا إلى حديقة Millennium Park أو الحديقة الألفيّة، جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا أنّها افتتحت عام 2004م، وكلّفت ما يقارب خمسمئة مليون دولار، وهي من أهم الأماكن التّرفيهيّة في شيكاغو.

والدّخول إلى الحديقة بالمجان، تمرُّ بداية بمرحلة تفتيش، يتكرر أكثر من مرة في أجزاء الحديقة، مررنا بدايةً بمسرح Jay Pritzker Pavilion الّذي صمّمه المعماريّ فرانك غيري، وكانت فيه أمسية موسيقيّة، والجلوس فيه مجّانيّ.

بعدها ذهبنا إلى بوابة السّحاب، وهو بناء مبنيّ من الفولاذ المصقول والعاكس كالمرآة، والمكان مزدحم بكثير من الناس، ويعكس جميع الصّور في الأعلى، وهنا الكلّ يلتقط صورة تذكاريّة، ونحن قمنا كذلك بالأمر نفسه؛ ويوجد في الحديقة نافورة كبيرة، كما يوجد العديد من المبادرات الشّبابيّة في الخدمات المجتمعيّة الأهليّة.

ثمّ ذهبنا إلى بحيرة Lake Michigan، المحاطة بممشى كبير، وحديقة كبيرة أيضًا خُصِّصت للمشي، ومطاعم ومقاهٍ جلسنا في أحدها، وفي نهاية الممشى تشاهد ناطحة سحاب باسم الرّئيس الأمريكيّ الحاليّ Trump، يقال إنَّه شريك كبير فيها، ولها فروع في أمريكا، وظهر في أحد الأفلام الأمريكيّة بعنوان: وحدي في المنزل، عندما أرادوا التّصوير في فندقه، فتطوّع بالظّهور مع طفلة، وانتشر المقطع بعد رئاسته كثيرًا.

بعدها ذهبنا إلى السّوق، وهناك مررنا بمتشرّدِين، بعضهم لا يملك نُزلًا، فيطلب مالًا لِليلة واحدة، فيكتب لوحة تشير إلى ذلك، وبعضهم يطلب المال،

ولكن بطريقة مرتبة، فلا يأتيك للطّلب، وإنّما يجلس في مكان، ويضع بعض الصّور، مع صندوق أو قبّعة أو إناء بسيط، إن شئتَ أعطيته، وإنْ شئتَ لم تعطه.

كذلك وجدنا طفلًا يعزف على آلة موسيقيّة كما كنا نراه ونحن صغار في الأفلام الكرتونيّة، كما في المسلسل الكرتونيّ الشّهير دروب ريمي، عندما انضمت إلى فرقة فيتالس الغنائيّة، بعد هروبها من زوج أمّها الّذي أراد أن يبيعها، وكما شاهدناه في بعض الأعمال السّينمائيّة، يقدّم هذا الطّفل مقطوعات، مع وضع صندوق الآلة الموسيقيّة مفتوحًا لمن أراد أن يتصدّق له.

وعلى مقربة من هذا الطّفل وجدنا جماعة شهود يهوه التي تأسست على يدي تاز راسل (ت 1916م) في ولاية بنسلفانيا الأمريكيّة في سبعينات القرن التّاسع عشر الميلادي، ويسمّون أنفسهم (تلاميذ الكتاب المقدّس) وسُمُّوا بشهود بمعنى خدّام أي القائمين بخدمة الرّب، ويهوه أي الله، وأصبح هذا الاسم لقبًا رسميًّا لهم عام 1931م، ويَرَون أنَّ المترجمين حرّفوا يهوه إلى ربّ، وهم يرفضون عقيدة التّثليث، ويرون الخالق فقط يهوه، والمسيح عندهم ليس إلهًا، ولا ابنًا للرّبّ، وهو أعظم شخصيّة في التّاريخ، والرّوح القُدُس عبارة عن طاقة كالطّاقة الشّمسيّة، ويرفضون الاحتفالات بعيد الميلاد، ولا يخدمون في الجيش، ولا يشاركون في الحروب، ولا يحملون السّلاح، ولا يتدخّلون في السّياسة، ويحرّمون التّدخين، ويهتمّون بالأسرة، ويعتبرون تحيّة العلم نوعًا من عبادة الأصنام، مع أنّهم يُشدّدون في احترام قوانين أيّ دولة يعيشون فيها، ويحرّمون التّبرّع بالدّم؛ لأنّ كلّ إنسان يمتلك حياته في دمه، ولا يجوز أن تنتقل

تلك الحياة إلى إنسان آخر إلّا من خلال دم المسيح، بيد أنّهم يقبلون البدائل الطّبيّة للدّم، ويرون أنّ المسيح لم يمت على صليب؛ بل على خشبة لذا يرفضون وضع الصّليب في البيوت وعلى الأجساد، ويرفضون استخدام التّصاوير والتّماثيل أثناء العبادة. (للمزيد ينظر موقع ويكيبيديا على الشّبكة العالميّة، وكتاب حوار على الباب مع شهود يهوه لجون يونان).

وهم يهتمون بالتّبليغ، وتعتبر جماعتهم من أكثر الجماعات تبليغًا حيث وصل عددهم إلى أكثر من ثمانية ملايين في العالم، ويذهبون إلى البيوت، ولهم نشرات (كتب وكتيبات ومَطوِيَّات ومجلات وأفلام ومقاطع بجميع اللّغات)، ومن مجلاتهم الشّهيرة برج المراقبة، ويدّقون أبواب البيوت، وهم لا يناقشون، فقط عليك أنْ تستمع إليهم، ويهتمون كثيرًا بالأناقة والمظهر الخارجيّ للرّجال والنّساء، ويرون أنّهم يخدمون يهوه، ويتمثلون شخص المسيح، لذا يرون أنفسهم مسيحيين، ويفترقون عن باقي المسيحيين في المُعتقَد أنَّهم لا يؤمنون كما أسلفنا بألوهيّة المسيح، ولا يعتبرونه ابنًا لله، وليس أقنومًا في الثّالوث، بيد أنَّه نزل من السّماء كإنسان كامل فِديةً عن البشر، وهو يحكم الآن كملك لحكومة الله السّماويّة الّتي ستحقق قريبًا السّلام في جميع أرجاء الأرض، ولا يُقدّمون العبادة له بل ليهْوَه وحده، ولا يؤمنون بخلود الرّوح أو النّفس، أو أنَّ إلهًا يعذّب النّاس في جهنّم إلى الأبد، ولا يحصرون الخلاص لشهود يهوه، بل لكلّ خُدام الرّب، والمسيح هو الّذي يقرِّر من يخلّص وحدَهُ. وليس عندهم قساوسة أو بابوات، ولا يُعطون من يعمل في النّشاط الدّيني ألقابًا ترفعهم فوق الآخرين، ولهم ترجمتهم الخاصّة للكتاب المقدّس، ولا يؤمنون بخلق الكون

في ستة أيام كما جاء في سِفْر التّكوين من العهد القديم حرفيًّا، بل إشارة للمراحل الزّمنيّة وليس بالمعنى المعهود لليوم أي أربعًا وعشرين ساعة، فلا تناقض بين العِلْم والكتاب المقدّس، ولا يُسَمُّون مكان اجتماعهم وعبادتهم كنيسة، وإنّما يُسمُّونها قاعة مَلَكوت.

كذلك يرون الزّواج رباطًا دائمًا، والمواعدة على الزّواج محصورة في سنّ مناسبة للزّواج، عندما تكون الشّهوة قويّة جدًّا، وفيها إرادة جادّة للزّواج، ويُحرِّمون العلاقات الجنسيّة قبل الزّواج، لهذا تكون المواعدة وسيلة للزّواج وليس لأجل الممارسة الجنسيّة، ويُحرّمون أن يجتمع المتواعدان: أي الشّاب والشّابة وحدَهما، فلا بدّ مع جماعة، أو وجود شخص ثالث، ويستثنون المراسلات الهاتفيّة شرط أن تكون وسيلة للزّواج، والمُطلَّق لا يتزوج ثانية؛ لأنّ الرّباط بين الرّجل والمرأة مقدّس لا يَنْفكُّ إلا في حالة العُهر، أو مع حالات استثنائيّة ضيّقة كالإساءة الجسديّة البالغة، أو تَعَرُّض أحد الزّوجين لضغوط التّخلي عن وصايا يهوه، والزّواج يكون بين المؤمنين المعمَّدين في مذهبهم.

ويُوجبون على الأولاد طاعة والديهم، ويؤمنون باحترام جميع النّاس بصرف النّظر عن معتقداتهم الدّينيّة، ويَنْهَون عن التّكلف والتّزيُّن في المآتم، لذا يحاربون قضيّة السّهر على جثة الميت، أو التّكلف في المأتم، أو ذبح الحيوانات لإرضائه، وهم يقومون بذكر حسنات الميت، وما يناسب ذلك دون أخذ أجر ماديّ، ويفتحون قاعة المَلَكوت أو أي مكان ليكون مأتمًا.

والصّلاة عندهم دعاء، ولا تكون تحت وضعيّة معينة، فيمكن أن تصليّ وأنت واقف أو جالس أو ساجد أو نائم، وتكون ليهوه وحدَه، وتكون نابعة من القلب طالَتْ أم قَصُرتْ، وفي أيّ وقت وظَرْف، ويَخْتُمون صلاتهم بكلمة (آمين)، ويرون الصّيام اختياريًّا، ويعترفون بصيام الأربعين عند المسيح، وصيام الكفّارة، إلا أنّهم يرونه اختياريًّا، ولا يَعرف الآخرون بصيامه، وهو مرتبط بالتّوبة.

وهم لا يؤيِّدون الصّهيونيّة، ولا يرفعون شعبًا على آخر، ولا يؤيّدون حكومة بشريّة دون سواها، إلا أنّهم يرون أنّ عودة اليهود إلى فلسطين وتجمّعهم فيها له علاقة بنبوءات إلهيّة. (للمزيد ينظر: موقع شهود يهوه على الشّبكة العالميّة).

ذهبنا إلى جماعة شهود يهوه، ومكانهم عبارة عن كشك بسيط تعمل فيه فتاتان من السّود، والطَّريف أنّ أصولهما من تنزانيا، وتَعْرفان شيئًا بسيطًا عن عُمان وسلاطينها في زنجبار. ولدى هذه الجماعة منشورات منها بالعربيّة، وطلبت تسجيل حلقة يوتيوبيّة معهم، أو أن يقوموا بإرشادي إلى أحد منهم فرفضوا، وقالوا: نأتيك إلى الفندق للتّدارس والموعظة، وعلمتُ أنّهم لا يُناقشون ولا يُجادلون، وهذا يشبه بالّذي عندنا من جماعة التّبليغ أو جماعة الخروج والدّعوة، فأنت عليك أنْ تسمع لهم، ومع هذا وافقت وحدّدنا موعدًا في الساعة العاشرة صباحًا من اليوم التّالي، لأنّنا على موعد ظُهرًا مع السّيد كريس في مشرق الأذكار لتسجيل حلقة يوتيوبيّة معه عن البهائيّة، ومع هذا لم

يأتوا، وتواصلت معهم في موقعهم لمّا رجعت إلى عُمان، ولـم يصلني ردّ حتى السّاعة!

بعد هذا اللّقاء السّريع ذهبنا إلى تناول العشاء، ثـمّ رجعنا إلى النّزل لنستعدّ ليوم جديد.

• تسجيل حلقة مع السّيد كريس حول البهائيّة

أخذنا صباح اليوم الإثنين 20 أغسطس (آب) راحة صباحية، وقد وافق هذا اليوم عيد الأضحى المبارك في معظم العالم الإسلاميّ ومنه سلطنة عُمان، والعيد في أمريكا يوافق الثّلاثاء، وفي الأصل كان عندنا موعد مع شهود يهوه الّذين تحدّثنا عنهم سالفًا، والموعد السّاعة العاشرة صباحًا، حيث يأتون إلى النُّزُل، فانتظرنا إلى قُبيل الظّهر، ولم يأتِ أحدٌ، وكان لنا موعد مع السّيد كريس في مشرق الأذكار السّاعة الثّانية ظهرًا، فخرجنا إلى مطعم تركيّ يُقدّم المأكولات العربيّة والتّركيّة، وكان الجوّ مُمطرًا ورائعًا، والقائمون على المطعم في قمّة التّواضع والابتسامة وحُسن الاستقبال.

وفي الحقيقة أنني أرسلت للبهائيين من فترة أنني أريد أن أُجري مقابلة معهم حول الطّائفة البهائيّة، وجاءني الرّدّ عن طريق أحد الإخوة بترشيح بيت العدل أو المحفل للسّيد كريس، وهو رجل يجمع بين البسمة والشّدة، وكان متواضعًا، وقد سبق الحديث عن مشرق الأذكار في شيكاغو.

وصلنا قبيل الثّانية ظهرًا، وذهبنا إلى مكتبه، ثـمّ أُخِذْنا إلى مكتب صغير متواضع ملحَق بمكتبه، وفي مكتبه توجد كتب بهائيّة باللّغة الإنجليزيّة،

وسُجِّلَت الحلقة في 20 أغسطس (آب) ضمن برنامج حوارات الحلقة التّاسعة والعشرين، وبُثَّت في 23 أغسطس (آب)، ولَقِيَتْ قَبولًا طيّبًا والحمد لله تعالى.

تحدّث السّيّد كريس في البداية عن الشّيخيّة (أي نسبة إلى الشّيخ أحمد بن زين الدّين الأحسائيّ ت 1241هـ/ 1826م من الأحساء، مؤسس مدرسة في الفلسفة والحكمة والكشف، وهي ضمن الخطّ الأخباريّ في الشّيعة الإماميّة، ولها أنصار إلى اليوم، خصوصًا في الأحساء والكويت، وتأثّرَ بها كثيرون فيما يبدو وهي المدرسة الشّيرازيّة) ظهرت الشّيخيّة لتفسير الآيات والأحاديث، وبَشّرت بظهور المهدي قريبًا، فتحقّقَ الأمر لدى الباب علي محمّد الشّيرازي (ت 1850م)، وأُعدِم من قبل السّاسة خوفًا على مكانتهم، فجاء بعده بهاء الله الميرزا حسين عليّ (ت 1892م) فهو بهاء الله وظهورُهُ، ونادى بوحدة الأديان، وجاء لإرجاع النّاس إلى الشّريعة، وظهر في عام 1863م.

وقال: إنّ حضرة الباب أتى بمئة مجلّد من الكتب السّماويّة، وكذا بهاء الله أتى بمئة كتاب سماويّ، وكان تدوين الكتب السّماويّة سابقًا عن طريق الحواريين، فبعد عيسى - عليه السّلام – دُوِّن الإنجيل من قبل الحواريين وذلك بعد ستين سنة من وفاته، ونزل القرآن الكريم خلال ثلاث وعشرين سنة، وأمّا البهائيّة فكان الرّسل هم الذين يكتبون، وأحيانًا يقوم غيرهم بالتحرير؛ فيأذن لهم الرّسل، ومن أهم الكتب المقدّسة لديهم كتاب «الأقدس»، ثمّ «الإيقان»، وهو عبارة عن إجابة عن أسئلة في يومين أو ثلاثة، في حوالي مئتي صفحة، ثمّ جاء بعد ذلك عباس أفندي (ت 1921م) وله رسائل

مقدّسة، ثمّ شوقي أفنديّ (ت 1957م) وكان له أيضًا العديد من الإلهامات والرّسائل المقدّسة.

وقال: إنّ منهج الله منذ الأزل وحدة البشريّة؛ لذا جاء الرّسل جميعًا بمنهج واحد وفق طرق مختلفة، وحقيقة الرّسل واحدة لأنَّ الغاية واحدة، وجاءت البهائيّة بدِينٍ جديد بعد الإسلام، لتحقيق وحدة الجنس البشريّ أيضًا.

وبيّن أنَّ بهاء الله أسّس من البداية الجامعة البهائيّة، وجاءت لتأسيس الفرد والمجتمع والإنسان، ولا يوجد عندهم رجال دين، وإنّما مؤسسات تحمي الجامعة البهائيّة، ويُقصَد بها المجتمع البهائيّ، وتنقسم ثلاثة أقسام: المجتمع البهائي العالمي؛ أي في العالم كلّه، والمجتمع البهائي الوطني؛ أي على مستوى الدّولة الواحدة، والمجتمع البهائي المحلّي؛ أي في المدينة أو القرية الواحدة.

ثمّ تطرّق إلى مشرق الأذكار، وقال: مَشْرِق كلمة عربيّة من الشّروق، والأذكار مِنْ ذِكْرِ الله تعالى، وهو مثل المعبد والمسجد، ولا يشترطون أنْ يكون الدّعاء في مشرق الأذكار، كما أنَّهم لا يشترطون أن يكون مشرق الأذكار محدودًا في مكان معيّن، فمن الممكن أن يجعل الإنسان مشرق أذكاره في بيته أو تحت الشّجرة، وهم لا يُصلّون في مشرق الأذكار، فهو فقط للأدعية والابتهالات، مع آيات حضرة الباب وبهاء الله، ومن القرآن الكريم، ومن التّوراة والإنجيل؛ أيْ العهدين القديم والحديث، وكذا من الجيتا، وبعض صحف البوذيّة، وكذا أحيانًا يقرؤون بعض آثار عبد البهاء عباس أفنديّ، ولا يقرؤون لوليّ الله شوقي أفنديّ. وعباس وشوقي ليسا من الرّسل، وإنّما هما

من الأتباع والمناصرين، ويقرؤون أحيانًا مع الألحان، ولكن لا يستخدمون الموسيقى في مشرق الأذكار، ويمكن استخدامها في البيوت.

وأمّا عن بيت العدل فقال: هو أعلى مؤسسة بهائيّة تشرف على الجامعة البهائيّة بشكل عام في العالم، وتنوب عنها المحافل الموجودة في كلّ إقليم، وهي منتخَبة بشكل سِرّي، ولا يُرشِّح البهائيّ نفسه، ويتكوّن من تسعة أشخاص، ويتم انتخابهم في حيفا، وبيت العدل المؤهَّل الوحيد للإجابة عن أسئلة البهائيين، بما فيها المسائل المستجدّة.

وبيّن أنّ الله تعالى هو الغيب المُطْلَق الّذي لا يُدرَك، وأمّا أسماء الإله كالله أو يَهوَه أو جود أو كريشنا؛ فجميعها ترجع إلى الحقيقة الواحدة، وتدخل في وحدة الإله.

وبيّن أيضًا أنّ الجميع يذهبون إلى المكان نفسه بعد الموت، وتختلف درجاتهم حسب الصّفات الّتي اكتسبوها في الدّنيا، وأهمّها التّواضع والحكمة والعدل والمحبة. والجنّة والنّار هما النّور والظّلام، وهذه الصّفات تؤدي إلى النّور، وأمّا انعدامها فيؤدي إلى الظّلام أي البُعْد عن الله سبحانه وتعالى.

كما بيّن أنَّه لا يوجد لديهم فلسفة ختم النّبوات، لذلك سيأتي رسُلٌ بعد بهاء الله، وعندهم ثلاث صلوات: الصّغرى والوسطى والكبرى، أمّا الصّغرى فمِنَ الظُّهر إلى المغرب، وهي عبارة عن دعاء، والوسطى تُصلّى في الصّباح والظُّهر والمغرب، وهي أيضًا دعاء وأطول من الصّغرى، وفيها ركوع وقعود، ولكن لا يوجد فيها سُجود، وأمّا الكبرى فهي أطول من الاثنتين وفيها ركوع وسجود وقيام وقعود، والبهائيّ مخيَّر أن يختار من هذه الصّلوات الثّلاثة.

وأمّا الصّيام عندهم فهو تسعة عشر يومًا، إذ تنقسم السّنة عندهم إلى تسعة عشر يومًا في تسعة عشر شهرًا، وعدد أيام السّنة عندهم أقل من ثلاثمئة وخمسة وستين يومًا، وعندهم سنة كبيسة أربعة أيام، ويمتنعون في الصّيام عن الطّعام والشّراب من شروق الشّمس حتى غروبها.

وهم يحجّون إلى قبر بهاء الله في حيفا، ويحجُّ البهائيّ مرّة واحدة في العمر.

وأمّا الزّكاة فيسمونها بالصّدقة أو حقوق الله، والصّدقة بالاختيار، ويعطيها أمينَ الصّندوق بالسّريّة، ولا يُخبِر بها أحدًا، وأمّا حقُّ الله فهو الصّافي من المال على القادر، فيطّهر ماله، فيُخْرِج منه ما قَدْره تسعة عشر بالمائة من المال المتبقي، وإذا زاد المال لا يُخرِج عنه لأنّه طُهِّرَ، وإنّما يُخرِج من الزّائد، ويكون أيضًا سرّيًّا.

وقال: إنّ الرّقم تسعة عشر عندهم مقدّس؛ لأنّ حَواري الباب تسعة عشر، وكذا أيضًا حواري البهاء، ورقم تسعة أيضًا مقدّس لأنّه من الآحاد، ويدلُّ على الوحدة، وكذا فإن مجموع الأعداد وفق حساب الجُمَّل في كلمة بهاء يساوي تسعة.

وأمّا الأعياد والأيام عمومًا في البهائيّة فمرتبطة بحياة الرّسل، كيوم الولادة، ويوم الوفاة، ويوم إعلان الدّعوة في بغداد قبل النّفي إلى إسطنبول، وعددها اثنا عشر يومًا، ويحتفلون في اليوم الأول والتّاسع واليوم الثّاني عشر، وعندهم عيد الرّضوان في أبريل (نيسان)، وعيد النّيروز بعد الصّيام، وهذا في العشرين أو الحادي والعشرين من مارس(آذار). (جاء في تعقيبات حلقة اليوتيوب من قبل Asd Ads: ليس شرط الإفطار عند البهائيّة يوم 21 مارس (آذار)، بل بمجرد

دخول الشّمس في برج الحَمَل، حتى وإنْ كان في منتصف الشّهر، ولو كان قبل الغروب الّذي هو الإفطار بدقيقة، فعلى كلّ بهائيّ أنْ يُفْطر)، ويبدأ التّاريخ عندهم بداية بالبديع، والبديع هو أحد أصحاب بهاء الله.

ثمّ تحدّث أنَّ جميع الأديان انقسمت إلى مذاهب، وحاول البعض أن يفعل ذلك في البهائيّة، ولكنْ كما يقول البهاء: إنَّ هذا الدّين لا يأتيه اللّيل، ففشلوا في ذلك، فهو كغُصن الشّجرة، إذا حاول البعض جعله مذهبًا يَبِسَ فانكسر، (وقد جاء في موقع ويكيبيديا على الشّبكة العالميّة أنَّهم قسموا إلى أربع فِرَق: أوّلها: البهائيون العباسيون، وهم الغالبيّة، ويرون عبد البهاء عبّاس المفسِّر الوحيد لتعاليم أبيه، ولمركز العهد والميثاق، ومن بعده وليّ الله شوقي أفندي؛ والثّانية: البهائيّة الموحدون، التّابعة للميرزا محمّد عليّ (ت 1937م) ويعتبرونه الغصن الأعظم، ووليّ أمر الله؛ والثّالثة: البهائيون الأرثوذكس، ويرفضون أن تكون الولاية بعد شوقي أفندي لبيت العدل الأعظم، وإنّما لسكرتيره تشارلز ميسون ريمي (ت 1974م) المسمّى أيادي أمر الله؛ والرّابعة: فرقة التّربيّة البهائيّة، أو فرقة ريكس كينغ، ويرون أنَّ تشارلز ميسون ريمي لم يكن وليّ الأمر، وإنَّما هو وصيّ مؤقّت حتى يتقدّم أحد أحفاد بهاء الله الحقيقيين لتولّي أمر الدّين البهائيّ. واعتبر ريكس كينغ نفسه أيضًا وصيًّا مؤقتًا وأفراد عائلته).

ثمّ تَطَرَّقَ إلى أهم المبادئ عندهم، وهي المساواة بين الذّكر والأنثى، وتَرْك التّعصب بجميع أشكاله سواء أكان سياسيًّا أم دينيًّا أم اجتماعيًّا أم عرقيًّا، وتعديل المعيشة بحيث لا تكون فاحشة ولا تصل إلى درجة الفقر، وأنَّ الاقتصاد العالميّ يُبنى على الثّقة ووحدة الجنس البشريّ، والمطابقة بين العِلْم

والـدّين، مـع تحـرّي الحقيقـة والبحـث عنهـا، وعـدم تقليـد الآبـاء والأجـداد، والخطـوات الأربـع الّتـي تقـوم عليهـا البهائيّـة: مجـالس الـدّعاء، وتـدريس الأطفـال، والاهتمـام بالنّاشـئة والشّـباب، ودراسـة كلمـات بهـاء الله. وبـيّن أنّ المشـاركة فيهـا لا تشـترط أن يكـون المشـارك مـن البهائيّـة، لأنّ الهـدف وحـدة الجنس البشريّ، وتحقيق السّلام العالميّ.

وأمّـا العهـد والميثـاق فمعنـاه أنّ الله تعـالى يَفـي بوعـده، فلـن يَتْـرُكَ البشـريّة سـدى، وإنَّمـا يقـوم بهـدايتها بإرسـال الرّسـل؛ ونحـن كـذلك علينـا أن نَفِـيَ بهـذا العهد والميثاق بالاستجابة. والبشريّة اليوم تعاني من الحروب والفقر وخطاب الكراهيّة والمخدّرات، بجانب الأنانيّة والتّعصّب، فنحن بحاجـة إلـى أنْ نسـعى لخدمتها من خلال تحقيق السّلام العالميّ.

وختم حديثه بأنَّ مركـزهم حيفـا، وعـددهم خمسـة ملايـين بشـكل رسـميّ، وأعلى نسبة منهم في إيـران أي حـوالي ثلاثمئـة ألـف، وينتشـرون أيضًـا في الهنـد وأفريقيا، وفي شمال أمريكا وجنوبها (وكأفراد في العديد من دول العالم).

وبعد التّسجيل ذهبنا إلى الأسـفل في المبنـى القـديم، حيـث يوجـد مُتحَـف، وفيه الصّـخرة الّتي وضـع بهـا عبّـاس أفنـدي الأسـاس في زيارتـه لشـيكاغو عـام 1912م، وأشـرنا إلـى ذلـك سـابقًا. وذهبنـا بعـدها إلـى قاعـة لمخطوطـات البهـائيين، وفيهـا رسـائل عبـد البهـاء وغيرهـا، ثـمّ ذهبـتُ إلـى صـلاتَي الظّهـر والعصر في الحديقة، حيث صلّيتُهما جمع تـأخير، وبعـدها ذهبنـا إلـى التّنـزُّه في السّـوق والعشـاء، وأخيـرًا رجعنـا إلـى النُّـزُل للرّاحـة والاسـتعداد للـذّهاب إلـى صلاة عيد الأضحى المبارك.

• صلاة عيد الأضحى المبارك وزيارة المعبد الهندوسيّ الأكبر في شيكاغو

وافق يوم الثّلاثاء 21 أغسطس (آب) عيد الأضحى المبارك لعام 1439هـ في الولايات المتحدة الأمريكيّة، وكانت أغلب الدّول الإسلاميّة عيّدت يوم الإثنين، وبطبيعة الحال وافق العيد في أمريكا الثّلاثاء لاختلاف التّوقيت، ولأنّهم فيما يبدو يقولون بالولادة ويعتمدون على الحساب الفلكيّ[1]، وقد حدث لغط في بلدنا عُمان بسبب أنّ الدّولة اتّبعت باقي الدّول العربيّة والخليجيّة، ومعظم الدّول الإسلاميّة، ليوافق عرفة الأحد 19 أغسطس (آب)، فوقع جدل كبير لأنّ شهر ذي القعدة أصبح ثمانية وعشرين يومًا؛ وكتبتُ مقالًا في هذا، وبيّنتُ أنّه عندما لا يُبنى الحساب الفلكيّ عندنا على الولادة قبل الغروب فحسب؛ بل يشترط إمكانيّة الرّؤية البصريّة لدرجة معينة في الأفق، فيحدث بذلك الاضطّراب[2].

وعلى العموم بحثنا عن مكان تُقام فيه الصّلاة، فأُخْبِرنا عن أقرب مكان إلينا، وهو عبارة عن قاعة استأجرها مركز الجاليات العربيّة ICCI، وهو لا يَبْعُد

(1) كان لنا في هذا حلقة في الرّحلة التّكساسيّة مع فضيلة الشّيخ سامر الطّباع حول الواقع الإفتائي في الولايات المتحدّة الأمريكيّة، وتطرقنا كما سنرى حول جدليّة الهلال القمري في أمريكا.

(2) يمكن الرّجوع إلى مقالي: جدليّة هلال [ذو الحجة] 1439هـ موجود في الأعمال الكاملة، ج: 23، مرقون. وإلى كتابي «أيام رمضان»، ط مكتبة مسقط، سلطنة عُمان، الطّبعة الأولى 2019م، باب «فمن شهد منكم الشّهر فليصمه».

عنّا كثيرًا، فلبستُ اللّباس العُمانيّ، ولمّا نزلت إلى الأسفل قيل لي: يُفضّل عدم لبسه، بسبب تنامي النّظرة السّلبيّة إلى العرب، وكيلا نتعرض لأيّ إيذاء، وذلك لوجود متطرفين عند الجميع!

فأخذتُ بنصيحتهم، وذهبت إلى القاعة مبكرًا، حيث وصلنا السّاعة السّابعة صباحًا تقريبًا، فلم نجد في البداية أحدًا، ثمّ بعد فترة بسيطة جاء أحد الشّاميين، وأصله فلسطينيّ أردنيّ، فقال: نُصلّي الساعة العاشرة والنّصف، وكان يحمل اللّاصق الورقيّ ليضعه على السّجاد لكي تتساوى الصّفوف، فقال: هل تساعدونني في تخطيط الصّفوف؟ فسَعِدْنا بطلبه ومساعدته. وكانت القاعة كبيرة جدًّا، ووضعوا في المدخل طاولات للشّاي والقهوة والماء، مع أكياس توضع فيها الأحذية.

بدأ النّاس يأتون، وأغلبهم من بلاد الشّام، والنّساء والرّجال يتجمّعون في مكان واحد، وكعادة أطفال الشّاميين يلعبون ويمرحون، وعندهم طاقة حركيّة هم وأبناء مصر، وعلى الرغم من حرارة دم رجالهم، لكنَّهم لا يغضبون من هذا، ووجدتُ هذا في لبنان وفي مساجدها، بينما عندنا ولو قام الصغار بحركة بسيطة لثار الموجودون غضبًا، وخصوصًا كبار السّنّ، وكذلك وجدتهم في تكبيرات العيد يفتحون المجال للأطفال بصورة واسعة، والكلّ يردِّد خلفهم، ويقولون: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد.

ومن المشاهد الجميلة أنني رأيتُ سعوديًّا هو وابنه يقدّمان الحلويات مع القهوة السّعوديّة، وذكّرني هذا بالمسجد النّبويّ الشّريف، خصوصًا في رمضان،

عندما يتسابق الجميع لجذبك ليتشرَّف بأن تُفطِر على سُفرته، وتجد الأطفال والكبار يتسابقون في إكرام النّاس بالقهوة والشّاي واللّبن والماء والتّمر.

صلّينا صلاة العيد ركعتين باثنتي عشرة تكبيرة، وقبْلها قام الإمام وهو مصريّ، ويبدو أنّه في بداية الثّلاثين من عمره، بِحَثِّ النّاس على التّبرع للمركز، وما يقوم به من خدمات جليلة في التّعليم خصوصًا، لكنّي وجدتُ عادة لم أحبذها، فيُعلنون مثلًا: من يتبرع بخمسة آلاف دولار؟ من؟. من؟ فإذا رفع أحدهم يده أُعلِن اسمه، وإذا لم يرفع أحد يده خفّضوا المبلغ قليلًا، ويَحثّون الناس بصورة كبيرة، وهكذا حتى ينزلوا إلى مئة دولار، ويوّزعون ظروفًا تكتب فيها اسمك والمبلغ المُتبَرَّع به، كما يأتون بصناديق تضع فيها المبلغ إن لم تحبّ ذكر اسمك، وفي نظري يمكن تذكير النّاس بالدّعم والتّبرع دون هذه الصّورة، مع إعطائهم الحريّة، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه. وما يحدث هنا أقرب إلى السّمسرة في البيوع، وعمومًا فإنَّ لكلّ أمّة عاداتها، فما لا تستسيغه لا يعني أنّه سيّئ!

في البداية تحدّث الخطيب عن مقصديّة الحجّ، وأنّ الحجيج استجابوا لنداء الخليل إبراهيم (عليه الصّلاة والسّلام)، حيث جاؤوا من كلّ فجٍّ عميق، جاؤوا لعبادة رب واحد، في هُتاف وتلبية واحدة.

ثمّ تطرَّق إلى سنّة الاستجابة، بداية من إبراهيم، حيث استجاب لربّه في رفع قواعد البيت الحرام، واستجاب لأنْ يضع زوجه وابنه في أرض قاحلة جرداء، لا زرع فيها ولا ماء، وكذا استجاب لربّه في أن يؤذن للنّاس بالحج، ثمّ استجاب

النّاس لدعوة خليل الرّحمن من قبل ربّه قائلين: «لبيك اللّهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنّعمة، لك والملك، لا شريك لك».

ثمّ تطرّق إلى مصاديق الاستجابة مناديًا وسائلاً الشّباب عن استجابتهم لله سبحانه وتعالى: هل استجبتم في جوارحكم لله سبحانه، خاصّة أنّهم في بلد الغربة، فينبغي استغلال هذه الفرصة بطلب العلم وفعل الخير، فهؤلاء – أي الغربيين - أَتَوا يومًا إلينا، فأخذوا العلم والمعرفة من حضارتنا، فتفوّقوا علينا، فصاروا هم الأعلى ونحن الأسفل.

ثمّ خصّص الخطاب للنّساء، فدعاهنّ للالتزام بتقوى الله سبحانه وتعالى، وبالعفة وطاعة الزّوج وإقامة الصّلاة. والمرأة ليست نصف المجتمع، بل هي المجتمع كلّه، فإذا صلحت صلح المجتمع بأكمله، لأنّها مصنع الرّجال.

ثمّ تطرّق إلى انشراح الصّدر، وهذا يكون بتقوية العلاقة مع الله سبحانه وتعالى، لذا حثّ على أن يكون للمرء حظّه من بيوت الله تعالى، فلابدّ من الاهتمام بالمساجد، ولا بدّ من أن تلتصق به مدارس التّعليم، لتجمع هذه المساجد بين تعليم الإسلام من قرآن وسنّة وشريعة، وبين الجانب التّعبديّ الّذي يمارسه الإنسان فيها.

ثمّ جلس جلسة خفيفة لثوانٍ قليلة، ثمّ قام للخطبة الثّانية فتحدّث فيها عن أيام التّشريق وفضلها، وأشار إلى قضيّة الأضاحي وشروطها وسننها ومستحباتها، وكيفية الذّبح وسُننه، وختم الخطبة بسورة الكوثر والتّلبية، ودعاء بسيط، ثمّ الصّلاة على النّبيّ محمّد وآله.

وقد سجلّتُ الخطبةَ ونشرتُها في قناتي اليوتيوبيّة في اليوم نفسه، وهي خطبة جيدة، وإن كنت أتصوّر أنها سوف تتطرّق إلى الوضع في الغرب بصورة أعمق، وخاصّة ما يعانيه المجتمع ويلامسه هناك، كما لاحظتُ صورة لم تعجبني بعد الصّلاة، وهي أنَّ نسبة كبيرة من المصلِّين انشغلوا عن الخطبة وسماعها بالتّسليم والحديث الجانبيّ، وهذا يؤثر على الخطيب لأنّه يشعر بعدم الرّغبة في السّماع له، كما يؤثر في بقيّة المستمعين نتيجة الضّوضاء.

وبعد الخطبة كان الجوّ ممطرًا ورائعًا، فذهبنا إلى أكبر معبد للهندوس في شيكاغو، وزرنا معبد إيسكان سابقًا، وهو لمذهب من مذاهب الهندوسيّة؛ ويوجد في هذا المعبد مبنيان: الأول قديم والثّاني حديث، وقد بُني من الرّخام الإيطاليّ بأيدٍ بشريّة، ويبلغ وزن الرّخام ثمانية آلاف طنّ، وبينهما رابط حُوّل إلى متحف فيه صور لعلماء هنود، ويبدو من الصّور أنَّهم من الهندوس، وخدموا العِلم في الطّب والتّكولنوجيا والرّياضيات والهندسة وغيرها، فاكتشفوا مثلًا الرّقم صفر، ولولاه لما اختُرِع الكمبيوتر.

وفي بداية المعبد بوابة كبيرة عن يمينها فيلان، أحدهما كبير والثّاني أصغر، وكذا عن يسار البوابة، حيث يعتقدون أنَّ خرطوم الفيل يدلّ على التّرحيب والاحترام.

ولمّا وصلنا إلى المبنى القديم، وفيه قاعة قديمة للمعبد وُسِّعَت بقاعة جديدة، أُمِرْنا بخلع الأحذية؛ وهنا استقبلَنا رجل كبير السّن، تبدو عليه سِيما التّعبد والكهانة، نسيتُ اسمه، مررنا معه بداية بالقاعة القديمة، وبعدها دخلنا القاعة الجديدة التي تحيط بها تماثيل، وفي مقدمتها تمثال كريشنا وزوجته

كما أتصور، وقال: الآن عندهم طقس الصّلاة، فجلسنا على الأرض، وهم عادة حين يدخلون يسجدون نومًا على بطونهم، ويفسّرون الحركة أنّها نوع من السّجود، وهو دلالة على الفناء، فبدأ الطّقس، وفُتح مكان الآلهة المجسّد بالتّماثيل، وكانت موسيقى رائعة تُعزَف، فتُضفي على السّامع هيبة وخشوعًا مع المكان، وكانوا يُمَرِّرون البَخور، وشيئًا ما يُشرَب منه أو يُؤكَل لا يحضرني الآن.

ولم يستمرّ الطّقس طويلًا، وأخذ الرّجل يشرح لنا مكوّنات المعبد، وسألناه في البداية عن مسألة إطلاق لفظة الهندوسيّة عليهم؛ لأنّهم في معبد إيسكان رفضوا الإطلاق وقالوا: نحن فيدس، والّذين سمّونا بالهندوس هم الفرس، وأشرنا إلى هذا سابقًا، فقال: ظهرت الهندوسيّة منذ خمسة آلاف سنة، ونشأ مذهبنا منذ ثمانٍ وأربعين ومئتي سنة، وعندهم خمس شخصيات مقدّسة، إحداها ظهرت قبل ثمانٍ وأربعين ومئتي سنة، وآخرها تُوفّي قبل عامين؛ وفي مذهبنا لا نجد حَرَجًا من إطلاق الهندوسيّة علينا، وسيُفتتَح لهم معبد كبير في أبو ظبي عام 2021م، وقد أعطاهم الشّيخ محمّد بن زايد إذنًا بذلك.

ثمّ تطرَّق إلى أنّ الله جاء إلى الأرض باسم راما، والله واحد، لكنّه ظهر على هيئة أشخاص خلال فترات مختلفة ليوصل رسالته إلى البشريّة، وتتجسّد في تماثيل، ويرون عدم جواز لمسها لأنّنا لا نتّصف بالطّهارة، ويُستثنى من هذا الأولياء، ومن أهم مبادئهم: اللّاعنف، والسّلام، والابتعاد عن الأنانيّة والكراهيّة، وهم يقدّسون خمسة عناصر: النّار، والهواء، والماء، والتّراب، والمكان؛ وهم نباتيون، ويقدّسون البقرة لكونها تعطي الحليب فلا يجوز ذبحها.

وكرّر صاحبنا أكثر من مرة الحديث عن أهمية التّربيّة، واحترام الوالدين، وخدمة البشر، والبُعد عن العلاقات الجنسيّة خارج أطر الزّواج، وطلبنا منهم تسجيل حلقة، لكنهم رفضوا واكتفوا بالحوار الشّفهيّ.

وبعدها رجعنا إلى النُّزُل، فالغداء لنستعدّ للذّهاب إلى معبد جورد زيلاجس سو سني، وتسجيل حلقة حول الدّيانة السّيخيّة.

• حلقة حول الدّيانة السّيخيّة

توجهنا في السّاعة الرّابعة عصرًا بتوقيت شيكاغو إلى معبد جورد زيلاجس سو سني للدّيانة السّيخيّة، ويسمى عندهم المعبد أو الهيكل الذّهبيّ، وفي بدايته شعار باللّون الذّهبيّ يحتوي على سيف أفقيّ، يتداخل عن يمينه ويساره سيفان كبيران، مع حلقة دائريّة في الأعلى. أُنشئ المعبد في منطقة ريفيّة ذات معالم هادئة وساكنة، مع العشب الأخضر، والسّيخيّة جمع سيخ بمعنى التّلميذ.

والمعابد عمومًا بما فيها المساجد في شيكاغو أكبر من كونها مكان عبادة، فهي مراكز خدميّة تضمّ مكانًا للعبادة، وهذا ما رأيناه في هذا المعبد، ففيه مكاتب ومجالس اجتماع، وقاعات لأغراض متعددة، مع مطعم يُقدّمون فيه الطّعام يوميًّا بالمجان للجميع بمن فيهم المشردون والفقراء، دون تمييز لدين أو جنس؛ وهنا وجدنا الّذي يقوم بالطّهي- خصوصًا من النّساء- يقوم بذلك تبرعًا دون مقابل، وفي الأعلى توجد قاعة كبيرة للعبادة تشبه قاعة صلاة المسلمين، بما فيها السّجّاد المخطط للصّلاة، وفي المكان هيبة وخشوع، ولا توجد تصاوير أو تماثيل، وفي الوسط مكان مرتفع على شكل كرسيّ، يجلس فيه من يقوم بالذّكر أو الموعظة.

وفي البداية تُؤخَذ إلى مكان مخصَّص لتخلع الحذاء، ومن في المعبد يغطّون رؤوسهم بعمامة طويلة، ويُطلقون لِحاهم وشعورهم، وأمّا النّساء فمحجبات لا يُظْهِرن زينَتَهنّ إلّا ما ظهر منها، ويلبسْن اللّباس الهنديّ والكشميريّ والباكستانيّ بلا تكلُّف، وأطفالهم يلعبون بكلّ حريّة، ويُضفُون جوًّا مرحًا على المعبد، مع السّكينة والوقار.

استقبلَنا الأستاذ كونت ستج، وكان رجلًا متواضعًا بشوشًا مبتسمًا، ورّحب بنا بحرارة، ثمّ أخذَنا إلى قاعة الاجتماعات، وناقشْنا لفترة العديد من القضايا، وهو يحترم الإسلام والأديان عمومًا، فطلبنا منه تسجيل حلقة، فقال: أريد بداية أن أعرف الأسئلة، فلمّا اطّلع عليها ارتاح وتشجّع، وعلم أنّها أسئلة تعارفيّة، فقال: أين ستسجلون؟ فقلنا له: في هذا المكان، فسجلنا معه حلقة مع برنامج حوارات على قناتي اليوتيوبيّة، وكانت الحلقة الثّلاثين، وبُثَّت في الخامس والعشرين من شهر أغسطس (آب).

وفي البداية بيّن أنّ السّيخيّة هي طريقة الحياة، وظهرت في عام 1469م، وتنادي بوحدة الخالق، أي الله واحد، مع وحدة الجنس الإنسانيّ، والغورو ناناك (ت 1539م) ولد هندوسيًّا، وتلقّى العديد من التّعاليم الهندوسيّة، إلّا أنّه آمن بقضيّة الوحدة بين البشر، لهذا سعى إلى تحقيق الوحدة بين الهندوس والمسلمين، ونادى بوحدة الإله ووحدة البشر، فلا فرق بين الله أو واحي كروا، فهي أسماء لإله واحد، ولا يوجد صور أو تماثيل تصوّر الإله عند السّيخيّة؛ لأنّ الخالق لا يمكن تصويره أو تجسيده بتمثال. وكذلك يؤمنون بالكارما، أي رجوع الأرواح من جديد، ومع وصولهم إلى درجة كبيرة من الرّوحانيّة سيتحدون مع الله سبحانه وتعالى.

وبيَّن أنّهم يحرقون الأموات بعد الوفاة، ويُؤمنون بوحدة الوجود، فالله كالشّمس الّتي تتجلّى، ونحن البشر مظاهر لهذا التّجليّ، فنحن نتحدّ مع هذه الشّمس.

وهم يؤمنون بالجنّة والنّار، وليس لهما حدود جغرافيّة، فإذا وصل الإنسان إلى درجة من الرّاحة والاطمئنان الرّوحيّ فهو يعيش في الجنّة، والعكس إذا عاش في الضّيق والنّكد فهو في النّار، ويمكن لكلّ إنسان أنْ يكون ملائكيًّا من خلال رُقِيِّه روحيًّا. ثمّ قال: إنَّ لديهم كتابًا مقدَّسًا لهم وهو كتاب السّيليّ جرو ساحب، كَتَبه ستة وثلاثون شخصًا منهم اثنان من المسلمين، وهما بابا فريد [1] (ت 1265م)، وبابا كبير (ت 1643م)، ويَرَون كتب الآخرين مقدّسة كلّما ساعدتهم في الرُّقيِّ الرّوحيّ.

ولا يوجد رهبان عندهم، وإنّما على كلّ فرد أن يصل إلى درجة الكمال، ومَن يصلون إليها يكونون موجِّهين أو مرشِدين، ولكنّهم لا يكونون رهبانًا.

ثمّ تطرَّق إلى الكافات الخَمْسِ؛ أي الكلمات الّتي تبدأ بالكاف حسب لغتهم، وهي حمل المشط ليسرح شعره، ويحافظ على هيئته، والثّانية: إطالة الشّعر، والثّالثة: لبْس سروال متّسع ليحافظ على العفّة، والرّابعة: يلبس شيئًا من الفولاذ في يده اليسرى، والخامسة: حمل خنجر صغير. وهذه الكافات الخمسة مُطْلَقة للذّكور والإناث، وبيَّن أنَّ الغورو لم يحلق شعره، ولا التّسعة الّذين أتوا من بعده؛ والأنبياء يُطيلون لحاهم، والشّعر هدية من الله، ونحن

(1) لم يلتقِ الغورو ناناك ببابا فريد؛ لأنّه تُوفّي قبله بسنوات طويلة، ولكنه تأثر به، واقتبس بعض آثاره وأشعاره، وضمَّنها في كتابهم المقدّس، كما سنرى في الرّحلة التّكساسيّة، ولكنَّه التقى ببابا كبير .

نحترم هذه الهديّة، واللّحية والشّارب عند الذّكر للتّمييز بين الذّكر والأنثى، ولبس حلقة من الفولاذ في اليد اليسرى هدية من الغورو، فهي حلقة فارغة لا نهاية لها، فكذلك الحياة لا يوجد لها نهاية، وفي السّابق كانت الحلقة كبيرة يضعون فيها السّيف للدّفاع عن النّفس، وهي من الإستيل أو الفولاذ الصّلب للإشارة إلى القوة والصّلابة، ويُستخدَم الخنجر للدّفاع عن النّفس وليس للاعتداء.

وبيَّن أنّهم يُصلّون في اليوم خمس مرات، وعليهم أن يحافظوا على جميع أيام الأسبوع السّبعة، ولا يوجد عندهم صيام، ولا يوجد عندهم يوجا إلا إذا كانت وسيلة إلى ذكر الله تعالى، ويَحُجّون إلى منطقة أمريتسار في ولاية البنجاب، وهي مقدّسة لأنّ الغورو ظهر فيها. والإنسان عمومًا عندهم أقدس من المكان، وعليه أن يتواصل مع الله في كلّ مكان.

وأهم الأعياد عندهم مولد الغورو، ومولد الغورو العاشر – أي جوفيند سينج (ت 1708م)، وفي 5 أبريل (نيسان) عندهم عيد البيساكي لمدة ستة أيام، وهو عيد رأس السّنة السّيخيّة، والغورو أتى بقضيّة الخلاص، وقداسة البشر جميعًا، وعليه الاحتفاء ضدّ الكراهيّة والتّعصّب، ويرون البشر أبناء الله جميعًا، وهم متساوون لا فرق بينهم؛ وعليه لا فرق بين الأديان والألوان والأجناس والمكانة الماليّة والرّتَبيّة، فالكلّ سواسيّة.

كذلك بيّن أنّه لا يوجد عندهم تَعَدُّد في الزّواج، بيد أنّ المرأة إذا مات زوجها يمكنها أنْ تتزوج شخصًا آخر، ولا يوجد عندهم طلاق؛ لأنّ الزّواج شيء مقدّس لا ينفصل، ولكن ذلك جائز لظروف الحياة، ويمكن أن يحدث أحيانًا بنسبة قليلة جدًّا.

وهم يُحرّمون المخدّرات والخُمور والتّدخين، وقضيّة اللّحوم عندهم قضيّة هامشيّة، والمهمُّ أنْ نهتم بالرّوح، فعندما يرقى المرء هو من يُقَرِّر هل يأكل اللّحوم أم لا؟

والمعبد أو الهيكل الذّهبيّ له عظمته وقدسيته عندهم، وأول من بناه عالم مسلم صوفيّ اسمه بابا ساي مي أمير، والمعبد رمز الوحدة بين البشريّة، ويسعى إلى الرّقي الرّوحانيّ، والشّعار الذّهبيّ يشير إلى نقطتين مهمَّتين: الأولى الوحدة، أي أنَّ الله يتجلى في مخلوقاته على اختلافهم وتَعدّدهم، والثّانية القوّة، لهذا يتجلى في الشّعار سَيْفان من الدّاخل ومن الخارج، يسمونهما بالكندا.

وختم بقوله: إنَّ عددهم حوالي خمسة وعشرين مليون نسمة، ومركزهم البنجاب في أقصى الهند على حدود باكستان، وأهم مراكزهم منطقة أمريتسار وأكار، ولهم وجود في نيوزيلاندا وكندا وأستراليا وأمريكا وأفريقيا وغيرها.

وبعد اللّقاء قال لي ممازحًا: لماذا لم تسألني عن العِمامة؟ وقال: مذكور في التّوراة أنّ الشّخص الّذي سيلتقي بالمسيح يضع عِمامة، ومعظم رجال الدّين في العالم يلبسون عمامة، والأحمديون يلبسون العِمامة الخضراء لأنّهم مسلمون، والصّوفيّة يلبسون العمامة، والعمامة البيضاء دليل على الطّهارة والصّفاء، والملوك والسّلاطين في السّابق كانوا يلبسون العمامة وهذا دليل على العظمة.

وبعد التّسجيل أخذَنا إلى المطعم، وشربنا الشّاي مع البسكويت، وعندهم طعام معيّن قريب من الحلويات نسيْتُ اسمه. ثمّ قام بتعريفنا بالمعبد، وأخذَنا إلى مكان العبادة، ووجدْنا رجلًا يقرأ الأذكار في الكرسيّ، وآخرون على الجوانب يذكرون الله تعالى حسب طقوسهم.

ودّعَنا الأستاذ الجليل، وقال أريد الحلقة بعد النّشر، وكان المطر بدأ ينزل في جوّ بديع، ورجعنا إلى النُّزُل لنستعد للرّحيل والرّجوع إلى الوطن.

- **الرّجوع إلى الوطن ومن فوائد الرّحلة**

بعدما أنهينا زيارة معبد جورد زيلاجس سو سني وتسجيل حلقة حول الدّيانة السّيخيّة رجعنا إلى النُّزُل، وكان الجوّ ماطرًا، ولم نتمكن من الخروج ليلًا، ولأنّ هذه اللّيلة ليلة السّفر؛ فلا بدّ من أنْ آخذ قسطًا من الرّاحة، ورحلتنا في اليوم التّالي أي الأربعاء 22 أغسطس (آب) الساعة الرّابعة عصرًا، وكان لدينا والحمد لله متسع من الوقت لشراء بعض الهدايا، وكانت نِيَّتُنا ختم الغداء كما بدأنا بالمطعم المكسيكيّ، وقد تحدّثنا عنه في الحلقة الأولى، إلا أنّنا قررنا التّعجيل إلى المطار.

وبعدما صلّيت الظّهر والعصر في النُّزُل خرجنا إلى المطار، وكانت بوابتنا رقم (1)، إلا أنّ الّذي أخذَنا من سيارة النُّزُل المجانيّة إلى المطار، وهو أفريقيّ، تصرف للأسف تصرّفًا سيّئًا، وهذه أول مرة يحدث لنا في هذه السّفرة، إذ أخذَنا إلى البوابة الرّابعة، وعندما أخبرَناه قال: المسافة قريبة، ومع هذا مشينا مسافة طويلة، وهي وإن كانت ليست بعيدة بالمعنى الطّبيعيّ، ولكن كونك تحمل أغراضًا وأمتعة، وتمشي خارج المبنى فعندها تكون غير قريبة!

المهم أنّنا وصلنا البوابة، وكان المطار مزدحمًا، وسيكون سفرنا هذه المرة على الطّائرة الألمانيّة، فذهبنا إلى المكان المعدّ لتخليص إجراءات السّفر، وكان مزدحمًا جدًّا، وضيّقا في الوقت نفسه، ووقعت معي إشكاليّة، إذ إنَّ الوزن

المعدّ في الحقيبة الواحدة محدَّد، وإذا كان أقل من الوزن المسموح، جعلوك تستخدم حقيبة أخرى، ولعلّ هذا رحمة بالعمال الّذين يقومون برفع الحقائب وإنزالها، وهنا عليك أنْ تدفع مبلغًا من المال، ولكنَّ الموظفة تساهلت معي، وقالت: لا تَعُد مرة ثانية إلى هذا، وجزاها الله خيرًا.

ودَّعتُ صاحبي، وذهبتُ إلى البوابة المُحدَّدة، وأقلعت الطّائرة من شيكاغو السّاعة الرّابعة عصرًا، ووصلنا إلى فرانكفورت في ألمانيا السّاعة السّابعة والرّبع صباحًا، إذ استغرقت الرّحلة خمس ساعات وخمس عشرة دقيقة.

ومطار فرانكفورت مطار كبير جدًّا ومنظّم، ويعتبر في المرتبة الثانية من حيث الحجم بين مطارات أوروبا، ومع أنَّ التّرانزيت كان لمدة ثلاث ساعات، إلا أنَّها لا تكفي، للانتقال من مكان إلى آخر، ولأنني أستخدم المترو أحيانًا، ولمّا وصلتُ إلى القاعة كان الوقت قريب الإقلاع، وهنا سنسافر على الطّيران العُمانيّ، وتعرفتُ في هذه اللّحظة السّريعة من الانتظار على أسرة ألمانيّة صغيرة ذاهبة إلى تايلند للسّياحة، فمن فرانكفورت إلى مسقط – ترانزيت – فتايلند، وجرى بعض الحديث السّريع، والمهمّ أنَّ الطّائرة أقلعت السّاعة العاشرة وخمس وثلاثين دقيقة، ووصلنا مسقط السّاعة السّابعة وخمس عشرة دقيقة، حيث استغرقت الرّحلة ست ساعات وأربعين دقيقة.

وبعد هذه الرّحلة يمكن أن نُجْمِلَ بعض الفوائد التي جنيتها من زيارتي الأولى لولاية من الولايات الأمريكيّة، حيث أدركْتُ تمامًا أنَّ ما وصلوا إليه لم يكن إلّا لأنّهم أخذوا بسُنن التّقدّم، فكان لهم ذلك، حيث يقوم نظامهم على بناء الإنسان والحريّة والعدل، فهناك تشعر بقيمة الإنسان، وله كرامته، وتشعر بالحريّة، ولكلّ شأنه، كما تدرك قيمة العدل في استقرار النّاس. وفي شيكاغو

كثير من العصابات المتطرفة، ولكنَّك لا تشعر بذلك، بل تشعر بالأمان والاطمئنان.

ومن خلال زيارتي للمعابد أدركتُ أنَّ الجميع يريد الوصول إلى الله، والكلّ يحبّ الله، ولكنَّ كلّ واحد منهم يستخدم وسيلته للوصول إليه، وكلّ واحد يعبر عن حبّه لخالقه حسب طقسه وما ورثه، ولكنَّهم صُقلوا بمحبّة بعضهم بعضًا، فالله رمز المحبّة والجمال قبل أنْ يكون إلهًا، والله محبّة، والأديان طرُق لهذه المحبّة، ودور العبادة سواء أكانت معبدًا أم كنسًا أم كنيسة أم مسجدًا فهي تجسيد لهذه المحبّة، وتحويل هذه المحبّة إلى بغضاء وشقاق؛ بل إلى تفجيرات وقتل؛ إنّما هو كفر برمز المحبّة الّذي جسّد محبّته في قلوب عباده، وهو أعلم بهم وبحالهم.

تعلّمت أيضًا من هذه الرّحلة القصيرة أنَّ التّعدّد بناء، والأَحديّة بالنّسبة للبشر فَساد، والوحدة في التّعدّد إذا أدركنا قيمة التّعدديّة، لأنَّ نفعها سيعود على الجميع، وتعطي جمالًا وحلاوة كالصّورة متعددة الألوان رغم أنَّ اليد الّتي رسمتها يد واحدة، فسبحان يد الصّانع الخالق الّذي رسم هذا الكون العظيم، ولله المثل الأعلى.

تعلّمتُ أيضًا أنّنا عندما نتصارع في بلدنا نتصارع على وهم، وعندما تخرج من حدود بلدك ودينك ومذهبك وأعرافك وتقاليدك تدرك سَعة العالم والفضاء، وتبدأ في ترتيب أوراقك من جديد، فلا تضيّع وقتك وعمرك في صراعات وخلافات وهميّة، العالم أكبر منها بكثير جدًّا، فأرض الله واسعة للهجرة، وليس القصد من الهجرة ترك البلد الّذي تعيش فيه، وإنّما المقصود

توسيع مداركك لتسبح في فضاء واسع من المعارف والمدارك والحريات وقيمة الإنسان.

تعلمت أيضًا أنّ في أمريكا من يُقدّر قيمة المعرفة والبحث بلا توجُّس أو انتظار ثناء من الباحث أو الكاتب، فلمّا تواصلت معهم رأيت التّشجيع والدّعم، فهناك عندهم: خذ حريتك وانقد وتحدّث، فمدحك لا يزيدهم درجة، ونقدك لن يجعلك في درجة المغضوب عليهم والضّالين!

وفي الحقيقة فإنَّ الحديث ذو شجون، ونحن بحاجة في منطقتنا إلى أنْ نقترب من الإنسان وحريّاته، ونشجعه على البحث والنّظر والكشف، فلا نقوم بذلك لأنَّه مدحَنا، وإنْ قام بنقدنا جعلناه في أسفل سافلين.

والقارئ لهذه الرّحلة يدرك ذلك، وفيها يتعرف على الزّرادشتيّة والفيدس والهندوس والبوذيّة والسّيخيّة والمورمون وشهود يهوه والبهائيّة، وبعض ثقافة المجتمع المسلم، كما سيطّلع على بعض الجوانب التّاريخيّة والحضاريّة لشيكاغو، حيث أنهيت كتابة الرّحلة في فجر الإثنين 23 من شعبان 1440هـ يوافقه 29 أبريل 2019م في مدينة الغبرة بولاية بوشر، والحمد لله ربّ العالمين.

الرّحلة الظّفاريّة[1]

• التّعريف والوصول

في صباح يوم السّبت 30 مارس (آذار)2019م كانت رحلتنا إلى صَلالة بمحافظة ظَفار، وتعتبر صَلالة العاصمة الإداريّة والسّياحيّة للمحافظة، وكان مقرراً لهذه الرّحلة أنْ تكون من ستتين، ولكنْ بسبب بعض الظروف حدث التّأجيل، والهدف الأساسيّ إقامة فعاليّة للجنة الفكر التّابعة للجمعيّة العُمانيّة للكتّاب والأدباء، بالتّعاون مع فرع الجمعيّة بظَفار، وهي بعنوان سُننيّة قراءة الآخر، وسيأتي الحديث حولها.

انطلقنا السّاعة التّاسعة وأربعين دقيقةً صباحًا أنا والأستاذ أحمد النّوفليّ من الموالح الجنوبيّة بولاية السّيب، وأخذْنا عثمان التّنزانيّ القائم بخدمة جامع الدّعوة بالموالح الجنوبيّة، ووصلنا المطار ولحق بنا الأستاذ كمال اللّواتيّ[2].

---

(1) بدأت كتابة الرّحلة في منطقة السّعادة بصَلالة يوم الأحد 31 مارس (آذار) 2019م، ثمّ توقفتُ لدخول رمضان، ثمّ جدَّت ظروف بحثيّة أخرى، إلا أنَّني استأنفتُ الكتابة يوم الإثنين 8 يوليو (تموز) 2019م بالغبرة بولاية بوشر بمحافظة مسقط، ثمّ توقفت بسبب كورونا، ثمّ استأنفتُها في نهاية عام 2020م وبداية عام 2021م، لأنهيَها صباح الخميس 22 شوال 1442هـ/ 3 يونيو (حزيران) 2021م.

(2) سبق التّعريف بالأستاذين في الرّحلة الكويتيّة، في «إضاءة قلم»، الحلقة الأولى، حلقة التّعايش.

ثـمّ ذهبنـا إلـى البوابـة رقـم B5، وأقلعـت الطّـائرة السّـاعة الحاديـة عشـرة والنّصف، ووصلنا مطار صَلالة الساعة الواحـدة وستّ دقـائق، ومطـار صَـلالة زرته تقريبًا سنة 2008م، وكان بسيطًا جدًّا، أمّـا اليـوم بعـد التّجديـد فيعتـبر أكـبر مطار داخليّ في عُمان، وواجهة رائعة في الجنـوب؛ ووجـود شـبكة نقـل متطـورة تربط بين البلد الواحد والبلدان الأخرى ضرورة في الإحياء والنّماء، سـواء أكـان ذلك جوًّا أم بحرًا أم برًّا، فهـذا يُسـهم في إحيـاء الاقتصـاد وإنعاشـه، وفي تحريـك الجانـب السّـياحيّ وتنميتـه، وفي تعـارف الشّـعوب وتقاربهـا، فكلّمـا اقتربـت الشّعوب بعضها من بعـض؛ أدّى ذلـك إلـى ضـرورة التّعـرف علـى الآخـر، فـإذا حدث ذلك ارتفعت الدّهشة من تصـوُّر المخـالِف وسـلوكه، وهـذا يـؤدي إلـى الاطمئنـان بطبيعـة هـذا السّـلوك والاعتيـاد الطّبيعـيّ في التّعـايش معـه، فالتّعـدّد تصوّرًا وتوجُّهًا يُنمّي الإحياء ويُغذّيه إذا أدركنا السُّـنّة التّكوينيّـة مـن الاختلاف. ووسائل الطُّرق – كمـا أسـلفنا – لهـا دور في ذلـك، وعسـى أن يـأتي اليـوم الّـذي نرى فيه القطارات والشّبكات الواسعة الّتي تربط بين أجزاء العالم العربيّ بعيـدًا عن الحدود الجغرافيّـة الضّـيقة، حيـث العـالم العربـيّ الواحـد في إحيائـه ونمائـه وحاضره، المتعدّد في ثقافته وأديانه ومذاهبه وتصوّراته.

استقبلَنا في المطـار الأسـتاذان: الحبيـب فيصـل المشـهور، والحبيـب أحمـد بـاعلوي، وكلاهمـا شـابّان في قمّـة الأخـلاق والتّواضـع، تميّـزا بعمـق المعرفـة، والوسطية في الدّين، ويحملان شعلة التّنوير والإصلاح، فـذهب الأسـتاذ كمـال في سيارة الحبيب فيصل، وذهبت مع الأستاذ النّوفليّ في سيارة الحبيب أحمد.

وهنا رأيت صَلالة للمرة الثّانية، حيث زرتها مرة عام 2007م برًّا، ومرة أخرى نزلتُ فقط في مطارها (ترانزيت) قبل 2008 متّجهًا إلى محاضرة في نِمر بالصّحراء. رأيتها هذه المرة وقد انكشف الغطاء، بلا ضباب ولا سُحُب كثيفة، ولا بَعوض يُضايقك في طريقك ومكان راحتك، ولا زَحام ولا صُراخ من قبل الشّباب في خريفهم حيث يجدون المتعة والرّاحة في الجوّ اللّطيف.

رأيت صَلالة في طُرُقها وصفاء جوّها واعتداله، ورأيت أشجار النّارجيل تُضفي بهاء على المكان، وتتمايل ذات اليمين وذات الشّمال، وكأنّها ترحِّب بالضّيف غناء ورقصًا، وصَلالة عاصمة عُمان الثّانية، وهي مركز ظَفار وعاصمتها، تمتاز بالبَخور واللّبان والنّارجيل، وفي صَلالة وظَفار عمومًا قبور تُنسَب إلى الأنبياء الثّلاثة: أيوب وعِمران وصالح، أمّا قبر النّبيّ أيوب (ع) فيقع على تلّة مرتفعة في صَلالة، وقد ذُكِر النبي أيوب (ع) في القرآن في أربعة مواضع، وكان آية ورمزًا للابتلاء، وله سِفْر خاص في التّوراة (العهد القديم) هو سِفْر أيوب، والأديان الثّلاثة: اليهوديّة والنّصرانيّة وخصوصًا الإسلام تُجمع على صلاحه ومكانته، بيد أنَّه في الإسلام نبيّ، وفي التّوراة وعند النّصارى رجل صالح، وحسب التّوراة يكون قد توفِّي في القرن الخامس عشر قبل ميلاد السّيد المسيح (ع)، وذكر بعض المؤرخين من المسلمين أنَّه من نَسْل إسحاق بن إبراهيم (ع)، وفي سِفْر أَيُّوب أنّه من أرض عَوْص، وهو عَوْص بنُ آرامَ بنِ سامٍ بنِ نوحٍ (ع)، ومن المعلوم أنَّ من أنبياء هذه الفترة هود (ع) المرسل إلى عاد، وصالح (ع) المرسل إلى ثمود، وشعيب (ع) المرسل إلى مَدْيَن، وارتبطت عادٌ بالأحقاف، وهي جبال رمليّة تمتدّ من شَبوة اليمن إلى عُمان، ويدخل فيها

ظَفار والمهرة، فلا يُستبعد أن يكون أيوب (ع) من هذه المنطقة، ونُسِب لاحقًا إلى فلسطين؛ إلّا أنَّ النّسبة إلى فلسطين مشكوك فيها، وخاصّة بعد التّوراة السّبعينيّة، وهذا ما يراه مثلًا كمال الصّليبيّ (ت 2011م) أنّ يُونان (النّبيّ يونس (ع) «وجد سفينة إلى ترشيش، وترشيش من البحار الّتي يعيش فيها الحوت، وهي المحيط الهنديّ، ومنها بحر العرب وخليج عُمان، وُوجِد في غرب صَلالة كهوف شرشيتي (شرشيت بالاستبدال)، وهي قاعدة ظَفار في القديم، وعلى هذا فلعلّ ترشيش يطلَق قديمًا على بلاد ظَفار، ومنها ميناء صَلالة»[1]، فوجود الأنبياء في هذه المرحلة في جزيرة العرب شيء وارد جدًّا، بيد أنَّ التّوراة تعتبرهم رجالًا صالحين على خلاف القرآن، ولا يُستبعَد أيضًا أن يكون النّبيّ أيوب (ع) من المنطقة نفسها، فقد يكون النّبيّ أيوب (ع) نفسه، أو يكون رجلًا صالحًا تيمّن باسمه.

وأمّا النّبيّ عِمران فقبره في صَلالة، ويبلغ طوله ثلاثين مترًا، ويُعتبَر من القبور الطّويلة في العالم، والسّؤال هنا: هل يوجد نبيّ اسمه عِمران؟ وكلمة عِمران وردت في القرآن ثلاث مرات، مرة أُسنِدت إلى آلِهِ وأهله، ومرة إلى أم مريم، ومرة إلى مريم ذاتِها (القدّيسة العذراء)، ولكن لا توجد إشارة في القرآن إلى نُبوّته، وفي الأدبيات التّراثيّة الإسلاميّة أنَّ أبا موسى اسمه عِمران، وفي سِفر الخروج من العهد القديم (التّوراة) اسمه عِمرام، «وقد تزّوج يوكابد فأنجبت له

(1) للمزيد ينظر: **خفايا التّوراة** لكمال الصّليبيّ، دار السّاقيّ، ط7 – 2012م – ص 281 – 300.

هارون وموسى»، ولموسى وهارون أخت اسمها مريم، كما في سِفْر العدد: «واسم امرأة عِمران يوكابد بنت لاوي، الّتي وُلِدَتْ لِلاوي في مصر، فوَلَدَتْ لعِمرام هارون وموسى ومريم أختهما» (عدد: 26: 59)، فالعهد القديم يوضح نسب نبيّ الله موسى (ع) وأنّه يرجع إلى إسحاق بن إبراهيم (ع) عن طريق عِمرام (عِمران)، وله شقيقان: هارون ومريم، ويظهر من قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه/ 94)، قول هارون لأخيه موسى: يا ابن أمّ، لا يعني فيما يبدو أنّه أخ له من أمّه، وإنّما كعادة الأمم السّاميّة ومنها العرب ينسبون الشّخص إلى الأم، ويهتمون بنسب الأم كثيرًا.

بيد أنّ القرآن لم يتحدث عن أبي موسى وهارون ولا أختهما مريم بالكليّة، إلّا إشارة بسيطة في سورة القَصَص مثلًا إلى الأمّ والبنت، دون تعيين الأسماء كالعادة، وهذا سيختلف مع مريم الّتي ذكر أباها (ابنة عِمران)، وذكر أمّها مسندة إلى زوجها (امرأة عِمران)، بيد أنّه في العهد الجديد (الإنجيل) لا يوجد اهتمام بأمّ مريم وأبيها، إلّا إشارة إلى نسب خطيبها يوسف النّجار كما في إنجيل متّى الإصحاح الأول، وأنَّه يوسف ابن يعقوب بن متّان حيث يعود نسبه إلى النّبيّ داود (ع)، بيد أنّه جاء في إنجيل لوقا (1: 30 – 31): «فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم؛ لأنّك قد وجدت نعمة عند الله، وها أنت ستحبلين وتلدين ولدًا اسمه يَسوع، هذا يكون عظيمًا، وابن العليّ يدعى، ويعطيه الرّب الإله كرسيّ داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لمُلكه

نهاية»، فلا توجد إشارة لأبي مريم إلا عند الأقيسة والتّخمين، حيث اعتبَر بعض اللّاهوتيين أنّ اسم أبيها: يواقيم.

لهذا حدث جدل في السّاحة التّفسيريّة عند المسلمين، فاعتُبِر الأشهر أنَّ عِمران أبا مريم وزوج أمّها غير عِمران أبي موسى، وأنَّ هارون أخا مريم غير هارون أخي موسى، وأنَّ عادة بني إسرائيل أن يُسمَّوا باسم أنبيائهم تيمُّنًا، ويرى ابن قرناس (معاصر) أنّ مريم بالكليّة أم عيسى غير مريام أم يسوع، فهما امرأتان مختلفتان بينهما أكثر من ألف سنة، لهذا حدث الشّبه في الصّلب بِنِسْبةِ الصّلب إلى عيسى بينما المصلوب هو يسوع[1]، ويرى فريق ثالث أنّ نسبة مريم إلى عِمران ليست نسبة بُنُوَّة، وإنّما نسبة إلى العشيرة والفرع من بني إسرائيل، كما في إنجيل لوقا الذي نَسَبها إلى بيت داود، وداود من بني إسرائيل.

والقول الثّالث فيما يبدو لي أصحّ الأقوال، وخاصّة أنّ سياقات القرآن تشير إلى ذلك، حيث يقول سبحانه: ﴿**إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران/ 33)، ولهذا البيت من بني إسرائيل كان: امْرَأَةَ عِمْرَانَ، وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ، بدلالة أنّ القرآن لا يهتم بالنّسب الأبويّ أوّلًا، وثانيًا فإنَّ المسألة تتعلّق بالعِرض؛ لهذا كان الاهتمام بشرف البيت أو الفَرع، وكلام ابن قرناس – مع احترامي له – بعيد عن الصّواب، وإن كان تحليله فيما يتعلّق بعيسى وأمّه رائعًا جدًّا، ولعلّنا نناقشه في مناسبة أخرى.

(1) ينظر مثلا: **الشّريعة والمنهاج** لابن قرناس – منشورات الجمل – لبنان/ بيروت – ط 2015م – ص: 195 وما بعدها.

فعِمران هنا هو الأصل، وهو أبو موسى على الأشهر، ويرى بعض اللّاهوتيين أنّه جَدّه، ولا يوجد دليل على نُبوَّته لا في التّوراة ولا في القرآن، فهو رجل صالح، قد يكون من منطقة ظَفار، وقد يكون عِمران ظَفار رجلًا صالحًا آخر، خاصّة أنّ طول قبره - إن صح أنّه قبره – يبيّن أنّه عاش في زمن العمالقة.

كما يوجد في المحافظة قبر النّبيَّين صالح وهود (ع)، وهما من الأنبياء العرب، وأمّا صالح (ع) فالأشهر أنّه دُفن في مدائن صالح شمال المدينة المنورة بالمملكة العربيّة السّعوديّة لأنّه من ثمود، وثمود بمنطقة الحِجْر، وفي هذا يقول القرآن: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الحجر/ 80)، وأمّا نسبة قبره إلى ظَفار فهي في وادي أنحور بين حاسك وحدبين، وأمّا هود (ع) فهو من أرض الأحقاف من قوم عاد، ولا يُستبعَد أن يكون قبره في ظَفار، وأشار بعضهم إلى وجود قبر شعيب (ع) وهو من أهل مَدْيَن.

وبغضّ النّظر عن صحة النّسبة فقد أصبح ما روي من الآثار الّتي تحوي البُعدين الشّفويّ والماديّ، والاهتمام بهذا التّراث ضرورة؛ لأنّه يشجِّع الجانب السّياحيّ، ولا علاقة له بالشّرك، مع أنّي ضد نظريّة التّوسل والدّعاء للقبور لعموم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر/ 22)، ولكنْ أنْ نَتّهِم من يفعل ذلك بالشرك فهذا تنطُّع بعيد، لوجود خيط التّأويل، والمُتأوِّل لا يُشرك، وفي الوقت نفسه من التّنطّع إهمال هذا التّراث وعدم توثيقه والعناية به، والحفاظ عليه للإحياء السّياحيّ، لهذا يُحفَظ هذا التّراث ويُوثَّق وإنْ صاحبَتْه الشّكوك؛ لكنّها تبقى رواية في الجملة تفتح مجالًا للبحث والنّظر، بجانب

وجود قبور عديدة لصالحين وأضرحة أولياء، لانتشار الفكر الصّوفيّ في ظَفار عمومًا، وصَلالة بشكل خاصّ.

وصلنا إلى بيت والدة الحبيب سالم المشهور، والحبيب سالم غنيّ عن التّعريف، فهو داعية وحدة، ومشعل تنوير وإصلاح، عميق النّظر، واسع الاطّلاع على صِغر سنِّه، وهناك تعرّفنا على الأستاذ الشّيخ سعيد المعشني، وهو من أهل طاقة، وإمام وخطيب تابع للدّيوان، حافظ للقرآن، واسع الاطلاع في الفقه الشّافعيّ، تشعر من نقاشه ومحاورته كأنّك ترى محمّد الغزاليّ (ت 1996م) في انفتاحه واعتداله. وكذلك التقينا بالشّاب الطّموح، القارئ النّهم، ذي التّواضع الجَمّ، محسن آل حفيظ، وهو من أهل طاقة، مع حضور وَلَدَي سالم المشهور الزّهراء وأخيها.

وبعد حديث افتتاحي استأذنَّاهم لصَلاتَي الظّهر والعصر، وبعد الصّلاة لحق بنا فضيلة الشّيخ الدّاعية الحبيب علوي الكاف، وهو رجل من الأصحاب الأوائل، وقد وسع قلبه الجميع، حيث أحبّ الكلّ، فأحبّه الجميع، من مختلف المذاهب والتّيارات، يذهلك بعفويته ومحبّته وتواضعه، وأصرَّ علينا أن نزور فضيلة القاضي أحمد الخطيب كما سنرى لاحقًا. كان الغَداء اللّحم بأنواعه، حيث تغدينا في الرّابعة عصرًا، وعندهم الأمر طبيعي فيما يبدو أن يتأخر الغداء حتّى العصر، حيث أخذنا الحديث في جوانب فكريّة واجتماعيّة وفقهيّة عديدة، ولا ننسى هنا الأستاذ الجليل عبد الله العليّان، فكان يتواصل معنا أوّلًا بأول، ولولا ظَرفه لشاركنا، وسنتحدّث عنه في حينه.

• زيارة فضيلة القاضي أحمد الخطيب

قبل أن نَشرع نسيتُ ذكر الأستاذ الجليل عبد الله العليان في الاستقبال، وقد استقبلنا في المطار، والأستاذ العليان قامة عُمانيّة ثقافيّة، فهو واسع الاطِّلاع، وخصوصًا في الحركات الفكريّة المعاصرة، كالحداثة واللّيبراليّة والعَلمانيّة وغيرها، وله اطّلاع كبير على فكر محمّد الغزاليّ (ت 1996م)، ومحمّد عابد الجابريّ (ت 2010م) مثلًا، كما له اطّلاع على الوطن العربيّ وحركاته التّحرريّة، والاشتراكيّة والفكر الماركسيّ، ويعشق مصر وخبير بها وبمَلَكِيَّتِها وناصريَّتها وحاضرها، وله العديد من المقالات، وهو من أقرباء الكاتب والمناضل العُمانيّ المعروف محمّد بن عبد الله العليّان (ت 2018م) رحمه الله ورضي عنه، وفي المطار اعتذر عن صحبتنا لبيت الحبيب سالم المشهور.

وبعد الغداء في منزل المشهور، وعند السّاعة الخامسة عصرًا، قررنا الّذهاب إلى زيارة الفقيه والعالم القاضي أحمد بن محمّد الخطيب، وأصله من ولاية ضَلكوت، ويعتبر من كبار علماء السّنَّة في عُمان، إن لم يكن أعلمهم، «وفي عام 1384هـ الموافق 1963م رحل إلى المدينة المنورة، والتحق بمدرسة دار الحديث، وكان ملازمًا لحلقات التّعليم للشّيخ أبي بكر جابر الجزائريّ (ت 2018م)، وسمع من الشّيخ عبد العزيز ابن باز (ت 1999م)، والشّيخ محمّد أمين الشّنقيطيّ (ت 1974م) والشّيخ عطيّة محمّد سالم (ت 1999م)»[1]،

(1) مقال: سيرة الشيخ العلامة القاضي أحمد الخطيب، منشور في الموقع الإلكترونيّ سبلة عُمان من قِبَل مِدحت بتأريخ: 22 يوليو 2012م، تاريخ الزّيارة: الثّلاثاء، 16 يوليو 2019م، السّاعة الخامسة والنّصف عصرًا.

وهو شافعيّ المذهب، سلفيّ المُعتَقَد، إلا أنّه فقيه أيضًا في المذهب الحنبليّ بحكم الدّراسة في المملكة العربيّة السّعوديّة، «وكان يقول: إنّ الانتساب الشّرعيّ إنّما هو للإسلام، أمّا الانتساب إلى ما سواه فإنّما هو لتمييزه، وكان دائمًا ما يردّد قول الإمام الشّافعيّ (204هـ) - رحمه الله -: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي»[1]، «ولِيَ القضاء في محافظة ظَفار عام 1391هـ الموافق 1971م، وتدرّج في مناصب القضاء إلى أن عُيّن قاضيًا بالمحكمة العليا، وهو يترأس حاليًّا لجنة التّوفيق والمصالحة في المحافظة»[2]، كما أنّه أيضًا عضو في اللّجنة الرّئيسة لرؤية هلال رمضان وشوّال من كلّ عام.

ومجلس الشّيخ عامر بالمُستَفْتين، فما يكاد شخص يخرج حتى يدخل آخر، ويجلس الشيخ يوميًّا بعد العصر للإفتاء وقضاء حوائج النّاس وللإصلاح والشّفاعات، ومن حسن الطّالع أنّه في زيارتنا السّريعة له جمع بين الثّلاثة: الإصلاح في إحدى القبائل، والإفتاء، والمُدارسة العلميّة، وبعض الفتاوى والحديث بلغتهم الجباليّة الّتي لا نَفْقَهُها.

في البداية تقدّمَنا الحبيب علويّ الكاف، ولما رآنا الشّيخ قام ورحّب بنا، وسألَنا عن الأخبار، وقدّم لنا الشّاي، وقام علوي الكاف بتعريفنا إياه، والشّيخ يُجِلّ الحبيب علويّ الكاف كثيرًا.

(1) المرجع والزّيارة نفسها.

(2) المرجع والزّيارة نفسها.

ولمّا أنهى موضوع الإصلاح لإحدى القبائل؛ كان الحديث مع الشّيخ عن ضرورة التّقريب والتّعارف بين المدارس والمذاهب الإسلاميّة، وبيّن الشّيخ ضرورة ذلك، وضرورة معرفة الآخر، لهذا جرّ الكلام إلى قضيّة الأخذ من مذهب آخر، حيث سألته في قضيّة المذاهب الفقهيّة الأربعة المعروفة، فالشّافعيّ مثلًا له رأي قد يخالفه النّووي (ت 676هـ) وابن حجر (ت 852هـ) مثلًا، فأيّهما قول الشّافعيّة، كما توجد مسائل حدثت أو نوقشت بعد الشّافعيّ، ومنها مسائل النّوازل، كما عند أبي زهرة (ت 1974هـ) مثلًا، فالشّيخ قال: (حسب حفظيّ أي المدَوّن للرحلة) لكلّ مذهب أصول، فهناك أصول المذهب الحنفيّ والمالكيّ والشّافعيّ والحنبليّ، وهناك فروع واجتهادات، فتنسب الفروع إلى الأصل باعتبار أصل المذهب، ولو خالف المتأخِّرُ المتقدّمَ أو جَدَّ عليه.

وأمّا في قضيّة الأخذ من المذاهب فيرى الشّيخ أنَّ العبرة بالدّليل، فإذا صح الدّليل وجب اتّباعه، ولو خالف المذهب، وهنا حدث جدل حول العاميّ إذا رأى الأخذ من المذهب الآخر إذا كان أرفقَ له وأيسر، ولو خالف مذهبه، أم أن عليه تقليد المجتهد؛ وهنا تطرقنا إلى نموذج الطّلاق بالثّلاث، مثلًا ومن حُسْن الصُّدف أنّ رجلًا دخل المجلس وقد طلّق زوجته ثلاث مرات بلفظ واحد، ويريد رُخصة من الشّيخ، ولمّا ضربنا المثال تبسم الشّيخ وقال: هذا جاء لمثل مسألتكم، وكنا لا نفقه كلامه؛ لأنّهم كما هو ظّاهر يتحدّثون بلغتهم الجباليّة، حيث ضربنا مثلًا ترجيح الإمام ابن تيميّة (ت 728هـ) وتلميذه الإمام ابن القيِّم (ت 751هـ) بأنّ طلاق الثّلاث يقع طلقة واحدة، وهو الظّاهر في مذهب العهد

الأول قبل تشديد عمر بن الخطاب (رض)(ت 23هـ)، وعلى الطّلقة الواحدة الإماميّة، فيما ذهب الجمهور إلى وقوعه ثلاثًا، مع التّفريق بين لفظ التّوكيد والتّأسيس في قول: أنتِ طالق طالق طالق، أو إذا قال: أنت طالق ثلاثًا أو مئة، قلنا له: إنَّ ابن باز مثلًا وابن عثيمين (ت 2000م) على مذهب الجمهور أنّه يقع ثلاثًا ما لم يُرِد التّوكيد حال تكرار اللّفظ، بينما يرى ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم أنَّ الطّلاق يقع مرة واحدة، وجميعهم ينتسبون إلى المذهب الحنبليّ، وأُضيفُ هنا: وقد رجّح قول ابن تيميّة وتلميذه أبو زهرة مثلًا، وخالف مشهور الشّافعيّة، والعديد من المعاصرين، والشّيخ هنا فيما يبدو لي ويظهر من كلامه أنّه يميل إلى هذا، أو يرى على الأقلّ وجاهته، ولا أستطيع التّقوُّل عليه لأنّ الكلام عامّ، وتحت مسألة التّقليد، والشّيخ يرى ويؤكد على ضرورة اتّباع الدّليل، مع القدرة على الاجتهاد.

وقادنا الحديث عن الطّلاق بالثّلاث إلى الحديث حول ابن تيميّة وتلامذته وكتاباتهم، حيث إنّهم كتبوا لغير عصرهم من حيث اللّغة والأسلوب، وقلت له: من يتأمل كتابات ابن تيميّة يجدها غريبة عن زمنه من حيث الأسلوب، مع الموسوعيّة، وقد ظهر أسلوب ابن القيّم على العلاّمة ابن سعديّ (ت 1956م)، وتلميذه ابن عثيمين، وخصوصًا الثّاني، وهنا سألنا الشّيخ: مَن ابنُ سعدي؟ فأجاب أحد تلامذته بالمجلس قال صاحب كتاب التّفسير أي «تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان»، وعلّق الشّيخ بمعرفته مع تعليق خفيف؛ لأنّ الشّيخ من عادته كما يبدو يحب أن يستمع للآخر، كما يختصر في الجواب بشكل كبير.

دار الحديث أيضًا حول مسائل عموم البلوى، وهل للحاكم أو من ينوب عنه الحق في البَتِّ فيها، وهل تندرج في قضايا سَعة الخلاف، كذلك ذكرت له ما حدث في المملكة العربيّة السّعوديّة قبل سنوات من جدل في تقنين الفقه، فبعضهم أيَّد ذلك وأغلبهم لم يُؤيّده، وكأنَّ الشّيخ يميل إلى عدم التّأييد لطبيعة الفقه في تعدد الآراء، والعِبرة كما يرى بصحة الدّليل.

كذلك تطرّقنا في المجلس إلى كتاب المُغْني لابن قُدامة (ت 620هـ)، وهو من أمّهات كتب الحنابلة، وإلى اهتمام ابن قدامة بالمَصْلحة، وهنا ذكرت له مثلًا مسألة تعجيل زكاة الفِطْر في المغني: «مسألة: وإن قدّمها قبل ذلك بيوم أو يومين أجزأه... ، ولا يجوز أكثر من ذلك، وقال ابن عمر (73هـ): كانوا يُعطونها قبل الفِطر بيوم أو يومين، وقال بعض أصحابنا؛ أي الحنابلة: يجوز تعجيلها بعد نصف الشّهر كما يجوز تعجيل أذان الفجر، والدّفع من مُزْدلفة بعد منتصف اللّيل. وقال أبو حنيفة (ت 150هـ): ويجوز تعجيلها قبل الحول لأنّها زكاة، فأشبهت زكاة المال، وقال الشّافعيّ: ويجوز من أول شهر رمضان؛ لأنَّ سبب الصّدقة الصّوم والفطر عنه، فإذا وُجِد أحد السّببين جاز تعجيلها كزكاة المال بعد ملك النّصاب»[1].

وبعد هذا الحديث الّذي ذكرتُه بالمعنى وما أحفظه مع بعض الزّيادة التّوضيحيّة والتّوثيق، ومنه ما نسيته، وأيّ خطأ فينسب إليّ؛ أصرَّ الشّيخ أن نتعشى معه فاعتذرنا لارتباطنا بموعد في طاقة، ولتعب السّفر، فرأى أن نتغدى

(1) المُغني لابن قُدامة، ج 2 – ص 668-669 .

معه في اليوم التّالي، فاعتذرنا أيضًا لارتباطنا مع الأستاذ العليّان، وهنا أصرَّ أيضًا على توديعنا إلى الخارج، وهنا رأيتُ أن أهديَه كتابي «إضاءة قلم» حلقة التّعايش.

وبعد هذه الجلسة الحواريّة خرجنا وذهبنا إلى فندق النّيل، واستأجرنا شقّة، وأخذْنا راحة للاستحمام والصّلاة، لنستعدّ للذّهاب إلى مدينة طاقة وزيارة الشّيخ سعيد المعشني كما سنرى.

- **الذّهاب إلى طاقة وزيارة الشّيخ سعيد المعشني**

بعدما أخذنا شقّة في نُزُل النّيل بالحيّ التّجاريّ أخذْنا قسطًا من الراحة لساعة أو أقلّ، مع صلاتَي المغرب والعشاء، ثمّ نزلنا إلى الأسفل، لننطلق إلى ولاية طاقة، وولاية طاقة بوابة ظَفار الشّرقيّة مع سَدح ومِرباط، ولها العديد من المعالم الأثريّة كآثار دَرَبات، وحِصن طاقة، وجامع الشّيخ العفيف، وتعتبر في المرتبة الثانية من حيث الكبر في ظَفار بعد صَلالة، وتَبْعد عن صَلالة ثلاثين كيلو مترًا، وموقعها القديم أذيرات، ثمّ نقلَها الشّيخ العفيف إلى الموقع المعروف الحاليّ.

وعند الانطلاق مررنا على (كشك) يبيع حليب الإبل والبقر الطّبيعيّ، مع إضافة الزّعفران وغيره إنْ أحببتَ بعد تسخينه، وهي عادة طيبة منتشرة بصَلالة وظَفار عمومًا، ووصلنا إلى شاطئ طاقة، وكان هناك زحام خفيف بسبب مهرجان نظّمته إحدى الفِرق في طاقة في مُتَنزّه قريب من الشّاطئ، وهنا ذهبنا إلى مسجد قديم اسمه مسجد الشّيخ أحمد، وهو مسجد قديم جدًّا كان في

الأصل مهجوراً، ثمّ أُعيد ترميمه، وبجانبه شاهد طويل، على ركام من التّراب والحَصى، ويُقال: إنّ2 هذا المكان الّذي عليه الشّاهد هو قبر الشّيخ أحمد، وهو شخص مجهول ليس معروفًا، ويَعتقد بعض العامّة أنّه من الأولياء، لهذا يأتون إليه للتّوسل وأخذ البركة، والأَشْهَر أنَّ الشّاهد وُضع على رُكام المسجد القديم بعد إعادة بنائه، وقيل: إنه عندما تهدّم بَنَوا بجانبه مسجدًا هو الموجود الآن، ووضعوا الشّاهد على الموقع القديم، ويرى الأستاذ سعيد المعشنيّ أنّه أقرب إلى الزّاوية والمختلى لكونه كان بعيدًا عن المدينة.

ثمّ ذهبنا إلى مسجد الشّيخ العفيف، وهو مسجد تأسس في القرن العاشر الهجريّ، وينسب إلى الشّيخ العفيف بن سعد، ويعود نسبه إلى بني كِندة، وفي مقدّمته مقبرة صغيرة، دُفِنت فيها والدة السّلطان قابوس (ت 2020م)، السّيدة ميزون بنت أحمد بن عليّ المعشنيّ، وأُرِّخت وفاتها يوم الأربعاء 13 صفر1413هـ، يوافقه 12 أغسطس (آب) 1992م، وبقربها قبر أخيها الشّيخ أحمد بن عليّ بن تمان المعشنيّ، وأُرِّخت وفاته يوم الأربعاء 3 جمادى الأولى 1411هـ، يوافقه 21 نوفمبر (تشرين الثاني) 1991م، وبعده قبر أخيها عيسى بن أحمد بن عليّ المعشنيّ، وأُرِّخت وفاته يوم الجمعة 18 من ذي الحجّة 1412هـ، يوافقه 16 يونيو (حزيران) 1992م.

والسّيدة ميزون - كما في موقع الشّبكة العالميّة ويكيبيديا - الزّوجة الثّانية للسّلطان سعيد بن تيمور (ت 1972م) بعد ابنة عمّها السّيدة فاطمة المعشنيّ، إذ تزّوجها سنة 1936م، وأنجبت له في عام 1940م السّلطان قابوس*،

* توفي لسلطان قابوس رحمه الله في 20يناير 2020.

والسّيدة ميزون ولدت عام 1920م، وتوفيت كما أسلفنا عام 1992م بسبب مرض السّكريّ.

ثمّ رأينا الحيّ القديم وحِصن طاقة بشكل سريع لتأخّر الوقت، وفي تمام السّاعة العاشرة ليلًا وصلنا منزل الشّيخ سعيد المعشنيّ، وقد ذكرنا سابقًا أنّه إمام وخطيب تابع للدّيوان، وكنتُ قد طلبتُ من الأستاذ سعيد في بيت سالم المشهور أن يدعو الأستاذ محمّد المعشنيّ، وهو شابّ في العشرينيات من عمره، لديه منذ كان طالبًا العديد من الإشكالات العقليّة، وعنده حاسّة نقديّة في قراءة النّص التّراثي، والتّقليد المجتمعيّ كغيره من الشُّبَّان، ودار بيننا نقاش عن طريق وسائل التّواصل خصوصًا قديمًا فيما يتعلّق بالألوهيّة، وفيما يشاع حوله الآن، ودار في المجلس بيني وبينه حديث طويل حول هذا، وعدم تقبّل المجتمع لتساؤلات الشّبان، وهو ما يُلجِئهم إمّا إلى النّفاق المجتمعيّ وهو الأغلب، وإمّا إلى التّمرد كليًّا؛ حيث يكون التّساؤل شبه مجرَّم، وغير مُتقبَّل، وعندما تضيق دائرة الحوار، وتتسع دائرة التّصنيف والإقصاء – وهي مشكلة يعانيها العديد ممّن في سنّه، خصوصًا مع عدم وجود منتديات حوارية حرّة – يلجأ بعضهم إلى التّنفس عن طريق وسائل التّواصل باستخدام مُعرِّفات وهميّة، خوفًا من المجتمع، أو ممّا قد يُتَّهَمون به من تُهم الإلحاد وازدراء الأديان ونحوها، والحقيقة في نظري أنَّ الإيمان لا ينبني إلا في بيئة حرَّة، والقوانين لا بدّ من أن تكون حافظة لحريّات النّاس، ومنها حقُّ التّساؤل والبحث، فضلًا عن حقّ الإيمان والاعتقاد، والحوار هو الدّائرة الواسعة الّتي أَمَرَ بها القرآن الكريم.

وحدث في المجلس أيضًا حوار كبير بين الأساتذة أحمد النّوفليّ والحبيب سالم المشهور والأستاذ كمال اللّواتيّ والأستاذ سعيد المعشنيّ والأستاذ فيصل المشهور والأستاذ أحمد باعمر والحبيب علوي الكاف حول مسألة قتل المرتدّ وسورة التّوبة، وحول التّشدد المتأخر في مسائل الرّأي عند الإباضيّة، وتعارُض الآراء بين بعض مسائل المتأخّرين والمتقدّمين، وعند غير الإباضِيّة كما عند الغزاليّ (ت 505هـ) وابن رشد (ت 595هـ)، وقضيّة التّنظير والتّطبيق ومآلات ذلك، كما عند محمّد باقر الصّدر (ت 1980م) في كتابه (اقتصادُنا)، والبنك اللّاربويّ، كما تطرَّقوا إلى قضايا التّقليد والاجتهاد، ومدى ضبط مسائل معقولة المعنى وغير معقولة المعنى، وتطرقوا بصورة كبيرة في ذلك إلى الذّبح، لما شاع حينها من قضيّة دجاج ساديا، وهل يصح الذّبح عن طريق الصّعق، وحكم ذبائح أهل الكتاب، واشتراط التّسمية واستقبال القِبلة، وطعام المسافر والطّالب لبلاد الغرب، وهل هم أهل كتاب؟ وبعد هذا الحديث، ونحن نقترب من منتصف اللّيل زوالًا، قدّم لنا الأستاذ سعيد مشاوي الدّجاج مع غيره، لاشتراطنا عدم التّكلف، وكان الأصل أن نقتصر على القهوة، فآثار الغداء ما زالت باقية، فجاء بعضهم ممازحًا ومداعبًا هل هذا دجاج ساديا؟!

وبعد هذه الجلسة الطّويلة والثّقيلة معرفيًّا بدأ النّوم يتغلّب علينا، رغم وجود الشّاي والقهوة، ولكنْ كما قيل قديمًا: دواء النّومِ النّومُ. رجعنا إلى السّكن، وفي الطّريق حدث نقاش مكثف بين الحبيب علوي الكاف والأستاذ أحمد النّوفليّ، حول الجدليات المعاصرة الّتي يكثُر الحديث حولها، وحول

كتاب أقانيم اللّامعقول لأستاذنا النّوفليّ، والحبيب الكاف يُكثِر من الاستغفار، وكان الحبيب أحمد باعمر يشاركهم، وأمّا أنا فكنت أدافع النّوم، وكان يغلبني أحيانًا، حتى وصلنا السّكن قرب الواحدة ليلًا، لنستعدّ ليوم جديد كما سنرى.

- **تسجيل حلقة مع سالم المشهور والذّهاب إلى جبل سمحان**

بعد تعب اليوم الأول كما رأينا سابقًا، أخذَنا النّوم إلا أنَّ نوم التّعب قصير لذا استيقظنا على أذان الفجر، وكان الأصل أن أرتاح صباحًا إلّا أنّني كنتُ نشيطًا، وما أحببتُ أنْ أزعج الإخوة، فكان الصّباح فرصة للأعمال الكتابيّة والنّزهة الشّخصيّة، وبعد أذان الظّهر والصّلاة حضر الأستاذ الحبيب سالم المشهور، لهذا رأيت الفرصة مناسبة حتى يتجمع الإخوة لتسجيل حلقة رمضانيّة، إذْ إنَّ رمضان على الأبواب، وفي رمضان 1439هـ سجلتُ حلقات لرمضان من الكويت، وذكرتُ ذلك في الرّحلة الكويتيّة[1]، لهذا رأيتُ أن أسجّل لرمضان 1440هـ من صَلالة.

كان عنوان الحلقة «القرآن في رمضان»، وسجَّلت يوم الأحد 31 مارس (آذار) 2019م في تمام السّاعة الواحدة والنّصف ظهرًا من نُزُل النّيل، وبُثَّت الحلقة يوم السّبت 6 رمضان 1440هـ، يوافقه 11 مايو 2019م على قناة (أُنس) اليوتيوبيّة.

(1) نُشِرت في كتاب (إضاءة قلم الحلقة الأولى) حول التّعايش - طبع الجمعية العُمانيّة للكتّاب والأدباء ودار مسعى 2019م.

وفيها ابتدأ الحبيب سالم الحديث؛ أنّه يوجد في ظَفار في رمضان عادة نظام المشاهرة، وهو ينحو المنحى الابتهاجي، حيث تكثر في بداية الشّهر الزّيارات الاجتماعيّة ومباركة البعض بالصّيام، ويكثر في رمضان عمومًا التّرابط والتّواصل، إلا أنَّ رمضان في ظفار تأثّر بالواقع المعاصر، حيث أصبح أقرب إلى الطّقس الرّوحيّ، كصلاة التّراويح على عَجَل، وقد غاب البعد الاجتماعيّ عن العديد من المتدينين الآن، فالجانب الاجتماعيّ كان له نصيب الأسد عند التّديُّن الفطريّ، وكانت صلاة التّراويح تؤدّى بشكل بسيط دون تكلّف وتغنٍّ وبكاء، وكانت تقتصر على قصار السّور، من الضّحى وحتى النّاس، تتخلّلها مجموعة من الأذكار والتّواشيح، إذ كانت أقرب إلى الابتهاج منه إلى الخوف والضّجيج، أمّا المنحى التّعبديّ اليوم فانحصر في الصّلاة والصّيام والمسجد، لكنّ حقيقة الإسلام والتّعبد تشمل جميع مناحي الحياة، فنحن نحارب العَلمانيّة بيد أننا نمارس العَلمانيّة عندما نبعد شؤون الحياة عن الدّين.

ثمّ تحدّث أنَّ التّعبد اليوم أصبح قريبًا من طلب الأجر الماديّ، وكأنّ الله يتعامل معنا بلغة تجاريّة كما نفهمها، وما ذُكِر في القرآن في ذلك من باب الاستعارة، حيث ضَعُف التّعامل الرّوحي والوجداني والتّأملي والتّدبريّ بشكل كبير، وأصبحت قراءة القرآن أيضًا مرتبطة بعدد الخَتمات أكثر منها بالتّدبّر والتّفكّر، ومثل هذا ما جاء عن أحد السّلف: «أُنزِل القرآن لتعمَلوا به فجعلتم قراءته عملًا»، وعادة قراءة القرآن في رمضان أمر حَسن، ولكنّ الإشكاليّة في الابتعاد عن تأمُّله وتدبُّره، وتَصُوُّر أنَّ الحسنات في قراءته فقط، وبعدد قراءة الحروف.

والختمات في ظفار تبدأ من الثّاني عشر من رمضان، وهي أشبه بالأفراح، واختير البدء من الثّاني عشر لارتباط ذلك بمساجد معينة قديمًا، حيث تُقام اليوم في هذا المسجد، وغدًا في مسجد آخر، وكان أهل هذه المنطقة يخرجون إلى منطقة أخرى ليشاركوا إخوانهم، إذ يُقرأ – كما أسلفنا – في الصّلاة أو بعدها من الضّحى فما بعد، وبعد الوِتر تكون الخَتمة، وتتخلَّلها التّواشيح بنغمات رمضانيّة معينة، ويقرؤون دعاء الفصول المنسوب لزين العابدين (ت 95هـ)، وفيها إطعام الطّعام مع التّزاور.

وبيّن أنَّ صلاة التّهجّد جماعة غير منتشرة في ظَفار إلّا في مساجد قليلة جدًّا، وفي العَشَر الأواخر.

ويرى أنّه لا بدّ من التّوازن بين التّعبّد الجماعي والتّعبد الفردي، بحيث يجعل الإنسان لنفسه نصيبًا للخلوة مع الله مع التّأمل والتّفكر، ونحن نعيش التّدين الاجتماعيّ بشكل كبير، ممّا يؤثر في القوانين، فمثلًا، تحرّم القوانين المجاهرة بالإفطار مع أنّ الشّريعة ذاتها أباحت ذلك في حالات معينة، فيُترَك أمر الإفطار للذّائقة والتّربية الذّاتية، ولا داعي إلى الملاحقة والمتابعة القانونيّة.

وأخيرًا كان الحديث حول أنَّ محاضرات رمضان ينبغي أنْ تنفتح على الشّباب وتجيب عن تساؤلاتهم، ولا تقتصر فقط على الوعظ الدّينيّ، مع تعميق دائرة الحوار المسجديّ.

بعدها انطلقنا إلى جبل سَمحان بصحبة الحبيب سالم المشهور، وأخيه فيصل، وقريبهم أحمد باعمر، ثمّ لحق بنا الأستاذ محسن آل حفيظ لأنّه من أهل مِرباط، وجبل سمحان قريب منهم، فكان سفير الرّحلة وموجهًا لنا.

بداية مررنا في الأسفل بوادي دربات، وحوله بحيرة ماء كبيرة، وتحوي شلالات مائيّة في الخريف، وهناك يباع بعض الفواكه من قبل المتجولين البنجاليّة. ووجدنا أسرة إيطاليّة تعمل في دبي، وجاءت إلى صَلالة للسّياحة، وتبادلنا بعض الحديث، وشاركونا في أكل الفاكهة، وأخبرونا أنَّهم يتردّدون دائمًا على عُمان وصَلالة، ويعشقون طِيبة الشّعب العُمانيّ وطبيعة البلد.

بعدها صعدنا إلى جبل سَمحان، وهو كما جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا: «أحد الجبال الشّاهقة في شبه الجزيرة العربيّة... وهو الجزء الشّرقيّ من سلسلة جبال ظَفار، تتقاسمه إداريًّا ولاية سَدح وولاية مِرباط... ويعتبر من أهم السّلاسل الجبليّة في ظَفار».

وفي هذا الجبل ترى طبيعة الإنسان الجباليّ، والّذين يُسَمَّون بالجباليّة، وهم أناس أشدّاء، لم يتأثروا بليونة المدن ومدنيَّتها، مع الانفتاح المعاصر، ولهم لغتهم الجباليّة أو اللّغة الشّحريّة، وهي من لغات اللّسان العربي القديم، كما تجد صفاء الجو، وجمال الطّبيعة، وقد شقّت الدّولة مشكورة الطّرق في هذا الأماكن الصّلبة.

وأهل الجبل يقدّسون الحيوانات ويحترمونها خصوصًا الإبل والبقر، فللبقر قبائل وسلالات وأسماء معروفة مثل اقزحيت، وكذلك الإبل ومن أشهرها امجناع واعنبير وأطيب، يزينونها بالذّهب؛ وللحيوانات - خصوصًا البقر - حريتها في الرّعي والتّنقل، وأهل الجبل عمومًا رعويّون وليسوا زراعيين، والكهرباء عندهم بمقابل، أمّا الماء فبسعر رمزيّ جدًّا.

ثمّ وصلنا إلى جبل حيور السّياحيّ، وهناك لوحة مكتوب فيها أنّه «فُتِح في عهد جلالة السّلطان قابوس بن سعيد المعظم؛ حفظه الله ورعاه. وقد تمّ افتتاحه تحت رعاية سعادة الشّيخ سالم بن سهيل زيدي تبوك والي مِرباط، وذلك يوم الإثنين 23 ربيع الأول 1437هـ، الموافق 4 يناير (كانون الثاني) 2016م، هذا المشروع بتمويل من شركة صَلالة للميثانول ضمن برامج المسؤولية الاجتماعيّة التّابعة لها». وقيل لنا: في هذا المكان وفي بعض الأوقات من العام تظهر النّمور وهي حيوانات مفترسة.

ثمّ بعد ذلك ذهبنا إلى صلاتَي الظّهر والعصر في أحد المساجد بالجبل، وصلّى بنا الأستاذ كمال اللّواتي، وصلّينا خلفه، ثمّ رجعنا إلى صَلالة لنتغدى في أحد المطاعم الشّاميّة أو التّركيّة القريبة من النُّزُل، لنستعدّ للذّهاب إلى منزل الحبيب سالم المشهور لتسجيل حلقة رمضانيّة مع الحبيب علوي الكاف، وحضور صالون الحبيب سالم الثّقافيّ كما سنرى.

• الذّهاب إلى صالون الحبيب سالم المشهور الثّقافي وتسجيل حلقة مع الحبيب علوي الكاف

بعد زيارتنا لجبل سمحان رجعنا إلى نُزُل النّيل في صَلالة، فذهبنا إلى النُّزُل لأخذ قسط من الرّاحة ولحق بنا الحبيب فيصل المشهور لنذهب إلى مطعم تركي قُرب النُّزُل لتناول وجبة الغداء، وعندهم – كما رأينا سابقًا وكما يظهر لنا – أنَّ تأخير الغداء حتى بعد العصر أمر طبيعيّ، وهذا سابقًا يسمى العشاء، وقيل: إنَّ الغداء عند العرب من الغداة أي من شروق الشّمس وحتى زوالها،

فهو بمثابة الفطور اليوم، والعَشاء من العَشيّ من بعد الظّهر حتى غروب الشّمس، فهو بمثابة الغداء اليوم، فكانت لهم وجبتان، ولهذا جعلوا قوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (المائدة/ 89)، أي الوسط بمعدّل وجبتين في اليوم، ولا زالت بعض الأقوام الأخرى في الغرب - حسب علمي - تقتصر على وجبتين رئيستين في اليوم، وقت الصّباح ووقت المساء، ولعلّ طبيعة اللّيل وقصره، والنّهار وطوله لها تأثير في ذلك.

وأدركنا هنا في داخل عُمان الغداء قبل الظّهر، ولهذا كانوا يُقيلون عند الزّوال، وتفتح الأسواق ظهرًا، وقيل: كان العرب يُقيلون في الظّهيرة كما جاء في رواية مسلم (ت 261هـ) من طريق سهل بن سعد (ت 91هـ): «ما كنّا نُقيل ولا نتغدّى إلّا بعد الجمعة في عهد النّبيّ ﷺ»، ولعلّ رواية سهل مخصوصة بيوم الجمعة.

وكذا العَشاء كان في السّابق قبل المَغرب، أو بعده مباشرة، وكانوا يؤخّرون صلاة العِشاء؛ ليتمكّن النّاس من السّمَر وقضاء حوائجهم، ولأنّ العديد منهم يكره السّمَر والسّهَر بعد العِشاء، وهذا لطبيعة الحياة يومها، وإن كان ما يفعلونه أقرب إلى الحفاظ على الصّحة والجانب النّفسيّ.

شاركَنا الغداء الحبيب علويّ الكاف، وكان عبارة عن «مشاوي» بأنواعها، ثمّ ذهبنا لأداء صلاتَي المغرب والعِشاء، وذهبْتُ أنا والحبيب علويّ إلى المسجد القريب من النُّزُل، فجمعت الصّلاتين، لكنَّ الحبيب لم يفعل لأنّه مقيم وليس مسافرًا.

وبعدها تقدّمتُ الإخوة إلى بيت الحبيب سالم المشهور لتسجيل الحلقة مع الكاف، وسُجِّلَت يوم 16 رجب 1440هـ يوافقه 31 مارس (آذار) 2019م، في السّاعة الثّامنة والنّصف مساء، وبُثَّت يوم الخميس 18 رمضان 1440هـ يوافقه 23 مايو 2019م في قناتنا اليوتيوبيّة (أُنْس) من برنامج حوارات الحلقة 36 بعنوان: ذكريات رمضان في ظَفار.

وتحدّث الكاف في البداية عن أنَّ ذكريات رمضان تعود إلى بلدة مِرباط، في زمن لا يوجد فيه كهرباء، ولا توجد مُلهِيات كما هو الآن، إذ كان يوجد الرّاديو فقط، وكان النّاس يعيشون على الفانوس ويسميه البعض (التريج) و(المسردة) أي الشّمعة، وكانت النّاس متقاربة، والمساجد متواضعة. يقول: كنّا نعرف بدخول شهر رمضان عن طريق بَرْقيّة يرسلها موظفو مكتب الوالي أو نوابهم من خلال لجنة الرّؤية في صَلالة، فعندما يُقِرُّه القضاة تأتي البرقيّة إلى باقي المناطق ومنها مرباط، وكان من القضاة جدّي عبد الرّحمن الكاف، والشّيخ عامر بن عليّ وغيرهم، ولمّا بدأت الإذاعة العُمانيّة أصبحنا نعرف عن طريق المذياع، وكان الموضوع حينها سهلًا، والنّاس بأنفسهم يتحرّونه ويرونه.

ويبدؤون رمضان بالمُشاهرة والنّية، والمشاهرة تكون في أول شهر رمضان، وهي التّهنئة، وفي السّابق كانوا يَطْلعون فوق منارة المسجد ويرحِّبون برمضان، وقد يجتمعون في المسجد ويرحّبون بالشّهر، ويقولون: مرحبًا يا رمضان، شهر البركة والإحسان، والقَبول والغفران.

وأمّا النّية فتُعْقد عند المغرب بعد وصول الخبر يقولون: نويْت أصوم غدًا من شهر رمضان لله تعالى، حيث في أول يوم كان المعلم أو الإمام يلقّن النّاس،

وبعضهم يُعيدها بعد التّراويح من باب التّذكير، قلتُ: وعادة النّيّة وتلقينها موجودة عندنا في المجتمع الإباضيّ حتى وقت قريب جدًّا.

وكان الطّعام حينها المحلبيّة (الكاستر)، والشّربة، ثمّ ظهرت عن طريق السّوق اللّقيمات، وبعضهم يشتري حلوى الزّلابيّة، وكنا نحلم بهذه الأطعمة؛ لأنّنا لا نجدها إلّا في رمضان، وما كلّ النّاس حينها يستطيع شراءها، وكانت المساجد حينها قليلة، وكان الفطور يتمّ في المسجد، وكانوا يقتصرون على التّمر واللّقيمات واللّبن أو الحليب من الجبل مع الماء، والسّحور يتناوله كلٌّ في بيته، ويكون عادة السّاعة الثّالثة فجرًا.

ومن عادة النّاس حينها أنّهم يسهرون في رمضان ويَكثُر اللّعب كلعبة الورق، وأحيانًا الكُرة، ومن عادتهم التّزاور بعد التّراويح؛ وعادتهم في التّراويح تتشابه مع أهل حَضْرَمَوْت، بما في ذلك الصّلاة، وعادات أهل ظَفار جاءت من حَضْرَمَوْت، لكنّها تأثرت حاليًّا بسبب بعض التّيارات السّلفيّة الّتي تراها بدعة، فأصبحت أغلب المساجد لا تصلّي عشرين ركعة، فيُصلُّونها حاليًّا ثماني رَكَعات، ولا يلتزمون بالعادة السّابقة في القراءة وإنّما ما تيسّر من القرآن، وتُرِكت الأذكار بين الرّكعات، وتُرِكت المصافحة، وكان من عادات أهل ظَفار المصافحة بعد الفجر والعصر (والتّراويح في رمضان)، وبعد الفجر والعصر في غير رمضان، واعتبرها ابن بطوطة (ت 779هـ) من العادات الحسنة في أهل ظَفار. قلتُ: وعادة المصافحة بعد الفجر والعصر، وكذا بعد التّراويح موجود عندنا في الدّاخل، وترك الأغلب المصافحة بعد الفجر والعصر، أمّا بعد التّراويح فلا زالت باقية، والإباضيّة في المشرق جرى العمل عندهم على أن

يُصلّوا التّراويح ثماني رَكَعات كصلاة اللّيل، وعند المغاربة يصلّون عشرين ركعة.

ويقول: وكانوا يؤخّرون صلاة العشاء، ويصلّونها تقريبًا السّاعة التّاسعة، فيؤخّرون الأذان ساعة كاملة، وصلاة التّراويح سابقًا - كما أسلفنا – كانت في جميع المساجد عشرين ركعة، ركعتين ركعتين، يقرؤون في الرّكعة الأولى الفاتحة والتّكاثر، وفي الرّكعة الثّانية الفاتحة والصّمد، وهكذا ينزلون؛ لأنّه بعد (ألهاكم) عشر سور مع الصّمد يكرّرونها عشر مرات، وأمّا في الوِتر وفي الشَّفع فيقرؤون بعد الفاتحة الأعلى في الأولى، والكافرون في الثّانية، والوِتر ركعة، ويتخلل الرّكعتين من التّراويح ذِكر الله، والصّلاة على النّبيّ، والتّرضّي على الخلفاء الرّاشدين الأربعة، ثمّ عموم الصّحابة، وبعد الوِتر توجد أذكار بداية من الاستغفار والصّلاة على النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ثمّ دعاء خفيف كسؤال الجنّة والنّجاة من النّار ثلاث مرات، وسؤال العفو والمغفرة ثلاث مرات، ثمّ نفتح الفاتحة للأحياء والأموات، ثمّ المصافحة.

قلتُ: والعادة مشابِهة لما في الدّاخل، إذ يُصلّون أربعًا، يفصلون بين كلّ ركعتين بالسّلام، إلّا أنّهم كانوا يراوحون بين الأربع، وكان من عادتهم قديمًا صلاة سنّة العِشاء جماعة ثمّ تُرِكَت، ويُصلّونها فُرادى، وهو المعمول به الآن، ويُطيلون الدّعاء بعد الوِتر، ويكتفون في التّراويح بالسّور القصار من جزء عَمَّ.

ويقول: والقُنوت يكون في النّصف الثّاني من رمضان، والقُنوت قصير جدًّا وهو قُنوت صلاة الفجر نفسه، ولا يوجد التّهجد في جماعة حينها، وفي رمضان كلّ ليلة جمعة يُصلّون زيادة على العشرين ركعة صلاة التّسابيح في أربع

رَكَعات جماعة، وصلاة التّسابيح أن تنوي أربع رَكَعات، ومنهم يبدأ بالقراءة ثمّ يسبّح: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، وبعضهم يبدأ بالتّسبيح بعد تكبيرة الإحرام خمس عشرة مرة، ثم يَقرأ الفاتحة وسورة، وفي الرّكوع بعد تسابيح الرّكوع يسبّحون بمثلها عشر مرات، وكذا بعد الاعتدال من الرّكوع وفي السّجود وما بين السّجدتين.

والختمة في رمضان تبدأ من 14 رمضان في مسجد عقيل، ويقوم المصلّون المواظبون أو المُعلّم، حيث يقرأ القرآن بنفسه حتى يصل إلى الضّحى، وفي التّراويح يقرأ في الصّلاة من الضّحى إلى النّاس، وبعد الصّلاة يقرؤون دعاء ختم القرآن لزين العابدين بن الحسين بن عليّ (ت 95هـ)، وتتخلّله الصّلاة على النّبيّ وأدعية أخرى، ثمّ قصائد في وداع رمضان، وهكذا ينتقلون من مسجد إلى مسجد.

ولا يوجد في ظَفار عادة القرانقشوه أو القريقعان، لكن يوجد في منتصف شعبان ما يسمى بالشّعبانيّة، وفيها يقرؤون سورة يس كلّ واحد بنيته، ثمّ يقرؤون دعاء مأثورًا، وبعضهم في هذه اللّيلة يصلّي صلاة التّسابيح.

وليلة السّابع والعشرين من رمضان لم يكن لها سابقًا مِيزة، إلا أنّها تُصادف بعض الختمات، وأمّا اليوم فيعتكف البعض في المساجد، والاعتكاف في المذهب الشّافعي مجرد المَكْث لا يُشترط فيه الصّيام ولا تحديد المدّة، فيصح ولو للحظة، فبعضهم يعتكف من الظّهر وحتى العصر، وبعضهم من العصر حتى المغرب، والاعتكاف لم يكن ليوم كامل.

قلتُ: أرى مذهب الشّافعي في الاعتكاف هو الموافق لظاهر القرآن، وذكرتُ ذلك في كتابي أيام رمضان في ليلة (الثّامن والعشرون)، حيث قلت فيه: « فالاعتكاف في القرآن بمعنى الملازمة الكثيرة، أمّا حَدُّهُ بالاعتكاف الحالي؛ فلم يرد في كتاب الله تعالى، ويحتاج إلى دراسة بحثيّة في تطوّره وتدرجه».

وقال: في السّابق كانوا يقرؤون كتاب اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان، لأحد علماء الأحساء، كان مرتبًا على ثلاثين درسًا، فيه وعظ وسَجَع ويشمل أحكام رمضان، وهم يقرؤون كلّ يوم درسًا بعد العصر، وأحيانًا يقرؤون رياض الصّالحين، وأحيانًا قليلة حلقات القرآن للأطفال.

قلتُ: لعلّ أستاذنا يقصد كتاب عقود اللؤلؤ والمرجان في وظائف شهر رمضان وهو للشّيخ إبراهيم بن عبيد آل عبد المحسن (ت 1425هـ/ 2004م)، وهو من علماء القَصيم وليس الأحساء من بُرَيْدة، إلا إذا كان يقصد كتابًا آخر، وألّف ابن عثيمين (ت 2001م) مجالس شهر رمضان في ثلاثين مجلسًا، ولعائض القرني (معاصر) دروس المسجد في رمضان في ثلاثين درسًا. ولمّا كنتُ واعظًا في وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة قدّمتُ مشروعًا لكتاب مجالس رمضان، فتمّت الموافقة عليه، فكتبناه بمشاركة وعّاظ الوزارة لكلّ واعظ ثلاثة مجالس، وطُبع في رمضان 2010م، ولي كتاب (أيام رمضان)، حيث تأملتُ في آيات الصّيام في سورة البقرة (183-187) فوجدتها ثلاثين جزءًا بِعَدد أيام رمضان.

ويواصل: وفطرة الأبدان تخرج في الأيام الأخيرة، وعندنا في الشّافعيّة جواز إخراجها من أول رمضان، وكنّا في السّابق نُخرجها طعامًا، من الرّز على غالب قُوت البلد، «كيلوين وربع»، أمّا الآن فالأغلب إخراجها نقدًا.

وأخيرًا يقول: وإذا أُعلِن عيد الفطر فإنّ النّاس يستبشرون ويفرحون، ويُهنِّئ بعضُهم بعضًا بإكمال الشّهر، ولا ينامون اللّيل من الفرح، ويذهبون للشّراء، وكانت المحلات محدودة، وفي الصّباح يذهبون إلى المسجد وهم يكبّرون الله تعالى، ولا يُشتَرط أن يكون اللّباس جديدًا، وكما توجد في بدايته المُشاهرة أيضًا فإنَّ في نهايته الموادعة، يقولون: الوداع يا رمضان، وكان النّاس يبكون لوداعه.

وأثناء تسجيل الحلقة وصل الإخوة عدا الأستاذ كمال اللّواتي لأنه على موعد آخر، واستأذن الحبيب علوي الكاف لصلاة العشاء، وسنتحدّث عن الصّالون الّذي سيكون عن آية القِوامة والضّرب في سورة النّساء كما سنرى.

• جلسة آية القوامة والضّرب في سورة النّساء

بعد تسجيل حلقة ذكريات رمضان في ظَفار مع الحبيب علويّ الكاف كما رأينا سابقًا، هنا استأذن الكاف لصلاة العشاء، وحضر الأساتذة: عبد الله العليّان، وأحمد النّوفلي، وسعيد المعشني، ومحسن آل حفيظ، والحبيب أحمد باعلويّ، بجانب الحبيب سالم المشهور، ثمّ لحق بعض الإخوة من أقرباء الحبيب سالم، وحضر أخوه الحبيب فيصل على فترات متقطعة، وفي آخر الجلسة أدركَنا علوي الكاف بعد رجوعه من الصّلاة.

وفي صالون الحبيب سالم المشهور يتناولون قضايا تتعلّق بالشّأن الدّيني والفكري، وأخيرا يتناولون قضايا التّفسير، ورأيناهم بعد قراءة الآية، يتناقشون حولها من خلال تَفْسيرَي: مفاتيح الغيب أو التّفسير الكبير للإمام فخر الدّين الرّازي (ت 606هـ)، وتفسير المنار لمحمّد رشيد رضا (ت 1935م)، وأصل التّفسير للإمام محمّد عبده (ت 1905م)، وقلت في كتابي (الجمال الصّوتي) ص: 135: «إنّ رشيد رضا خلّد دروس الإمام في التّفسير، وقام بتحريرها حتى الآية 125 من سورة النّساء، ثمّ واصل رشيد رضا التّفسير حتى وصل إلى سورة يوسف، وأتمّ البيطار (ت 1976م) سورة يوسف، وجمّع هذا التّفسير باسم المجلّة - أي المنار- كما أنَّ (رشيد رضا) اشتُهِر باسم صاحب المنار».

وتوافق وجودنا مع نقاشهم لآية القِوامة والضّرب أي الآية (34) من سور النّساء، وافتتح الحبيب سالم المجلس مرتِّلا الآية: **﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾**.

ثمّ بدأ بذِكْر بعض ما ذكره الفخر الرّازي في تفسيره: «اعلم أنه تعالى قال: **﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾** (النّساء: 32) وقد ذكرنا أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ النّساء تكلَّمن في تفضيل الله الرّجال عليهِن في الميراث، فذكر تعالى في هذه الآية أنّه إنّما فضّل الرّجال على النّساء في الميراث؛ لأنَّ الرّجال قوّامون على النّساء، فإنّهما وإن اشتركا في استمتاع كلّ

واحد منهما بالآخر، أمر الله الرّجال أن يدفعوا إليهنّ المَهر، ويُدِرّوا عليهِنّ النّفقة فصارت الزّيادة من أحد الجانبين مقابلة بالزّيادة من الجانب الآخر، فكأنّه لا فضل البَتّة».

ويقول أيضًا: «واعلم أنّ فضل الرّجل على النّساء حاصل من وجوه كثيرة، بعضها صفات حقيقيّة، وبعضها أحكام شرعيّة، أمّا الصّفات الحقيقيّة فاعلم أنّ الفضائل الحقيقيّة يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العِلم، وإلى القدرة، ولا شك أنَّ عقول الرّجال وعلومهم أكثر، ولا شك في أنَّ قدرتهم على الأعمال الشّاقة أكمل، فلهذين السّببين حصلت الفضيلة للرّجال على النّساء في العقل والحزم والقوّة، والكتابة في الغالب والفروسيّة والرّمي، وأنَّ منهم الأنبياء والعلماء، وفيهم الإمامة الكبرى والصّغرى والجهاد والأذان والخطبة والاعتكاف والشّهادة في الحدود والقصاص بالاتّفاق، وفي الأنكحة عند الشّافعي رضي الله عنه، وزيادة النّصيب في الميراث والتّعصيب في الميراث، وفي تحمل الدّية في القتل والخطأ، وفي القَسامة والوِلاية في النّكاح والطّلاق والرّجعة وعدد الأزواج، وإليهم الانتساب، فكلّ ذلك يدل على فضل الرّجال على النّساء».

وقال أيضًا: «والسّبب الثّاني لحصول هذه الفضيلة: قوله تعالى: ﴿**وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ**﴾ يعني الرّجل أفضل من المرأة؛ لأنَّه يعطيها المهر وينفق عليها».

وقال الرّازي حول الضّرب: «قال الشّافعي رضي الله عنه: والضّرب مُباح وتركُه أفضل، رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: كنّا مَعاشر قريش تملك رجالُنا نساءهم، فقَدِمنا المدينة فوجدنا نساءهم تملك رجالهم،

فاختلطت نساؤنا بنسائهم فـذَئِرْن على أزواجهـنّ، فـأذن في ضـربهنّ، فطـاف بحِجر نساء النّبيّ ﷺ جمع من النّسوان كلّهنّ يشكون أزواجهنّ، فقال ﷺ: لقد أطاف اللّيلة بآل محمد سبعون امرأة كلّهنّ يشكون أزواجهنّ، ولا تجدون أولئك خياركم، ومعناه أنّ الّذين ضربوا أزواجهم ليسوا خيرًا مِمّن لم يضربوا، قال الشّافعي رضي الله عنه: فدلّ هذا الحديث على أنّ الأولى ترك الضّرب، فأمّا إذا ضربها وجب في ذلك الضّرب أن يكون بحيث لا يكون مفضيًا إلى الهلاك البتة، بأن يكون مفرقًا على بدنها، ولا يوالي بها في موضع واحد، ويتّقي الوجه لأنّه مجمع المحاسن، وأن يكون دون الأربعين، ومن أصحابنا من قال: لا يبلغ به عشرين لأنّه حدّ كامل في حق العبد، ومنهم من قال: ينبغي أن يكون الضّرب بمنديل ملفوف أو بيده، ولا يضربها بالسّياط ولا بالعصا، وبالجملة فالتّخفيف مُراعى في هذا الباب على أبلغ الوجوه».

ويقول: «وأقول: الّذي يدلُّ عليه أنّه تعالى ابتدأ بالوعظ، ثمّ ترقى منه إلى الهِجران في المضاجع، ثمّ ترقى منه إلى الضّرب، وذلك تنبيه يجري مجرى التّصريح في أنّه مهما حصل الغرض بالطّريق الأخفّ وجب الاكتفاء به، ولم يَجُز الإقدام على الطّريق الأشق والله أعلم».

وعقّب الحبيب سالم المشهور على كلام الرّازي بقوله: ميزة الإمام الرّازي الرّبط بين الآيات ليعطي فهمًا متكاملًا، ويقول أحد المتصوّفة: «القرآن كلّه جملة واحدة»، قال عبد الله العليان: يرى محمّد عابد الجابري (ت 2010م) أنَّ القرآن يفسّر بعضُه بعضًا.

وحول التّفضيل يقول سالم المشهور: التّفضيل مقابل التزامات وواجبات ماديّة واقتصاديّة، ورعاية اجتماعيّة شاملة، وظروف المجتمع القديم لا تتناسب إلا مع هذا التّفضيل، ويرى النّوفلي أنَّ التّفضيل في آية القِوامة لمّا قال القرآن: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ليس بالشّريطة فيها إشارة إلى آية الميراث وإنَّما إلى اختلاف النّاس في طبائعهم من موقف إلى موقف، ومن حياة إلى حياة، ومن زمن إلى زمن، بما فضّل الله بعضكم على بعض، وأحيانًا النّساء أفضل من الرّجال، وأحيانًا الرّجال أفضل من النّساء، فمن الصّعب حصر القرآن في زمن وموقف واحد، ومثله اليوم المرأة تكون وزيرة، وتكون قاضية في بعض الدّول، ويرى أيضًا أنَّ التّفضيل اليوم لا يقتصر على الجانب الأُسري، بل أصبح أكثر اتّساعًا كالجانب المجتمعي والوظيفي مثلًا، قال المشهور: ذهب أبو حنيفة (ت 150هـ) إلى جواز تولّي المرأة القضاء.

وعقّب المشهور على كلام الرّازي: «أمّا الصّفات الحقيقيّة فاعلم أنّ الفضائل الحقيقيّة يرجع حاصلها إلى أمرين: إلى العلم، وإلى القدرة، ولا شك أنّ عقول الرّجال وعلومهم أكثر»، حيث يرى أنّ كون المرأة غير متعلّمة هذا ظرف اجتماعيّ وليس شرعيًّا، واستَشهد برواية ضعيفة صيغت لملاءمة هذا الظّرف: «لا تُعَلِّموهنّ الكتابة، ولا تُسكِنوهنّ الغُرف، ولا تُحَفِّظوهنّ سورة يوسف، وحَفِّظوهنّ سورة النّور».

وحول كلام الرّازي: «ولا شك أنّ قدرتهم على الأعمال الشّاقة أكمل» عقّب المشهور: جَعْل القوّة أفضليّة فيه تجوّز، ويريد المشهور أنّ هذا أقرب

إلى الجانب التّكويني، وقد يكون الرّجل أكمل في جوانب، والمرأة أكمل في جوانب أخرى، فالمسألة تكامليّة، ولهذا عقّبتُ على كلامه في الجلسة بقولي: لا يوجد تناقض في كلام الرّازي لأنّه يتحدّث عن الحقيقة التّكوينيّة، فلا يوجد تفاضل من حيث الأصل، ولكن يحدث التّفاضل من حيث الكسب والقدرة بين الجنسين. ويرى العليان: القوامة تعني المسؤوليّة، وذلك لأنّ طبيعة المرأة ضعيفة، فمثلًا لو حدث هجوم نقف مع المرأة لضعفها، ويرى النّوفلي أنّ القِوامة في زمن النّزول كانت بيد الرّجل، بينما نجد في بعض الأسر الآن أنّ المرأة من تقوم بالقوامة على البيت كاملًا بما فيه الزّوج.

وتساءل النّوفلي هل يقتصر مفهوم الرّجال والنّساء على مفهومنا الحالي لهذين المصطلحين، فقد استخدم القرآن لفظ امرأة في مواضع، ونساء في مواضع أخرى، وورد فيه أيضًا: الرّجال قوّامون بمعنى أنَّ الرّجل من يقوم بالأمر ذكَرًا كان أم أنثى، وعقّبتُ هنا: صحيح المرأة تسمّى رَجُلة لغة، ولكنَّ الله ذكرَ المقابل هنا أي النّساء، وعقّب المشهور أيضًا على كلام الرّازي (وقد ذكرنا أنّ سبب نزول هذه الآية أنّ النّساء تكلَّمن في تفضيل الله الرّجال عليهِن في الميراث) بقوله: سؤال النّساء في نصيبهنّ من الميراث دليل على حرّية التّساؤل، قلتُ: ضاق الحال اليوم بمن يطرح مثل هذه الاعتراضات والتّساؤلات، ومن يتأمَّل كتب التّفسير الأولى يجد الأمر أكثر سَعة.

وتطرق العليّان إلى كرامة المرأة، ففي البادية والعديد من المناطق يُنسب الرّجل إلى أمّه كأن يقال ولد فلانة، قلتُ له: حتى عندنا إلى وقت قريب كان الرّجل يُنسَب حين النّداء إلى أمّه، وفي كُتُب التّراجم يوجد اعتزاز بذِكْرِ أمّ

الرّجل، وأشار العليان أيضًا إلى قضيّة النّفقة بالنّسبة للمرأة؛ ففي الفقه الإسلامي أنَّه ولو كان عند المرأة مال فلا تجب عليها النّفقة، بل لا تجب عليها حتى الخدمة في البيت، وعقّب المشهور بقوله: إنّ رأي الجمهور ومنهم الشّافعيّة خلافًا لابن تيميّة (ت 728هـ) أنّه ليس على المرأة واجب الخِدمة، وعقّب علوي الكاف لاحقًا بقوله: القِوامة قبل أن تكون تشريفًا فهي تكليف؛ لأنّها تترتَّب عليها مسؤوليات كبيرة، ولهذا قال الفقهاء: لو كانت المرأة غنية، ولم تُرِد أنْ تُنْفِقَ على نفسها شيئًا لوجب على الرّجل الإنفاق عليها، وذكر العليان قصّة طريفة في بداية الثّمانينات من القرن العشرين الميلادي في مصر، إذ أصدر السّادات (ت 1981م) قانونًا للمرأة من ضمنها أنّ الشّقة من حقِّ الزّوجة، حتى لو طُلِّقَت فتبقى للزّوجة، والشّيخ الغزالي (ت 1996م) كان يخطُب الجمعة في جامع عُمَر مَكْرَم فقال: قوانين تخرج من تحت السّرير، ويقصد بهذا أنَّ جيهان السّادات (معاصرة) زوجة السادات وراء هذا القانون، فغضب السّادات على الغزالي وطرده، فذهب إلى السّعوديّة ثمّ الجزائر، ويرى المعشني أنّ لكلّ مجتمع خصوصيّة، ففي بعض المناطق في أوروبا تأخذ المرأة نصف أجر الرّجل، وهذا يتنافى مع المساواة؛ والإشكاليّة أنَّ الأمر عندما يتعلق بالغرب وقراراته يصبح مقبولًا، ولهذا فنحن نَنْقلب على القرآن نفسه لنرضيَ الآخر.

وفي قوله تعالى ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ يرى المشهور أنّ الله لم يَقُل: واللّاتي يَنْشُزْنَ؛ وإنّما قال واللّاتي تخافون...، يعني مجرد الخوف من النّشوز، والمهمُّ هنا ما هو النّشوز؟، فهل هو مجرد امتناع المرأة عن الجِماع، وإلى أيّ

مدى تكون طاعة المرأة لزوجها؟ هل هي طاعة مطلقة أم هي فيما يترتَّب عليه من حقوق للزّوج فقط، كما يرى محمّد حسين فضل الله (ت 2010م)، ومثاله سابقًا صوم النّفْل الذي لا يَصِحُّ إذا كان فيه تفويتٌ لحقّ الزّوج.

وحول الهَجْر ذَكَر المشهور أنّ (رشيد رضا) يرى الهَجْر ضَرْبًا من ضروب التّأديب، ويرى ابن جرير الطّبريّ (ت 310هـ) أنّ الهَجْرَ هو التّقييد، من هَجْرِ البعير أي شَدُّهُ بالهِجار وهو القيد، ويُعَقّب المعشني: ما دُمْتَ تَقَبَّلْتَ فكرة الضّرب فمن بابِ أولى أن تتقبل الرّبط أو القَيْد.

وأمّا بالنّسبة للضّرب فذَكَر الرّازي عن الشّافعي قوله (ت 204هـ) «والضّرب مُباحٌ وتركُهُ أفضل»، قال المشهور: منهم من قال أن يكون الضّرب بمنديل ملفوف أو بيده، ولا يضربها بالسّياط أو العِصى، ويرى في نظره أنَّ (واضربوهنّ) يحتوي هذه الخيارات المتعدّدة حسَب ثقافة المجتمع، فالأمر للإباحة، وعقّب المعشني بقوله: الأصل في الأمر للوجوب أو النّدْب، وقلّما يندرج إلى الإباحة، وقلتُ: وقيل أيضًا الضّرب بالخُوص، قال النّوفلي: وقيل الضّرب بالسِّواك، إلا أنّه يرى أنّ آراء الفقهاء لا تُهيمن على القرآن وإنّما العكس.

وذكر العليّان أنّه في ظَفار من العيب ضرب المرأة، ويُعتبر من الكبائر، قال النّوفلي: الشّيخ أبو الحسن البسيوي (ت ق4هـ) والشّيخ سعيد بن خلفان الخليليّ (ت 1287هـ) فسّرا الضّرب بمعنى القول الغليظ، ويقول أيضًا: الضّرب يرجع إلى اللّغة، وفي اللّغة يأتي بمعانٍ كثيرة، مثل ضَرْب الأمثال، وبمعنى الأكل، ويدخُل فيه اليوم ضَرْب الهاتف، وقال، أي النّوفلي: كنتُ

سابقًا معجبًا برأي عبد الحميد أبو سليمان (معاصر)، وهو سعودي، له كتاب «أزمة العقل» وكتاب «إرادة المسلم»، وله كتيّب صغير اسمه (ضَرْبُ المرأة)، فلمّا ذهبتُ إلى دار الفكر وجدت الكتاب مقلوبًا، فسألته: لماذا الكتاب مقلوب؟ فقال: إنَّ النّساء لمّا يمْرُرْنَ فيرين الكتاب يقلبنه؛ لأنّهنَّ يقرأْن عبارة ضَرْب المرأة فيقلبْن الكتاب، قلتُ: هنّ لم يقرأْن الكتاب، والكتاب يُدافع عن حَقِّهنّ، حيث يرى الضّرب بمعنى الهَجْر، أي هَجْر المنزل، فيرى الهَجْر الأوّل هَجْر الفراش أي يعطي المرأة ظَهْرَه، والضَّرب هَجْر المنزل كاملًا، ولكنْ في نظري لو أراد القرآن ذلك لأتى بلفظة الهَجْر بدلَ الضَّرْب، ويُضيف النّوفليّ أيضًا: في كتاب (السّنّة الوحي والحكمة) لخميس العدوي وخالد الوهيبي وزكريا المحرّمي (معاصرون) ناقشوا قضيّة الضّرب، وخَلصوا إلى أنّ الضّرب هو ضرب الحُلول، ويرى النّوفليّ أنَّ هذا أقرب الأقوال وأصحّها؛ لأنّ القرآن هُنا عرض العِظة والهَجْر كأمثلة، وأنت مُخَيَّر في البحث عن حلّ مناسب، واستشهد بأنّ النّبيّ – ﷺ – لم يضرب امرأة ولا طفلًا إلّا أنْ يُجاهد في سبيل الله، وهذا هو التّطبيق العملي لسنّة النّبيّ، وأضاف المشهور: مع أنّه حدثتْ مُشكلات زوجيّة في حياته - ﷺ – كما في آية التّحريم، وابتعد شهرًا، ولم يَرِد عنه الضّرب، وعقّب المعشني بقوله: لا يحتاج هذا إلى تكلّف، فتؤخَذ الآية على ظاهِرها؛ لأنّ الضّرب ليس فيه مَطْعَن، والضّرب خفيفٌ كما نصّ الفقهاء حتى باليَد، ولو بالغ فيه فإنّ القضاء هُنا يُنصف المرأة، قلتُ: هذه الآيات تَدْرُس ابتداءً: هل الأصل فيها الإطلاق أم الظّرفيّة، فإذا خَلَصنا إلى الثّاني ابتداء لكان في الأمر سَعة من حيث التّعامل ومن حيث التّأويل، ممّا يعطي سَعة

للمُقَنّن، وهنا قلتُ: لو نزل اليوم القرآن في ظَفار فقد تكون بعض الأحكام الملائمة لعصرنا، وعقّب النّوفلي: القرآن جاء عالميًّا وليس مخصوصًا لأحد، ولهذا أرى ضرب الحُلول يختلف من بلد إلى بلد، ومن قانون إلى قانون، أقول: وهذا ما أريده لأنَّ النّص المفتوح يعطي مساحة واسعة للتّأويل، فلمّا نزل نزل مناسبًا لظَرْفِيّته، مع جعله مفتوحًا ونِسبيًّا وليس مُطْلَقًا من حيث الإنزال، وإن بقيَتْ روح النّص وغايته مُطْلَقَة.

وهنا تطرَّقوا إلى تفسير المنار وذكروا منه «**﴿الرّجال قَوّامون على النّساء بما فضل الله بعضَهم على بعضٍ وبما أنفقُوا من أموالِهم﴾** أي: إنّ من شأنهم المعروف المعهود القيام على النّساء بالحماية والرّعاية والولاية والكفاية، ومن لوازم ذلك أنْ يفرض عليهم الجِهاد دونَهّن، فإنّه يتضمّن الحماية لهنّ، وأن يكون حظّهم من الميراث أكثر من حظّهن؛ لأنّ عليهم من النّفقة ما ليس عليهنّ، وسبب ذلك أنّ الله تعالى فضّل الرّجال على النّساء في أصل الخِلقة، وأعطاهم ما لم يُعْطِهِنَّ من الحَول والقوّة، فكان التّفاوت في التّكاليف والأحكام إِثْر التّفاوت في الفِطرة والاستعداد، وثمّ سبب آخر كسبب يدعم السّبب الفطري، وهو ما أنفق الرّجال على النّساء من أموالهم؛ فإنّ المُهور تعويض للنّساء ومكافأة على دخولِهن بعَقْدِ الزّوجيّة تحت رياسة الرّجال؛ فالشّريعة كرّمت المرأة إذْ فَرضَت لها مكافأة عن أمرٍ تقتضيه الفِطرة ونظام المعيشة، وهو أن يكون زوجها قَيّمًا عليها، فجعل هذا الأمر من قَبيل الأمور العُرفيّة الّتي يتواضع النّاس عليها بالعقود لأجل المصلحة، كأنَّ المرأة تنازلت باختيارها عن المساواة التّامة، وسمحت بأن يكون للرجل عليها درجة واحدة

هي درجة القِوامة والرّياسة، ورضيت بعِوَضٍ ماليٍّ عنها، فقد قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عَلَيْهِنَّ بالمَعْروفِ وللرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾. ويقول في الضّرب: «إنّ مشروعية ضرب النّساء ليست بالأمر المُستَنْكَر في العقل أو الفِطرة، فيحتاج إلى التّأويل، فهو أمر يحتاج إليه في حال فساد البيئة وغَلَبَة الأخلاق الفاسدة، وإنّما يُباح إذا رأى الرّجل أنّ رجوع المرأة عن نشوزها يتوقَّف عليه، وإذا صَلحتْ البيئة، وصار النّساء يَعْقلن النّصيحة، ويستجبْن للوعظ، أو يزدَجِرْن بالهَجر، فيَجب الاستغناء عن الضّرب».

وعقّب المشهور بقوله: الإمام محمّد عبده مع انفتاحه، وعلى الرغم من أن له نظرات تجديديّة جريئة، إلا أنّنا نجده في موضوع ضرب المرأة في جانب محافظ، وفي جانب آخر يُبالغ في التّأويل كما في الطّير الأبابيل والملائكة الموكَلة بالأرزاق، وفي التّعدّد يرى أنه لا يصحّ إلا عن طريق القضاء لظروف حقيقيّة كمرضٍ أو عدمِ إنجاب، ونتائج التّعدد في الصّعيد مخيفة في زمنه، ويرى العليّان: أنّ تأويلات محمّد عبده نتيجة للضّغط الكبير للانفتاح على الغرب بسبب الاستعمار وتأخُّر المسلمين، والغاية حميدة وهي إبعاد الشّبهة عن الإسلام. ومحمّد حسين فضل الله يرى رأي محمّد عبده نفسه، ولا يرى أن يجعل الحلَّ بيد المحكمة؛ فجعل خيارات آخرها الطّلاق، ولا يخرج الأمر من حيِّز الأسرة، ويرى النّوفلي أنّ المُفسّر يتعامل مع القرآن وفق المنهج الّذي تأثّر به مثلًا وهو المنهج الأصولي، وقد يكون متعصبًا لمذهبه، أو متأثّرًا بالبيئة الاجتماعيّة في زمنه، وهذا ما يمكن نفهمه من كلام محمّد عبده حول الضّرب، نتيجة تأثُّره بالبيئة الّتي عاشها.

أقول: ولعلّ ضِيق الوقت لم يُتِح ذكْر جميع كلام محمّد عبده، مع أنّه ذكَر إضاءات جميلة منها قوله: «هذا التّفضيل إنّما هو للجنس لا لجميع أفراد الرّجال على جميع أفراد النّساء، فكم من امرأة تَفْضُلُ زوجها في العِلْم والعَمَل، بل في قوة البُنْية».

وتطرّقوا في النّهاية سريعًا إلى رواية مُقاتِل (ت 150هـ) في سبب نزول الآية في سعد بن الرّبيع بن عَمْرٍو وكان من النُّقباء، وفي امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، «وذلك أنّها نَشَزَت عليه فَلَطَمَها، فانطلق أبوها معها إلى النّبيّ - ﷺ - فقال: أَفْرَشْتُهُ كَريمتي فلَطَمَها، فقال النّبيّ - ﷺ -: لتَقْتَصَّ مِن زوجها، فانصرفَت مع أبيها لتقتصَّ منه، فقال النّبيّ ﷺ: ارجعُوا، هذا جِبرائيل أتاني وأنزل الله هذه الآية، فتلاها النّبيّ ﷺ وقال: أردنا أمرًا، وأراد الله أمرًا، والذي أرادَه الله تعالى خيرٌ»، وحدث جدل بسيط حول الرّواية، وبِغضّ النّظر عن روايات مقاتل بن سليمان، وهو مُتَكَلَّمٌ فيه من قِبل أهل الجَرْحِ والتّعديل، إلا أنّها رواية ظَرفيّة في ذاتها أيضًا.

وبعد الجلسة ذهبنا إلى العَشاء، وكان الوقت متأخِّرًا، ثمّ رجعنا إلى النُّزُل لنستعدَّ لزيارة الحبيب علوي الكاف في بيته للغداء كما سنرى لاحقًا.

- **الذّهاب إلى مجلس الحبيب علوي الكاف**

في الصّباح الباكر استيقظنا مبكِّرين بعد عمل مُجهِد ليوم سَبَقَ، وعمل مجهِد آخر ليوم ينتظرُنا، وهو آخر أيام وجودنا في صَلالة، فتَناولْنا فطورًا بسيطًا، حيث أتيتُ ببعض الشّاي من الخارج، مع الخبز الهنديّ (بَراتا)، والأصل أنْ

نذهب صباحًا إلى ولاية مِرباط، ولكن الإخوة تأخروا إلى ما بعد الظّهر، فأصبحنا كالمُعَلَّقة؛ لأنّ من بيده الأمر لا يردّ على الهاتف، ولعلّهم أُجْهِدوا بعد يوم مُكثَّف، ولعادة أهل صَلالة كما أسلفتُ، يسهرون في اللّيل، فهنا صرنا كالمُعَلقة؛ لأنّنا لا نستطيع الخروج خَشية مجيئهم، ولم ننسق جدولًا آخر لاستثمار الوقت.

كان المقرر في الصّباح عملًا فرديًّا، وخرجتُ قليلًا للمشي ومعرفة المكان أكثر، حتى أذّن الظّهر فصلّينا جمعًا وانتظرْنا، فجاؤوا بعد الثّانيّة ظُهْرًا، وذهبنا إلى منزل الحبيب علوي الكاف، وكان ينتظرنا ومعه الأستاذ عبد الله العليّان، فعاتَبَنا على التّأخير، فاعتَذرْنا لهم متلطّفين للجميع.

وكعادة أهل ظَفار وصَلالة أكرمونا بأنواع اللّحم، وحدثَ نقاش كبير في الجلسة تضمَّن العديد من جدليّة القراءات المعاصرة للنّص الدّيني، وحينها كان الحديث كثيرًا حول قراءات محمّد شحرور (ت 2019م)، خصوصًا فيما يتعلّق بالتّرادف في اللّغة، وبالنّص القرآني، وجدليّة بعض الأحكام المعاصرة، كما تطرَّق المجلس للحديث حول أبي القاسم حاج حَمد (ت 2004م) والمرجعيّة القرآنيّة، وزكي نجيب محمود (ت 1993م)، وأَرَكُون (ت 2010م)، ومحمّد عابد الجابريّ (ت 2010م) وطه عبد الرّحمن (معاصر) وغيرهم.

وأستاذنا العليان له اطّلاع واسع على القراءات المعاصرة، وأصدر كتابًا أسماه: (أكاديميون ومفكرون عرفتهم: قراءات ومحاورات وانطّباعات) ضمّ

ست عشرة شخصيّة من المفكرين والباحثين والكُتّاب، لهم إسهاماتهم في العالم العربيّ والإسلاميّ.

وبعد الغَدَاء حدث جدل في الجدول، الحبيب فيصل المشهور كان يريدنا أن نحضر مناسبة دينيّة في مسجد عقيل بصَلالة، والحبيب علوي الكاف يريدنا أن نكرر الزّيارة لأحمد الخطيب؛ وجدول الصّباح- كما أسلفت- أن يتمَّ الذّهاب إلى مرباط فتأخر، فاستقرَّ التّشاور على الذّهاب إلى مرباط، وإن كنتُ راغبًا بالذّهاب إلى مسجد عقيل وحُضور هذا الطّقس لأكتب عن قرب، ولكن رأي الجماعة أولى.

ومن محادثتي مع الحبيب سالم المشهور، استحضرنا بعض المناسبات الدّينيّة في ظَفار عُمومًا، وصَلالة خصوصًا، وابتدأْنا من مناسبة الهجرة، وعندهم لا يحتفلون بمناسبة الهجرة، وليس لها حضور اجتماعيّ، إلا مع بداية النّهضة الجديدة، حيث جُعِل من رأس السّنة الهجريّة إجازة رسميّة، مع حضورها في خُطَب وزارة الأوقاف. وبعض الوُعَّاظ والأَئِمة المصريين كانوا يُلقُون بعض المحاضرات، وعدم حضور الاحتفاء بهذه المناسبة اجتماعيًّا ليس في ظَفار فقط؛ بل حتّى في حَضْرَمَوْت.

قلتُ: وعمومًا ليس لها حضور حتى في عُمان الدّاخل، واقتصرتْ على الإجازة الرّسميّة وخُطَب الوزارة، وفي الأخير كانت بعض المحاضرات والاحتفالات كذكرى عابرة، وليس كمناسبة اجتماعيّة أو حتى دينيّة.

الذّكرى الأهمُّ في مُحَرَّم هي ذكرى عاشوراء، وتعود في الطّقس الدّيني إلى مناسبتين متناقضتين: الأولى تتضمن الفرح بمناسبة نجاة موسى(ع) من

فرعون، حسب رواية ابن عباس «أنّ رسول الله – ﷺ – قَدِم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فقال لهم: ما هذا اليوم الّذي تصومونه؟ فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا، فنحن نَصومُه، فقال الرّسول: نحن أحقُّ وأولى بموسى منكم، فصامَه وأمر بصيامه».

والذكرى الثّانية تتضمن يوم حزن وبكاء، لذكرى مقتل الحسين بن عليّ وأهل بيته في حادثة الطّفّ في كربلاء بالعراق، من قِبَل جيش يزيد بن معاوية، يوم الجمعة، عام 61هـ.

يرى بعض الشّيعة أنّ الأمويين من اخترعوا صيام عاشوراء ليصرفوا النّاس عن هذه الحادثة، في حين أنه لا يُمانع مَنْ يصوم هذا اليوم أن تجتمع فيه الحادثتان التّاريخيتان، وضعّف أحمد الغامدي من مشائخ المملكة العربيّة السّعوديّة المعاصرين حديثَ (فضلُ صيامِ يوم عاشوراء)، وفي نظري أن رواية اليهود لصيام عاشوراء وارتباطه بنجاة موسى(ع) فيه خطأ تاريخيّ، فاليهود يصومون يوم الغفران، وهذا حتّى عند السّامريين، ويوم الغفران أتى بعدما جسّدوا (يهوه) عِجْلًا جسدًا له خوار، حيث أضلّهم السّامريّ، لمّا كان موسى في الجبل، كما في سِفْر الخروج، الإصحاح 32، وجاء تفصيل هذه الأيام المقدّسة لهم مع ابتداء السّنَة العبريّة الجديدة في سِفر اللّاويين الإصحاح 16، إلا أنّ الّذي كان بعد نجاة موسى كما في سِفْر الخروج الإصحاح 12و 13 عيد الفِصْح، وهو قريب من عيد الأضحى عند المسلمين، ويسمّى عيد القربان، وليس فيه صيام، وأصبح رمزيًّا عند المسيحيين، ويوافق عيد القيامة؛ لأنّ قيامة

المسيح من بين الأموات حسب المُعتقد المسيحي في أسبوع الفِصح، وعندهم صيام قبلَه أربعون يومًا، وبعده تبدأ أيام القيامة بعد انتهاء أسبوع الآلام أي أسبوع الفِصْح فيما يبدو حتى عيد العَنْصَرَة.

والحاصل أنَّ رواية عاشوراء بهذا الخطأ التّأريخي إمّا مكذوبة من أصلها، أو أنّ الرّاوي زاد فيها الخطأ التّأريخي، أو أنّ اليهود كذبوا على النبيّ ﷺ، أو وجود طائفة من اليهود تصوم يوم الفِصْح، وإنْ كان لا يوجد في أدبيّاتهم صيام حسب علمي، وهذا احتمال ضعيف جدًّا.

أخبرني الحبيب سالم المشهور عن وجود عادة قديمة كادت تنقرض، وكانت موجودة إلى عَهْد قريب، وهي عادة دَحْرَجة النّارجيل في يوم عاشوراء، وهؤلاء الذين يقومون بذلك كسائر المسلمين عدا الشّيعة فيصومون العاشر من محرّم استحبابًا وفقًا للرّوايات، وقد يصومون يومًا قبله.

والمجتمع الظَّفاري، بل حتى مجتمع حَضْرَمَوْت مع الامتداد الصّوفي، وحضور آل البيت في العقل الصّوفي، إلا أنّ مسألة كربلاء، أو أربعينيّة الحسين في العشرين من صَفَر ليس لها حضور كما عند الشّيعة الإماميّة، ولعلّ حضورَها وبقاءَها في المجتمع الإمامي؛ لأنّها أصبحت هُوّيّة مذهبيّة تتميز بها الإماميّة، وطبيعيّ الحِفاظ على المذهب بالحفاظ على هُويّاته الانتمائيّة، وكثيرًا ما تتحوّل الزّيادات إلى طقوس وشعائر؛ لأنّها ترتبط بالهُوِيّة أكثر من ارتباطها بالهُويّة الكبرى أي الدّين الواحد الّذي ينتمي إليه الجميع.

وكانت فكرة التّشاؤم في شهر صَفر حاضرة في المجتمع الظَّفاريّ حتى وقت قريب، خصوصًا في آخر الشّهر، وكانوا يُقرون الدعاء لرفع البلاء، وهي

عادة جاهليّة قديمة، ومنها رواية: «لا عدوى، ولا طِيَرة ولا هامَة ولا صَفر»، وفي عُمان الدّاخل كانوا يتشاءمون ما بين العيدين: الفِطر والأضحى، وخصوصًا في شوّال، وأصل هذا في نظري يعود إلى حوادث تحدث في زمن ما، ثمّ يُبنى عليها من الطّقوس والخُرافات.

وأمّا شهر ربيع الأول؛ فمن أكثر الشّهور احتفاء دينيًّا واجتماعيًّا في ظَفار وصَلالة، وعموم منطقة حَضْرَمَوْت، لأنَّه يتضمّن مولد النبيّ ﷺ، ويُحتفى في جميع الشّهر، وبعضهم يُلحق ربيع الثّاني في الاحتفاء، ويحتفون في العشر الأواسط من ربيع الثاني بحَوْليّة للحبيب عليّ بن محمّد بن حسين الحَبَشي باعلويّ (ت 1333هـ) صاحب سِمْط الدّرر، ومؤسّس رِباط الحَبَش في سيئون بحَضْرَمَوْت، ودَرَسَ عنده العديد من أهل ظَفار، ويُعتبر من أهم الرّموز الصّوفية في حَضْرَمَوْت من اليَمَن وظَفار من عُمان، وهذه ذكرى سنويّة تقريبًا لأسبوع أو عشرة أيام يُحتفل بها في حَضْرَمَوْت وظَفار، وكانت السّيدة ميزون (ت 1992م) أم السّلطان قابوس (ت 2020م) تتبرع لهذه المناسبة بالإطعام، ولازال وقْفُها لذلك باقيًا إلى اليوم، ولهذا يخُصّونها بالدّعاء.

والعديد يتبرك بربيع الأول إذا أراد الزواج أو فتح بيت أو أيّ مناسبة سارّة، وفي صَلالة عادة قراءة «سِمْط الدُّرَر في أخبار مَولِدِ خَيْرِ البَشَرِ» للحبيب عليّ بن محمّد بن حسين الحَبَشي باعلويّ، وفي مرباط وطاقة عادة يقرؤون مولد الدّيبعي للشّيخ عبد الرحمن الدّيبعي الزّبيديّ اليَمنيّ (ت 944هـ)، ويقرؤون المولد في المساجد أسبوعيًّا ليلة الإثنين والجمعة بعد المَغْرِب، وفي الثّاني عَشَرَ مِن ربيع الأوَّل يكون الاحتفال بشكل أوسع، وبعض العلماء يقرؤون المولد

في البيوت يوميًّا عصرًا كما عند السّيد سالم الذّهب (ت 2001م)، وبعده أحيانًا مَوْعِظة، ويُطعمون الطّعام، وبعضُهم كعادة المتصوّفة يَعْتقد بحضور روح النّبيّ، وأمّا حضوره جسدًا فليس حاضرًا لديهم، ولا يضربون الدّف أو الطّبل في الموالد، ولا يستسيغونه في المزاج العام، فهم يقومون فقط بالإنشاد، مع الحلوى والعُطور وبعض الطّعام، وعمومًا فقد خفّ الاحتفاء به الآن عن السّابق مع وجود التّيار السّلفيّ، كما في الجبال وبعض الأماكن.

قلتُ: إن الاحتفاء بالمولد النّبويّ لم يكن معهوداً في مجتمع عُمان الدّاخل عند الإباضيّة، وظهر متأخرًا تأثرًا بالشّوافع المتصوّفة خصوصًا في شرق أفريقيا، فانتشرت لديهم قراءة المولد للعلّامة جعفر بن إسماعيل ابن زين العابدين البَرْزَنْجيّ الحُسينيّ الشّافعيّ العراقيّ (ت 1317هـ) بصوت غنائيّ، والّذي جعل من أبي مُسلم البهلانيّ العُمانيّ (ت 1339هـ) تأليف كتاب «النّشأة المُحمديّة» كبديل عن البَرْزَنجيّ، وبعض الشّوافع في عُمان يقرؤون من «الفُيوضات الرّبّانيّة» لعبد القادر الجيلانيّ (ت 561هـ)، أو من ديوان ابن الفارض (ت 632هـ) في مدح النّبيّ ﷺ، ويصاحب فنّ الموالد عادة عند شوافع عُمان في مسقط والباطنة وغيرها ضرب الدّف مع حركات منتظمة، وأمّا في المجتمع الشّيعي الإمامي العُماني فيحتفلون- كما أخبرني الأستاذ كمال اللّواتي- ليلة السّابع عشر من ربيع الأول؛ لأنّهم يرون ولادته في هذا اليوم، وتُصاحبه عادة موعظة وتذكير بمقام النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، ويقرؤون المولد من التّراث الشّيعيّ القديم، مع الموشَّحات من التّراث نفسه أو من المعاصرين، ويسمّونها في عُمان في مناطق الشّيعة «الجَلوات»، ولعلّه من

التّجلي، ويصاحب الاحتفال إطعام النّاس؛ واليوم يحتفلون بإقامة مسرحيّات ومعارض للأطفال، وهذا موجود في عموم عُمان كالمسابقات والمسرحيّات ونحوها، حيث جُعِل يوم المولد إجازة رسميّة.

وأمّا رجب فيُحْتَفَل به في ظَفار بقوّة، وبعض كبار السّنّ يصومون رجب وشعبان ويُلْحِقون به رمضان، وفي ذكرى الإسراء والمِعراج يحتفلون بشكل كبير، ويحتفلون بأول ليلة من رجب، وأول جمعة من رجب أيضًا، وتكون فيه عادة صلاة الرّغائب في أول جمعة من رجب.

قلتُ: جاء في موقع ويكيبيديا بتصرّف بسيط: «ليلة الرّغائب أول ليلة جمعة من شهر رجب، الّتي تُنسب إليها الصّلاة المُسمّاة بصلاة الرّغائب، وقد كان ظهورها سنة: 480 هـ، ولم تكن معروفة قبل هذا التّاريخ، وأمّا الصّلاة المخصوصة في ليلة النّصف من شعبان والتي ظهرت سنة: 448 هـ فقد تسمّى صلاة الرّغائب أيضًا، إلّا أنّ أول ليلة جمعة من شهر رجب هي الّتي اشتُهرت بهذا الاسم باشتهار نسبة صلاة الرّغائب إليها، وقد ذُكرت في بعض كتب الشّيعة أنّها أول ليلة جمعة من رجب، ويروى فيها حديث يُذْكَر ضمن هذه الكتب في فضيلة صلاة الرّغائب فيها، وأمّا عند أهل السّنّة والجماعة فلم يثبت فيها حديث صحيح ولا حَسَن».

وفي السّابع والعشرين من رجب يقرؤون المعراج، وكانوا سابقًا عادة يقرؤون مِعْراج ابن عبّاس (ت 68هـ)، واليوم بعض الشّبان يقرأ بعض المؤلفات الّتي لم تَرِدْ فيها بعض الأحداث الضّعيفة في المعراج، مع الإنشاد

والمـديح، وعمومًـا لـيس الجميـع مُتفقًـا علـى الإسـراء والمعـراج الحِسّـيّ، وبعضهم يرونه منامًا لا حسًّا، ومنهم من يرى الإسراء حسّيًّا والمعراج منامًا.

ويوجد في رجب أيضًا في ظَفار قراءة صحيح الإمام البخاريّ (ت 256هـ)، حيث يقرؤونه يوميًّا، كترتيل القرآن، ويختمونه كاملًا، ويقيمون بذلك احتفالًا، ويعتقدون أنّ ذلك يجلب الخير، ويرفع البلاء.

قلتُ: قضيّة المعراج بصورتها الحاليّة ظهرت متأخرة فيما يبدو لي في المجتمع الإباضيّ، لهذا لمّا سُئِل العلّامة ناصر بن أبي نبهان جاعِد ابن خميس الخَروصيّ (ت 1262هـ) عمّا ورد عند القوم – أي غير الإباضيّة – كما عند النَّسَفيّ (ت 710هـ) مال إلى الإنكار، مبيِّنًا أنَّ مِعراجه بروحه وجسده «لم يأتِ صريح التّنزيل بذلك، ولا قامت الحُجّة بصحيح السّنّة، ولا يَصِحّ الإجماع الّذي لا يجوز خلافه»، وبيّن أنَّه «لا يلزم اعتقاد كون وقوعه أنّه واقع، ولا أنّه غير واقع، ومن صوّر له عقله أنّه واقع فقال: إنّه صحيح، فجائز له ما لم يَدِن بذلك، وما لم يُخَطِّئ أحدًا قال بخلافه، ومن دان بذلك، أو فسّق من قال بخلافه؛ فلا شك في أنّه هالك آثم ظالم فاسق، وكذلك من رأى في عقله أنّه غير صحيح، فقال إنه يراه في نفسه غير صحيح، فجائز له ما لم يَدِن بذلك أو يُخَطِّئ مَنْ قال بخلافه في دينه»، (للمزيد ينظر: تمهيد قواعد الإيمان، ج:1، ص: 295 – 302)، أي جَعْل المعراج مسألة رأي واسعة حتى في الإثبات.

وتوّسع المتصوّفة في المِعراج، والمِعراج عندهم الكشف، أي المعراج العقلي، أي تنكشف السّماء الأولى فالثّانية فالثّالثة حتى يَرَوا العرش في السّابعة، وهي كرامة للأولياء، كمعراج البُسطاميّ (ت 261هـ)، وعبد الكريم

الجيليّ (ت 826هـ)، حيث عرج به إلى السّماء السّابعة فالكرسي، فالعرش، ومِعراج إسماعيل بن عبد الله السّوداني (ت 1280هـ) حيث عرج به إلى السّماء سماءً فسماء، وما جاء من عبارات المِعراج عند أبي مُسلم البهلانيّ فأقرب إلى المعراج العِرفاني الفلسفي، وما رُوي عن أبي عُبيدة مُسلمٍ بن أبي كريمة (ت 150هـ) أنّه انفتحت له السّماء الأولى والثّانيّة وهكذا، حتى رأى العرش كما ورد في أدبيات الإباضيّة المغاربة فأنكرها الإباضيّة، فهي من جهة تتناقض مع عقيدة الإباضيّة في عدم إثبات ما يفيد التّحيّز للذّات الإلهيّة، وفي رأيي: إنَّ قضيّة المِعراج برّمتها تتناقض مع مبدأ الاعتزال والمدارس الّتي ترى التّنزيه، فمِعراج النّبيّ محمّد ﷺ واقترابه من العرش في الذّات الإلهيّة في السّماء السّابعة تقترب من عقيدة الصّفاتيّة من أهل الحديث القائلين بإثبات العرش والكرسيّ والعلوّ لله سبحانه وتعالى، ولهذا نجد هذه العقيدة في أدبيات اليهود مثلًا مِعراج أخنوخ أي إدريس، وإيليا في الثّقافة المسيحيّة، بل حتى في الأدبيات الدّينيّة الأخرى، وهي ناتجة عن تصّور أسطوري للسّماوات، مع تصوّر وجود الآلهة في الأعلى وما يتعلّق بها من ملائكة ونحوه.

إنّ فكرة الاحتفاء بالإسراء والمعراج لم تكن حاضرة عند الإباضيّة في عُمان حتى مجتمعيًّا إلا في السّنوات الأخيرة عندما جعل هذا اليوم مناسبة رسميّة من جهة، وبسبب الخُطب وبعض المحاضرات المصاحبة، إلا أنّ فكرة صيام شهر رجب حاضرة عند كبار السّن، وغالبهم يصومون السّابع والعشرين منه، وقد خفَّ ذلك اليوم بسبب الرّأي القائل بعدم وجود دليل يصحُّ على تخصيص رجب أو جزء منه بصيام.

وأمّا في المجتمع الشّيعيّ الإماميّ العُمانيّ – كما أخبرني الأستاذ هادي اللّواتي – فعندهم صلاة الرّغائب في ليلة أول جمعة من رجب، يُصلّونها جماعة اثنتي عشرة ركعة، ويدعون بعدها، كما عندهم في رجب صلاة جعفر الطّيار (ت 8هـ)، يُصلّونها أربع رَكَعات بعد دعاء كميل بن زياد (ت 68هـ)، ويأتون بعدها بالأدعية والذّكر، ومنهم من يصوم رجب أيضًا ورمضان وشعبان وحتى يوم الشّك يصومونه، ويصومون السّابع والعشرين منه، ويحتفلون ليلة الثّالث عشر من رجب بمناسبة مولد الإمام عليّ بن أبي طالب (ت 40هـ)، ويوم السّابع والعشرين تجتمع لديهم مناسبتان: مناسبة بعثة النّبي عليه السّلام، ومناسبة الإسراء والمعراج، وحضوره في العقل الجَمعيّ أكثر، ويرون إسراء النّبي ومعراجه جسدًا وروحًا.

وأمّا شهر شعبان ففي ظَفار يُحيُون ليلة النّصف منه بالذّكر والدّعاء، ويقرؤون سورة يس في المساجد ثلاث مرات بنيّة بركة طول العمر ورفع البلاء، ويرون كما في بعض الرّوايات تجلّي الرّب الذي يغفر للجميع كما في رواية أبي موسى الأشعريّ (ت 63هـ): «إنّ الله لَيَطّلِع في ليلة النّصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مُشاحن»، وأغلب النّاس في ظَفار – خاصّة من كبار السّن – يصومون النّصف من شعبان، ولا يصومون يوم الشّك أي الثّلاثين من شعبان.

قلتُ: وأمّا في المجتمع الإباضي العُماني فإنَّ مسألة النّصف من شعبان غير حاضرة لديه، وليس هناك حضور طقسيّ إلا الصّيام، لرواية عائشة (ت 58هـ) أنّه عليه الصّلاة والسّلام يصوم في شعبان حتى نقول لا يُفطِر، ويُفطر حتى نقول

لا يصوم، وما رأيت رسول الله – ﷺ – أكثر صيامًا منه في شعبان، ولا يصوم الإباضيّة يوم الشّك.

وأمّا في المجتمع الشّيعيّ الإماميّ العُمانيّ كما أخبرني الأستاذ هادي اللّواتي؛ فشهر شعبان عندهم مليء بالمناسبات الدّينيّة، ابتداء من الأقمار الشّعبانيّة، حيث يحتفلون ليلة الثّالث منه بولادة الإمام الحسين بن عليّ (ت 61هـ)، وليلة الرّابع منه بولادة العبّاس بن عليّ (ت 61هـ)، وليلة الخامس منه بولادة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (ت 95هـ)، وليلة النّصف من شعبان بولاية الإمام المهدي محمّد بن الحسن العسكري، وفيها يُطعمون الطّعام، ويبتهجون بالصّيام والذّكر وغيره.

وأمّا في رمضان فسبقَ الحديث عنه في الحلقات الماضية، وخصصْنا لقاء مع الحبيب علوي الكاف عن رمضان في ظَفار، وأمّا في شوّال فكانوا سابقًا عندما يزورون أحدًا للمعايدة ينشد أحدهم نشيدًا، ثمّ يقرأ أحد الصّالحين الفاتحة مع الدّعاء، كذلك يصومون (السّت) من شوّال متفرقة أو مجتمعة، وعادتهم أن يصوموه مباشرة بعد رمضان، ويسمّونه صيام التّوديع أي يودّعون به رمضان، والبعض يجعلون بعد صيام السّت عيدًا كعيد الفطر كما عند أهل تَريم في حَضْرَمَوْت، وأصبحت هذه العادة في ظَفار قليلة جدًّا، إذ يفرحون كما في عيد الفطر، ولكن لا توجد فيه صلاة مخصوصة.

قلتُ: في المجتمع العُماني الإباضي لا توجد طقوس معينة في شوّال عدا ما يصاحب العيد من احتفالات كالرّزحة مع الطّبل، ويصومون السّت من شوّال متفرقة أو مجتمعة، ويستحبّونها بعد يوم العيد، ويسمونها صبورًا أي من الصّبر،

وشاع صيام السّت من شوّال في السّنوات الأخيرة أكثر ممّا عهدناه سابقًا ومثله صيام عاشوراء.

وأمّا في المجتمع الشّيعيّ الإماميّ فعندهم صيام السّت من شوّال، وكما قرأت في الفقه الجعفري فهم يستحبونه بعد ثالث يوم العيد، وعندهم مناسبة وفاة الإمام جعفر الصّادق (ت 148هـ) يوم الخامس والعشرين من شوّال، وهو من أجلّ الأئمة، وإليه ينسب فقه الطّائفة فيسمّى الفقه الجعفري.

وأمّا ذو القعدة فليس فيه مناسبات تُذكر، وأمّا ذو الحجّة ففيه مناسبات عديدة كما عند باقي المسلمين من صيام العشر وصيام عَرَفَة والذّكر وأُضحية عيد الأضحى، وهو ما عُهد في المجتمع العُماني في الدّاخل ما يسمّى بالتّيمينة، حيث يردِّدون التّهليل وتوحيد الله، ويشارك فيه الأطفال، وهذا يكاد ينقرض، وعند الإماميّة عيد غدير خُمّ أو عيد الولاية في الثّامن عشر من ذي الحجة، وهو يعتبر عيدًا ثالثًا بعد عيدَي الفِطر والأضحى من حيث حجم المناسبة لديهم.

وأمّا المناسبات الأسبوعيّة في ظَفار؛ فهناك مناسبة الحَضرة بين العشائين ليلة الإثنين في مسجد عقيل في صَلالة، والحَضرة ذِكْر يُفتتح بسورة يس، ثمّ دعاء، ثمّ مدائح، وتوجد في أماكن أخرى في ظَفار، كما يوجد ليلة الجمعة من كلّ أسبوع مولد سِمط الدّرر في مسجد عقيل أيضًا، وفي مسجد يوسف بن علويّ الوزير السّابق المشهور بمسجد آل البيت يُهتم أيضًا بهذه المجالس، وفيه مجلس أسبوعي ليلة كلّ جمعة، بجانب المناسبات الدّينيّة الأخرى، وأيضًا في مسجد الشّيخ العفيف في طاقة مثلًا وغيرها من المساجد.

وتوجد الطّرق في صَلالة؛ طريقة آل باعلوي، وهذه مسلكها الهدوء وعدم الانفعال، كما توجد طرق أخرى بصورة أقلّ كالرّفاعيّة وهي موجودة سابقًا، وأحيانًا يستخدمون الدّفّ مع الذّكْر، وبدأت النّقشبنديّة والقادريّة تنتشر حاليًّا.

قررنا الذّهاب إلى مرباط وزيارة معالمها على عُجالة لحضور محاضرة في موقع الجمعيّة العُمانيّة في مكتبة دار الكتاب بصَلالة، وأيضًا موعد رجوعنا كما سنرى.

• الذّهاب إلى مرباط ومحاضرة الجمعيّة العُمانيّة للكتاب والأدباء في مكتبة دار الكتاب بصَلالة والرّجوع إلى مسقط

بعد جلسة الحبيب علويّ الكاف بعد الغداء ذهبنا إلى مرباط، وشاركَنا من الإخوة من صَلالة الحبيب علويّ الكاف والحبيب فيصل المشهور والحبيب أحمد باعلويّ، ومرباط كما في موقع وزارة الإعلام العُمانيّة: «تبعد عن مدينة صَلالة بنحو 74 كيلومترًا، (وهي) إحدى المدن التّاريخيّة المهمّة بمحافظة ظَفار، وتقع في سهل جبل سمحان، وتُطل على ساحل بحر العرب، وقد سمّيت مرباط بهذا الاسم نسبة إلى مربط الخيل، حيث اشتهرت في القرن التّاسع الميلادي بتربية الخيول وتصديرها إلى العديد من الموانئ والمدن العربيّة والاسلاميّة، بالإضافة إلى تجارة اللّبان والمنتجات الحرفيّة المختلفة».

زرنا سابقًا جبل سَمحان، وسبق الحديث عنه، ووصلنا ابتداء حِصن مرباط، وهو يُطِلُّ على البحر، وشاهدنا الأولاد يمرحون ويلعبون، ويسلّمون على الغريب، وبالقرب منه ميناء مرباط القديم، وهو ميناء يعود إلى القرن التّاسع عشر كما في في موقع وزارة الإعلام العُمانيّة، إلا أنّنا لم ندخل الحِصن،

والظّاهر أنه كان مغلقًا لتأخّر وقت وصولنا، كذلك مررنا على بيت سيدوف أو نزوى، وهو بيت قديم يعود إلى مئتي سنة، فلمّا رأيت هذا البيت ومعمار مرباط تصوّرت أنني في المغرب العربيّ، لتشابه العمارة.

ثمّ زرنا مرقد صاحب مرباط العلّامة محمّد بن عليّ خالع قسم بن علويّ (ت 556هـ)، ويعود نسبه إلى الحسين بن عليّ بن أبي طالب (ت 61هـ)، وتوجد لوحة بجانب الضّريح مكتوب فيها نسبه بالكامل، وأصله من تَرِيم اليمن، واستقرّ ومات في مرباط، وجاء في الموسوعة العالميّة (ويكيبيديا): «محمّد صاحب مرباط.... إمام وتاجر وزعيم اجتماعي، ذو جاه واسع في ظَفار وحَضْرَمَوْت، ومنه تتفرع أسرة آل باعلوي، وكان مستقرّه في أرض ظَفار، وفيها اشتُهِر أمرُه، وذاع صيته، حيث قام بإدخال المذهب الشّافعي والعقيدة السّنيّة إليها، كما قام بدوره في توطيد العلاقات بين الدّولتين المنجويّة بظَفار والرّاشدية بداخل حَضْرَمَوْت، ولُقّب بصاحب مرباط لأنه تديّرها في آخر عمره، ومرباط هي ظَفار القديمة».

وشهرة صاحب مرباط كما أخبرني الحبيب سالم المشهور ليست فقط في عُمان وحَضْرَمَوْت فقط، بل له شهرة كبيرة في شرق آسيا وخصوصًا أندونيسيا، ولهذا يزور ضريحه المئات من النّاس سنويًّا للتّبرك والتّوسّل بالصّالحين، ولا يوجد لدينا نحن في المذهب الإباضي التّوسل والتّبرك بالأموات، وهي مسألة رأي واسعة تَشدّد فيها البعض وأوصلها إلى الشّرك، وإن كنت شخصيًّا لا أستسيغ ذلك، وأرى الوسيلة بأسماء الله وصفاته، وبما يعمله الإنسان لنفسه من خير في حياته، وقد ذكرتُ بعض ذلك في الرّحلة القُمّيّة في (إضاءة قلم

الحلقة الأولى) أثناء زيارة ضريح فاطمة المعصومة بنت الإمام الكاظم (ت 201هـ) في قُم في إيران، ولكن لا نحكم على من يفعل ذلك بالشّرك أو نفسّقه؛ لأنّه يدعو الله وحده، ويؤمن أنّ المتصرّف هو الله، ولكن يتوّسل بهؤلاء الصّالحين إليه، ويَخصّ آل البيت. وهنا طلب منّي الحبيب علويّ الكاف الدّعاء فتعذرت له، فدعا الأستاذ أحمد النّوفلي، ثمّ كان دعاء الحبيب علويّ الكاف، وشاركنا الدّعاء خادم مقام صاحب مرباط الشّيخ عليّ بن جعلان اليافعي، وهي أسرة تتوارث خدمة المقام، ويُصرف لهم راتب من الدّيوان، وقد شرح لنا الشّيخ عليّ شيئًا من المقام، وسجلّته في دفتر لي أسجل فيه المذكرات الخاصّة بي، إلا أنني فقدت الدّفتر في معرض مسقط للكتاب 2019م.

وتوجد مقبرة خارج الضّريح، ويوجد آثار بيوت قديمة، وكنّا نرجو زيارة ضريح الإمام القلعيّ، وهو العلّامة أبو عبد الله محمّد بن عليّ القلعيّ (ت 577هـ)، وأصله كما جاء في كتاب «الإمام القلعيّ» للدّكتور محمّد المهريّ ص (16): «من حلب الشّاميّة، ووطن المنشأ والمنبت... زبيد اليمانيّة، ووطن المهجر والمرقد... مرباط الظّفاريّة».

وجاء في مرباط في القرن السّادس الهجريّ في عهد المَنْجويين، الأسرة الّتي حكمت ظَفار حينها، ويعتبر من رموز المذهب الشّافعيّ في العالم بشكل عام، وفي ظَفار واليمن بشكل خاص، وكرّمه النّادي الثّقافي في مسقط بندوة خاصّة له ضمن سلسلة من أعلامنا يوم الإثنين 27 صفر 1434هـ، يوافقه 30 ديسمبر (كانون الأول) 2012م، وجمّعت البحوث وقدّم لها الدّكتور محمّد بن مُسلّم المهري، وطبعت في كتاب نشر دار الغشام حينها والنّادي الثّقافي.

كما كنّا نرجو أن نزور ضريح الصّحابيّ في مرباط زهير بن قرضم (ت؟)، يقال: إنّه من الشّحر، ووفد إلى النّبيّ ﷺ، وضريحه بمرباط، لهذا ولضيق الوقت أذّن المغرب وذهبنا للصّلاة في أحد المساجد، كان صوت الإمام نديًّا، يرتّل القرآن بصوت جميل، وبعد الصّلاة ذهبتُ للسّلام عليه، فتصوّرته في الابتداء عُمانيّا؛ لأنّه يلبس الملابس العُمانيّة، ولكنّه أخبرني أنّه من بنغلادش، إذ تعاقد معه جماعة المسجد بمبلغ بسيط، وهو رجل بشوش مبتسم، يُتقن العربيّة، وقدّم لنا الماء للشّرب.

ثمّ رجعنا بسرعة لارتباطنا بمحاضرة في مكتبة دار الكتاب بصَلالة، وخشينا التّأخير، فوصلنا إلى النّزل لإنزال الحقائب وكانت جاهزة، ووجدنا الأستاذ عبد الله العليان ينتظرنا، فتقدّمت أنا والعليان في سيارة الحبيب باعمر، وبقيّة الإخوة ذهبوا مع الحبيب فيصل المشهور لأخذ الحبيب سالم المشهور، ووصلنا والحمد لله قبل الموعد في المكتبة، وهي تقع في صَلالة الوسطى، أسّسها الأستاذ عبد القادر الغسّاني (ت 2015م)، وضمّت المئات من كتبه الّتي جمّعها طيلة حياته المعرفيّة، والآلاف من المجلّات، وافتتحها السّلطان هيثم بن طارق في 23 فبراير 2015م، ووجدنا الإخوة ينتظروننا، رحبّوا بنا وعلى رأسهم سعادة عليّ المعشني، والمكرّم مصطفى الغسّاني، والأستاذ محمّد بن حسن الغسّاني، والسّيد زيد بن يحيى إمام جامع أهل البيت، والسّيد سعيد المعشني الملقب بالشّنقيطي، والعديد من الحضور، فأعددت الهاتف للتّصوير ريثما يصل بقية الإخوة، وقد وصلوا، وقدّم المحاضرة الّتي كانت مِن إعداد لجنة الفِكر بالجمعيّة العُمانيّة للكُتّاب والأدباء، الحبيب سالم المشهور

الـذي بـيّن أنّ أكـبر أزمـة نُعانيهـا علـى مسـتوى المـذاهب والأديـان هـي انعـدام التّعارف، ثـمّ عـرّف بالأسـتاذ أحمـد النّـوفلي وبمحاضـرته الّتي بعنـوان «سـننيّة قراءة الآخر».

ابتدأ النّوفلي ببيان السّننيّة واشتقاقاتها اللّغويّة وخَلَص إلى أنّهـا «طريقـة إلهيّـة مستمرّة تسـري علـى الكـون والأشـياء وفـق طبيعتهـا أو فِطرتهـا، وتكـون أيضًـا طريقة بشريّة يستمرُّ عليها النّاس أو مجموعـة منهم في تعـاملهم بعضـهم بعضًـا، أو في تعـاملهم مـع غيـرهم مـن بَنـي جنسـهم، أو مـع الأشـياء المُسـخَّرة لهـم في السّماوات والأرض، فيصحُّ أن نُطلق عليها سُـنّة بشـريّة أو سُـنّة إنسـانيّة، أو سُـنّة القوم والجماعة».

ويـرى النّـوفلي أنّ القـراءة «أوسـع بكثيـر مـن تَضْـييقها في قـراءة الحـروف المرســومة بــالقلم، فهــي عمليّــة ذهنيّــة مــن الإدراك والتّفكيــر والتّحليــل والاستيعاب والفهم والتّدبر والنّظر والتّبصُّـر وغيرهـا ممـا يَسَـع العقـل إعمالـه، وكلّ بقدر استطاعته الذّهنيّة».

ثمّ ناقش قضيّة: هل النّبيّ - ﷺ - كان يَعْرف القـراءة والكتابـة؟ وهـل القـول بذلك من اختراع المستشرقين للإساءة إلى النّبيّ؟ فبيّن أنَّ «القـول: إنّـه – عليـه السّلام – كان يعـرف القـراءة والكتابـة لـم يكـن رأيـا تفـرّد بـه المستشـرقون، بـل سبقهم إلى ذلـك بعـض فقهـاء الأمّـة المحمديّـة ومحـدّثيها، وذلـك بقصـد رفـع شأن النّبيّ محمّد، لأنّ جهله بالقراءة والكتابة هي صـفة نُقصـان، بينمـا لا ينبغـي أن يكون النّبيّ ناقصًا خاصّة نبيّ الإسلام، أو من أجل إثبات معجـزة الرّسـول في تعلّمه القراءة والكتابة بأمر من الله دون حاجتـه إلـى مُعَلّـم، ومـن هـؤلاء الفقهـاء

والمحدّثين ممّن يرى ذلك أبو عمرو الشّعبيّ (ت 103هـ) وابن أبي شيبة (ت 159هـ) وأبو الوليد الباجي (ت 474هـ) وأبو ذر الهروي (ت 434هـ) وأبو فتح النّيسابوري (ت 552هـ) والألوسي (ت 1270هـ) وغيرهم، مُؤَوِّلين بعض الآيات، ومستدلين ببعض الرّوايات والأخبار»، ومن «المفكرين المعاصرين (ممّن تبنى) الرّأي القائل بمعرفة الرّسول بالقراءة والكتابة محمّد عابد الجابريّ (ت 2010م)»، إلا أنّ النّوفليّ مال إلى الرّأي التّقليدي بأنّ الرّسول لا يعرف القراءة والكتابة، وأنكر على نصر حامد أبو زيد (ت 2010م) بأنّ الأمر بالقراءة هنا بمعنى التّرديد، واستدلاله برواية الغار، وبيّن النّوفليّ أنّ رواية الغار لا تصح مَتْنًا، وأنّ «التّرديد في حقيقته ليس بقراءة، بل هو ترديد، بلا وعي ولا فهم، والقراءة بالمفهوم الّذي نطرحه هنا، لا يتعارض مع الأمر بالقراءة في سورة العلق، ومع عدم معرفة الرّسول بالقراءة، وذلك حينما نفهم مفهوم القراءة بمعنى العمليّة الذّهنيّة من التّفكر والتّدبر والوعي والتّحليل والإدراك والفهم وغيرها، في كلّ ما هو مقروء؛ وهو اثنان: قراءة الكتاب المنظور (أي) الكون، وقراءة الكتاب المسطور (أي) الوحي، أو ما تُسطرّه الأنامل البشريّة، وهذا يُفهم من سياق السّورة الّتي جاءت تتحدث عن قراءة الخلق، وقراءة ما علّم بالقلم».

ومن خلال آيات التّفكر في القرآن خَلَص النّوفليّ إلى «أنّ الرّسول -عليه السّلام- أنجح إنسان في قراءة الكون والإنسان وفق معطيات عصره وإمكانياته، خاصّة في فهم الإنسان وقراءته، لهذا اصطفاه الله ليوحي إليه تبليغ رسالته، فاستطاع أن يقرأ الآخر من ذكور وإناث وكِبار وصغار فأحسنَ التّعامل

معهم جميعًا، وذلك وفق قراءته وفهمه لتصرّفات النّاس وعاداتهم وثقافاتهم، وأخذ يدعوهم إلى الإيمان بالله، بخُلق عظيم، وكذلك استطاع التّعامل مع الحيوانات من منطلق قراءته لها بالإحسان إليها والرّحمة بها».

ثمّ تطرق إلى آيات التّدبّر في القرآن، لهذا يرى النّوفلي أنّ الرّوايات الحديثيّة أَبْعَدَت النّاس عن مفهوم القراءة بمعنى التّفكر والتّدبر، وغرست فيهم القراءة بمعنى التّرديد، كرواية «من قرأ حرفًا من كتاب الله فله بكلّ حرف حسنة، والحسنة عشرة أمثالها؛ لا أقول: الم حرف، (ولكن) ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»، لهذا يرى «من يقرأ القرآن من أجل الثّواب والأجر دون تدبر لا يُعَدّ قارئًا، إلا إذا أعمل عقله من فكر وفهم وتدبُّر وغير ذلك؛ لأنّ مفهوم القراءة يضمّ كلّ ذلك، وكلٌّ بقَدْر طاقته إذ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها».

ثمّ تطرّق النّوفليّ إلى الجزء الأخير من العنوان، وهو مفهوم الآخر، وبيّن أنّ الآخر هو «من يخالفك في دينك أو معتقدك أو جنسك، فهو غيرٌ عنك دينًا ومعتقدًا وجنسًا»، وسنيّة قراءة الآخر بمعنى «الطّريقة المتّبعة في فهم المغاير لك في الدّين والمعتقد والجنس وإدراكه واستيعابه»، مفتتحًا ابتداء بعدم الإكراه في القرآن الكريم، وأن القرآن لم يأتِ «ليُلغي الآخر، بل جاء يضمّه ويحتويه»، ويخلص من خلال الآيات الّتي أوردها إلى أنّ «الشّعوب والقبائل والدّول والأجناس جُعلَت للتّعارف والتّآلف والتّعاون وتطبيق قيَم الرّحمة والعدل والمساواة، وهي سُنّة من سُنن الحياة، تجري وفقها، ووفق كلّ هذه القيم الإنسانيّة تجري الحياة بمنطق الزّمان والمكان ومعطياتهما».

وبعد هذا تطرّق إلى الموروث وإلى أنّ فيه ما يتوافق مع سُننية قراءة الآخر كرواية: «اطلبوا العلم ولو بالصّين»، ورواية: «المسلم مَنْ سَلِم المسلمون من لسانه ويده»، ورواية: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليَصْمت»، كما تطرّق إلى الرّوايات المخالفة لهذه السّننيّة كرواية: «أنّ رسول الله – ﷺ سمع صوتًا حين غربت الشّمس، فقال: هذه أصوات اليهود يُعذّبون في قبورهم»، ورواية: «الشّؤم في الدّار والمرأة والفرس»، ورواية: «أُمِرْتُ أنْ أقاتل النّاس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله، ويُقيموا الصّلاة، ويُؤتوا الزّكاة، فإذا فعلوا ذلك عَصَموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»، ورواية: «النّاس تَبَع لقريش في هذا الشّأن، مسلمهم تَبَع لمسلمهم، وكافرهم تَبَع لكافرهم».

وعلى هذا يخلُص النّوفلي من خلال ورقة محاضرته إلى أنّ «مِنَ الضّروري مراجعة قراءة الآخر في الموروث وفق الآيات القرآنيّة، والسّنن الإلهيّة في الآفاق والأنفس، وذلك لأنّنا أمّة تنطلق في تعاملها مع الآخر من خلال الموروث من عادات وتقاليد وآراء، أي أنّنا نفكر بتفكير الأسلاف لا بتفكيرنا، وهو طريقة تجعلنا نعيش الماضي لا الحاضر، بل طريقة مخالفة للسّننيّة الّتي تستلزم من الإنسان أن يفكر بتفكيره لا بتفكير غيره، وهذا لا يمنع الاستفادة من الغير ومن تجارب السّابقين».

وبعد المحاضرة عقّب السّيد زيد بن يحيى أنّه عندنا - نحن المسلمين - عِلْم مصطلح الحديث، وأشاد به الموافق والمخالف، ولو فُتح باب النّقد

لمجرد ظاهر الحديث لفقدنا علم عِلَل الحديث، واستدلّ مثلًا بالحديث الّذي ذكره النّوفلي وهو حديث تعذيب اليهود، وأنّه يتناقض مع الآيات القرآنيّة، وقال: اليهود شأنهم شأن جميع الأديان الّتي كانت سماويّة، ثمّ لحقها التّحريف، وبعد نزول القرآن صارت أمّة مخالفة، بدليل أنّ القرآن لعن اليهود وذمّهم، ووصفهم بأقبح الأوصاف، فيُحمَل النّص على هؤلاء المحرّفين الّذين وقفوا ضدّ دعوة الإسلام[1]، وكذلك عقّب على نص أُمِرْتُ أن أقاتل النّاس، وقال: إنّ الشّيخ البوطي (ت 2013م) بيّن أنّ لفظة (أقاتل) من المُفاعلة؛ أي لا أقاتل إلا من ابتدأ بالقتال، فالحديث في مرحلة الدّفاع، فقتال غير المسلم لعلّة الحَرابة وليس الكفر.

وعقّب عليه الأستاذ النّوفليّ بأنَّ علم الحديث ومصطلحه والجَرح والتّعديل علم موجود، وكُتِب حوله الكثير، وهو علم داخل في الموروث، فهو أيضًا بحاجة إلى غربلة ومراجعة، وأمّا حديث تعذيب اليهود فمن قواعد أهل الحديث أنفسهم أنَّ الحديث يعرض على القرآن، فإذا خالف القرآن والعقل الصّريح فلا يُقبل كما ذكر ذلك ابن الجوزي (ت 597هـ) مثلًا، والقرآن لم يذكر شيئًا من التّعذيب في القبور، فهو من الغيب، والنّبي محمّد يبلّغ ما أوحي

(1) هناك خَلْط بين اليهود وبين بني إسرائيل، لأنّ اليهوديّة كديانة بهذا الاسم ظهرت بعد السّبي البابلي، وما ذُكِر من ذمّ في القرآن أو حتى في سفري التّثنية واللّاويين في التّوراة فهو لبني إسرائيل، ولم تتشكل اليهوديّة حينها، وإن حملت من الغلوِّ في ذلك أيضًا؛ لأنّها وسّعت من دائرة النّص من الأسفار الخمسة إلى باقي أسفار العهد القديم كما عند المسيحيين، إلى التّلمود المتضمن للمشناه والجمارا، ولي مقالة في ذلك تنشر قريبًا .

إليه ولا يعلم الغيب، وحين يتحدّث القرآن عن اليهود فمنهم المسلمون المسالمون بأنفسهم وألسنتهم، ومنهم المخالفون الّذين أسهب القرآن في بعض صفاتهم.

وأمّا رواية أُمِرْتُ أن أقاتل النّاس؛ فأنا قرأت كتاب الجهاد للبوطي، فكما نقرأ هذه الرّواية في سياقها، فأنا أدعو أيضًا إلى غربلتها، وفق سياق الرّواية، فمن يقصد بالنّاس مثلًا، هل يقصد جميع النّاس، أم في سياق ظرفيّ معيّن، فإذا لم أهتدِ إلى سياق الرّواية فهنا ألجأ إلى تحليل ظاهرها وفق ما عُرضت، وعَرْضها على القرآن والعقل، وأنا شخصيًّا لا أعبّر بمصطلحيّ الضّعف والوضع، أو الصّحة والحُسن إلا في سياق مَنْ أنقل عنه ذلك، وإنّما أعبّر عنها إذا كانت مقبولة أم لا، فقد تكون لديّ في هذا الموضع ليست مقبولة، لكنْ قد أقبلها في موضع آخر، فمثلًا قد لا أقبلها تشريعًا، لكنْ من الممكن أنْ أقبلها في الحديث عن اللّغة.

وعقّب الأستاذ عبد الله العليان أنّ هناك من المسلمين من يرى أنّه لا يجب الحوار مع الآخر لأنّنا في مرحلة ضَعف، والصّواب الحوار هو لأجل الحوار في أيّ مرحلة، ففي العصر الأول كان المسلمون ضعفاء، ولكن الحوار كان مفتوحًا، وهنا اتّفقَ معه الأستاذ النّوفلي في قضيّة الحوار لأجل الحوار وليس لأجل الإقناع.

وعقّب الشّيخ سعيد المعشني بأنّنا نُعاني أزمة التّفريق بين النّظريّة والتّطبيق، فنظريّة التّسامح جميلة، ولكن التّراث الّذي تربّى عليه المسلم، ولا يستطيع الانفكاك عنه، يُبعد هذا التّسامح، فمثلًا روايات القرشيّة[1] عند السّنة، ولكن

(1) حرّرت روايات القرشّية وظرفيّتها في كتابي «فلسفة الدّولة»، لم يُطبع بعد.

عمليًّا نطّبق المنهج الإباضي في أنّ الإمامة أو الخلافة ليست مخصوصة في قريش، ولكنْ بشكل عام ما زالت حاضرة بسبب الموروث، وهنا أيضًا اتّفق معه الأستاذ النّوفلي، وأضاف إنَّ كون النّاس لا يطبّقون الرّواية كرواية قريش لا يعني ألّا أنقدها، فبعضهم لا يتعصّب للرّواية وإنّما للقبيلة، فيجد مثل هذه الرّوايات حضنًا له.

وعقّب من الحاضرين أيضًا أننا نسمع كثيرًا عن الحوار في الوقت الحالي، ولكن ما موقعي وأنا من عامّة النّاس، فإذا قبلت الآخر، فهل هو يقبلني أيضًا كما أقبله، حتى عندما يقرأ بعضنا بعضًا من خلال أدبيات الماضي أو الحاضر، فعقّب عليه النّوفلي: مرّة سألني مسيحيّ من فرنسا وقال: «لماذا لا تأتون لدراسة الغرب كما يذهب الغرب لدراستكم؟». فنحن مشكلتنا أننا لا نذهب لقراءة الآخر، وهذا عكس ما يفعلون!

ثمّ عقّبتُ بعده وقلت: إنّ القرآن الكريم استخدم لفظة الآية كما في قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ (الرّوم/ 22)، فكون هذا الاختلاف آية، فعليّ أنْ أسعَى لكشف هذا الاختلاف، وفي الوقت نفسه عليّ أنْ أحترمُ هذه الآيات، وهنا نفرّق بين السّنن التكوينيّة، والسّنن التّشريعيّة والمكتسبة، فالسّنن التّكوينيّة مُطْلَقة، ولكنَّ الكثير ممّا يدخل في التّشريعيّة والمكتسبة الظّرفيّة، ولهذا نتعامل مع بعض الرّوايات الّتي ذكرت كالقرشيّة، ورواية أُمِرت أن أقاتل النّاس، بالسؤال: متى قيلت هذه اللّفظة، وما ظرفيّتها؟ فمثلًا إنَّ نظام الكفالة اليوم هو نوع من الاستعباد من وجه آخر، وعليه نقرأ هذه التّشريعات ولو نصوصًا في

ظرفيّتها، وهنا اتّفق معي أستاذنا النّوفلي، وأضاف: بعض القوانين اليوم المنسجمة مع الماضي لروايات ظنيّة، ولا تنسجم مع زماننا، ما زالت مفعّلة.

ثمّ عقّب الحبيب علوي الكاف أنّه في المذهب الشّافعيّ يؤمكم أقرَؤُكم، والقراءة هنا الفِقه، فحين نقرأ الآخر أي نَفْقَه الآخر، وأمّا رواية أُمرت أن أقاتل النّاس، فنَعَمْ يظهر من خلال ظاهرها التّعارض، ولكن توجد قواعد شرعيّة، منها الإعمال بين النّصوص أولى من الإهمال، والجمع أولى من التّرجيح، فإذا أمكن الجمع فهو أولى، واتّفق معه الأستاذ النّوفلي في قضيّة تصحيح المفاهيم كالقراءة.

وعقّب سالم المشهور أنّنا فهمْنا سُننيّة قراءة الآخر من حيث التّأصيل اللّغوي والاصطلاحي، ولكنْ من أين تُستوحى، أمِن الكون أم من النّص، هل هي مسألة فطريّة أم تشريعيّة، وما تجلياتها، ومشكلتنا لمّا نتحدّث عن هذا الموضوع لا نقرأ سننيّة قراءة الآخر، وإنّما سننيّة قراءة الرّوايات، فكأننا نقرأ سننيّة قراءة البخاري أو مسلم أو أحمد أو الرّبيع، لكنّ العالم أكبر من هذا بكثير، أيضًا هل نحن مختلفون لهذه الدّرجة حتى يسقط علينا مصطلح «الآخر»، نحن في المنظومة الدّينيّة الإسلاميّة على الأقل متشابهون جدًّا، وعقّب الأستاذ النّوفلي ما قصده بالسّننيّة الجانب الكوني القرآني، وهي واسعة ليست محصورة في عالمنا فقط، وما أشرت إليه من سلبيات روائيّة لأنّه يعوق هذه السّننيّة أو القراءة الكونيّة.

وقد سُجِّلَت هذه الحلقة، ونُشِرَت في القناة اليوتيوبيّة (أُنس) بتاريخ الثّاني من شهر أبريل (نيسان)عام 2019م، ثمّ قام الشّيخ عليّ المعشني بتوزيع

الهدايا التّذكاريّة للمحاضر والمساهمين في إقامة الأمسية، كذلك أُهْدينا كتاب الأستاذ عبد القادر بن سالم الغساني: «مقتطفات من يوميّاته»، للدّكتور سالم بن عقيبل مقيبل، والدّكتور عبد القادر من المساهمين في بناء عُمان الحديث خصوصًا في سلك التّعليم، وكانت علاقته بالسّلطان قابوس (ت 2020م) علاقة كبيرة، كما كانت له علاقة سابقة مع السّلطان سعيد بن تيمور (ت 1972م)، وأرسل له ولابنه قابوس كُتبًا حينها، حتّى رُقِّي عام 1991م إلى الدّرجة الخاصّة ومسمّى مستشارًا عامًّا، وقد استمتعتُ بالكتاب كثيرًا، وخصوصًا في رحلة العودة.

ثمّ بعد المحاضرة كان عَشاء خفيف على عَجل لأنَّ موعد السّفر إلى مسقط قد اقترب، ولخبرة الأستاذين الحبيب فيصل المشهور والحبيب أحمد باعلوي تمّ إنهاء إجراءات السّفر إلكترونيًّا، فذهبنا إلى مطار صَلالة، وودعنا الحبيب فيصل وأحمد، وحضر أيضًا المطار الأستاذ عبد الله العليان والحبيب علوي الكاف، كما ودعنا الحبيب سالم وباقي الإخوة قبل ذلك في مكتبة دار الكتاب، فدخلنا قاعة تفتيش الحقائب ثمّ الطّائرة مباشرة، وفي الطّائرة كان لي مع النّوفلي حديثٌ مطوّلٌ عن جهوده المعرفيّة ومعاناته بسبب استقلال فِكره، كما استمتعت بكتاب الغَسّاني كما أسلفت، لنصل مسقط قبل الواحدة ليلًا، وبهذا نختم رحلتنا الظّفاريّة الّتي كانت لثلاثة أيام فقط، لكنّها كانت مليئة بجدول الزّيارات والمحادثات المعرفيّة والعلميّة وكشف المكان والتّأمل فيه.

الرّحلة البحرينيّة[1]

• الوصول إلى مملكة البحرين

بدعوة كريمة من مجلس جابري الثّقافي في منطقة الجسرة بمملكة البحرين، ومن الأستاذة نهى كرمستجي خصوصًا، وقد سبق الحديث عن الأستاذة نهى في الرّحلة الشّيكاغيّة، حيث تعرّفتُ عليها في مؤتمر العرب الأمريكيين للثّقافة والتّراث في شيكاغو بالولايات الأمريكيّة المتحدة، وصلت إليّ الدعوة عن طريق الأستاذ فريد عبد الوهاب أحمد، وهو بحريني يعيش في عُمان منذ عام 2012م هو وزوجه الأستاذة بهيّة كرمستجي، وهي عمّة الأستاذة نهى، فقررنا الذّهاب برًّا؛ لأنّ المسافة من مسقط إلى البحرين ليست طويلة، وخصوصًا إذا كانت دون توقُّف.

زرت البحرين عام 2010م بسيارتي، ومرَرتُ حينها على قطر والكويت والبحرين لشراء الكتب، وزرت المنامة للبحث عن بعض مؤلفات السّيد محمّد باقر الصّدر (ت 1980م)، كما كان لي عمّ عاش في البحرين، وهو أخو الوالد من أمّه، سكن المُحَرّق لأكثر من خمسين عامًا، وتزوّج بحرينيّة، وفي السّنوات الأخيرة رجع إلى عُمان.

---

(1) بدأت كتابة الرّحلة فجر الإثنين 26 شوال 1442هـ/ 7 يونيو (حزيران) 2021م، وأنهيتها مساء السّبت 1 ذو القعدة 1442هـ/ 12 يونيو (حزيران) 2021م.

لهذا كانت رغبتي في اكتشاف البحرين عن قُرب لأنَّ هذا البلد الصّغير حاليًّا في جغرافيّته، العميق تأريخًا وحاضرًا في تراثه وثقافته، وبعده الإنساني والإسلامي عمومًا، والعربيّ خصوصًا، وما زالت رموزه الثّقافيّة والفكريّة والدّينيّة، ومساهماته في ذلك حاضرة، من اليمين واليسار، كما أنّ البعد التّعايشيّ واضح بصورة كبيرة في البحرين.

حاولت أن أقرأ الإنسان البحرينيّ عن قرب، فوجدته قريبًا جدًّا من المجتمع العُمانيّ في عاداته وتقاليده، وفي سماحته وتعايشه، ومن خرج من عُمان قبل 1970م بسبب شَظَف العيش يومها، وسافر إلى البحرين؛ لا زال يحمل الحنين إلى هذا البلد، ولا زال يحمل ذاكرة كبيرة من ذكريات العمل والتّعايش، كما وجد ذلك في الدّمام والأحساء، وهذا ما وجدته شخصيًّا في البحرين، عندما يرونني بلباسي العُماني من كبار السّنّ يستحضرون ذكريات العُمانيين في المنامة والمُحَرّق وغيرها، وما إنْ دخلت جسر الملك فهد بعد بوابة البحرين، وعملت تغريدة في تويتر، حتى تواصل معي بعض الإخوة البحرينيين وعلى رأسهم الأستاذ عبد الله المحفوظ، وهو رجل فاضل من الإخوة الإماميّة، فرّحب بي أيّما ترحيب، وأصر على أن أخصّص جدولًا معه ليحملني بذاته على سيارته في بعض الزّيارات كما سنرى، وقد أخذت العديد من وقته، إلا أنّني استفدت كثيرًا منه خُلُقًا وعِلْمًا ومَعرفة.

خرجنا من مسقط يوم الإثنين في تمام الخامسة فجرًا في الثّامن من أبريل 2019م، ووصلنا منطقة العزيزيّة قُبيل المغرب، والعزيزيّة منطقة الحدود بين السّعوديّة والبحرين، أخذنا أغلب الطّريق من عُمان إلى البحرين في نقاشات

متعدّدة، وعلى رأسها ما يتعلّق بالدّين البهائيّ، لأنّ فريد من أصحاب هذه الدّيانة، فلم نشعر بطول الطّريق، ولم نتوقف إلّا في محطّة البطحاء، وهي أول محطة بعد الخروج من السَّلْع، وبداية الدّخول إلى السّعوديّة، ولطالما توقفنا واستأجرنا غرفها المؤجرة عشرات المرات، ولها ذكريات عديدة، حيث وصلنا إليها الثّانية عشرة والنّصف ظهرًا، للغداء والصّلاة، وأمّا عن فريد ففي دينهم كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة ثلاث صلوات: الصّغرى والوسطى والكبرى، «أمّا الصّغرى من الظّهر إلى المغرب، وهي عبارة عن دعاء، والوسطى تُصلَّى في الصّباح والظّهر والمغرب، وهي أيضًا دعاء أطول من الصّغرى، وفيها ركوع وقعود، ولكن لا يوجد فيها سجود، وأمّا الكبرى فهي أطول من الاثنتين وفيها ركوع وسجود وقيام وقعود، والبهائيّ مخيَّر أن يختار من هذه الصّلوات الثّلاثة»، وقد صلّى فريد كما أخبرني الكبرى قبل المجيء، وتُصلّى مرة واحدة في اليوم.

مررنا على سلوى والهَفوف والأحساء والبقيق حتى وصلنا العزيزيّة، ومنها جسر الملك فهد، «يبلغ طوله خمسة وعشرين كيلو مترًا، يبدأ من جنوب مدينة الخُبَر السّعوديّة، وحتّى العاصمة البحرينيّة المنامة، وقد افتُتِح في 25 نوفمبر 1986م، وأطلق عليه الشّيخ عيسى بن سلمان آل خليفة (ت 1999م) جسر الملك فهد (ت 2005م)» (الموسوعة العالميّة ويكيبيديا بتصرّف بسيط).

ومنظر البحر وأنت تتأمّل من فوق الجسر في ظلّ غروب الشّمس رائع جدًّا، ترى عظمة هذا الكون، وعظمة هذا الإنسان في استغلال سُنن الحياة لشقّ هذا البحر، وتسهيل السّير على النّاس، واختصار الطّريق، ممّا ساهم في الرّقي

بالجانب الاقتصادي والسّياحي في مملكة البحرين، وكذا سهّل التّنقل للعوائل بين البحرين والمناطق السّعوديّة القريبة كالخُبر والقَطيف والمنطقة الشّرقيّة وغيرها، لِما بينهم من رَحِم ومصاهرة وعلاقات اجتماعيّة.

شاهدنا في الغرب جزيرة جدّة، وكانت غير مأهولة، ثمّ استُخدِمَت سجنًا للنّاشطين في عهد حمد بن عيسى آل خليفة (ت 1942م)، وبعدها حُوّلت أملاكًا لرئيس الوزراء خليفة بن سلمان آل خليفة (ت 2020م)، وما زالت ضمن أملاك العائلة الحاكمة، وعلى شمالها جزيرة أم النّعسان، وتُعتبَر وهي في المرتبة الرابعة بين أكبر الجزر في البحرين، بعد جزر البحرين وحَوَار والمُحَرّق، وهي أيضًا مرتبطة بالمَلِك.

وصلنا إلى منطقة السّيف وقد غَرُبت الشّمس، وضاحية السّيف كما في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا بتصرّف «ضاحية في المنامة تعني السّاحل، استُحدثت عام 1980م»، وهي منطقة حديثة، تضمّ العديد من الفنادق، وأكبر مولات البحرين كأفنيوز مول، والسّيف مول، وفيها مجمع المعارض، وغيرها، وسكنت في فندق جولف كورت، اختاره لي الأستاذ فريد عن طريق البوكينج، ومع أنّ المنطقة راقية وهادئة، والفندق نظيف، والقائمون عليه يرحبون بالنّازل لديهم؛ إلا أنني لا أحبّ السّكن في هذه الأماكن، حيث إنني أركز في رحلاتي على قراءة الإنسان، وليس الحداثة أو الطّبيعة، ولهذا أبحث عن الأماكن الشّعبيّة ولو كانت رخيصة ومزدحمة، فغيّرتُ لاحقًا إلى فندق دلمون عند بوابة البحرين، وهو من أقدم الفنادق في البحرين كما سيأتي.

أخذتُ قسطًا من الرّاحة مع صلاتَي المغرب والعِشاء، وقلتُ بعدها: أمشي قليلًا لأستكشف المكان، ولأجل المشي قبل النّوم، وهنا استوقفتني سيارة، وكانت فيها أسرة من دولة مجاورة، وقالوا إنّهم لا يملكون شيئًا لإيجار فندق، وكان في جيبي بضع ريالات عُمانيّة، فأعطيتهم منها، فغضب عليّ، ربّما شاهد المبلغ قليلًا، ورأيت ذلك من تصرّفه عندما انطلقت سيارته، وهذه المواقف تتكرر للإنسان حتّى في بلده، فلا يعلم صدقه من كذبه، أهو متسوّل أم صادق؟، ثمّ إنَّه ليس بالضرورة أنْ تكون لدى الإنسان المقدرة على المساعدة، ولطبيعة السّفر يتطلب الأمر التّقتير خصوصًا في الأيام الأولى، فلا يدري الإنسان ما يحدث له، وقد تعوّدت على أن أقتّر قدْر الإمكان حتى قُبيل المغادرة، كما أنَّني أخصِّص من المال للصّدقة؛ لأنّ للصّدقة فوائد تُضفي اطمئنانًا على النّفس، وتحبّب الآخر بك، ويشعر بها الإنسان قضاء حوائج، وتفريج كرب، وشكرًا للرّب على تسهيل السّفر، وسلامة الوصول، وصحّة البَدن، رغم أنَّني بسبب الصّداقات والمعارف أجد أمر السّفر ميسرًا، وتقلّ بها تكاليفه، وأصبحتْ لي عادة لا أبدأ يومي إلا بصدقة ولو بسيطة، في سفَر أو حَضَر، وأخصّص للصدقة في السّفر جزءًا حسب الدّولة التي أسافر إليها، فإن كان الفقر والمسكنة يكثران فيها أحاول أنْ ادّخر لذلك قبل فترة، ولكنْ بقَدَر ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ (الإسراء/ 29).

وبعد تَعَب هذا اليوم نستعدّ ليوم مزدحم الجدول، ابتداء من زيارة بعض الأماكن كزيارة باب البحرين ومركز عيسى الثّقافي وجامع أحمد الفاتح كما سنرى.

• زيارة باب البحرين ومركز عيسى الثّقافي وجامع أحمد الفاتح

في أول الصّباح حضر الأستاذ فريد عبد الوهاب أحمد إلى النُّزُل في ضاحية السّيف، وذهبنا لتناول الفطور في مقهى حاجّي عند باب البحرين، وهو مقهى شعبي قديم، افتُتِح عام 1950م، يقصده البحرينيون والسّياح، يقدّم الأكلات الشّعبيّة البحرينيّة فطورًا وغداء وعَشاء، على الموسيقى والغناء الكلاسيكي البحريني والخليجي.

ومنطقة باب البحرين حسب ما فهمت هي المنطقة القديمة في المنامة، ومن أجمل الأماكن التّقليديّة فيها، وكان البحر يظهر سابقًا، ولكنّ البناء سترَه حاليًّا، وقد رُمّمت حديثًا، ومع كثرة النّاس فيها، (وكلٌّ في فلكٍ يَسْبَحُون) التّاجر والسّائح والبائع والصّياد والمارّ، إلا إنّك لا ترى ضجيجًا، ويغلب الهدوء والسّمت على المكان، وباب البحرين أصبح حاليًّا مكتب وزارة هيئة البحرين للثّقافة والآثار.

ذهبنا إلى مُتحف دائرة البريد، وقد تأسست الخدمات البريديّة فيها حسب لوحة التّوثيق في المبنى عام 1884م، إذْ نشِطَت التّجارة في البحرين في هذه الفترة، واستقبلت العشرات من الخارج، ومنهم مِنْ عُمان واليمن، فمنهم من

استقر وتزوّج في البحرين، والعديد رجع، وكان هؤلاء يرسلون رسائلهم ومكاتيبهم لأهلهم في بلدانهم، لهذا لزم وجود دائرة للبريد منذ فترة مبكرة، وكانت الرسائل تأخذ وقتًا طويلًا لأسابيع وأشهر حتى تصل، إلّا أنّه في عام 1912م شغّلت الحكومة الهنديّة خطًّا مباشرًا بين الهند ودول الخليج، بدل المرور أولًا بالبصرة فبومباي في الهند، وبالتّالي كان أسرع لوصول الرّسائل، ولكثرة الطّلب على البريد افْتُتِح فرع آخر للمكتب عام 1946م في المُحَرّق، وهكذا فرع ثالث عام 1950 في منطقة عوالي، وأُحدِثَت أيضًا وظيفة ساعي البريد لتسهيل الأمر، وبعد استقلال الهند 1947م انتقلت الوكالة إلى كراتشي في باكستان 1948م تحت إشراف بريطانيا، ثمّ تولّت ذلك بريطانيا حتى عام 1965م ليكون الإشراف مباشرة من قبل مملكة البحرين إلى اليوم، وقد حُوّل هذا المكتب إلى مُتحف، حَفِظ مئات الطّوابع، ومنها طوابع عُمانيّة منذ بدايات عهد النّهضة الجديدة عام 1970م، كما اشتمل المتحف على صناديق البريد القديمة، ومتعلقات البريد التّقليديّة، والدّخول بالمجان لتشجيع النّاس.

ثمّ مررنا بمركز الشّرطة، ويبدو أنّه مركز قديم إلا أنّه رُمِّم، وهو يشبه (كركون) بلاد الشّام أو مصر، ثمّ ذهبنا إلى السّوق المغلق، وهو يشبه سوق مُطرح عندنا في عُمان، وبعدها ذهبنا إلى مول البحرين، وفي داخله مقهى باب البحرين، وهو مقهى داخل المول يقدّم القهوة البحرينيّة والخليجيّة والتّركيّة بجانب القهوة الغربيّة، وأسعاره قريبة من محلات القهوة عندنا، كذلك مررنا على المحكمة الدّستوريّة البحرينيّة الّتي أنشئت عام 2002م، وبدأ عملها 2003م، ولا توجد عندنا محكمة دستوريّة في عُمان.

بعد هذا ذهبنا إلى منطقة الجفير في المنامة، وأصلها قريّة يسكنها الإخوة من الشّيعة الإماميّة، والشّيعة في البحرين يطلق عليهم إمّا الشّيعة العَجم، أو الشّيعة البحارنة، والبحارنة هم الشّيعة العرب، ونسبتهم في البحرين كبيرة، ويوجد طائفة قليلة للشّيعة الإماميّة الأحسائيّة نسبة إلى الشّيخ أحمد الأحسائي (ت 1241هـ)، كما يوجد مسجد للشّيعة الأخباريّة في المنامة، وكان يجب أنْ نزوره لولا ارتباطنا بجدول مسبق، ويوجد أيضًا الشّيعة الإسماعيليّة أو البهرة في البحرين، وهم قلّة ولهم مسجدهم أو مكان عبادتهم، كما يوجد أفراد مِن الإباضيّة ممّن بقي، وهم قليلون جدًّا. ولا أدري هل يوجد للزّيديّة أفراد ممّن تجنّس أو أقام؟

وأمّا السُّنة فأغلبهم شوافع، والعائلة الحاكمة مالكيّة، والمالكيّة لهم وجود قديم في المنطقة، ووجودهم لا يزال في الحجاز والأحساء، كما أنَّ الأسرة الحاكمة في أبو ظبي ودبي مالكيّة، وأخبرني الدّكتور عبد العزيز العَوضيّ (معاصر) من رموز وفقهاء الشّافعيّة في شمال عُمان أنّ تأثّر الأسرتين في الإمارات كان من قِبل الفقهاء الّذين يأتون من الأحساء إمّا للقضاء وإما الدّعوة، كما يوجد في البحرين أيضًا أحناف خصوصًا المُجنّسين من الهند وباكستان وشرق آسيا، أو مِمّن هاجر من هذه المناطق قديمًا واستقرّ في البحرين، ورأيت بعض الحنابلة ممّن درس في المملكة العربيّة السّعوديّة، أمّا الاتّجاه العقائدي فيما يبدو لي بالنّسبة للسُّنّة أغلبهم أشاعرة أو سلفيّة صفاتيّة، وقد حضرت سنة 2010م مجلسًا للإخوة السّلفيّة في البحرين، ورأيت نشاطهم التّعليمي والاجتماعي، كما يوجد أفراد من الماتريديّة، مع الوجود

الإمامي بالنّسبة للشّيعة، هذا بالنّسبة للمذاهب الإسلاميّة، وسيأتي الحديث عن الأديان والحركات اليمينيّة واليساريّة في محلّه.

أمّا منطقة الجفير فقد توّسعت اليوم، وضمّت العديد من أراضي البحر المستصلحة، وهنا زرنا مركز عيسى الثّقافي، نسبة إلى الشّيخ عيسى بن سلمان (ت 1999م)، والد الملك الحالي، والمركز يتبع الدّيوان الملكي، ويعتبر من أبرز المؤسسات الثّقافيّة في البحرين كما في موقع رَشف الإلكتروني، وتوجد لوحة في بداية المبنى كُتِب فيها: «تفضّل حضرة صاحب السّمو الشّيخ حمد بن عيسى بن سلمان آل خليفة أمير البلاد المعظّم بوضع حجر الأساس لمكتبة الشّيخ عيسى بن سلمان آل خليفة في يوم الأربعاء الحادي عشر من شوّال 1422هجريّة، الموافق 26 ديسمبر لعام 2001 ميلاديّة».

ثمّ دخلنا إلى المكتبة الوطنيّة بالمركز، وهي تضمّ آلاف الكتب والدّوريات والمخطوطات وأدب الطّفل، وممّا يميزها أنّها خَصّصت قاعة مستقلّة للكتب النّادرة الّتي لم يُعَد طبعها ككتابات بدايات القرن العشرين، والمكتبة تتكون من سرداب وفيه أرشيف الصّحافة الوطنيّة ومكتبة الأطفال، وطابق أول فيه الكتب الأجنبيّة، والمطبوعات الوطنيّة، ومكتبة الشّيخ عبد الله بن خالد آل خليفة، والكتب النّادرة، وطابق ثانٍ فيه المكتبة الإلكترونيّة والإدارة.

بيد أنّني وجدت خطأً في التّصنيف، حيث وجدت بعض الكتب الإباضيّة كـ«مشارق أنوار العقول» لنور الدّين السّالميّ (ت 1334هـ/ 1914م)، و«فصل الخطاب في المسألة والجواب» لخلفان بن جميّل السّيابي (ت 1392هـ/ 1972م)، و«الإباضيّة بين الفرق الإسلاميّة» لعليّ يحيى معمّر (ت

1980م) وغيرها مصنّفة تحت باب فرق الإلحاد والملاحدة، وفي نفس الباب كتب البهائيّة والأحمديّة، وشيء لا يُعدّ من كتب الإلحاد ككتاب «الإلحاد في الغرب» لرمسيس عوض (ت 2018م)، فالكتب عن البهائيّة والأحمديّة يجب تصنيفها في كتب الأديان، أو على الأقل المِلل والنّحل أو الفرق، ولعلّ من قام بهذا التّصنيف ممّن ينتسب إلى مدرسة أهل الحديث؛ لأنّهم يعمّمون الإلحاد على المُخالف كالمُؤَوّل للصّفات، ولكن لا ينبغي أن يكون هذا التّصنيف في مكتبة وطنيّة تحوي الجميع.

وفي مركز عيسى الثّقافي فعاليات أسبوعيّة مكثّفة، ومتعدّدة من فكر وتأريخ وأدب وفنّ ومسرح وغيرها، وهنا أعطونا كتيّبًا يحوي الفعاليات مدوّنة أسبوعيًّا باليوم مع تاريخ الفعاليّة لعام كامل.

وفي الجفير ذهبت أيضًا إلى جامع أحمد الفاتح، وهو من المساجد الكبيرة في العالم، وأكبر جامع في البحرين، أسّسه الشّيخ عيسى بن سلمان آل خليفة (ت 1999م)، عام 1987م، وأحمد بن محمّد آل خليفة الفاتح (ت 1795م) هو الّذي فتح البحرين عام 1783م، وهو مؤسّس إمارة آل خليفة في البحرين، وقد نُسبوا إلى جدّه آل خليفة، وكان امتداد إمارته إلى قطر، فسُمّي المسجد تيّمنًا به.

وصليت في المسجد الظّهر أربعًا خلف الإمام ثم العصر ركعتين منفردًا للسّفر، والإمام يصلّي في السّطور الخلفيّة لقلّة المصلين، ولسهولة إدراك الصّلاة لمن تأخر، وهنا رأيت قرب المحراب فتاوى الشّيخ محمّد بن صالح العثيمين (ت 2001م)، فتقرّبت من الإمام وسألته لماذا الفتاوى هنا قرب

محراب الإمام؟ لأنّه يماثله عندنا كتب فتاوى الشّيخ الخليلي أو المعتمد من فتاوى الشّيخين الخليلي والقنوبي، فأخبرني أنهم يقرؤون منها دقائق بسيطة يوميًّا، ونسيت ما ذكره لي هل ذلك بعد العصر أم بعد المغرب، ثمّ رأيت زوايا خاصّة للسّيّاح من غير المسلمين داخل المسجد من الذّكور والإناث، يشرح لهم أبجديات الإسلام وأركانه بمختلف اللّغات، ثمّ يترك الأمر للنّقاش، وذلك داخل المسجد، مع لافتات توضيحيّة لسورة الفاتحة وما يمارَس في المسجد من وضوء وصلاة، وقد شرح لي الإمام أنّ السّائح – ولو كان غير مسلم – فإنه يُعرَّف بالإسلام وتعايشه داخل المسجد، ولدقائق معدودة، مع توّفر الكراسي في الزّوايا، وحائط الكتابة للشّرح، كما وجدت غرفة بسيطة داخل المسجد كمكتبة تحوي الكراسي، ومنظّمة، ممكن استغلالها للقراءة حين انتظار الصّلاة، أو بين الصّلوات، وهنا دعاني الإمام للضّيافة معه فاعتذرت له لضيق الوقت، وكان رجلًا بشوشًا متواضعًا يجيب بكلّ سَمت وهدوء.

ثمّ ذهبنا إلى منطقة عالي في البحرين، وهي منطقة قديمة اشتُهرت بمدافن دلمون وصناعة الفخّار، وذهبنا إلى مجمع الرّمليّ للغداء في ركن كوجي كُشَري، وهو مطعم مصري في المول يقدّم الوجبات المصريّة وعلى رأسها الكُشَري، وهم يُتقنون طبخه. وهنا التقيت الأستاذة نهى كرمستجي، وقد أتت بأطفالها للعب في صالة الألعاب بالمول، فتحدثنا حول ذكريات مؤتمر شيكاغو، ونشاطهم الثّقافي في البحرين، خصوصًا في مجلس جابري الثّقافي، حيث سنحضره هذه اللّيلة، ونشاركهم الفعاليّة الثّقافيّة.

وبعد هذا رجعنا إلى النُّزل لنستعدّ لزيارة عالم الآثار البحريني سلمان المحاري، وزيارة مسجد الخميس الأثري، ثمّ الذّهاب إلى مجلس جابري الثّقافي، وتسجيل حلقة مع الشّيخ الدّكتور صلاح بن يوسف الجودر حول التّعايش في جنّة دلمون كما سنرى.

• زيارة مسجد الخميس الأثري وتسجيل حلقة مع الدّكتور صلاح الجودر

بعد زيارة مجمع الرّمليّ وتناول الغداء رجعت إلى النُّزُل لآخذ قِسطًا من الرّاحة لنصف ساعة أو أقلّ، حيث وجدت الأستاذ عبد الله محفوظ ينتظرني، وسابقًا لم أكن أعرفه إلا أنّه كان متابعًا لي في «تويتر»، فلمّا وصلتُ البحرين كتبتُ تغريدة: «الحمد لله وصلنا مملكة البحرين للمشاركة والاستفادة من التّجربة البحرينيّة في التّعايش السّلمي»، وبعدها مباشرة وصلتْني رسالة الأستاذ عبد الله في الخاصّ: «أخي العزيز، معك أخوك عبد الله محفوظ، رقمي.....، أخدمكم في بلدك البحرين، وأوصلك لبعض الوجوه الفكريّة والقامات في البحرين»، وإنْ كنت في الابتداء أتوجّس من أيّ شخص لا أعرفه سلفًا، ولكن رددْتُ عليه متشجعًا: «حيّاك الله تعالى أستاذي، هذا يسعدني كثيرًا، سوف أتواصل معك عندما آخذ رقم البحرين، وهذا رقمي في عُمان....، شكرًا لك وممنون كثيرًا».

واعتدت أحيانًا كما يُقال في المثل العُماني حين أدخل بلدًا لأجل الكتابة والتّوثيق أعمل «طلبة قبائل»، أي أُعْلم أنّي دخلت هذا البلد كخبر، فيعلم من

الأصدقاء هناك من لديه فراغ لزيارته، فتستحي أحيانًا أن تخبر مَن تعرفه، فقد يتكلّف، وقد يكون جدوله غير مناسب، وبهذه الطّريقة تكسر الخجل، ويتواصل معك من تعرفه ومن لا تعرفه.

وهذا ما فعلته في البحرين، وكان تعرّفي على الأستاذ عبد الله مكسبًا كبيرًا، فهو بذاته قامة فكريّة ومعرفيّة تعلّمت منه الكثير، وعرفت الواقع الآخر الّذي يعيشه المجتمع الشّيعيّ في البحرين، كما جلست مع الأطياف السّنيّة وغيرها من الأديان، فالبحرين بلد التّعايش بحقّ، وفيه خير كثير، ووطن مبارك، فعلى الجميع أنْ يجتمعوا على كلمة سواء، وأنْ يوّسعوا دائرة الوطن بوحدتهم، والحفاظ على تعايشهم، وتحقيق القيمة الإنسانيّة للجميع، مع الحفاظ على أمن بلدهم بتحقيق العدل، والاشتغال بالمعرفة والعلم والبناء، لتُسْهم البحرين- كما كانت وما زالت - في بناء المجتمع الإنساني.

ذهبنا إلى المسجد الأثري مسجد الخميس، وهناك التقيت لأول مرة بعالم الآثار البحريني الدّكتور سلمان المحاري، يحمل دكتوراه في علم الآثار، ومؤسس مبادرة «معًا لنحافظ على تراثنا»، وسعدت قريبًا بالقرار الصّادر من صاحب السّمو الملكي الأمير سلمان بن حمد آل خليفة وليّ العهد بتعيين الدّكتور سلمان المحاري مديرًا لإدارة الآثار والمتاحف في هيئة البحرين للثّقافة والآثار.

التقينا بالدّكتور عند مسجد الخميس الّذي يعود بناؤه شهرة إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ)، وحسب الحفريات حتى الآن يعود إلى بداية العهد العباسي، ويُعتبَر هذا المسجد من أقدم المساجد على مستوى العالم

الإسلامي كلّه، إذ يعود بناؤه إلى عام 692م، ويقال: إنَّ سبب تسميته بمسجد الخميس نسبة إلى السّوق التّجاري الّذي يقام كلّ خميس عند المسجد، أو في الموقع الّذي فيه المسجد، فسمّي به، وتوجد المنارتان اللّتان اشتهر بهما المسجد أيضًا، مع آثار قبور قريبة، ولا زالت آثار المسجد باقية إلى اليوم مع ترميم لما بقي.

وكان المقرر أنْ نسجّل حلقة مع الدّكتور سلمان المحاري، ولكنْ لضيق الوقت نسّقنا معه بعد يوم، ثمّ ذهبنا إلى مكتبة المصطفى، وهي في مجمع الهاشمي ببلدة جد حفص في المنامة، وجد كما أخبرني المحفوظ بمعنى عبد، وعندهم في البحرين أكثر من بلدة تبدأ بجد، مثل جد الحاج وجد عليّ، ومكتبة المصطفى مكتبة تجاريّة لصاحبها الشّيخ عبد الله العالي، وهي مكتبة كبيرة تضمّ أمّهات كتب الشّيعة الإماميّة خصوصًا، وهنا رأيت القائم بالمكتبة رجلًا كبيرًا في السّن، إلا أنّه مكتبة بذاته، يحمل ثقافة معرفيّة واسعة، فإذا سألته عن الكتاب يعرف ماهيّته ومؤلفه وما يتعلّق به، فكان بيننا بعض الحديث، خصوصًا عن الشّيخ الأوحد الشّيخ أحمد بن الشّيخ زين الدّين الأحسائي (ت 1241هـ/ 1826م) من الأحساء، مؤسس مدرسة في الفلسفة والحكمة والكشف، وهي ضمن الخطّ الأخباريّ عند الشّيعة الإماميّة، ولها أنصار إلى اليوم خصوصًا في الأحساء والكويت والبحرين، والظّاهر أنَّ هذا الرّجل من هذه المدرسة، ومن هذه المكتبة اشتريت كتابًا يوثّق معلومات عن مدرسة الشّيخ الأوحد لتوفيق ناصر البوعلي في مجلدين، كما وجدت موسوعته أيضًا

أو أعماله الكاملة، وودت لو اشتريتها لولا ضيق ما في اليد حينها، وعند زيارتي للشّيخ الصّفار في القَطيف كما سيأتي وجدت ذات الموسوعة في مكتبته.

كما اشتريت كتاب «المعارك والمساجلات العلميّة» للشّيخ محمّد جواد مُغنيّة (ت 1979م)، جمّعها عليّ المحرّقي، وشدّتني مساجلاته مع الشّيخ محمود شلتوت (ت 1963م) حول استبدال النّقد بالهدي، كذلك مساجلاته مع المفكر عبد الله القصيمي (ت 1996م)، وحول كتابه «هذه هي الأغلال»، و«العالم ليس عقلًا»، مع أنني قرأت لمُغنيّة وأنا في بداية الطّلب، ولا زالت موسوعته فقه الإمام جعفر الصّادق في ثلاثة مجلدات عندي، حيث اقتنيتها وأنا ما زلت طالبًا في معهد العلوم الشّرعيّة حينها، وأعطتني صورة مبكرة عن الفقه الجعفري.

واشتريت أيضًا كتابًا يؤرخ للكاتب والباحث الأحسائي الشّهير الدّكتور عبد الهادي الفضلي (ت 2013م)، من الّذين طوّروا حوزة النّجف، ومن المجدّدين المعاصرين للفكر الشّيعي الإمامي والإسلامي خصوصًا، وللأسف اهتديت إليه في فترة متأخّرة قبل وفاته بسنوات عندما التحقت بجامعة المصطفى - فرع بريطانيا - عن بُعد، ولكنْ لم أواصل، إلّا أنني استفدت من دروسه اليوتيوبيّة في المنطق والأصول عمومًا، واشتريت أكثر أعماله الكاملة عن دار الغدير في معرض مسقط للكتاب قبل ثلاث سنوات، ويعتبر كتابه «خلاصة المنطق» من أفضل الملخصات المنطقيّة المعاصرة.

واشتريت أيضًا كتاب «السّيرة النّبويّة برواية أهل البيت» للشّيخ عليّ الكوراني العاملي (معاصر)، وسبق أن اشتريت كتاب «سيرة المصطفى: نظرة

جديدة» لهاشم معروف الحسني (ت 1983م) من قمّ في إيران، وكان لي أمل حينها أن أقوم بقراءة نقديّة للسّيرة، ولهذا أردت أن أتأمل القراءات المعاصرة للشّيعة الإماميّة حول هذا الجانب، إلا أنّني ارتأيت ابتداء أنْ أكتب حول فلسفة الدّولة في الأديان عمومًا ومنها الإسلام، وفي الفلسفات القديمة والمعاصرة، وما زلت أعمل عليه، فإذا كُتِب لنا من العُمر بقيّة يكون هذا العمل مدخلًا لقراءة السّيرة النّبويّة.

كما اشتريت غيرها من الكتب، وأيضًا أهدتني المكتبة كتبًا أخرى، وبما أنَّ الشّمس اقتربت من الغروب، فالأصل أن نذهب إلى الصّلاة في مسجد الأخباريين؛ إلا أنّ موعدنا في مجلس جابري الثّقافي قد اقترب، لهذا رجعت إلى النُّزُل، ووجدت الأستاذ فريداً ينتظرني، فاستأذنته للصّلاة أولًا، وودعت الأستاذ عبد الله لألتقي به صباحًا.

ذهبت مع الأستاذ فريد عبد الوهاب أحمد إلى منطقة الجسرة، وهي منطقة ساحليّة قريبة من جسر الملك فهد، تسكنها أغلبيّة سنّية، وكان موعد المجلس في الثّامنة، ونحن قد وصلنا السّابعة مساء، وكنّا أول من وصل، وكان المجلس في مزرعة كبيرة، فاستقبلَنا صاحب المكان الأستاذ أبو أيمن عناية جابري، كما التقينا بالأستاذة طاهرة جابري، وهي عضوة قديمة في جمعيّة البحرين للحدائق.

مجلس جابري تأسس في 4 أبريل (نيسان) 2015م، وهو أحد المجالس النّشطة، ويوجد في البحرين أكثر من مئتي مجلس في مختلف جوانب المعرفة، وما يتعلّق بحياة النّاس في البحرين، وسبق الحديث في إضاءة قلم (الحلقة

الأولى) عن الدّيوانيات وإيجابياتها في الرّحلة الكويتيّة، والهدف من مجلس جابري كما أخبرتني الأستاذة نهى كرمستجي تعزيز التّسامح والتّعايش، ونشر ثقافة المشورة، وفتح الباب للجميع من كافّة التّوجهات الدّينيّة والفكريّة، ويستضيف المجلس شهريًّا متحدّثين من خلفيّات متنوعة، ومن مؤسسات المجتمع المدني، والمسؤولين في القطاع الحكوميّ، ورجال الدّين والمثقفين والكتّاب وصنّاع القرار، ومن أهم الموضوعات الّتي ناقشها مثلًا تعزيز ثقافة التّسامح والسّلام، وقيم السّلام في عصر المُتغيرات، والمرأة ودورها في تعزيز التّعايش.

لهذا كان صالون اللّيلة حول فضاءات التّعايش السّلمي في مملكة البحرين، وضيف اللّيلة الدّكتور صلاح بن يوسف الجودر، وهو عضو مجلس أمناء مركز حمد العالمي للتّعايش السّلمي، وعضو مجلس بلدي سابق، وكاتب في صحيفة الأيام البحرينيّة، ورئيس ومؤسس طاولة الحوار الحضاري بين الأديان والثّقافات، من كتبه «الدّرة الجوهريّة»، و«عن تاريخ المُحَرّق»، و«الخُطب المنبريّة في مواجهة الإرهاب والتّطرف»، وقد أصدر كتابه الأخير بعنوان «التّسامح والتّعايش في جنّة دلمون»، وهو سيتحدّث في محاضرته حول هذا الكتاب كما سنرى.

ومن حسن الطّالع أنَّ الشّيخ الجودر بكّر بالمجيء، فكانت فرصة أنْ أسجل معه حوارًا سريعًا حول التّعايش في جنّة دلمون، وكانت ضمن برنامج حوارات، الحلقة الثّامنة والثّلاثين، وبُثّت في اليوم التّالي 10 أبريل (نيسان).

في بداية اللّقاء تحدّث عن كتابه التّسامح والتّعايش في جنّة دلمون أنّه كان خلاصة سنوات عديدة لمراكز وتجمّعات ناقشت مفهوم التّعايش، والتّعايش في البحرين ليس ظرفيًّا، بل هو واقع يعايشه النّاس، فالكِتاب سجل تاريخي يؤكّد أنّ البحرين مليئة بالمراكز التّعايشيّة.

إلا أنّ البحرين في السّنوات الأخيرة عانت من بعض نداءات العنف والتّطرف والطّائفيّة وهو دخيل عليها، والتّخوّف من الطّائفيّة في البحرين عندما تأتي من الخارج، أمّا من الدّاخل فالبحرين محصّنة بشكل كبير، وقد تجاوزت البحرين الطّائفيّة لتوفر ثلاثة عوامل رئيسة: القيادة السّياسيّة التي استوعبت الأمر، وفهمت التّدخّلات الخارجيّة، والثّاني: اعتدال المعنيين بالشّأن الدّيني، في المحاضرات والخُطب ونحوها، والثّالث: المحبّون للتّعايش والسّلام في مختلف المجالات كما في الشّأن الثّقافي والفكري.

والبحرين قبل مئة عام كانت فيها المذاهب قليلة، ومع الانفتاح اليوم، حيث أتى العديد من الشّعوب إلى البحرين، أصبحت أغلب المذاهب الإسلاميّة موجودة فيها، فتوجد مثلًا المذاهب السّنيّة الأربعة والجعفريّة والبهرة، والإباضيّة كانت موجودة، والآن بقي منها أفراد، وفي الأديان توجد المسيحيّة واليهود والهندوس والبوذيّة والبهائيّة، لهذا توجد في البحرين مساجد ومآتم وكنائس وكنيس لليهود ومعابد، وللأديان مقاعد تشريعيّة في البرلمان وفي الحكومة.

ويرى أنَّ التّعايش هو الخطّ العريض، والقاعدة الرّئيسة، مربوط بالقيم والسّياج الأخلاقيّ بين البشر من جهة، ومربوط بالتّسامح من جهة ثانية، ولا

يتحقّق تعايش دون تسامح، ولا تسامح دون سلام ومحبّة، وليس التّعايش إذابة مذهب في مذهب آخر، ولا يعني علوَّ معتقد على معتقد آخر، ولكن يعني أن يكون الكلّ سواسيّة تحت مظلّة القانون، فوجود تعدديّة دينيّة ولو غريبة كالهندوس والبوذيّة يجعل المجتمع يفهم بعضُه بعضًا، ويخلق نسيجًا اجتماعيًّا تعايشيًّا بعد حين.

قلتُ: تحدّثت في كتابي فقه التّطرف عن التّعايش وهو من العيش، كما بيّنت في كتابي إضاءة قلم (الحلقة الأولى) أنَّ التّسامح لفظة متأخرة تعود إلى ما بعد حرب الثّلاثين عامًا في أوروبا، واستخدم القرآن لفظة التّعارف وهي أدقّ لتحقيق التّعايش.

ثمّ بيّن الجودر أنّ التّعايش يقوم على أسس منها العفو والمغفرة، والثّاني الصّفح وهو كمن يقلب الصّفحة للمخطئ، والعالم اليوم يعيش في قرية واحدة، ولا يعيش بمعزل عن الآخر، فإشاعة التّعايش ضرورية لأنّه حال حدوث أزمة سياسيّة أو طّائفيّة يعود النّاس إلى مبدأ التّعايش، بعيدًا عن هذه الصّراعات السّياسيّة والطّائفيّة.

ثمّ بيّن أنَّ جلالة الملك حمد بن عيسى وضع مشروعين لتحقيق التّعايش: الأول خصّص كرسيًّا في جامعة إيطاليّة للحوار، والثّاني أنشأ في شهر مارس (آذار)2018م مركز الملك حمد العالمي للتّعايش السّلمي، يُعنى بالبحوث والتّنمية والوعي، ويستقطب شخصيّات من العالم، كما ينقل صورة التّعايش من البحرين إلى العالم، كما أنّ ميثاق العمل الوطني في البحرين الّذي انطلق

2001م أشار إلى حريّة المعتقد للفرد، وله حرّية اختيار الدّين والمذهب وممارسة طقوسه، شريطة عدم التّعدي على حرّية الآخرين.

وأمّا عن الدّستور البحريني فقد كفل الحريات، ومنها حرّيّة الرّأي والتّدين والطّقوس، فهي مربوطة بالمواثيق الدّوليّة في الأمم المتّحدة وحقوق الإنسان، ويمكن لأي ديانة في البحرين التّقدم بترخيص لإقامة دور عبادة.

وفي الختام يرجو الكاتب وجود لقاءات بين مختلف القيادات في دول العالم، فهاجس التّخوّف متبادل بين الشّرق والغرب، فعلى العالم تجاوز هذه المرحلة من خلال اللّقاءات خصوصًا بين الأديان، فالإرهاب والتّطرف لا دين ولا مذهب له.

وأثناء اللّقاء بدأ الحضور بالتّجمع، وقد اقترب وقت محاضرة الدّكتور كما سنرى.

• حضور محاضرة صلاح الجودر في صالون جابري الثّقافي بالجسرة

رأينا سابقًا أنّنا وصلنا صالون جابري الثّقافي مبكرًا، وسجلّنا جلسة حواريّة مع الشّيخ الدّكتور صلاح الجودر، وأثناء التّسجل بدأ النّاس بالحضور، وقد امتلأ المجلس رجالًا ونساء، وممّن حضر وتحادثت معهم الدّكتور عبد العزيز الصّويلح، وهو من الرّموز المتخصصة في التّاريخ عمومًا، وتاريخ البحرين خصوصًا، والباحث لؤي الشّريف وهو متخصص في اللّغات القديمة، والشّيخ محمّد الزّهيري وهو من مشائخ الإماميّة في البحرين، والدّكتور السّعودي عبد

اللّطيف الخاجة، وقد أتى من الرّياض لحضور الفعاليّة، والأستاذ أبو محمود عطيّة الله روحاني. وقد تعرّفت على ابنه محمود في شيكاغو بالولايات المتحدّة الأمريكيّة 2019م، والأصل أنْ نسافر معًا صيف 2020م لزيارة إحدى الولايات الّتي يقطنها الهنود الحمر في أمريكا، ورغبة منّا في التّسجيل عن ديانتهم، وكان ذلك بطلب من أحد الدّكاترة العراقيين الّذين هاجروا إلى هذه الولاية منذ نهايات ستينيات القرن العشرين، وتطبَّع بثقافتهم حتى في اللّباس، ولكن جائحة كورونا حالت دون ذلك، ولعل الزّمن يتيح لنا ذلك مستقبلًا.

في الابتداء رحبت مديرة الجلسة الإعلاميّة البحرينيّة نسرين معروف بالحضور، ونسرين لها حضور كبير في الإذاعة البحرينيّة بشكل خاصّ، كما شكرت صاحب المجلس أبا أيمن عناية جابري، وعرّفت بالشّيخ صلاح الجودر، كما كانت لها مقدّمة بسيطة حول التّعايش في البحرين، وحول عنوان المحاضرة: «فضاءات التّعايش السّلمي في مملكة البحرين»، قائلة: نشأنا منذ الطّفولة، ومن المدرسة إلى الجامعة، ولا أحد يسأل الثّاني: ما مذهبك وأصلك؟ فقط ننتمي إلى هذه الأرض.

ثمّ كانت المحاضرة وفيها قال الجودر: إنَّ الحديث عن التّعايش يبدأ من الحديث عن التّسامح، والتّسامح من السّماحة، وفي الحديث: سمحًا إذا باع سمحًا إذا اشترى، ومن مرتكزات التّسامح: صفاء القلب وعدم التّوتر، حيث يجعل الشّخص يحبّ للآخر ما يحبّ لنفسه، ومن مرتكزاته أيضًا العفو والصّفح عن الأخطاء أيًّا كانت، مع قبول الآخر والجلوس معه، والسّماع منه لا من غيره، وهذا ما نجده في البحرين، ففيها الكثير من المجالس الحواريّة،

ففي المُحَرّق وحدها مئة وخمسون مجلسًا حواريًّا، يتلاقون ويتحاورون فيها، فالجلوس مع النّاس عن قُرب يعطيك تحليلًا واقعيًّا عكس التّغريدات في وسائل التّواصل الّتي لا تعرف من أين يغرّد صاحبها، فقد حوّل العديد وسائل التّواصل الاجتماعي إلى وسائل للتّنافر الاجتماعي.

ومن خصوصيات البحرين في التّسامح: أولًا: البُعد التّاريخي، فعُمر البحرين يصل إلى خمسة آلاف سنة، من دلمون وآوال وتايلوس إلى الحضارة الإسلاميّة، ثانيًا: البُعد الجغرافي، فالبحرين في وسط الخليج، حيث أصبح لها السّبق في العديد من الأمور لموقعها الجغرافي، فالتّعليم النّظامي مثلًا بدأ فيها، وأول مجالس بلديّة في البحرين تعود إلى 1919م، وكذلك المحاكم الشّرعيّة بمنهجها الحديث في البحرين تعود إلى 1928م، وبنيت المحكمة 1939م، ثالثا: البعد الثّقافي؛ حيث استقبلت البحرين جميع الثّقافات، فالمدرسة الفرنسيّة بثقافتها فتحت مبكرًا في منطقة البسيتين. وممّا يدل على ذلك رسالة الرّسول - ﷺ - لأهل البحرين، وتعامل البحرين معها، فدخلوا الإسلام من غير قتال، وكانوا أسرع من دفع حق المال للخلافة في بدايتها، ومدينة الزّبارة في البحرين من أوائل المدن الّتي استقبلت العلماء والشّعراء والمثقفين.

والتّعايش قديم في البحرين، فمثلًا الهندوس لهم معبد من 1819م، ويشاركهم الآن المجتمع في أعيادهم ومناسباتهم كما في عيد الأنوار، وسُمِح للكنيسة الإنجيليّة أنْ يكون لها مكان منذ 1905م، وفي السّنوات الأخيرة يشاركهم الجميع في أعيادهم ومناسباتهم، وللكنيسة الإنجيليّة نشاط كبير في تعزيز التّعايش، ووقفت موقفًا مشرّفًا في قضيّة حرق القرآن، وساهمت في وأْد

الفتنة، وكان ميثاقها في حرمة التّعرض للأديان والكتب السّماويّة والرّموز الدّينيّة والمقدّسات المكانيّة.

ولليهود كنيس من 1930م، ولهم عائلات بحرينيّة، واليهودي في البحرين يمارس طقوسه بِحُريّة، ولهم مكانتهم، ويعملون بالدّولة كغيرهم، لكنَّ هناك فرقًا بين اليهوديّة والصّهيونيّة، فأرض فلسطين لأصحابها، والقدس عاصمة فلسطين الأبديّة.

وللبهائيين مكان للعبادة، ونشاركهم دائمًا في مناسباتهم الشّهريّة، كما شاركناهم في مناسبة مرور مئتي عام على مولد بهاء الله (ت 1892م)، وللبهرة أيضًا مكان للعبادة.

والنّاس من حيث التّعايش ثلاث فئات: فئة تؤمن بالتّعايش في أيّ مكان، فهؤلاء أصبح التّعايش لهم مبدأً لا يتنازلون عنه؛ وفئة ضدّ التّعايش، تمارس الحق المطلق المحصور معها، مع إقصاء المختلف، واستخدام العنف معه؛ وفئة مصلحيّة تنظر إلى أين تبحر السّفينة اليوم؟ فإن كانت مع التّعايش كانوا معها، وإن كانت الغلبة للتّطرف ساندوه.

ثمّ إنَّ لرجال الدّين مسؤوليّة كبيرة في نشر التّعايش والتّسامح لا تقتصر على الخُطب والمحاضرات، بل لا بدّ من أنْ تتوّسع إلى المشاركة الاجتماعيّة، فالتّعايش يتطلّب عدم الإيمان بالحقيقة المحصورة لديك، ولا يعني تذويب النّاس في طائفة أو منهج معين.

وعندنا في البحرين لا يوجد شيء اسمه أكثرية وأقليّة، الكلّ مواطنون في مجتمع واحد، لهذا فالأمن يعزّز التّعايش مسبقًا، ولا يبدأ التّدخل والعلاج

عندما يحدث الخلل، لهذا كانت مساحات وفضاءات التّعايش في البحرين تنطلق ابتداء من إيمان الملك نفسه بالتّعايش السّلمي، وحضوره للمناسبات الاجتماعيّة بين الجميع، وتشجيعه على عقد المؤتمرات والنّدوات، منها: المؤتمر الإسلامي المسيحي 2002م، ومنتدى حوار الحضارات 2008م، وحوار الحضارات والثّقافات 2014م، بجانب مركز الشّيخ عيسى الثّقافي حيث فتح المجال لجميع الأديان في تقديم محاضراتهم، ومركز اكتشاف الإسلام للتّعريف بالإسلام ومنهج التّعايش فيه من خلال نهج المجتمع الإسلامي في البحرين، وفي مركز الفاتح يتعرّف غير المسلم على الإسلام من خلال دخوله المسجد، ومأتم العريض في المنامة يجتمع فيه العشرات من أصحاب الأديان ويتحاورون.

وقد قمنا بتسجيل المحاضرة في قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة، ونُشِرت في 10 أبريل (نيسان)، وبعد المحاضرة كانت المداخلات، وهي لم تُنشر تلبية لطلب صاحب المجلس، وليكون شيء من الأريحيّة في النّقد، فكانت البداية مع أحد المتداخلين من البحرين، إذ وجد أنَّ المحاضرة ركزت على الجانب الإيجابي، ولم تتطرق إلى الجانب السّلبي المؤثر على التّعايش، وهو إذا لم يعالَج فسوف يكبر، وكان جواب الجودر أنّ الشّعوب الواعية هي الّتي تقدّم الحلول، ولا تقتصر على السّلبيات، ولكنْ هل المجتمع واعٍ ليقوم بالمسؤوليّة، فإذا تركت ثقافتك سيأتي آخر لسبب التّجنيس مثلًا، أو لعمل؛ وسيملأ هذا الفراغ، فنحن من تنازلنا عن ثقافتنا، ولولا ذلك لما حلّت ثقافة

غريبة عنّا، فمثلًا كنّا سابقًا نرى العَرْضة من الفنون الشّعبيّة أيام العيد، والسّؤال المهمّ: لماذا اختفت؟

ثمّ كانت مداخلة الدّكتور السّعودي عبد اللّطيف الخاجة، قائلًا لمّا مرت البحرين بأحداث 2011م اعتقد العديد من النّاس أنَّ الحلّ في الجانب الأمني، والحقيقة أنَّ الحلّ ليس أمنيًّا، وإنّما الحل في الإنسان البحريني من خلال حكمة العائلة الحاكمة، وخصوصيّة الإنسان البحريني، فكانت عشرات المحطات تقوم بالتّشويش على البحرين، لكنّهم لم يستطيعوا اختراق إيمان الإنسان البحريني في التّعايش والسّلم، والسّؤال هنا: لماذا التّركيز على التّعايش في البحرين وهو موجود؟ وفي الإمارات عندهم احتفال هذا العام بعام التّسامح، مع تعيين وزارة خاصة للتّسامح وتعزيزه، وفي نظري التّسامح لا يُفرض، ولكنّه روح تُولد مع الإنسان، وأنا أختلف معك في قضيّة التّواصل الاجتماعي، فلمّا قامت الثّورة الصّناعيّة كان الكثير حينها متخوّفًا، وعندما نشاهد اليوم وسائل التّواصل الاجتماعي نجد الإيجاب أكثر من السّلب، ففي السّعودية تغيّرت ثلاث وزارات في أقلّ من خمسين يومًا بسبب التّواصل الاجتماعي، وعمومًا فإنّ أيّ حاجة جديدة تحتاج إلى وقت للتّعامل معها.

ثمّ كانت مداخلة الدّكتور عبد العزيز الصّويلح، قائلًا: أنتَ قلت نتحدّث بعيدًا عن السّياسة والدّين، مع أنَّ التّعايش موضوع سياسي، والواقع هو الذي يفرض التّعايش، ولا توجد لدينا مشكلة مع التّعايش السّلمي، فإذا قلنا البحرين نموذج للعالم في التّعايش، فلماذا نجعل هذه المؤسسات في البحرين، بل علينا أنْ نخرج، وبالنّسبة للثّقافات لأنَّنا أدخلْنا أناسًا من جنسيات مختلفة انتشروا في

البلد، هؤلاء جاؤوا من ثقافات مختلفة، والأصل وجود مؤسسات تضبط سلوكياتهم، ففي السّابق كانت المُحَرّق مثلًا مليئة بالعُمانيين واليمنيين، لكنَّهم كانوا مختلطين معنا ومتعايشين، لكنّ الذين تجنّسوا الآن من ثقافات أخرى لا يختلطون مع المجتمع، ولا يتعايشون معه، حتى إنَّ مجالسهم أصبحت خاصّة، وهنا عقّبت مديرة الجلسة على الصّويلح: علينا نحن أنْ نذهب إليهم، ونختلط بهم، ولا ننتظر الجهات الرّسميّة.

ثمّ عقّب متداخل آخر من البحرين قائلًا: للبيئة تأثير على الإنسان البحريني، فالأرض البحرينيّة ساحليّة لينة، لهذا كان تأثيرها على الإنسان البحريني، عكس أرض نجد التي تتميز بالشّدة، فالتّعايش لن يتحقق إلا في حال توفر حاضنة اجتماعيّة له، وأمّا وسائل التّواصل الاجتماعي فلها تأثير كبير على التّعايش، ففي أستراليا وجدوا في وسائل التّواصل انخفاض استخدام لفظتي التّعايش والتّعدد، فأقامت المؤسسات دورات للنّاس للتّعبير عن آرائهم بطريقة لا تؤثر على التّعايش، على عكس ما عندنا، فالتّعبير عن الرّأي يصاحبه إقصاء للآخر، والتّعايش ليس حقيبة حكوميّة، ولكنّه حاضنة اجتماعيّة، ويحتاج النّاس إلى تدريب وليس إلى قرارات علوّيّة، والطّيبة الّتي عندنا ونتميّز بها لا تعني مدحًا كاملًا للطيبة، فقد تعني السّذاجة أيضًا.

ثمّ كانت الكلمة الأخيرة للجودر قائلًا: جهاد الخازن (معاصر) – الصّحفي اللّبناني من أصول فلسطينيّة – تحدّث عن الحرب الأهليّة في لبنان، إذ قُتِل فيها أكثر من مئة وعشرين ألفًا، ومرّت السّنوات وبقي الفكر نفسه، كالّذي يأخذ جثّة من الثّلاجة ويبقى يلطم عليها، ولهذا حين نتحدّث هنا في البحرين

نستذكر هذه النّعمة من التّعايش حتى لا نفقدها كما حدث في لبنان، أو حتّى في العراق، ففي الإمارات نعم يخصّصون اسمًا لكلّ عام، ونحن كمؤسسات نعمل كمجتمع مدنيّ لا كدول، ولكنْ يجب أنْ تكون المبادرة منطلقة من المجتمع، فالكوب الّذي لا يُملَأ بالماء يمتلئ بالهواء، وقد يكون ملوّثًا بالتّطرّف العنيف، ونحن جزء من المنطقة نتأثر بما حولنا تمامًا كغيرنا، وقد شاركت في مؤتمر في أمريكا حول تعزيز الأمن من خلال مؤسسات العمل المدني، وبعده بشهر في الرّياض في مؤتمر تعزيز الأمن من خلال المنبر الدّيني، والكلّ كان يريد معالجة القضايا النّاتجة من وسائل التّواصل الاجتماعي.

وكانت لي رغبة في التّعقيب لولا ضيق الوقت، ولأنّني آثرتُ السّماع لأفهم الآخر وهو أولى، وكتبتُ ملحوظاتي حول المحاضرة حينها، من حيث علاقة التّعايش بالتّعارف، وظرفيّة قراءة المراحل، وحضور التّوجهات الأخرى من غير الأديان من خلال مبدأ الأنسنة، وغيرها.

وبعد المحاضرة كانت مرحلة العَشاء والحديث الجانبي، وهنا تحدّثت مع عبد اللّطيف الخاجة من الرّياض، وقد أتى من منطقة تبعد ستمئة كيلو متر، ويأتي شهريًّا إلى مجلس جابري الثّقافي، وطلب بعض كتبي، وأرسلت له لمّا رجعت إلى عُمان عن طريق أحد الأصدقاء.

كذلك تحدّثتُ مع الدّكتور عبد العزيز الصّويلح، وقال: هذه العِمامة الّتي تلبسها لم أرها سابقًا مع العُمانيين في البحرين، وأخبرني عن الفراغ الّذي تركه العُمانيون، فلم يشعروا بالفرق، وكانوا مختلطين مع المجتمع البحريني، وطلب منّي أنْ أحضر محاضرتَه يوم الخميس 11 أبريل (نيسان) أي بعد يوم

في جمعيّة التّاريخ وآثار البحرين، وذلك لتدشين كتابه «حضارة دلمون»، وكانت لي رغبة في الحضور، ولكنْ لغرض آخر رأيته أَوْلى كما سنرى في حينه.

كذلك كانت لي جلسة مع الباحث لؤي الشّريف، وأخبرني عن إعجابه بالمجتمع البحريني، وأنّ العيش فيه يساعد على البحث والمعرفة، فتسامرنا حول اللّغات القديمة، ومنها اللّغة العبريّة، لاهتمام لؤي بها، وعلاقتها باللّغات العربيّة والكنعانيّة والآراميّة والسّريانيّة مثلًا، كما تحدّثنا عن التّعدّد الدّيني في المملكة العربيّة السّعوديّة، واتّفقنا على تسجيل حلقة معه لولا أنَّ ظروف الوقت لا تسمح له قبل 12 أبريل (نيسان)، وهو موعد رجوعنا في هذا اليوم.

كذلك جلست جلسة شبه طويلة مع الأستاذة طاهرة جابري، وأغلب الحديث حول ما دار في المحاضرة، وكان المُقرَّر أنْ يكون بيننا جلسة حوارية، لولا أنَّ الجدول ازدحم، ولم نجد فراغًا.

عمومًا تأخر الوقت، ونحن ما بعد الحادية عشرة ليلًا، فرجعت إلى النُّزُل بعد يوم مليء بالزّيارات والبرامج، لنستعدّ لزيارة العلّامة عبد الله الغريفي، وزيارة الكنيسة المشيخيّة في مجمع الأديان، وتسجيل حلقة مع القِس هاني عزيز كما سنرى.

• زيارة السّيد عبد اللَّه الغريفي ثمّ الذّهاب إلى مَجْمَع الأديان وتسجيل حلقة مع الكنيسة المشيخيّة

في صباح يوم الأربعاء 10 أبريل(نيسان) بعد جدول المشي صباحًا انتظرتُ الأستاذ عبد الله محفوظ، وقد رتَّب لنا موعدًا مع سماحة العالِم السّيد عبد الله

الغريفي في التّاسعة صباحًا، وهو من أكبر المرجعيّات الدّينيّة الشّيعيّة في البحرين، وحاصل على مرحلة الاجتهاد، من شيوخه الإمام أبو القاسم الخوئي (ت 1992م)، والسّيد الشّهيد محمّد باقر الصّدر (ت 1980م)، والسّيد محمّد حسين فضل الله (ت 2010م)، والدّكتور عبد الهادي الفضلي (ت 2013م)، وله العديد من البحوث الدّينيّة.

وصل الأستاذ المحفوظ إلى النُّزُل، ثمّ ذهبنا إلى منطقة السّهلة الشّماليّة من ضواحي المنامة حيث منزل سماحة الغريفي، فوصلنا قبل الموعد بفترة، وفي بداية الدّخول إلى البيت توجد غرفة ملحقة بالباب، وفيها حارس، يقوم بتفتيش بسيط أثناء الدّخول، ويطلب الهاتف، فقلت له أريد أنْ أصوّر مع سماحته، فقال لي مُبتسمًا: سنصّور ونُرسل لك، ثمّ دخلنا المجلس مباشرة على اليمين بعد الدّخول من الباب الصّغير للبيت.

وعمومًا فإنَّ بيته متواضع جدًّا، ومجلسه ليس كبيرًا، وهذه عادة وجدتها مع علماء الشّيعة الإماميّة ولو سكنوا في أماكن راقية تجدهم في قمّة الزّهد وعدم التّكلف، فدخل علينا السّيد الغريفي من الباب الصّغير المقابل لنا داخل المجلس، يمشي بوقار، وعليه سَمْت العلماء، فرحَّب بنا، وسألني عن عُمان، وعن النّتاج المعرفي، فأهديته كتابيَّ: (فقه التّطرف وإضاءة قلم)، فسألني هل هما بحثان علميّان، فقلت له: لا، إنهما مجرد إضاءات فكريّة.

عندما رأيته أحسستُ بأنني أرى السّيد محمّد حسين فضل الله، وكنت في لبنان عام 2005م، وكنت أرجو زيارته، لِما له من تأثير في نفسي حينها، ولكنَّ الوضع السّياسي حينها في لبنان لم يُتِح لي ذلك، وكنّا هناك للدّراسة في كليّة

الآداب بجامعة القدّيس يوسف المشهورة باليسوعيّة، إلا أنّنا استُدعينا للتّحقيق مرَّتين لبيان سبب مجيئنا إلى لبنان، مع أنّنا حُجِزْنا لمدَّة ساعتين في المطار، وتم التحقيق معنا، وقلنا لهم: سبب المجيء هو الدّراسة، وعندنا ما يُثبت ذلك، وهنا تدخل الدّكتور أهيف سنّو (معاصر) وكان من رموز جامعة القدّيس يوسف، وطلب منّا عدم الخروج والتّنقل إلا من السّكن إلى الجامعة، وكنّا لحسن الحظ نسكن قريبًا من الجامعة، ومع هذا استفدنا حينها من العلّامة أسامة الرّفاعي (معاصر)، فكنّا نذهب إليه في مسجد عثمان بن عفان، وكان قريبًا منّا، وأصبح فيما بعد قاضي قضاة طرابلس لبنان.

عمومًا وجدت سَمْت فضل الله وصورته في السّيد الغريفي، لهذا جرّنا الحديث عن السّيد فضل الله، وعن جهوده الإصلاحيّة ودوره التّنويري والإنساني، كذلك تضمّن اللّقاء جوانب معرفيّة وبحثيّة خصوصًا داخل المدرسة الإماميّة، وأتصوّر أنّنا تحدّثنا أيضًا عن المدرسة الأخباريّة، وعن المدرسة الأحسائيّة والشّيرازيّة، وكذلك تحدّثنا عن رحلتي إلى قُم، وقلت له: الرّحلة موثقة في كتاب (إضاءة قلم).

وبعد هذا اللّقاء السّريع الّذي لم يتجاوز نصف ساعة خرجنا من عنده، وودعنا إلى باب المجلس، وكان شاب يدخل بين فترة وأخرى رحّب بنا أتصوّره ابن الشّيخ أو تلميذًا له، وقام بالتّصوير، وودَّعنا إلى الخارج، فأخذنا هواتفنا، واعتذروا لنا بشأن الهواتف؛ لأنَّ هذا من باب الاحترازات الأمنية، وفعلًا وصلتنا الصّور مباشرة بعد الخُروج، وسعدت كثيرًا بهذا اللّقاء وإنْ كان سريعًا، وغرّدت يومها في تويتر: «آية الله المرجع البحريني السّيد عبد الله

الغريفي من تلامذة السّيد محمّد حسين فضل الله (ت ٢٠١٠م) رحمه الله، لقاء تضمّن العديد من النّقاشات الوحدويّة والفكريّة والتّعايشيّة وبعض المراجعات».

بعد هذا ذهبنا إلى منطقة السّنابس، وهي قرية ساحليّة، قصدنا فيها مطعمًا شعبيًّا لتناوُل الفطور اسمه شاي كافيه مقابل مجمع البحرين التّجاري، فصعدنا إلى الطّابق العُلوي للمطعم، يقدّم هذا المطعم الوجبات البحرينيّة والخليجيّة الشّعبيّة، وهو مطعم نظيف وراقٍ على الرغم من بنائه الشّعبي.

ثمّ ذهبنا إلى شارع أو مجمّع الأديان في البحرين، وهو شارع بالمنامة يوجد فيه مساجد للسّنّة والشّيعة وحسينيات وكنيسة للمسيحيين الإنجيليين وكنيس لليهود ومعبد للهندوسيّة والبوذيّة، وكان لدينا موعد مع القِس هاني عزيز، مصري، وهو القائم في الكنيسة المشيخيّة، وهي كنيسة إنجيليّة كالفينيّة بروتستانتيّة مسيحيّة.

وصلنا في الوقت المحدد قرب الحادية عشر ظهرًا، ووجدنا القسّ هاني عزيز ينتظرنا، وهو رجل يحمل همّ التّعايش، وعميق في المعرفة المسيحيّة، وكان مبتسمًا جدًّا ومتواضعًا، عرّفنا بالكنيسة، وهي تختلف عن الكنائس الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة وبعض الكنائس البروتستانتيّة؛ إذ لا يوجد فيها تصاوير، ولم نرَ خلف هيكل الكنيسة غرفة المذبح أو القربان، يوجد فقط مجسم الصّليب أمام الهيكل، وعمومًا كان دخول الصّور والتّماثيل إلى الكنيسة متأخِّرا جدًّا تقريبًا بعد 600م، ودخلت في الكنيسة الكاثوليكيّة الّتي انبثقت منها البروتستانتيّة بعد القرن الثّاني عشر الميلاديّ.

وفي هيكل الكنيسة سجلنا حلقة حول المذهب المسيحي الإنجيلي المشيخي ضمن برنامج حوارات الحلقة التّاسعة والثّلاثين، وهي أول حلقة أسجّلها حول مذهب مسيحي، عدا مذهب شهود يهوه كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة، إلا أنّني في الرّحلة التّكساسيّة - كما سنرى - سجّلت حول الأرثوذكسيّة واللّوثريّة والمَعمدانيّة والمُورمون وغيرها، كما سجلت لاحقًا مع المورانة في لبنان، ولي أمل أن أكمل باقي العمل مع جميع الكنائس المسيحيّة وباقي الأديان، وقد بُثَّت الحلقة على قناة (أُنس) اليوتيوبيّة في اليوم نفسه.

في بداية اللّقاء بيّن أنَّه في القرن الخامس عشر الميلادي كانت الكنيسة في الغرب مسيطرة على النّاحية السّياسيّة والدّينيّة من خلال البابوات والبطاركة، فلمّا دخلت الكنيسة في السّياسة حدث تشويه للمسيحيّة وللكتاب المقدّس، ففرضوا سيطرتهم على الشّعب، وغُيّب الشّعب عقليًّا، فخرجتْ تعاليم فاسدة من الكنيسة لأجل مصلحة البابوات والبطاركة مثل محاكم التّفتيش وصكوك الغفران.

وسط هذا الظّلام كانت أنوار خافتة، ومن هذه الأنوار العالِم المسيحي مارتن لوثر (ت 1546)، كان يدّرس اللّاهوت في جامعات ألمانيا، وأدرك جيّدًا التّعاليم المسيحيّة، وقرأ آية في الكتاب المقدّس غيّرت فكره وحياته، وهي: «أمّا البارُّ فبالإيمان يحيا، وإنْ ارتدّ لا تسّر به نفسي» (الرّسالة إلى العبرانيين، إصحاح 10، آية 38)، وأدرك أنّ البارّ يحيا بالإيمان وليس بصكوك الغفران ولا محاكم التّفتيش.

وقام لوثر بنشر هذا الفكر، وكتب تسعًا وتسعين اعتراضًا على الكنيسة، وعلّقها على باب كنيسة القدّيس بطرس، من هنا جاءت كلمة البروتستانت أي الاعتراضات، ولاقى صعوبات شديدة من القيادة الكنسيّة، فحكموا بهرطقته وإهدار دمه، ومن عناية الله أنَّ الامبراطور حمى مارتن لوثر، فبدأ له أتباع يقرؤون الكتاب المقدّس، ويدركون التّعاليم الصّحيحة.

ومارتن لوثر لم يُرِد إنشاء طائفة جديدة، وإنّما كان يريد الإصلاح، وبسبب رفضهم انتشرت تعاليمه، وقام بترجمة الكتاب المقدّس إلى لغة يفهمها النّاس، فبدأ الوعي الرّوحي ينتشر بينهم.

ثمّ أتى مصلحون آخرون مثل جان كالفِن (ت 1564م)، وعاصر مارتن لوثر، وجمع بينهما الإصلاح، فلمّا لم يُرِد لوثر الخروج من عباءة الكنيسة الكاثوليكيّة؛ كان جان كالفن قد بدأ يوّضح بعض الأمور بعيدًا عن هذه الكنيسة، مثل مفهوم الكتاب المقدّس، ومفهوم تعاليم السّيد المسيح، لهذا تبنت الكنيسة الإنجيليّة المشيخيّة تعاليم جان كالفِن المستخرجة من الكتاب المقدّس.

وسمّيت بالمشيخيّة؛ لأنّ جان كالفن تحدّث عن نظام للكنيسة يديره أناس لهم قدرة في التّعليم، ومشهود لهم بذلك، ويكونون مُنتخَبين من شعب الكنيسة، وحين انتخابهم يُسَمَّوْن شُيوخًا، ولهذا سميت بالمَشيخيّة حيث تُدار من هؤلاء الشّيوخ وهم نوعان: الشّيخ المعلّم أي القسّيس الّذي يعلّم الشّعب ويرشدهم، والشّيخ المدبّر مثل الأمور الإداريّة في الكنيسة، ثمّ الشّمامسة،

والشّماس مسؤول مثلًا عن النّاحية المالية للكنيسة، ومساعدات الكنيسة الاجتماعيّة، وفعاليات الكنيسة.

أمّا الكنيسة الأنجليكانيّة فهي الكنيسة الإنجليزيّة، وشكل هذه الكنيسة يختلف قليلًا عن الكنيسة المشيخيّة، فمن الممكن أنْ تجد في الكنيسة الأنجليكانيّة بعض الصّور والتّماثيل، أمّا الكنيسة الإنجيليّة واعتمادًا على الكتاب المقدّس: «فلا تصنع لك تمثالًا منحوتًا، ولا صورة ما ممّا في السّماء مِن فوق، وما في الأرض مِن تحت، وما في الماء مِن تحت الأرض، لا تسجُد لهنّ ولا تعبدهنّ، لأنّي أنا الرّب إلهك إله غيور» (سِفر الخروج، الإصحاح: 20، آية: 4)، فالنّهي عن عبادة التّماثيل والصّور والتّبرك بها لأنّها أشياء وثنيّة، ولكن من الممكن وضعها في البيوت إذا كانت ليست للعبادة.

أمّا صور السّيد المسيح المنتشرة فهي ليست صورته الحقيقيّة، ولا يمكن الجزم بذلك، فمثلًا يكون رمز السيد المسيح لدى الأفارقة السّود في أعياد الميلاد صورة طفل أسود، وفي الصّين يأتون بطفل شكله صيني، فكلّ بيئة تُسقط ثقافتها عليه، يضاف إلى ذلك أنَّ السيد المسيح وُلد في أرض فلسطين، وفي بيئة صعبة، وكان يوسف النّجار يعمل نجارًا، وكان المسيح يعمل معه، فكيف يكون شعره ناعمًا، ويداه ليِّنتين، فالأولى أنْ تكون له عضلات مع سمرة في وجهه من العمل.

والكنيسة الإنجيليّة هي الإطار الجامع، داخلها الكنيسة المشيخيّة، والكنيسة المعمدانيّة، والكنيسة الرّسوليّة، والكنيسة الخمسينيّة، وكنيسة الأُخوّة، مثلًا تفترق عن الكنيسة المعمدانيّة في أنّ المعمدانيّة لا تعمّد الأطفال،

ولكنَّها تعمّد الكبار بعد استقلال الإيمان، وهذا عكس الكنيسة المشيخيّة التي تعمّد الأطفال؛ لأنّ الأطفال جزء من البيت المسيحي حسب الولادة.

وفي الجملة أنا أومن بتعدد المذاهب، ولست ضدّها، بل هو إثراء، ولكن ضدّ الابتعاد عن التّعاليم الأساسيّة للسّيد المسيح والكتاب المقدّس، لهذا لا نعتبر شهود يهوه والمورمن أصحاب كنائس ولا مسيحيين.

فنحن مع التّعايش بين المذاهب والأديان، وما جاء في آية الكتاب المقدّس: «لا تظنّوا أنّي جئت لألقي سلامًا على الأرض، ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا» (إنجيل متّى، الإصحاح: 10، آية: 34)، فالآيات الّتي قبلها تتحدّث عن التّعايش والمحبّة وقبول الآخر، وهذه الآية تعني أنَّه عندما يأتي شخص من خلفيّة غير مسيحيّة، أو في أسرة مسيحيّة غير متدينة، ولهم ابن قد تدين، فالّذي جاء من خلفيّة غير مسيحيّة، ويدخل في المسيحيّة يجد اضطهادًا كبيرًا من جماعته، هنا يعيش في تعب وألم عاى المستوى الاجتماعي، وكأنّ سيفًا ينزل إليه، وكذا الحال مع الأسرة المسيحيّة غير المتدينة يجد مَن تديَّن من أبنائها اضطهادًا منها.

ثمّ إنَّنا لا ننظر إلى دُور العبادة كحيطان وسجّاد، ولكن في دور العبادة معلّمون وأُناس، فهذه المنظومة يجب أنْ تسير باعتدال ووسطيّة، وفق الوحي المقدّس، فإذا قُدّم هذا التّعليم بشيء من التّطرف وكراهيّة الآخر، فعندها تكون الكنيسة سببًا في نشر روح التّعصّب والكراهيّة، وكذا الحال عند المسجد والكنيس.

وأمّا عقيدتنا فنحن في الكنيسة المشيخيّة نقول: «بسم الله الموجود بذاته، النّاطق بكلمته، الحيّ بروحه، الإله الواحد، آمين»، «بسم الله الموجود بذاته»

أي الله واحد، أوجَد ذاته، ولم يوجِدْه أحد، ولم يتدخل أحد في ذاته، موجود من الأزل وحتّى الأبد، وهو مصدر كلّ شيء، ويُعبَّر عنه في الكتاب المقدّس باسم الأب، والأب ليس بمعنى التّناسل، فهو كلّمنا عن طريق أنبيائه بكلمات نفهمها، فالأب نفهما بأنّه الخالق المصدر لكلّ شيء، ونحن أبناؤه ليس بمعنى التّناسل، وإنّما بالخلق. و«النّاطق بكلمته»، أي المتكلّم، فقد تكلّم إلى الأنبياء والرّسل، فصفاته ذاتيّة وليست مضافة، ولا تُنزَع، ومنها كلمته، وعليه فصفاته أيضًا أزليّة وأبدية، وبما أنَّ صفة الكلام سابقة للخلق، فمع من كان يتكلّم؟ كان يتكلّم مع نفسه! وعبّر عن هذه الكلمة في الكتاب المقدّس بأنَّها السّيد المسيح، وفي القرآن: ﴿**إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ**﴾ (النّساء/ 171)، وفي إنجيل يوحنّا: «في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله» (إنجيل يوحنّا، الإصحاح: 1، آية: 1) فكلمة الله أي الرّب يسوع المسيح.

و«الحيّ بروحه» أي الرّوح القدس، والسّؤال هنا: هل الله واحد أم ثلاثة؟ نحن نؤمن بأنَّ الله واحد، والمسيح يقول: «اسمع يا إسرائيل، الرّب إلهنا ربٌّ واحد» (سِفر التّثنية، الإصحاح: 6، آية: 4)، ، ولكن وحدانية الله الّتي يُعلن عنها الكتاب المقدّس ليست وحدانية مفردة، فالإنسان مثلًا يتكوّن من جسد ونفس وروح، لكن الإنسان واحد وليس ثلاثة، ولهؤلاء الثّلاثة وظائف معينة، ولمّا تكتب خطابًا مثلًا، فأنت تجسّد الفكرة إلى كلمات، ثمّ ترسلها إلى المرسل إليه، فهي عند المرسل إليه لكنّها أيضًا عند المرسِل، فالمسيح هو كلمة الله وروحه منذ الأزل، فلمّا ولد المسيح لم يكن له أب جسدي، وإنّما

لديه أم أي القدّيسة العذراء مريم، فالمسيح ابن الله لا يعني أنَّ له أبًا جسدي، وإنّما أنزل الله روحه القدّوس في بطن العذراء مريم، وألقى كلمته في بطنها، فكان السّيد المسيح، فهو ابنه بالرّوح وليس بالتّناسل والجسد، لهذا فللمسيح طبيعتان: طبيعة إلهيّة أي روح الله وكلمته، وطبيعة جسديّة ناسوتيّة من السّيدة العذراء مريم.

والصّليب محور المسيحيّة، ويتضمّن معنى الفداء والبذل والمحبّة والخلاص، فهو جوهر وأساس تعاليم المسيحيّة.

ونحن نؤمن بالعهدين القديم والحديث، ونؤمن بالأناجيل الأربعة متّى ومرقس ولوقا ويوحنا وأعمال الرّسل، وأمّا إنجيل برنابا ويهوذا ومريم المجدليّة وبطرس وغيرها فهي أناجيل غير قانونيّة، وعلماء الكتاب المقدّس يفحصون أزمنة الكتابة ونوعها، ونوع الورق المكتوب فيها، والحبر المستخدم، وهذه الأناجيل بعد الفحص تبيّن أنَّها كتبت من أناس أرادوا لها من القداسة فعَزَوْها إلى القدّيسين، وبعد فحص الأدلّة الدّاخليّة والخارجيّة تبين أنّها ليست قانونيّة.

وأمّا في فقه الكنيسة المشيخيّة فهناك سرّان أساسيان[1]: سرّ التّناول أو العَشاء الرّباني الأخير، أي قبل الصّلب حيث كان المسيح مع التّلاميذ في العلّيّة،

(1) الّذي يمارس (آذار) في الكنيسة يسمى السّرّ، والمعروف في الكنيستين الأرثوذكسيّة والكاثوليكيّة بالأسرار السّبعة، مع خلاف في بعض تفاصيلها، ولهذا تختلف الكنائس البروتستانتيّة كما في المشيخيّة فيؤمنون فقط بسرّين، وسيأتي تفصيل الأسرار السّبعة في الرّحلة التّكساسيّة أثناء الحديث عن الكنيسة الأرثوذكسيّة .

وأكل معهم الفِصح، وبدأ يعطي فكرًا لاهوتيًّا أبعد من الفصح، وقال لهم كلوا هذا جسدي واشربوا هذا دمي، والسّرُّ الثّاني المعموديّة، وهي علامة خارجيّة لحقيقة داخليّة، فنعمّد الأطفال باسم الثّالوث الأقدس، الأب والابن والرّوح القدس، وأمام الكنيسة نشهد أنَّ المُعمَّد أصبح مسيحيًّا بهذه المعموديّة، وبه يتحمّل الوالدان أو الأسرة تعليم الولد التّعاليم المسيحيّة، ويترتّب على الكنيسة مساعدة هذين الوالدين أو الأسرة عن طريق التّعليم ومدارس الأحد المسيحيّة.

وأمّا أركان الصّلاة فهي أولا القراءة من الكتاب المقدّس بالعهدين القديم والحديث، والثّاني: التّرانيم حيث يكلّم ربّه فيقول: أنت عظيم يا الله، عظيم في محبّتك، عظيم في شفائك، عظيم في سلطانك، فيأتي واحد ويضع عليها لحنًا فتصبح ترنيمة، والثّالث: شرح الكلمة، فتقرأ جزءًا من الكتاب المقدّس، ويقوم القسّيس بشرح هذا الجزء للنّاس كخُطبة مسيحيّة، والرّابع: العطاء أي نُمَرِّر على النّاس صندوقًا صغيرًا فالّذي يحبّ أنْ يتبرع بأي مبلغ نسميّه العطاء لمصاريف الكنيسة، فالكنيسة لا يوجد لها وقْف، ونرفض أيّ دَخْل من خارج الكنيسة، وبعض الكنائس لها أوقاف في الخارج كالمحلّات تُصرف لإصلاح الكنيسة وبعض المُرتّبات.

ولا يوجد عندنا سرّ القُربان، فلا مذبح في الكنيسة ولا قربان ولا نُذور، ولا نستخدم البَخور، ولا يوجد عندنا نظريّة الاعتراف، وهذا يكون مباشرة بين الإنسان وربّه، نعم يوجد أب روحي هو القسّيس، يتوقف دوره هنا عند المشورة والمساعدة الممكنة فقط.

والصّيام كما يقول السّيد المسيح: «وأمّا أنت فمتى صمت فادهن رأسك، واغسل وجهك، لكيلا تظهر للنّاس صائمًا، بل لأبيك الّذي في الخفاء، فأبوك الّذي يرى في الخفاء يجازيك علانية» (إنجيل متّى، الإصحاح: 6، آية: 17 – 18)، فليس عندنا وقت معين للصّيام، فلا يوجد عندنا الصّيام الصّغير ولا الكبير، ولا يعرف النّاس أنَّ الإنسان صائم، والصّيام من شروق الشّمس إلى غروبها، ويتخلّل الصّيام قراءة الكتاب المقدّس، والصّلوات، والصّيام عن المعاصي والخطيئة والشّرور.

وعندنا عيدان أساسيان: عيد الميلاد المجيد، وعيد القيامة، وعيد الفصح هو عيد القيامة.

وأخيرًا تحدّث القِسّ هاني عزيز وقال: إنَّ الكنيسة المشيخيّة في البحرين تأسست 1906م عن طريق دكتور مُرسَل من أمريكا اسمه صمويل زويمر (ت 1952م)، وفي العام نفسه بنى مستشفى الإرساليّة الأمريكيّة، ثمّ بنى المدرسة الأمريكيّة، وبعدها بنى الكنيسة، وكانت في البداية مبنى خشبيًّا، يصعدون إليها عن طريق السّلالم، ويصلّي في هذه الكنيسة أكثر من ثلاثين جماعة طول الأسبوع، يستخدمها أكثر من خمسة آلاف شخص، وفي عامي 2001 و2002م حدثت توسعة للكنيسة؛ لأنَّ العدد قد زاد.

والدّيانة الإسلاميّة في البحرين هي الديانة الأساس، ولكنْ لمّا ننظر إلى تاريخ البحرين نجد الدّيانة المسيحيّة موجودة فيها منذ القِدم، وعندنا منطقة الدّير، ومنطقة سماهيج، ومنطقة قلالي، وكان يوجد فيها رهبان، وشعب البحرين شعب متدين ومتمّسك بدينه، ولكنَّه أيضًا هو شعب منفتح على

الآخر، مهما كان هذا الآخر، وإذا جئنا إلى حكومة البحرين وحكّامها فنحن نتحدّث عن الأجداد؛ لأنَّ التّسامح والتّعايش لا يمكن أن يكون وليد لحظة، وإنّما يدلّ على خلفيّة تاريخيّة تمكَّنت فيها، وساعد موقعها الجغرافي على ذلك؛ لهذا سُمِّيَت بأرض الخلود، وجلالة الملك – وهو رأس البلد – يتحدّث دائمًا عن التّسامح والتّعايش وقَبول الآخر، فهذا يؤثر في النّاس.

وبعد نهاية التّسجيل ودعْنا القِس هاني عزيز، ومررنا على مستشفى الإرساليّة الأمريكيّة في البحرين، وهو ملاصق أو قريب من الكنيسة، وجاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا: أنَّه «تأسس في عام 1903م كمستشفى ميسون التّذكاري، وكان أوّل مستشفى في البلاد والسّاحل الغربي من الخليج العربي»، ولا زال المستشفى يعمل حتّى اليوم.

ثمّ بعد هذا اللّقاء كان علينا أنْ نتوجه إلى القَطيف بالمملكة العربيّة السّعودية، تلبية لدعوة الغداء من قِبَل سماحة الشّيخ حسن الصّفّار كما سنرى.

• الذّهاب إلى القطيف وزيارة سماحة الشّيخ حسن الصّفار

بعد الانتهاء من تسجيل حلقة حول المذهب المشيخيّ الإنجيليّ مع القِس هاني عزيز وزيارة الكنيسة المشيخيّة في المنامة، هنا توجّهنا مباشرة إلى القطيف بالمملكة العربيّة السّعودية، والقَطيف محافظة سعوديّة في المنطقة الشّرقيّة، ولها تاريخ عريق مرتبط بتاريخ البحرين والمنطقة عمومًا تبعُد عن البحرين حوالي مئة وعشرة كيلو مترات، أي ما يقارب ساعة ونصف بالسّرعة الاعتياديّة.

وقد أخبر الأستاذ عبد الله المحفوظ سماحة الشّيخ حسن الصّفار بوجودنا في البحرين، وأصرّ الشّيخ الصّفار على أن نقومَ بزيارته في القطيف وتناوُل الغداء معه، وسماحته من علماء الشّيعة الإماميّة ومفكريهم المعاصرين، وقد ترجمتُ له في كتابي (إضاءة قلم)[1]، وارتبط أيضًا بعُمان منذ بداية السّبعينيات من القرن العشرين عندما كان واعظًا في مسجد الرّسول الأعظم بولاية مُطرح، ومن حُسن الطّالع أن تتوّثق العلاقة بيننا، وأنْ أكون تلميذًا له متعلّما في أكثر من جلسة حواريّة معه على قناتي اليوتيوبيّة (قناة أُنْس)، آخرها حول المثقف وإنتاج المعرفة الدّينيّة، بتاريخ 9 نوفمبر 2020م، عن طريق برنامج ZOOM.

وقد تنقَّل الشّيخ الصّفّار للوعظ والدّعوة في المجتمع الشّيعيّ كما أخبرني تلميذه والقائم بنشر فكره الأستاذ عبد الباري أحمد الدّخيل بين العراق والكويت وعُمان وإيران وسوريا، واستقرّ في المملكة منذ عام 1415هـ/ 1985م في بلده القَطيف، وفي العام نفسه أنشأ مكتبه في المنطقة ذاتها.

واهتم الشّيخ بقضيّة التّعايش في المجتمع الإسلامي خصوصًا، فأقام عشرات النّدوات والمحاضرات، بجانب مؤلفاته الّتي تدعو إلى ذلك، وتحارب الفرقة والطّائفيّة، منها مثلًا كتابه التّعدديّة والحريّة في الإسلام: بحث حول حرّيّة المُعتقَد وتعدّد المذاهب، وكتابه (التّسامح وثقافة الاختلاف) وكتابه (السّلفيون والشّيعة) نحو علاقة أفضل، وكتابه (الحوار والانفتاح على الآخر) وغيرها كثير.

(1) يُنظَر: **(إضاءة قلم)**، مرجع سابق، ص: 113.

يضاف إلى ذلك أنَّه كانت له مبادرات عمليّة في الذّهاب إلى الآخر وزيارته، كزيارته لسماحة الشّيخ عبد العزيز بن باز (ت 1999م)، مفتي المملكة العربيّة السعودية السّابق، وأكبر قامة علميّة سلفيّة في العقود الأخيرة، وسماحة المفتي الحالي للمملكة الشّيخ عبد العزيز آل الشّيخ، كما زار شخصيّات علميّة أخرى كالشّيخ عوض القرني (معاصر)، ومعالي الوزير السّابق محمّد عبده يَماني (ت 2010م)، والمفكر إبراهيم البليهي (معاصر)، وغيرهم كثير.

ولمّا كان في عُمان زار أيضًا منذ فترة مبكرة سماحة المفتي السّابق الشّيخ إبراهيم بن سعيد العبريّ (ت 1975م)، والمؤرخ العلّامة سالم بن حمود السّيابيّ (ت 1991م)، كما تردد أكثر من مرة على سماحة المفتي الحالي الشّيخ أحمد بن حمد الخليليّ (معاصر)، ويزور العديد من المثقفين والكتّاب والباحثين، كما يستقبل أيضًا العديد من الشّخصيّات العلميّة والدّينيّة والثّقافيّة وغيرها؛ إن الحديث مع سماحته يطول، إلا أنّ وجود شخصيّات عمليّة دينيّة أو ثقافيّة تدعو إلى التّعايش ليس كتنظير، وإنّما كواقع مَعيش، مع نقد للذّات؛ ضرورة ملحَّة، وهذا ما أجده مع سماحته، بل أراه كثيرًا ما ينقُد ذاته ومذهبه بما يتوافق وأصول الإسلام الدّاعي إلى التّعارف والتّعايش تحت ظلّ الذّات الإنسانيّة أوّلًا، والمواطَنة ثانيًا.

وصلنا منزل سماحته في الجزيرة بمحافظة القَطيف قُرب الثّانية والنّصف ظهرًا، ودخلنا مجلسه وكان سماحته في استقبالنا، مع أخيه سماحة الشّيخ محمّد الصّفار، وهو كاتب وخطيب، وله مقالات يوميّة في الصّحف السّعوديّة

والخليجيّة كصحيفتَي اليوم والوسط، وله بعض الكتب المطبوعة، كان كثير الاستماع، قليل الكلام.

كما كان في استقبالنا صهره الأستاذ ميثم الفَردان، الذي شرّفنا في عُمان، وهذا اللّقاء الثّاني معه، وهو شاب مثقف ومتواضع، ابتسامته لا تفارق مُحيّاه، ومِنْ كُتبه عندي كتاب (الحوار المذهبي والمسار الصّحيح): محاضرة الشّيخ حسن الصّفّار وحفل تكريمه في إثنينيّة الشّيخ عبد المقصود خوجه، وهذا التّكريم كان عام 2004م في جدّة بمكّة المكرمة، وتابعتُها قديمًا على اليوتيوب.

كما التقيتُ الأستاذ والباحث عبد الباري أحمد الدّخيل، وبيننا تواصل منذ فترة على الواتس أب، وكان المنسقَ لسماحته، والمهتمّ بتراثه العلميّ والتّوثيقي، من كتبه: (السّلفيون والشّيعة: تجربة حوار) و(من مناقب أهل البيت) و(الوطن للجميع): حوار سماحة حسن الصّفّار مع الدّكتور الشّيخ سعد البريك في قناة دليل، وهذه المرة الأولى التي ألتقي به فيها على الواقع.

وكان في المجلس أيضًا الأستاذ حسن مرزوق النّخلي من أهالي المدينة المنوّرة وابنه أحمد، وكان يشاركنا الحديث، وهو ليس مُعممًّا، وفي البداية استأذنّا سماحته للصّلاة، ثمّ كان حديث قصير في المجلس، حيث سألني سماحته عن عُمان والإخوة والمشائخ فيها، وتناولنا بعض الحديث، خصوصًا عن زيارتنا إلى البحرين وإلى سماحة السّيد الغريفي، ثمّ ذهبنا إلى قاعة أخرى لتناول الغداء، وهناك كان لي بعض الحديث مع سماحة الشّيخ محمّد الصّفّار، في جوانب معرفيّة.

وبعد الغداء مررْنا بطاولة صغيرة فيها كُتيّبات لسماحته توّزع مجانًا، وشدّني منها كتابه حول صلاة الجمعة: أحكام وآداب في الفقه الجعفري، وهنا قال لي سماحته: إنَّ أحكام صلاة الجمعة في الفقه الإباضي تقترب من الفقه الجعفري، خصوصًا في اشتراط الإمام، ولعل السّبب في نظري أنَّ فكرة تعدّد الجمعة بهذه الصّورة لم تكن موجودة على الأقل في القرنين الأول والثّاني الهِجريين، وأوّل من عمّمها عمر بن الخطاب (ت 23هـ)، وجعلها مقصورة على الأمصار السّتة، على أنْ يُقيمها الوُلاة، لهذا جرى العمل عند الإباضيّة على أنْ تكون الجمعة مرتبطة بالمِصْر والإمام، حيث يُقيمها الإمام أو السّلطان العادل بنفسه، أو يَحضرها أو من ينوب عنه، ولهذا عند الإباضيّة لم تُعمم في غالب المُدن مشرقًا ومغربًا إلا في العقود الأخيرة، كما هو عند الشّيعة الإماميّة أيضًا فيما يبدو لي كما في العراق والسّعوديّة ولبنان وغيرها، بيد أنّي أرى أنَّها لا تُقام عند الشّيعة في إيران حتّى اليوم إلا في أماكن قليلة جدًّا.

ثمّ ذهبنا إلى مجلس الشّيخ، وهو مجلس كبير، وقيل لي: بناه أحد المحسنين، في الأسفل مجلس كحَوْزَةٍ وللمناسبات الدّينيّة والمحاضرات، وفي الأعلى مكتبة كبيرة، وفيه أيضًا قاعات أخرى وسكَن للضّيوف، وفي السّعوديّة أيضًا مجالس كما في البحرين والكويت، وتشكّل هذه المجالس وعيًا اجتماعيًّا ومعرفيًّا كما رأينا، وفيها مساحة من الحريّة، وتحوّلت بعض المجالس الشّيعيّة إلى حوزات، ففي القطيف - كما أخبرني الأستاذ عبد الباري - أكثر من ثلاث حَوزات، وفيها من العلماء وطلبة العلم ما يزيد عن مئتين وخمسين عالِمًا وطالبًا، ومن علماء القطيف الدّكتور عبد الهادي الفضلي (ت

2013م)، وأصله من الأحساء إلا أنَّه سكن قرية سيهات بالقطيف، والشّيخ فوزي آل السّيف (معاصر)، وسماحة السّيد منير الخبّاز (معاصر)، والشّيخ فيصل العوامي (معاصر)، وغيرهم كثير.

ثمّ ذهبنا في الطّابق الأعلى إلى مكتبة الشّيخ حسن الصّفار، ومكتوب في اللّوحة: تأسست بتاريخ 1 رجب 1422هـ الموافق 18 سبتمبر(أيلول)عام 2001م، والكتب في المكتبة مفهرسَة؛ منها ما يتعلّق بالفقه الإسلامي، وأصول الفقه، والعقائد والملل، والتّراجم والتّراث، وسيرة أهل البيت، وغيرها من الكتب المعاصرة والعلميّة والدّوريات وكتب الأديان، فهي منفتحة على الجميع، وتوجد قاعات للبحث ولأجهزة الحاسوب.

وهنا قام سماحته متواضعًا حيث شرح لي أبواب المكتبة مع بعض الكتب، فوجدت لديه مثلًا كتابات الدّكتور منذر الحايك (معاصر) المتعلّقة بالكتب المقدّسة للأديان، وأثنى عليها، كالتّوراة السّامريّة، وكنزا ربا للمندائيين، وفيدا للهندوس، وأبستاق للزّرادشت، وهذه جميعها اشتريتها من معرض الشّارقة للكتاب، كذلك وجدت لديه موسوعة الشّيخ أحمد الأحسائي، وأخذنا بعض الحديث حول هذه المدرسة، أيضًا وجدت في المكتبة كتاب الغناء للدّكتور عبد الهادي الفضلي، وكنت حينها أشتغل على كتاب الجمال الصّوتي حول الغناء والمعازف، فبحثت عن هذا الكتاب ولم أجده حتى في معرض مسقط للكتاب، فلم يطبع مع أعمال الدّكتور الّتي اقتنيتها، ووجدت في مكتبته أيضًا جميع أعمال مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، وأثنى عليها الشّيخ كثيرًا، ككتاب (الدّولة والشّريعة في الفكر الإسلامي المعاصر) لبُراق زكريا، والدّين

والمُتغيرات الثقافيّة المعاصرة لعليّ رضا شجاعي زند، و(الإسلام والقانون الدّولي الإنساني) لمجموعة من المؤلفين، و(قلب الإسلام: قيم خالدة من أجل الإنسانيّة) للسّيد حسين نصر، وغيرها كثير.

ولمّا نزلنا إلى الخارج كانت لي رغبة شديدة في زيارة الباحث والمفكر الدّكتور توفيق السّيف، وهو من أهل القَطيف، فاتّصل به كما أتصوّر الأستاذ عبد الباري، وكلّمتُه، فقال لي إنّه يرحب بنا، بيد أنّه في الطّريق راجع من الرّياض، يحتاج إلى بعض الوقت، فاعتذرت له لضيق الوقت، وقد شرّفنا توفيق السّيف في قناة (أُنس) اليوتيوبيّة برنامج ZOOM في حلقة بعنوان: تجديد الفكر الدّيني: آفاقه وتحدّياته، بتاريخ: 23 نوفمبر 2020م.

وهنا أهدانا الشّيخ عشرات الكتب منها أحاديث في الدّين والثّقافة والاجتماع، تضمّ محاضرات وخطب الشّيخ في عشر مجلدات كبار، ومسارات في ثقافة التّنمية والإصلاح يتضمّن أخبار الشّيخ وحوارات في تسع مجلدات، كما أضيف حوارنا مع سماحته في قناة (أُنس) حول تأملات في بعض قضايا التّفكير الدّيني سيكون في الجزء العاشر، ص: 799 – 819، وكتاب الحوار المذهبي والمسار الصّحيح، وغيرها.

وهنا خشيت مع كثرة الهدايا الّتي حصلت عليها من الكتب أن تسبب لي عرقلة في الحدود، وقد يتصوّر أنّها للبيع، وهذا ما حدث عند حدود السَّلع لدخول دولة الإمارات العربيّة المتحدة، وقد طلبوا تصريحًا لإدخالها، وهذا حقّهم، ولكن بعد حوار معهم أخبرتهم أنني ذاهب إلى عُمان، وليست للبيع، فتفهموا الوضع – جزاهم الله خيرًا – وسمحوا لنا بالمرور.

وقد طلب منا الإخوة أن نتأخّر معهم، ونجلس إلى اليوم التّالي، حيث يوجد مكان معدّ لمبيت الضّيوف، وللقاء أكبر عدد من الإخوة، فاعتذرنا لهم؛ لأنّ الوقت ضيّق، ويوم الغد الخميس، وهو الأخير لي في البحرين وجدوله مزدحم جدًّا، وفيه أكثر من لقاء، فخرجنا في السّاعة الخامسة عصرًا، ورجعنا إلى البحرين، وكانت الحدود بين السّعوديّة والبحرين مزدحمة، إلا أنَّه أعجبني تنظيم الحدود في البحرين، حيث استغلوا المكان ليس بشكل عمودي، بل بشكل انحنائيّ بحيث يمكن تسجيل المركبات وإنهاء المركبات بشكل سريع جدًّا.

ولمّا وصلت إلى البحرين ذهبت أوّلًا إلى فندق جولف كورت، وعملت (THECK OUT)، ثمّ ذهبت إلى فندق دلمون عند بوابة البحرين، وهو من أقدم الفنادق في البحرين، وأرخص من الأوّل، إلّا أنني أردته لبعض التّأمل.

فوصلنا بعد المغرب، وودعت الأستاذ المحفوظ، ثمّ ذهبت إلى مسجد قريب فصلّيت المغرب، ثمّ صلّيت معهم العشاء، وبعدها ذهبت إلى مطعم حاجّي، وسبق الحديث عنه، وهنا وجدت ثلاثة رجال عُمانيين، لم أسألهم عن سبب المجيء، ولكنْ سلّمنا بعضُناعلى بعض مع السّؤال عن الأخبار كعادتنا في عُمان.

وبعدها تجوّلتُ قليلًا في السّوق، ووجدت عالَمًا آخر من النّاس، (كلٌّ في فلكٍ يَسْبَحُون) وكأنَّ سوق مُطرح الشّعبي، وسوق رُوي التّجاري، جُمِعا في مكان واحد، ثمّ رجعت إلى النُّزُل لأستعدّ ليوم جديد لزيارة القلعة الهرمزيّة البرتغاليّة، ولتسجيل حلقة مع الدّكتور سلمان المحاري كما سنرى.

- **زيارة القلعة الهرمزيّة البرتغاليّة وتسجيل حلقة مع الدّكتور سلمان المحاري**

في صباح يوم الخميس 11 أبريل(نيسان) أتى الأستاذ عبد الله المحفوظ إلى النُّزُل، وكان لدينا موعد مع الدّكتور سلمان المحاري في تمام التّاسعة صباحًا لزيارة القلعة الهرمزيّة البرتغاليّة، والمُتحف المصاحب لها.

وسُمّي المكان بموقع قلعة البحرين، والقلعة غير مأهولة بالسّكان، وتلاصقها قرية صغيرة اسمها القلعة حيث إنَّها ملاصقة لحرم القلعة، ولا تَبْعُد عن المبنى الرّئيسي للقلعة إلا قرابة مئة وخمسين مترًا، ويقطنها القليل من السّكان، وتجد مياه البحر على الجوانب لا زالت متجمّعة، مع تلال من الرّمل، يوجد فيها القلعة، وهي الآن عبارة عن بقايا من الجدران المُرمَّمة، المبنيّة بالحصى والصّاروج والطّوب الصّلب، وفيها آثار الأبراج، والسّياح خصوصًا الأجانب الّذين لا يتوقّفون عنها للزّيارة والمعرفة.

هنا في الابتداءّ التقينا بالدّكتور سلمان المحاري، وسبق الحديث عنه، وعرّفَنا بالقلعة ومتعلقاتها وطرقها وبنائها، ثمّ طلبتُ منه تسجيل حلقة يوتيوبيّة ضمن برنامج حوارات الحلقة الأربعين فلم يمانع، وكان التّسجيل في العاشرة صباحًا في جدران القلعة نفسها، وبُثت في اليوم نفسِه، وكانت بعنوان: علم الآثار ودوره في الاقتصاد والتّعايش الإنساني.

في الابتداء يقول المحاري: القلعة تقع على السّاحل الشّمالي لمملكة البحرين، والاسم الرّسمي لها موقع قلعة البحرين، وسمّيت أيضًا قلعة البحرين، واسمها التّاريخيّ والعلميّ القلعة الهرمزيّة البرتغاليّة؛ لأنَّها بنيت في

فترة الهرامزة، وأعادوا تجديدها وترميمها، وفي الفترة الثّالثة استولى عليها البرتغاليون ورمّموها.

والجدران الحالية المتهدّمة بقايا جدران كانت موجودة سابقًا، وكانت سابقًا عبارة عن تلّ تظهر منه بعض الأبراج البسيطة.

والقلعة تقع في هذا الموقع الّذي هو عاصمة دلمون ومیناؤها القديم، وقد أدرج على قائمة التّراث العالمي عام 2007م، وبدأت أعمال التّنقيب من الدّنمارك وفرنسا منذ الخمسينيات من القرن العشرين، وأمّا أعمال التّرميم فبدأت في الثّمانينات من القرن نفسه، ولا زالت مستمرة حتى بدايات هذا القرن أي الحادي والعشرين.

وقدّم هذا الموقع معلومات غنيّة جدًّا ومهمّة لجميع الفترات التّأريخيّة الّتي مرّت بها البحرين، ودلّت على العلاقات التّجاريّة والثّقافيّة مع المنطقة ككل، ومع الحضارات المحيطة بها، أو كانت فيها، وهكذا مع استمرار التّنقيب نكتشف معلومات جديدة يومًا بعد يوم.

ومن خلال علم الآثار في البحرين عمومًا، وفي هذه المنطقة خصوصًا؛ ويمكن تقسيم الفترات التّاريخيّة الّتي مرت بها البحرين إلى ثلاث فترات رئيسة؛ الفترة الأولى: فترة دلمون، وهذه تنقسّم إلى ثلاث فترات أيضًا: الفترة المبكرة والمتوسطة والمتأخّرة، والفترة الثّانية: فترة تايلوس، وهو الاسم الإغريقي لجزيرة البحرين، وهذه أيضًا تنقسم إلى المبكرة والمتوسطة والمتأخرة، ثمّ الفترة الإسلاميّة بجميع فتراتها، وهي الفترة الثّالثة.

وأمّا الفترات الزمنيّة فقد مرت من الفترة البرونزيّة ما يقارب ثلاثة آلاف قبل الميلاد، ثمّ فترة تايلوس وهي الفترة الهِلنستيّة اليونانيّة الرّومانيّة في القرن الثّالث والرّابع قبل الميلاد وحتى القرن الرّابع قبل الإسلام، وبعضهم يراها تمتد إلى ما قبل الإسلام.

وأمّا عِلم الآثار بشكل عامّ فهو عِلم يهتمّ بدراسة البقايا الماديّة المنقولة وغير المنقولة من عظام وفخار وزجاج وأحجار ومبانٍ وأدوات وغيرها تلك الّتي تركها الإنسان في الفترات السّابقة منذ تكوّن الحضارات وما قبل ذلك، ليدرسها ويعيد تركيب الحياة اليوميّة والأنشطة الّتي كانت تُمارس في تلك الفترة.

وينقسم التّراث إلى التّراث غير المادي أي الشّفهي والثّقافي، والتّراث المادي الملموس، وهذا ما يتعلّق بعِلم الآثار، وهوكذلك ينقسم إلى التّراث المنقول؛ أي ما يمكن نقله من أدوات وأحجار، وغير المنقول كالمباني والمنشآت.

ولا يزال علم الآثار بِكْرًا، ويحتاج إلى المزيد من الدّراسات، وهو من حيث الممارسة قديم، إلا أنّه علميًّا بدأ في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلاديين، ونشأ كعلم في الدّول الأوروبيّة، ثمّ انتقل إلى باقي دول العالم، ويوجد في الدّول العربيّة حاليًّا اهتمام متزايد بهذا العلم، فقد أصبح يُدَرَّسُ في جميع الجامعات العربيّة تقريبًا، وتوجد كليات متخصّصة للآثار كما في جامعة القاهرة والإسكندريّة، وفي الأردن وتونس مثلًا، ولدينا حاليًّا حفريات مشتركة

مع جميع دول الخليج العربي، مع تعاون مع الدّول العربيّة كالأردن والعراق وتونس وباقي الدّول الأخرى.

وأمّا من حيث الدّقة فهو دقيق؛ لأنَّه يستعين في تفسير المواد بجميع العلوم المساعِدة له من الهندسة والكيمياء والبيئة والمواد العضويّة، إلا أنَّ الإنسان العادي ليس من السّهل عليه معرفة الحقبة الزّمنيّة، ولكنه يستطيع أنْ يدرك أنَّ هذا قديم وهذا حديث، وحتّى المتخصّص يحتاج إلى أن يتخصص بشكل أكبر في فترات تاريخيّة وزمنيّة معينة ليستطيع التّمييز.

ولكنْ ليس بالمطلق أو بالضرورة أنْ يكون علم الآثار قرينة لإثبات صحّة النّصوص الرّوائيّة والتّاريخيّة أو إثبات بُطلانها، فربّما يعود الاختلاف إلى أماكن اندثرت وليس لها وجود، أو يعود إلى الوثيقة ذاتها نتيجة النّقولات، وأحيانًا تضيف الآثار معلومات غير موجودة في الوثائق التّاريخيّة، وأحيانًا تصدق هذه الوثائق، فبينهما في الجملة تكامل.

وإذا جئنا نطبّق علم الآثار على البحرين مثلًا، فعلينا معرفة طبقات الأرض، فالمُتّخصّص يحتاج إلى أنْ يتخصّص بشكل أكبر في معرفة الفترات التّاريخيّة والزّمنية المعينة لهذه الطّبقات لكي يستطيع التّمييز؛ لأنَّ الأقدم زمنًا هو الموجود في الأسفل، فتحصل الهجرة من الموقع، ثمّ يستوطن مرة ثانية فتأتي طبقة أثرية أخرى، وهكذا الأحدث فالأحدث من حيث القُرب إلى السّطح.

أمّا معرفة مصدر الأواني من حيث حضارتها ومنطقتها فهو يأتي عن طريق المُقارنة، فمثلًا، ندرك من خلال المقارنة أنَّ وجود آنية فخاريّة ما لاعلاقة له بمنطقة البحرين، فنقارنها بالمكتشفات الّتي حدثت في بلدان أخرى لندرك أنَّها

تعود مثلًا إلى بهلا في عُمان، لشهرة بهلا بهذا النّوع من الفَخّار، وكانت هناك علاقة قديمة بين البحرين وعُمان، ففي فترة دلمون كان النّحاس الّذي يُجلب إلى البحرين كان من مجان، وكذلك الفخار كان يجلب من بهلا في عُمان، وحجر الاستياتيت الصّابوني الرّمادي الشّكل الّذي يمكن النّقش عليه بكل سهولة كان يُجلب من عُمان، ومن الفترات التّاريخيّة الّتي مرّت على قلعة عَراد حدث فيها ترميم من قبل العُمانيين.

وهذه البقايا من الآثار عمومًا تعتبر موردًا اقتصاديًّا مهمًّا إذا أُحْسِن استخدامه خصوصًا في السّياحة، فهي عناصر جذب سياحي مهمّ.

وأمّا أهم المعالم الأثريّة في البحرين- كما نرى - موقع قلعة البحرين، فهو أكبر موقع يقصده السّائح في البحرين، وكذلك معابد باربار، وموقع سار الأثري، وتلال المدافن، وتلال الملكيّة في منطقة عالي، والمُحرّق القديمة، ومشروع طريق اللّؤلؤ فيها، ومسجد الخميس، وقلعة عَراد، وقلعة الشّيخ سلمان بن أحمد الفاتح بالرّفاع، وبيت الجسرة وغيرها.

وتَعدُّد هذه المواقع الأثريّة دليل على عمق ظاهرة التّسامح والتّعايش في البحرين، فهي امتداد تاريخي يرجع إلى أربعة آلاف عام، فالبحرين ذات مركز تجاري، وهناك قطع أثريّة من بلاد الرّافدين وبلاد السّند ومجان وأم النّار والصّين والهند وبلاد البحر المتوسط وبلاد فارس والجزيرة العربيّة، وبالتّالي يأتيها النّاس من مختلف الأجناس واللّغات والأديان، وهناك تقبُّل من سكان البحرين لهم، وتعايُش معهم على مرور الزّمن.

لهذا حسب المكتشفات الأثريّة من مختلف المواقع في البحرين؛ نجد هناك أكثر من آلهة، فمنهم من كان يعبد الشّمس، ومنهم من يعبد إله المياه الأرضيّة العذبة، وإله الحكمة، ومنهم الكواكب والقمر والنّجوم، ففي بعض الأختام الدّلمونيّة قرص الشّمس أو الهلال، واكتشاف مذبح للعبادة في معبد سار، وقبل دخول الإسلام كانت المسيحيّة النّسطوريّة، وجزيرة المُحَرّق كانت تسمّى قديمًا جزيرة سماهيج، وفيها منطقة الدّير، وفي وسطها مسجد يسمّى حتّى اليوم بمسجد الرّاهب، والحي الّذي يوجد فيه المسجد يسمّى بحيّ أو فريق الرّاهب، ويعتقد أنَّه يوجد في أسفل المسجد دير يتعبّد فيه الرّهبان.

وبعد تسجيل الحلقة ذهبنا إلى متحف قلعة البحرين، وهو متحف افتتح عام 2008م، وهو مقابل للقلعة، وأمامه باحة كبيرة متصل بها مقهى، وقاعة للمحاضرات، ومحلّ لبيع الهدايا، والباحة مطلة على البحر.

وفي الابتداء طلبت من الدّكتور سلمان المحاري السّماح لي بالتّسجل الصّوتي لأوثق ذلك كتابيّا لاحقًا؛ لأنّه الكتابة صعبة وهو يشرح، ولكن للأسف لخلل في الهاتف فقدت التّسجيل بعد رجوعي إلى عُمان، وقد شرح لي عن الحقب التّريخيّة الثّلاثة الّتي سبق ذكرها، ولهذه الحقب خمس صالات مختلفة، تحوي السّرد التّاريخي للقطع الأثريّة المكتشفة في موقع قلعة البحرين، ومنها القطع الفخاريّة الّتي تعود أصولها إلى بَهلا مثلًا.

أراد الدّكتور أنْ يهديني كتابه، وهي أطروحته باللّغة الإنجليزيّة حول هذا الجانب، ولم تكن حاضرة حينها، واقترحت له ترجمتها إلى اللّغة العربيّة

ليستفيد منها الّذين لا يعرفون الإنجليزيّة جيّدًا أمثالي، وليعمّ نفعها، كما أهديته بعض كُتبي، وبعد ذلك رجعنا إلى النّزل لنستعدّ لزيارة جمعيّة التّجديد البحرينيّة، ومن ثمّ حضور ثاني ليالي الأقمار الشّعبانيّة بولادة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (ت 95هـ) كما سنرى.

• زيارة جمعيّة التّجديد البحرينيّة وحضور ثاني ليالي الأقمار الشّعبانيّة والرّجوع إلى عُمان

بعد زيارة قلعة البحرين كما رأينا سابقًا، رجعنا إلى النّزل وأخذتُ قسطًا من الرّاحة؛ لأنّه كان لديّ موعد مع جمعيّة التّجديد البحرينيّة الثّقافيّة الاجتماعيّة في السّاعة الثّالثة بعد الظّهر، وجمعيّة التّجديد في البحرين من أشهر الجمعيات التّنويريّة والعميقة بحثيًّا في الخليج العربي، ولها حضور جيّد كتابيًّا وإعلاميًّا، ولها سلسلة (عندما نطق السّراة) وشدّني كتابهم (اختطاف جغرافيا الأنبياء) فحمّلته إلكترونيًّا حينها، وقرأته في أقل من يومين؛ لأنّه صيغ بطريقة سلسة وواضحة مع بعض الصّور، ثمّ تابعت لهم بعض المقاطع الوثائقيّة اليوتيوبيّة القصيرة، ورأيت فكرهم يقترب من فكر كمال الصّليبي (ت 2011م) وفاضل الرّبيعي (معاصر) مثلًا، وإنْ كانت لهم استقلاليّة، كما لهم اهتمام بتأصيل محوريّة القرآن والانطلاق منه.

أخبرتني الدّكتورة أم حسن ميناء كاظمي رئيسة قسم العلاقات العامّة بالجمعيّة أنَّ جمعيّة التّجديد تأسّست في الثّاني من فبراير لعام 2002م، وهي مؤسسة ثقافيّة إسلاميّة عربيّة، إنسانيّة التّوجه، شعارها «نحو منهاج إصلاحي

جديـد»، وهـدفها تمكـين الأمّـة نحـو إثـراء العقـل لتأخـذ مكانهـا في المجتمـع الإنسـاني، وتقـوم علـى الإنصـاف، والثّبـات علـى المبـدأ، والجمـع بـين العلـم والعمل، وحرّية الرّأي، وتقبل الاختلاف.

وكنـت في نهايـة عـام 2015م شـاركت في مـؤتمر التّطـرف ومـدى تـأثيره في المجتمـع العربـي في الجمعيّـة العُمانيّـة للكتّـاب والأدبـاء بورقـة عمـل حـول التّطرّف الفكري ومـدى تـأثيره في المجتمـع العربي، وفي هـذا المـؤتمر تعرّفـت على الـدّكتور رضـا رجـب مـن البحـرين، وقـد قـدّم ورقـة أيضًـا بعنـوان تفكيـك الإرهاب، وهو من جمعيّة التّجديد، وكان حـديث طويـل بيننـا، لكنني للأسـف لم أحظ برؤيته ثانية في البحرين.

وفي بداية عام 2018م تعرّفت أيضًا على الأستاذ عيسى الشّارقي في مسقط، الّذي شارك في مؤتمر الفكر ودوره في بناء الوعي بمنطقة الخليج العربي، حيث قـدّم ورقـة بعنـوان: التّنـوع المـذهبي ودوره في دعـم مسـيرة الفكـر في الخلـيج العربي.

وازدادت صِـلتي بجمعيّـة التّجديـد، وكـان بيننـا تعـاون مـع قنـاة (أُنْـس) خصوصًا في جلسات كورونا 2020م/ 2021م على ZOOM.

علـى العمـوم ذهبـت مـع الأسـتاذ فريـد عبـد الوهـاب أحمـد إلـى منطقـة السّلمانيّة في المنامة، وفيها موقع جمعيّة التّجديد، في مبنى متواضـع، في مقدّمته قاعة تحوي وسائل حائط تلخّص العديـد مـن المعـارف، ومنهـا مثلًا مـا يتعلّـق بالسّيرة النّبويّة والتّاريخ.

وقد رحّب بنا في الابتداء الأستاذان عبد الهادي عباس وفاضل حسن، وهما شابان في قمّة التّواضع والخُلق، مع العمق المعرفيّ، ثم أتى الأستاذ الجليل عيسى الشّارقي، وكنت في الابتداء وضعت حوالي عشرة أسئلة، وكان لي أمل أن يكون بيننا حلقة يوتيوبيّة، ولكن الإخوة ارتَأَوا خلاف ذلك؛ لأنَّ العديد من الأجوبة موجودة في كتب الجمعيّة، وهي متاحة للجميع ومنشوراتها، ففضّلوا أنَّ أكتب لهم الأسئلة ويكون الجواب كتابيًّا، إلا أنّ الزّمن انقضى ولم تُتَح الفرصة لذلك، بيد أنّ التّواصل مستمر بيننا حتى ساعة كتابة الرّحلة.

وتناقشنا في قضايا عديدة منها مفهوم التّجديد، وعلاقته بالحركة الإصلاحيّة التّي بدأت مع بدايات القرن العشرين، خصوصًا مع جمال الدّين الأفغاني (ت 1897م) والإمام محمّد عبده (ت 1905م)، ومن ثم الحركة التّجديديّة الّتي حاولت الملاءمة بين الشّرق والغرب، ردًّا على الحركتين السّلفيّة التّراثيّة الرّافضة للحداثة الغربيّة، والحركة العِلمانيّة أو العلمويّة الرّافضة للتّراث ولكلّ ما هو قديم.

ثمّ كيف نجمع بين التّجديد والحداثة، وماذا عن القراءات القرآنيّة والتّراثيّة المعاصرة كما عند أبي القاسم حاج حمد (ت 2004م)، وأركون (ت 2010م)، ومحمّد عابد الجابريّ (ت 2010م) وطه عبد الرّحمن (معاصر) وغيرهم.

وهل مشروع سلسلة (عندما نطق السّراة) مستقل بمنهجيّته، أم تأثر مثلًا بمنهجيّة كمال الصّليبي وفاضل الرّبيعي وغيرهم، مع التّطرّق لبعض القراءات

والجدليات الآنيّة كما عند محمّد شحرور (ت 2019م) وابن قرناس (معاصر)، ولهذا تطرقنا إلى قضيّة التّرادف في القرآن، وقضيّة الخَلق الأوّل، وهل آدم أوّل البشر، وقضيّة مصر كمكان، وموقع المسجد الأقصى، وجغرافيا الأنبياء، وهل يسوع المسيحيين هو عيسى الإسلام، وطوفان نوح، ونظريّة التّطور، وماهيّة تحريف التّوراة وغيرها كثير.

وقد أصدرتْ جمعيّة التّجديد – كما أسلفنا – أربعة عشر كتابًا من سلسلة (عندما نطق السّراة) منها مفاتح القرآن والعقل، وطوفان نوح بين الحقيقة والأوهام، واليهود وتوراة الكهنة، وقد طلب منّي بعض الإخوة كتبهم، فقالوا سنحضرها لك إلى النُّزُل اللّيلة، كما أهدوني بعض كتبهم ككتاب الطّائفيّة ردّة إلى الجاهليّة.

وهنا استأذنا للخروج، وأصرّ الإخوة على التّوديع إلى الخارج، فرجعنا إلى النُّزُل، وودعت فريدا، وكان الأصل أن نرجع فجر الخميس إلى عُمان، ولكنْ لازدحام الجدول من جهة، ورغبة منّي في كشف المزيد ممّا تخبّئه هذه الأرض المباركة، جعلنا موعد الرّجوع الجمعة فجرًا.

ولمّا وصلت النُّزُل جاءني الأستاذان عبد الهادي عباس وفاضل حسن مباشرة ولم يتأخّرا، حاملَين معهما مجموعة عديدة من كتب الجمعيّة، ومنها سلسلة (عندما نطق السّراة) فشكرتهم على اهتمامهم وتواضعهم.

وبعدما صلّيت المغرب والعِشاء، وعند التّاسعة مساء جاءني الأستاذ عبد الله محفوظ، وكان عندي دعوة من قبل الدّكتور عبد العزيز الصّويلح للمشاركة في تدشين كتابه حضارة دلمون في جمعيّة التّاريخ وآثار البحرين، ولكنّني

ارتأيت أنْ أنظر إلى الجانب الآخر من حياة الإنسان البحريني الشّيعي خصوصًا، حيث تسمّى هذه اللّيالي الثّلاثة من بداية أيام شهر شعبان بالأقمار الشّعبانيّة، فيحتفلون ليلة الثّالث منه بولادة الإمام الحسين بن عليّ (ت 61هـ)، وليلة الرّابع منه بولادة العبّاس بن عليّ (ت 61هـ)، وليلة الخامس منه بولادة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين (ت 95هـ)، كما يحتفلون ليلة النّصف من شعبان بولاية الإمام المهدي محمّد بن الحسن العسكري.

ونحن في ليلة الخامس من شعبان أي ليلة الاحتفاء بولادة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين، وجدت عالَمًا آخر لم أره في حياتي إلّا لفتات بسيطة في قُم في إيران، ومُطرح في مسقط، لكنَّني هنا وجدته نهارًا وليس ليلًا، جمعوا فيه بين الجَمالين الرّوحي والاجتماعي، فرأيت الصّغار والكبار يتسابقون في إطعام النّاس، والكلّ يُسابق إلى أنْ تكون ضيفه، وتأكل من طعامه، سواء أكنتَ مسلمًا أم غير مسلم، فذاك يقدّم الشّاي، وآخر يقدّم العصائر، وثالث يقدم الفواكه، ورابع يقدّم أكلات مختلفة، وأصوات مكبرات المآتم تُسمع من بعيد، والأولاد يلعبون ويمرحون، والنّاس في المآتم بين فرح يختُمه حزن عندما يُذكر الحسين ومن بعده من ذريته ومعاناتهم.

حضرنا بداية حسينيّة القصّاب، ومكتوب أنَّها تأسست سنة 1299هـ/ 1881م، ثمّ حضرنا حسينيّة البدع، وفيها كان سماحة الشّيخ محمّد بن عليّ المحفوظ، واستمعنا لما قدّمه عن هذه اللّيلة وقمرها زين العابدين، عليّ السّجاد بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وهو رابع أئمّة الشّيعة جميعًا، ثمّ سلّمنا عليه ورحّب بنا، وبعد هذا ودعت الأستاذ عبد الله المحفوظ، وشكرته

على إعطائنا جزءًا من وقته، وعلى تواضعه وكريم خلقه، ولقد زارنا بعد فترة بسيطة في عُمان، وتناولنا العشاء مع جمع من الإخوة في مسقط.

وبهذا رجعت إلى النُّزل بعد جهد علمي ومعرفي من الصّباح، وأول الفجر حضر الأستاذ فريد عبد الوهاب، فخرجنا من البحرين صباح الجمعة 12 أبريل (نيسان)، وكعادته يكون محضّرًا الفطور في السّيارة مع وجبة خفيفة وشاي وقهوة، فلم نتوقف إلا قليلًا، وتناولنا الغداء في منطقة السَّلْع بعد حدود الإمارات، ووصلنا مسقط مبكّرين.

وبهذا نختم رحلة أخرى لنسّجل توثيقًا عن بلد يقربنا كثيرًا، ولكن نجهل الكثير من معالمه، وجدت هناك الصّورة الأخرى من صور التّعايش والتّسامح والمحبة، وركزت على الجانب الإيجابي؛ لأنَّه الأكثر، وحتى نلتفت إليه أكثر وفق الدّائرة المشتركة بين الجميع.

وكنت متصوّرًا أن يكون أغلب الجدول فارغًا، ولكن وجدت العكس، فبحثت عن فراغ أسدّه لألبّي طلبات بعض الإخوة والشّباب ولكن لم أجد، ولكن ما لا يدرك كُلّه لا يترك جُلّه، ولولا ارتباط الأستاذ فريد لزدت يومين أو ثلاثة لأكشف المزيد، ولقد استحييت منه، ولقد زاد في جدوله يومًا آخر، وأردت أن اشتري بعض الهدايا من حدود السّعوديّة، وكعادتي اشتري القهوة السّعوديّة من البطحاء لكنَّني وجدت المحلات مغلقة لأنَّنا وصلنا وقت صلاة الجمعة، ولمّا وصلت السّكن تفاجأت بأنَّ الإخوة ومنهم الأستاذ فريد وضعوا الهدايا من الحلويات البحرينيّة مع الكتب، فلهم الشّكر سَلفًا، والحمد لله ربّ العالمين.

الرّحلة التّكساسيّة

- **الغاية والوصول**

سبق أنْ كتبنا عن الرّحلة إلى شيكاغو، والّتي كانت من 13 – 22 أغسطس(آب) 2018م، وتعتبر أوّل رحلة لي خارج القطر العربي، وشيء من العالم الإسلامي، وخروجي من القطر العُماني إلى القطر الخليجي والعربي والعالم أجمع يفتح للإنسان عالَمًا أوسع، ويوسّع مداركه، ويفتح قلبه للآخر، فيتلاشى التّوجس من الآخر شيئًا فشيئًا، كما أنّه تتحقّق به رسالة التّعارف المبنية على التّعرّف على الآخر والاعتراف به.

رحلة شيكاغو كما رأينا سابقًا كانت لحضور مؤتمر الأمريكيين السّابع في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكيّة، ومنها كانت دعوات إلى كندا والمكسيك وولاية نيو مكسيكو الّتي كان يسكنها الهنود الحمر، لتوثيق ديانتهم وعاداتهم، ومن هذه الدّعوات كانت دعوة من الأستاذ بيان عطاء الله النّوري[1]، لزيارته في دالاس بولاية تكساس الأمريكيّة، فلَبّيت طلبه على أنْ يكون للمشاركة أيضًا في مؤتمر الأمريكيين الثّامن، وهنا حدث تعاون مع جمعيّة الأديان في تكساس، لتسجيل حلقات مع أديان ومذاهب متعددة كما سنرى.

(1) سبق الحديث عن الأستاذ بيان في الرّحلة الشّيكاغيّة .

تعتبر ولاية تكساس كما في الموسوعة العالمية ويكيبيديا «ثاني أكبر ولاية في الولايات المتحدة من حيث المساحة والسّكان» و«تقع..... في وسط جنوبي البلاد»، وهي قريبة من المكسيك، وجوّها صحراوي، وهي منطقة تجاريّة، لهذا هي خليط من أجناس مختلفة، من الأمريكيين الأصليين؛ أي الهنود الحُمر، ومن الأمريكيين البيض والسّود، ومن المكسيكيين والعرب والهنود والفرس والصّينيين والبورميين وغيرهم كثير، ويتحدّثون اللّغتين الإنجليزيّة والإسبانيّة، مع اللّغات العرقيّة الأخرى.

وتكساس ولاية جُمهوريّة، إلا أنَّ فيها ديمقراطيين بنسبة كبيرة أيضًا، خصوصًا العرقيات غير الأمريكيّة تميل إلى الدّيمقراطيين، ويسود فيهم المذهب المسيحي البروتستانتي الأنجليكاني، وهم متعصبون دينيًّا، إلا أنَّها أيضًا مليئة بالأديان والمذاهب الأخرى كالهندوس والبوذيين واليهود والمسلمين والإسماعيليين البهرة والسّيخ والأحمديين والبهائيين وغيرهم، وفيها طوائف من المسيحيين أغلبهم بروتستانت كالمشيخيين والمعمدانيين واللّوثريين، كما فيها من الأرثذوكس والكاثوليك والسّبتيّين وشهود يهوه والمورمون وغيرهم، وتوجد اتّجاهات أخرى كالماسونيّة وشهود يهوه والمثليين والمتحولين جنسيًّا، وهذه غالبها تحت مظلّة الدّين؛ لأنّ الاتّجاهات الإلحاديّة ضعيفة أو المجتمع لا يتقبّلهم، ويتعرضون للإقصاء ليس مِن قِبل الدّولة، ولكنْ مِن قِبل المجتمع مثلًا في وظائفهم، وقد حضرْتُ اجتماعًا لهم سأذكره في حينه، كما يوجد فيها جماعة عَبَدَة الشّيطان وهم قلّة غير مُتَقبّلة،

وعلى العموم فجميع الأديان تمارس طقوسها بكلّ حرية، والدّولة تدعم الجميع.

كما يوجد في تكساس العديد من المشرّدين، ولهذا هناك تكافل اجتماعي، ومؤسسات أهليّة في ذلك، كما توجد ملتقيات للأديان تركّز في اجتماعها على مساعدة المشردين والفقراء من خلال دور العبادة.

خرجت من النُّزُل في الموالح الجنوبيّة السّاعة العاشرة ليلًا ليلة الجمعة، التّاسع من أغسطس(آب) 2019م، مع الأخ والجار العزيز مؤيد بن محمّد السّيابي، وفي مطار مسقط كانت الأمور سهلة جدًّا، وموعد إقلاع الطّائرة الساعة الواحدة وخمس وخمسين دقيقة، وقبل الدّخول سألني أمن القاعة: لماذا لم تأخذ تأشيرة إلى أمريكا لعشر سنوات، وكان قد أُعلن حينها أنَّه يسمح للسّيّاح ورجال الأعمال العُمانيين أنْ تكون تأشيرتهم لعشر سنوات، وكان هذا في يونيو(حزيران) 2019م، فقلت له أنا أخذت التّأشيرة العام الماضي أي 2018م قبل القرار، وإلا كان القرار في صالحي، كما أنَّه سألني: ما الغاية من الذّهاب؟ فأخبرته الغاية حضور مؤتمر في شيكاغو، وقبلها زيارة أحد الأصدقاء في تكساس.

صعدنا الطّائرة في الوقت المحدد، وكانت على متن الطّيران العُماني، إلا أنَّها تأخرت عن الإقلاع لفترة طويلة أكثر من نصف ساعة، وهنا رأيت أسرة أتصوّرها مصريّة أو شاميّة من أب وأم مع أطفالهم مهرولين بسرعة إلى مقاعدهم، فلا أدري هل تأخّر الإقلاع لسببهم أو لأسباب أخرى، ثمّ كانت هناك مشكلة عدم وجود مقاعدة قريبة لهذه العائلة، فحدث نوع اللّغط لإعادة

ترتيب الأشخاص ممّن لا عوائل لهم من قبل القائمين بالخدمة على متن الطّائرة، فجعلت الأمّ مع أولادها في الأمام، والأب في الخلف، ومع هذا كان صراخ أطفالهم وبكاؤهم أزعجنا طيلة الرّحلة إلى فرانكفورت.

وصلنا إلى مطار فرانكفورت في ألمانيا قرب السّاعة الثّامنة صباحًا، إلا أنَّ الطّائرة ظلّت بنا فترة في ساحة الهبوط تنتظر الإذن بالنّزول، فتأخرنا أكثر من نصف ساعة أيضًا، وموعد إقلاعنا على الطّيران الأمريكي في الثّامنة وخمس وثلاثين دقيقة، وهنا كلّمت الطّاقم في الطّائرة، فقالوا: إنهم ينتظرون أوامر النّزول!!!

فنزلت بعدها وأنا أُسرع في الهرولة، ومطار فرانكفورت كبير، وقاعتنا على TERMINAL 1، وهنا تذكرت الأستاذة والقاصّة زوينة سالم، فكنا نتسامر بعد ورشة عمل أدوات النّاقد الأدبي مع الدّكتور المصري محمّد الشّحات بالجمعيّة العُمانيّة للكتّاب والأدباء في مسقط، فأخرجت لها التّذكرة، فعاتبتني في اختيار الطّيران الأمريكي وسوء خدماته، وضعف مدّة التّرانزيت، فقلت لها: هذا الأرخص، و(مدّ رجولك على قد لحافك) فقالت: لن تدرك الطّائرة في مطار فرانكفورت، وقلت لها: أكيد المكتب السّياحي يعرف أنَّ الوقت يكفي وإلا لما أصدر التّذكرة إلا متناسبًا مع الوضع، هنا أدركت حقيقة كلام الأستاذة زوينة، وفعلًا وصلت القاعة بعد جهد جهيد، ولمّا وصلت قالوا لي: الطّائرة أقلعت!!!

وهنا شعرت بخيبة كبيرة، فماذا أفعل، ولغتي الإنجليزيّة ليست بذاك القدر الذي يساعدني على أنْ أشرح لهم الوضع، فأخبروني أن أذهب إلى إحدى

القاعات لأخبرهم، ومن حُسن الطّالع وجدت شابًّا هناك، فظننته في البداية أفريقيًّا، إلا أنَّني رأيت جوازه العُماني، فسلّمتُ عليه، فرحّب بي، وإذا به طالب عُماني يدرس في أمريكا، ورحلته ذات رحلتي، وكان معنا في الطائرة، والأصل كذلك أن يذهب من الطّيران العُماني إلى فرانكفورت، ومنها على الطّيران الأمريكي إلى شيكاغوا ثمّ إلى ولايته الّتي يدرس فيها وقد نسيت اسمها، وأمّا أنا من شيكاغو إلى دالاس في ولاية تكساس، وكان يجيد الإنجليزيّة بطلاقة، فشعرتُ بالاطمئنان، وهنا تأخّر مسؤول المكتب، ثمّ ذهبنا إلى مكتب آخر بالخارج، فجاءت بعد فترة امرأة، فحجزت لنا تذكرتين على الطّيران الألماني، أمّا هو فيذهب إلى شيكاغو فولايته، وأمّا أنا مباشرة فأذهب إلى دالاس، ووجدت مكتوبًا في الورقة الملحقة بالتّذكرة مبلغًا ما يقارب مائتين وخمسين ريالًا عُمانيًّا، فخشيت ابتداء أنْ يطالبونا بالدّفع، وعمومًا سكتُّ عن الموضوع، ولعلّ الطّيران العُماني تحمل ذلك؛ لأنَّ خطأ التّأخير كان بسبب منه من مطار مسقط.

وكما يقال: «رُبّ ضارّة نافعة» فهنا ربحت مرتين: الأولى أنَّني أبدلت إلى الطّيران الألماني، وجربته في رحلة شيكاغو السّابقة، وكتبت عنهم فيها، وخدماتهم رائعة جدًّا، وكذلك اختصرت الطّريق، فبدلًا من النّزول في شيكاغو، هنا مباشرة من فرانكفورت إلى دالاس دون ترانزيت والحمد لله.

ذهبنا بسرعة إلى قاعة Z69 حيث أقلعت الطّائرة لأنَّه لا يوجد وقت، فأقلعتْ قرب العاشرة صباحًا بتوقيت ألمانيا، ووصلنا مطار دالاس فورت ورث الدّولي السّادسة مساء بتوقيت تكساس، وهو مطار كبير، جاء في

الموسوعة العالميّة ويكيبيديا: «مطار دولي يقع بين مدينتي دالاس وفورت وورث، ويعتبر الأكثر نشاطًا في ولاية تكساس الأمريكيّة، ويحتل المرتبة الثّالثة عالميًّا في مجال حركة الطّائرات»، « والسّابعة عالميًّا من ناحية عدد الرّكاب المسافرين»، «وافتتح رسميًّا في عام 1973م كمطار إقليمي».

وفي المطار كانت الأمور بسرعة، وبإمكانك أن تُنهي أمورك بنفسك، وهنا وجدت عراقيين يقومون بالأمر، ويعملون في المطار، وفي نهاية المطاف سألني الموظف الأمريكي عن سبب الحضور؛ فأخبرته أنَّني أتيت لحضور مؤتمر، وأظهرت له ورقة المؤتمر، وكنت متعبًا كثيرًا، ولمّا سألني: How long will you stay in America?، قلت له: Twenty-nine years، فتعجّبَ، ثمّ انتبهت بسرعة قائلًا له: Sorry twenty-nine days، فابتسم بقوّة وسلّمني الجواز، وفي الخارج وجدت الأستاذ بيان ينتظرني.

هنا رأيت دالاس، وهي كما في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا «ثالث أكبر مدن ولاية تكساس، وتاسع أكبر مدن البلاد»، فيها أكثر من مليون نسمة، وعاصمة تكساس اقتصاديًّا وثقافيًّا، متعددة الأجناس واللّغات والأديان والمذاهب، «كانت تابعة للمستعمرات الإسبانيّة»، «استقلت (عام) 1821م وكانت تابعة للمكسيك»، و«مع دخول القرن العشرين، واكتشاف النّفط في الولاية؛ تحوّلت المدينة إلى مركز للبنوك وشركات التّأمين العملاقة، واستمرت على هذا الحال حتى يومنا هذا».

ذهبنا إلى بيت بيان في ويكوري ميدو، وهي مشهورة بمنطقة اللّاجئين وتبعد عن مطار دالاس حوالي عشرين دقيقة، وهي منطقة فقيرة، ويقطن

المنطقة اللّاجئون من الأفارقة والآسيويين والبورميين والعرب، وقلّة من الفرس والمكسيكيين والأمريكيين وغيرهم، وفي هذه المنطقة شارع يوجد فيه مول نورث بارك، وهو من أكبر المجمعات في دالاس، وهي منطقة في فيكرو ميتو يسكنها الأغنياء.

لمّا وصلت إلى البيت وجدت الأستاذ بيان أعدّ لي غرفة، ورأيت في البيت في الأعلى فتحة لدخول الضّوء، حيث يستغنون في النّهار عن المصابيح الكهربائيّة، فتضيء الفتحة منطقة الجلوس واستقبال الضّيوف والمطبخ؛ لأنّه مفتوح على الصّالة كعادة بيوتهم، وتذكرت بهذه الفتحة بيوتنا القديمة في عُمان، ويسمون هذه الفتحة الشّرفة، والجو في دالاس معتدل، ويعتبر حارًّا، إلا أنَّ الأمطار تنزل بين فترات متقاربة فلا تشعر بالحرارة، كما أنَّها لا تستمر طويلًا، فكأنَّها تنزل لتجعل الجوّ معتدلًا، وتضفي على المكان جمالًا وبهاء.

صلّيت الظّهر والعصر، وكنت متعبًا كثيرًا، وكان عندنا موعد على الثّامنة مساء في بيت والد بيان، إلا أنَّ النّوم أخذني لشدة التّعب، فاستيقظت على سرعة السّاعة العاشرة، فعاتبته عتاب محبّ لعدم إيقاظي، بيد أنَّه اعتذر لي لما رآه من رهق السّفر، فقمت بسرعة لصلاتَيْ المغرب والعشاء، ثمّ ذهبنا إلى منطقة بلينو، وهي تبعد حوالي عشرين دقيقة عن منطقة اللّاجئين.

وبلينو متنوعة السّكان من الهنود والعرب والمكسيكيين والفرس والصّينيين، وفيها أغلب الأديان والمذاهب والأجناس، وأغلب الدّيمقراطيين يكون ترشيحهم منها، وهنا تعرفت على والد بيان ووالدته، واعتذرت على التّأخير، ووالد بيان عطاء الله يحيى نوري مثقف جدًّا، وقارئ مطّلع، وله اطّلاع

في الأديان الإبراهيميّة، بجانب ديانته البهائيّة، وهو من أصل إيراني، ويعشق الخليج وعُمان، ويعشق حياة الشّرق أكثر من الغرب، وقد كان يعمل في الرّياض عاصمة السّعوديّة، وهناك وُلِد له ابنُه بيان، ثمّ ذهب إلى تركيا لتسعة شهور، وبعدها إلى كندا مدّة سنتين، ثمّ عمل في محل النّظارات في مدينة صور العُمانيّة لمدّة خمس عشرة سنة، وبعدها إلى دالاس، وهو يعمل الآن في المخبز في شركة ول مارت في دالاس، وأمّا أمّه سيمين موهبتي، وهي من أصل إيراني، قليلة الكلام، كثيرة الابتسامة، غمرتنا بحنانها وجميل طبخها، فطبخها شرقي وكأنّك في إيران أو عُمان، وهنا توثّقت العلاقة بيننا، وكانا كثيرا الاتّصال بنا، وكثرت اللّقاءات لاحقًا.

على العموم تناولنا العشاء وما بعده من الحلويات والشّاي، ودار بيننا حديث طويل حول جوانب متعددة وأنا أدافع النّوم، لنرجع بعدها إلى النُّزُل لنستعد للذّهاب إلى معبد جورد نيكشام السّيخي كما سنرى.

- **الغداء في المطعم المكسيكي وزيارة معبد جورد نيكشام سيفا جوارا وتسجيل حلقة تكميليّة حول الدّيانة السّيخيّة**

في صباح يوم السّبت العاشر من أغسطس(آب) أخذت قسطًا من الرّاحة، ولكون الأستاذ بيان مرتبطًا بعمله أخذت جولة في اكتشاف منطقة اللّاجئين، فوجدت فارقًا كبيرًا بين هذه المنطقة وما رأيته في الدّار البيضاء بالمملكة المغربيّة من وضع المشردين مثلًا من قذارة وسوء تنظيم، ففي منطقة ويكوري ميدو تجد النّظام والنّظافة، وتجد الشّوارع وأماكن المشي والحدائق

والملاعب بشكل منظّم، ولا ترى البيوت المتنقلة والعشوائيّة، ولم أجد متسوّلًا يأتي لطلب المال، ووجدت أغلبهم من البورميين، ويسكنها العديد من المسلمين، ولهم مساجدهم، وشاركتهم الصّلاة لاحقًا في بعض الأوقات، وهم فيما يبدو على المذهب الشّافعي.

ولمّا رجع الأستاذ بيان في الثّانية ظهرًا ذهبنا إلى المطعم المكسيكي Chipotel Mexican Gril للغداء، فقد أعجبت من الرّحلة السّابقة بالمطاعم المكسيكيّة، إلا أنَّ لها في تكساس طعمًا خاصًّا من حيث شكل المطعم ذاته، وشكل العاملين فيه، وما يُقدّمونه، وخدماتهم، وحُسن تعاملهم وابتسامتهم، مع الموسيقى الإسبانيّة والمكسيكيّة بإيقاعاتها الرّائعة، وكأنّك في الجزء الجنوبي من أمريكا كما نشاهد في الأفلام المكسيكيّة، كما أنَّه في دالاس تجد جميع المطاعم، وبأشكال متنوعة، العربيّة بأنواعها، الشّاميّة والمصريّة والمغربيّة والعراقيّة، والمطاعم التّركيّة والإيرانيّة والهنديّة والصّينيّة، بجانب المطاعم الغربيّة، وعندهم أيضًا في تقديم الطّعام أعراف متباينة، فمنها ما يقدّم لك جاهزًا كالّذي عندنا، ومنها ما تختاره أنت ممّا يطبخ من لحوم وخضروات وتوابل، ثمّ تحملها إليهم فيطبخونها بعد خلطها، وعادة فالمشروبات عندهم أنْ تشتري كوبًا ثمّ تزيد قدرما تشاء بالمبلغ نفسه، أي أنَّهم لا يحسبون الزّيادة التي تشربها، كما توجد مطاعم النّباتيين بكثرة، وهذه لا تشعر بفارق كبير بينها وبين مطاعم الطّعام الطّبيعي، فكأنّك تأكل لحومًا طبيعيّة وهي نباتيّة، والنّباتيون عندهم كثر، لهذا فهي منتشرة، كما يعجبني أيضًا – كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة– أنّك تضع البخشيش في نفس الفاتورة، بمعنى أنَّ هناك خانة تكتب

ما تريد التّصدق به، وهم صادقون في وضعه حسب تعامل القائمين بالخدمة في المطعم، وحسب جودة الطّعام والطّبخ، وحسب مبلغ الطّعام الّذي استهلكته، وعادتهم أنْ يجمعوه ثمّ يُقسّمونه بينهم، ويعتبر دخلًا لهم؛ لأنَّ رواتبهم ليست كبيرة، كذلك من عادتهم أنَّ كلّ أحد يدفع فاتورته بنفسه، ففي إحدى الجلسات في المطاعم بدعوة منهم، أنت تطلب الطعام وتأتيك فاتورتك لتدفعها بنفسك، إلا أنَّ الأستاذ بيان كثيرًا ما يخدعنا بدفعها، فقد تطبَّع بعاداتنا، وعادتهم في الحقيقة جميلة خصوصًا في اللّقاءات المستمرّة، فاطلب ما يحلو لك، وتحمّل كلفتك بنفسك، كما رأيتهم يأخذون ما بقي من الطّعام ولو قليلًا، فلا أدري هل يأخذونه إلى البيت أو يتصدقون به.

ثمّ بعد الغداء ذهبنا إلى مدينة أرفينج، وهي قريبة من مطار دالاس، حيث ذهبنا إلى معبد جورد نيكشام سيفا جوارا، أو المعبد الذّهبي، وسبق في الرّحلة الشّيكاغيّة أنْ زرنا معبد جورد زيلاجس سو سني في شيكاغو، وسجلنا حلقة عن السّيخيّة مع الأستاذ كونت ستج، وتحدّثنا كمقدمة عن السّيخيّة ونشأتها وطقوسها وبعض معالمها ويمكن الرّجوع إلى الرّحلة الشّيكاغيّة في ذلك، وهنا سجلنا حلقة تكميليّة لبعض الجوانب الأخرى من السّيخيّة.

في البداية استقبلنا الأستاذان هربجن سنج ووبد بركاش، وطُلب منا نزع الحذاء، ولبْس غطاء الرّأس احترامًا للمعبد، ولون الغطاء ذهبيّ، وفيه عادة شعارهم وهو سيف أفقيّ، يتداخل عن يمينه ويساره سيفان كبيران، ثمّ دخلنا قاعة الصّلاة، وتُشبه قاعة المسلمين، وفي مقدّمتها مكان مرتفع قليلًا، وأحيانًا كرسيّ، وهناك يتْلون من كتابهم السّيليّ جرو ساحب، ويعتبرونه الغورو بعد

ذهاب الغورو العاشر، ويستخدمون الموسيقى مع التّلاوة، والمرأة تشاركهم في نفس القاعة، وتدخل بلباس محتشم، وتغطي عموم رأسها إلا ما ظهر كمقدّمة شعرها.

ثمّ ذهبنا إلى قاعة ملاصقة وهي قاعة الطّعام، وكعادة دور العبادة في أمريكا من كُنُس وكنائس ومساجد ومعابد توجد غرف ملاصقة لأجل الطّعام، فقُدّمت لنا بعض المشروبات، واكتفينا بالشّاي والماء، ثمّ ذهبنا إلى تسجيل الحلقة التّكميليّة حول الدّيانة السّيخيّة مع الأستاذ هربجن سنج، وقليلًا شاركنا الأستاذ ويد بركاش، وطلب مشاركتنا في التّصوير، والحلقة من برنامج حوارات، حلقة (45)، سجلت في الخامسة عصرًا بتوقت تكساس، وبُثت يوم الإثنين 12 أغسطس(آب) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية قال: إنَّ السّيخيّة ديانة جديدة مستقلة، وليست خليطًا من الهندوسيّة والإسلام، والغورو ناناك (ت 1539م) عندما ذهب إلى النّهر ثلاثة أيام، وظنّ النّاس أنّه ميت؛ هناك جاءه وحي يأمره الله تعالى بتبليغ دعوته، وهداية النّاس، وبهذا كانت الدّيانة السّيخيّة.

ولمّا مات الغورو ناناك انتقلت روحه إلى الغورو الّذي من بعده، وهكذا حتّى الغورو العاشر؛ أي جوفيند سينج (ت 1708م) وبوفاة الغورو العاشر انتقلت الرّوح من الجانب البشري إلى كتابهم المقدّس السّيليّ جرو ساحب، فهو الغورو حاليًّا، ويحتكمون إلى المبادئ الموجودة فيه.

وهناك علاقة بين الغورو ناناك وبين تراث وشعر فريد الدّين مسعود

(ت1265م)، المشهور ببابا فريد[1]، إذْ يوجد توافق بين الغورو وتراث بابا فريد في العشق الإلهي، ولكن الفارق أنَّ الغورو نبيّ يوحى إليه، وفريد عارف من العرفاء، ومع هذا نقل الغورو العديد من أشعار وآثار بابا فريد مع اسمه في كتابهم المقدّس، وكذلك بالنّسبة لبابا كبير (ت 1643م)[2]، وبعضها بالفارسية.

ووجود تعاليم من الهندوسيّة أو الإسلام في السّيخيّة هذا طبيعيّ؛ لأنَّها تحترم الدّيانتين، وتحترم أيضًا جميع الأديان الأخرى كاليهوديّة والمسيحيّة والبهائيّة وغيرها، ويرون أنَّ هذه الأديان جميعًا فيها من التّعاليم والجماليات، فنستفيد منها، ونعيش في سلام، وأنْ يحترم كلّ دين الدّين الآخر.

بيد أنَّ أيًّا من الأديان لا يملك الحقيقة المطلقة، وإنّما نحن نقوم بالبحث عنها، وقد تكون موجودة في الدّيانات الأخرى، ولهذا ندخل الكُنُس والكنائس والمساجد والصّوامع والمعابد لنبحث عن هذه الحقائق، وعن جماليات الأديان، ونستفيد منها، وكلّ ما نرجوه أنْ يكون كلّ أصحاب دين – أيًّا كانوا – جيدين من خلال دينهم، ولجميع أصحاب الأديان حق الحياة وحق المساواة، وحق المساواة يشمل الذّكَر والأنثى بلا تفريق، بما في ذلك دخول مكان العبادة.

---

(1) من كبار المتصوّفة المسلمين الهنود في الطّريقة الحبشيّة، المعروف كما في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا بكنج شكر، وأصله من باكستان، ومزاره فيها إلى اليوم.

(2) بير بودهان شاه، ينتمي إلى عائلة من الزعماء القبليين، لكنَّه ترك كل شيء ليصبح صوفيًّا، عاش بالقرب من روالبندي، قابله [الغورو] خلال رحلاته، وتأثر به، وقبره مزار إلى اليوم. للمزيد ينظر: موقع MDID، على الشّبكة العالميّة، تاريخ الزّيارة: الثّلاثاء 6 يوليو 2021م، السّاعة التّاسعة صباحًا، بتصرّف بسيط.

ولا يوجد في السّيخيّة تبليغ أو تبشير، وقد انتشرت هذه الدّيانة بسبب مبدأ المساواة الّذي أتى به الغورو ناناك، فقد كانت الطّبقيّة منتشرة خصوصًا عند الهندوس، بجانب الصّراع الكبير بين الهندوس والمسلمين، فدعا الغورو إلى المساواة والسّلام بين الطّبقات والأجناس والأديان والأفراد، فلقيت دعوته قبولًا عند الكثير، ومع ذلك وجد العديد من السّلاطين ومن النّاس من حاربها أيضًا، فالغورو الخامس - أي الغورو أرجان (ت 1606م) - سُجن وأعدمه سلاطين المغول المسلمون في الهند.

ومن المساواة مثلًا أنَّه لا يوجد في السّيخيّة رهبنة، فالكلّ سواسية ذكورًا وإناثًا، وإنّما قد يتفوق أشخاص في العِلم والرّقي الرّوحي عن طريق التّغنّي بالكتاب المقدّس، وكثرة الذّكر به، ويسمونهم بالجاني، لكنّهم ليسو أعلى من البشر.

ولا نرى عندهم ما يُسمى بالدّيانة الخاتمة، فالديانات موجودة قبل السّيخيّة، وديانات جاءت بعدها، كما لا نؤمن بالمهدي أو المُخلِّص، ولا نعتقد بعودة أحد كالمسيح، فالرّوح ترجع إلى الخالق لتَترقى وتعود إلى طبيعتها الأولى، ولا تعود إلى الجسد مرة أخرى، والجسد لا يرجع إلى صورة أخرى، كان على شكل المسيح أو المهدي أو غيرهما.

وتوجد مذاهب في السّيخيّة، ولكنَّها ليست كبيرة كما في الإسلام والمسيحيّة مثلًا، وأهم خلاف بينها في قضيّة انتقال الرّوح بعد الغورو العاشر، فهناك مذاهب استمرت في الجانب البشري في انتقال هذه الرّوح، بيد أنَّها قليلة لا تكاد تذكر، والمشهور كما أسلفنا أنَّ روح الغورو في الكتاب المقدّس.

ولمّا سألته عمّا جاء في كتابهم المقدّس، (السّلم: 8) «بفضل استماع ذكْر الله يمكن للإنسان العادي أنْ يبلُغ مَنْزلة من منازل الألوهيّة مثلما كان الإله شيفا، هالك الكائنات، وإلى مَنْزلة الإله براهما خالق الكائنات أو مكوّنها، وإلى الإله أندرا إله الأمطار» فهل هناك تعدد للآلهة في السّيخيّة، فأجاب: نحن نعتقد أنَّ الله واحد، وهو القوي القدير، ويملك جميع الصّفات، وما ذُكر هي صفات لله، وليست أجزاء منه، فنحن لا نؤمن لا بالجنّة ولا بالنّار[1]، ولا بالملائكة.

ويقول: والله تعالى لا يرى، ولا يمكن رؤيته على أي حال، ولا يُجسّد في صورة، وإنَّما يرون قدرته وعظمته ومظاهر تجليه من خلال الوجود، فهو الأب والأم وليس مذكرًا ولا مؤنثًا، لكنْ بمعنى أنَّه الخالق المسيطر الرّحيم في هذا الكون.

ونحن نؤمن بوحدة الوجود، فالإنسان جزء من الله من خلال روحه، والله متجلٍّ في هذا الإنسان وفي الطّبيعة.

(1) لا يؤمنون بالجانب الحسي بالجنّة والنّار، كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة من خلال كلام الأستاذ كونت ستج: «ويؤمنون بالجنّة والنّار، وليس لهما حدود جغرافيّة، فوصول الإنسان إلى درجة من الرّاحة والاطمئنان الرّوحيّ فهو يعيش في الجنّة، والعكس إذا عاش في الضّيق والنّكد فهو في النّار، ويمكن لكلّ إنسان أنْ يكون ملائكيًّا من خلال رُقيّه روحيًّا»، ولعلّ هذا يتوافق مع النّص المذكور من الكتاب المقدّس، فما ذكر هؤلاء ملائكة أصولهم بشريّة، ترقّوا روحانيًّا، وقريب منه عند الفيدس من الهندوس كما رأينا أيضًا في الرّحلة الشّيكاغيّة فليُرجع إليه، وليُنظر فيه .

وكلّ ما يؤثّر في العقل والصّحة كالمخدرات والسّجائر والخمور فهو محرم في ديننا، منصوص على ذلك في كتابنا المقدّس، والامتناع عن اللّحوم ليس بسبب التّحريم، ولكنَّها رغبة شخصيّة لأجل الرّقيّ الرّوحي، ولا يجوز القتل أو الإعدام في السّيخيّة، فللجميع حق الحياة، والمخطئ يعطى فرصة أخرى، وتُستثنى حالة الحرب، فهنا ندافع عن أوطاننا وحقّنا في الوجود ولو أدّى إلى القتل، وأمّا الموسيقى فهي شيء جميل، ومباحة في شريعتنا، ونستخدمها في طقوسنا، فهي من الجمال الّذي أودعه الله في الوجود، ولا يوجد عندنا إجبار الولد أو البنت على الزّواج، وإنّما يُقتصر على التّوجيه، وينبغي على الأبناء طاعة الوالدين، ولا يوجد عندنا التّعميد بمعنى أنَّ الجميع ينزل إلى الماء، وإنّما يأتي بالماء خمسة أشخاص من المعمدين، من آمْريستار في البنجاب، ويخلطونه بالسّكر، ومن يذهب هناك يرشونه عليه.

وفي ختام اللّقاء كانت رسالته الأخيرة: علينا أنْ نتعلّم من الآخر ونحترمه ونزور مكان عبادته، ولا أحد أفضل من الثّاني، كما لا يملك أحد الحقيقة المطلقة، وأنا ضدّ فكرة التّبليغ والتّبشير بين الأديان؛ لأنَّها تؤدي إلى الصّراع والاحتراب، وعلى كلّ دين أنْ يشتغل مع نفسه، ويتسالم مع الآخر.

وفي النهاية ودَّعَنا الأستاذان، وعبّرا عن سعادتهما بالزّيارة، ثمّ أخذنا جولة سريعة في دالاس لنستعد ليوم جديد، لأداء صلاة عيد الأضحى، وتسجيل حلقة حول الدّيانة اليهوديّة كما سنرى.

• صلاة عيد الأضحى وتسجيل حلقة حول الدّيانة اليهوديّة وحضور الدّوري النّهائي للنّاشئين

في صباح يوم الأحد 10 أغسطس(آب)، كان يوم عيد الأضحى أو العيد الكبير عند المسلمين، ويسمّى عيد القربان؛ لأنَّ الحجاج يتقرّبون فيه بالهَدي، وغالب المسلمين من غير الحجاج بالأضاحي، ويجعلون قِسما منها للفقير والمحتاج، ويعتبرونها ذكرى نبي الله إبراهيم عندما أراد ذبح ابنه إسماعيل، ففداه الله بكبش عظيم، والمشهور عند المسلمين خلافًا لليهود والمسيحيين أنَّ الذّبيح هو إسحاق، ومع ذكر ابن تيميّة (ت 728هـ/ 1328م) في الفتاوى أنَّ «هذه المسألة فيها مذهبان مشهوران للعلماء، وكل منهما مذكور عن طائفة من السّلف، وذكر أبو يعلى في ذلك روايتين عن أحمد، ونصرَ أنّه إسحاق، اتّباعا لأبي بكر عبد العزيز، وأبو بكر اتّبع محمّد بن جرير، ولهذا يذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنَّ أصحاب أحمد ينصرون أنَّه إسحاق، وإنّما ينصره هذان، ومن اتّبعهما، ويُحكى ذلك عن مالك نفسه، لكن خالفه طائفة من أصحابه»[1].

وبعد الفطور ذهبنا إلى أقرب مسجد تُصلّى فيه صلاة العيد، وفيه قاعة أُعِدَّتْ لذلك، ورأيت في أمريكا أنَّهم يؤخّرون صلاة العيد كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة، والظّاهر أنَّهم يتجمعون حسب الأجناس، فللعرب مراكزهم، وللهنود كذلك، وهكذا، وفي المسجد كنّا من أوائل من وصل، وشاهدت

(1) ابن تيميّة: تقيّ الدّين أحمد؛ **مجموعة الفتاوى**، تحقيق: عامر الجزّار وأنور البار، ط دار الوفاء، مصر/ المنصورة، الطّبعة الثّانية، 1422هـ/ 2001م، المجلد الثّاني، ج:4، ص: 204.

لاحقًا من بعيد أشخاصًا يلبسون اللّباس العُماني، والظّاهر أنّهم طلبة من عُمان، وكعادة مساجد المسلمين يَجْهرون بتعظيم الله وتكبيره وتهليلة بصوت مرتفع قبل الخُطبة، وعادتهم هنا قريبة من عادة الإباضيّة في عُمان، يجهر بها القائمون في المسجد، يتبادلون الدّور في التّكبير والتّهليل، يتقدّم أحدهم وعنده مكبر الصّوت مستقبلًا القبلة قائلًا: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا، لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إيّاه، مخلصين له الدّين ولو كره الكافرون»، والنّاس يرددون معه.

وهنا أتى الإمام، ويبدو أنّه من الجنسيّة الباكستانيّة، وصلّينا معه حسب سنّة الأحناف، وسنّتهم تسع تكبيرات، ثلاث أصليّات: تكبيرة الإحرام، وتكبيرتا الرّكوع، وست زوائد، ثلاث تكبيرات بعد دعاء الاستفتاح وقبل قراءة الفاتحة من الرّكعة الأولى، وثلاث بعد قراءة السّورة وقبل الرّكوع من الرّكعة الثّانية.

بدأ الإمام خُطبته الأولى بالتّهليل والتّهظيم والتّكبير مرتين ثمّ مفتتحًا بالتّوحيد وعظمة اليوم ونعمة بهيمة الأنعام ونعمة الإسلام، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين مردفًا بالشّهادتين، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين مردفًا بالصّلاة على النبيّ - ﷺ - وأصحابه وفضلهم، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة مردفًا بعظمة هذا العيد وهذا اليوم، وعظمة الأضحية، مع صدق النّية، والإخلاص لله تعالى فيها، وأنّها واجبة بنصّ الحديث، وأنّ علماء الفقه بينوا مسائلها، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين، ثمّ جلس جلسة خفيفة بعدها مباشرة.

ثمّ بدأ الخُطبة الثّانية بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين، وافتتحها بأحاديث فضل القربان وإراقة الدّم، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة مردفًا بما جاء عن الصّحابة في ذلك، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة وأردفها برواية الّذي لا يضحي لا يقربَنّ مصلى المسلمين، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرتين مردفًا بآية الحج/ 37: **﴿لَن يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾**، ثمّ أتى بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير مرة واحدة.

والظّاهر أنّه يقرأ خُطبة معهودة عندهم باللّغة العربيّة مع التّغني بها، والخُطبة الأولى قصيرة لا تتعدى ثلاث دقائق يأتي فيها كعادة الأحناف بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير تسع مرات يفصل بينها بما ذكر عدا الأخيرة يجلس بعدها جلسة خفيفة، وفي الخُطبة الثّانية وهي قصيرة أيضًا يأتي بالتّهليل والتّعظيم والتّكبير سبع مرات يفصل بينها كما فصلنا.

وبعدها يأتي بكلمة أو خُطبة سريعة باللّغة الإنجليزيّة مبينًا لذة العبادة بطاعة الله تعالى، والعيد مكافأة من الله، والّذي يكثر من الاستغفار وعبادة الله يشعر أنَّ العيد مكافأة من الله له، وبيّن ضرورة الحفاظ على المظاهر الاجتماعيّة يوم العيد، وأهمها زيارة الوالدين والأقرباء والأحباب، وتطرّق إلى سُنّة إبراهيم مع ابنه اسماعيل، وما يتعلق بهذه السُّنة من الأضاحي والقرابين، وأهمية العمل الصّالح في هذه الأيام، وقد سجلتُ الخطبة، ونشرتُها على قناة (أُنْس) 11 أغسطس(آب).

ثمّ بعد الصّلاة وتسليمنا على الجماعة ذهبنا إلى المطعم الإيراني، حيث طلب الأستاذ بيان الغداء لنحمله معنا إلى منزل أبيه في منطقة بلينو، وسبق الحديث عن المنطقة، وهنا وجدنا الحاخام رابي دايفيد جريبر قد سبقنا بالوصول في المنطقة، وكنّا على موعد معه لتسجيل حلقة حول اليهوديّة، وقد ولد الحاخام في شيكاغو في أمريكا في أسرة يهوديّة أرثذوكسيّة، ثمّ ذهب إلى إسرائيل لدراسة اللّاهوت والشّريعة اليهوديّة، حتّى وصل إلى درجة الحبر عندهم، واعتبر من العلماء المتخصصين في الشّريعة اليهوديّة، وبعدها سافر إلى نيوزيلندا كراهب في كنس، ثمّ رجع إلى أمريكا عام 1999م، واستقرَّ في دالاس للاهتمام بالمدارس اليهوديّة، وعمل في المدرسة الثّانوية العامّة لليهود، ومع مرور الزّمن نتيجة البحث والتّأمل لم يقتنع بالأرثذوكسيّة، ورأى أفكارها لا تتوافق معه، فخرج منها، واهتمّ بالإصلاح الدّيني والعقلاني، فأصبح يزوّج اليهوديات من غير اليهود، وكذا يزوج اليهود من غير اليهوديات.

وعند وصولنا وجدنا أمّ الأستاذ بيان سيمين موهبتي تنتظرنا، وقد أعدّت لنا الأرز، وباقي الغداء طلبه الأستاذ بيان من المطعم الإيراني كما أسلفنا، فجلسنا نتحدّث على الغداء، وكان غالب الحديث حول الدّيانة اليهوديّة واللّغة العبريّة والتّاريخ اليهودي، والدّراسات المعاصرة في اليهوديّة كالأنسنة والعلمويّة، وهنا طلبت منه تسجيل حلقة افتتاحيّة حول اليهوديّة في برنامج حوارات، حلقة (46)، فوافق، فسجلنا بعد الغداء أي في السّاعة الثّانية عشرة ظهرًا، وبثت يوم 13 أغسطس(آب).

تحـدّث في البدايـة عـن أنَّ اليهوديّـة كمصـطلح ظهـرت في عهـد الدّولـة الفارسيّة، ولم يكن المصطلح معروفًا في عهد النّبي موسى عليه السّلام، ولكنَّه ظهر بعد ألف عام من وفاته، فمملكة إسرائيل انقسمت إلى المملكة الشّماليّة واسمها مملكة إسرائيل أو السّامرة وعاصمتها شكيم (نابلس حاليا)، واحتلها الآشوريون بعد مئتي سنة من سقوط المملكة الجنوبيّة، والمملكة الجنوبيّة واسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم، واحتلها البابليون، وتمّ سبيهم إلى بابل، وفي عهد الدّولة الفارسيّة في عهد كورش الكبير (ت 529 ق م) أرجعهم إلى بلدهم، وهنا ظهر مصطلح اليهوديّة[1].

وظهرت اليهوديّة من جنس بني إسرائيل، أي من أبناء يعقوب، ولكنَّ ذلك لا يعني أنَّ جميع اليهود من بني إسرائيل، فالعديد دخل في اليهوديّة من الأجناس الأخرى، ومع أنَّ اليهود لا يُبلِّغون دينهم؛ لكنّهم لا يرفضون من أراد اعتناق اليهوديّة كدين له، فعلى سبيل المثال وُجد عن طريق تحليل الحمض النّووي DNA، أنَّ فئة من اليهود الرّوس يتوافق حمضها النووي مع الحمض النووي لليمنيين، وعند فئة أخرى لا يتوافق.

---

(1) اختلف في سبب تسمية اليهوديّة، فقيل من التّوبة والرّجوع كما في قوله تعالى: ﴿**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأعراف/ 156]، وقيل نسبة إلى يهوذا من أبناء يعقوب، ومن الأسباط الاثني عشر، وقيل نسبة إلى مملكة يهوذا، ولعل الثّالث أرجح، كغالب النّسبة إلى الأماكن، فقلبت الذّال دالا، والله أعلم.

والتّوراة تنفي أنْ يكون السّامريون من بني إسرائيل، ولكنَّهم في نظري قد يكونون من بني إسرائيل[1].

وبعد دمار الهيكل (586 ق م) انقسم اليهود إلى الصّدوقيين والفريسيّين والآسينيّين[2]، بيد أنَّ الصّدوقيين والآسينيين انقرضوا، وما بقي اليوم أحد من الفريسيين، وفي القرن الثّامن الميلادي ظهرت فرقتان كبيرتان في اليهوديّة: فرقة القرائين[3]، وفرقة الرّبانيّين، وكلا الفرقتين من الفريسيّين، وكانت فرقة القرائين كبيرة لكنّها اندثرت شيئًا فشيئًا حتّى لم يتبقّ منها اليوم سوى عشرة آلاف، وأغلبهم في إسرائيل، وأمّا الرّبانيون فيسمون اليوم باليهود الأورثذوكس، أو باليهود الكلاسيكيين، وكذلك يسمون باليهود الحاخامانيين، وقبل خمسمائة

(1) السّامريون يرون أنَّهم الوريث الحقيقي لبني إسرائيل، واليهود خليط من أجناس مختلفة بعد السّبي البابلي .

(2) الصّدوقيون أتباع صدوق وذرّيته الّذين كانوا يتولون الكهانة في عهد داود وسليمان، ويؤمنون بالكتب القديمة أي الأسفار الخمسة، ويرفضون ما عداها، وهم حَرْفيون في مسائل الدّين، يختلطون مع الأجانب، ولا يؤمنون بالبعث ولا بالجنّة ولا بالنّار . الفريسيّون من الفرز أي المتميزون عن الأغيار، وهم الأكثر شعبيّة وحضورًا، ولا يختلطون بغيرهم، ويؤمنون بجميع الكتب اليهوديّة بما فيها المشناة والجمارا . الآسينيون أو الآسيون من آسى أي الطّبيب في الآرامية، ونشأت على الغالب في الإسكندرية في القرن الثّاني قبل الميلاد، ويميلون إلى الزّهد والرّهبنة، ويهتمون بالرّوح، ولا يأكلون لحوم الحيوانات . للمزيد ينظر: العقاد: عبّاس محمود؛ **حياة المسيح**، ط دار الهلال، القاهرة/ مصر، 2014م، ص: 37 – 42. بتصرّف .

(3) يؤمنون بالتّوراة المكتوبة أي الأسفار الخمسة، ولا يؤمنون بالتّوراة الشّفويّة والشّروحات خلافًا للرّبانيين، ظهرت على يد عنان بن داود [ت 795م] في الدّولة العباسيّة .

سنة لا يُعرف شيء اسمه اليهود الأرثذوكس، وظهرت من الرّبانيين فرقة الحاسيديم (في القرن السّابع عشر الميلادي)، وهي فرقة عِرفانيّة تميل أكثر إلى الاستمتاع بهذه الحياة بالغناء والرّقص، ويستخدمون ذلك في ذكر الله (مثل الصّوفيّة عندنا تقريبًا)، وهؤلاء بسبب رهبنتهم، والتصاقهم بالشّخوص انقسموا إلى طرق وأقسام مختلفة.

وفي القرن الثّامن عشر وأوائل القرن التّاسع عشر ظهرت فرقة اليهود العقلانيّين، ويُسمَّون باليهود الحداثيين أيضًا، وهؤلاء يرفضون الأخذ بحَرفيّة النّصوص المقدّسة والآثار؛ لأنَّه في الأصل كتبها بشر، وهؤلاء أحدثوا تغييرًا فيها، ولهذا قابلتهم فرقة وسَط، فقالوا لا نرفض التّوراة، ولكن تُقرأ في ظرفيّتها الزّمكانيّة، فلم يبتعدوا كالعقلانيين اليهود، ولم يتشددوا كالحاخامانيين، ولكن وقفوا موقفًا وسطًا، وهؤلاء هم اليهود الإصلاحيون، وأجازوا في أمريكا زواج اليهود من غيرهم من الجنسين، كما أجازوا زواج المثليين، وكانت ردّة فعل الحاخامانيين شديدة بسبب هذين المذهبين، ممّا أدّى إلى ظهور مذهب رابع، وهم اليهود العلمانيون[1]، وهؤلاء فصلوا علاقتهم بالتّوراة وغيرها، وإنَّما هم يهود بالاسم لا أكثر، لأنَّ الزّمان اختلف، وأنا - أي رابي دايفيد – من طائفة الإصلاحيين اليهود، لأنّي رأيت أنَّ الثّقافة اليهوديّة الأرثذوكسيّة لا تتناسب مع الواقع، فالتّوراة قد تتناسب مع العهد البرونزي أو النّحاسي، لكنّها لا تتناسب مع العصر الحديث.

(1) فصّل هذا التّيار العلماني في اليهوديّة المعاصرة الكاتب اليهودي يعقوب ملكين في كتابه علمنة اليهوديّة بصورة كبيرة، يمكن الاستزادة منه .

واليهود طبيعيًّا كأيّ أمّة تتأثر بغيرها (كتأثرهم بالهلنستيّة الرّومانيّة، والغنوصيّة الفارسيّة، وتأثر القرائيين بالثّقافة العربيّة، وتأثرهم حاليًّا بالحضارة الغربيّة)، فمثلًا قبل مئتي سنة من ميلاد المسيح تحدّث اليهود بالرّومانيّة، وطبيعي التّأثر بالثّقافة الهلنستيّة، وفي الأندلس تأثروا بالثّقافة الإسلاميّة، واليوم بالثّقافة المسيحيّة، فلا يمكن أنْ نكون موسويين؛ أي بمعنى أنْ نكون كموسى بالكامل في عصره.

واليهود الأرثذوكس يؤمنون بالتّوراة المتضمنة للأسفار الخمسة (التّكوين والخروج واللّاويين والعدد والتّثنية) المُنزلة على موسى حرفًا حرفًا، واليهود لا يؤمنون بالعهد القديم عند المسيحيين، وإنّما وضعه المسيحيون ليكون مقابلًا للعهد الجديد، أي الأناجيل الأربعة وأعمال الرّسل، والعديد من اليهود قديمًا وحديثًا لا يرون أنَّ الأسفار الخمسة نزلت حرفًا حرفًا، وإنّما كتبت في فترات لاحقة ومختلفة، وحدث فيها بعض التّعديل، يضاف إلى ذلك أنَّ اليهود الأرثذوكس يؤمنون بأسفار الرّسل كسِفر أشعيا، والآيات والأدعية، ولا يُعرف من كتب التّوراة، وأمّا التّوراة السّبعينيّة[1] فهي ترجمة للتّوراة من العِبريّة إلى اليونانيّة من قبل اثنين وسبعين حَبرًا.

(1) جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا: «السّبعينيّة هي التّرجمة اليونانيّة للعهد القديم الّتي أجريت في القرن الثّالث قبل الميلاد، حيث يذكر أنَّ بطليموس أراد أن يضمّ إلى مكتبة الإسكندريّة الكتب المقدّسة لليهود، والبعض يرى أنَّه بسبب عدد اليهود الّذين لايعرفون إلاّ العِبريّة قام اثنان وسبعون من الأحبار بالتّرجمة».

والتّلمود يشبه ما عند المسلمين من الحديث، ففي اليهوديّة أقوال وأعمال قام بها النّبي موسى، وهي غير موجودة في التّوراة، وقام اليهود بعد فترة طويلة من وفاة موسى بالاهتمام بها، فكانت المشناه وهي الرّواية الشّفويّة توضع في الأعلى، وفي الأسفل يضعون الشّروحات والخلافات بين الفقهاء اليهود وهي الجمارا، والاثنان يطلق عليهما التّلمود (أي كتاب الدّراسة).

وأمّا المكان المقدّس عند اليهود وحرمهم في الأعلى هو جبل صهيون، وفي أعلاه يوجد الهيكل الّذي بناه سليمان، ودمره البابليون، وأُرجع في عهد الفرس، وفي عهد هيردوس الرّوماني (ت 4 ق م) قام ببناء الهيكل في شكل جميل جدًّا، وبنى حائط المبكى في الأسفل، وفي عام 70م دمّر الهيكل (في عهد تيتوس ت 81م)، وأبقي الحائط، لهذا فأغلب اليهود حتى اليوم يقفون عند الحائط، ويدعون الله عنده، ويطلبون التّوبة والمغفرة، والقليل ممّن يصعد إلى الأعلى، حيث يعتقد البعض بوجوب الوصول إلى الأعلى، ولكن غالب اليهود يكتفون بالوقوف عند الحائط، وفئة قليلة جدًّا من اليهود الأرثذوكس لا زالت تعتقد أنَّ المسيح سوف يأتي، ويُعيد بناء الهيكل من جديد، ومعظم اليهود عمومًا لا يؤمنون بفكرة مجيء المسيح.

وأمّا ما يتعلق باليوم الآخر والجنّة والنّار؛ فاليهود الأرثذوكس أو التّقليديون يؤمنون بذلك، وذكر اليوم الآخر في التّوراة بشكل غير صريح، وتوجد أيضًا إشارات غير صريحة للعذاب والنّعيم والبعث أو قيام الأموات، وهي إشارات غير قطعيّة، فلهذا أغلب اليهود لا يؤمنون بها خلافًا لليهود الأرثذوكس كما أسلفنا.

وبعد اللّقاء حضر والد بيان عطاء الله يحيى نوري فقادنا إلى حديث طويل حول الأديان وفلسفتها، وحول واقع الحضارة الغربيّة، وموقع الأديان منها، ومستقبل العديد من الأحكام في الكتب المقدّسة أمام القراءات المعاصرة والنّقديّة والتّفكيكيّة، وكان لنا موعد آخر العصر للمشاركة في الدّوري النّهائي في منطقة منطقة ويكوري ميدو فاستأذنّا بالخروج.

وقد أسلفت الحديث عن المنطقة، والّذي يهمني هنا العمل الاجتماعي الّذي ينشأ عليه أبناء المنطقة، وميزته أنَّ عملهم الاجتماعي يشارك فيه الجميع أيًّا كان دينهم وتوجّههم، ومثاله حلقات التّعليم المساعدة الّتي تهتمُّ بغرس القيم الكبرى وبالحوار والتّعايش ليس تدريسًا فحسب؛ بل حتّى عمليًّا، فعندهم حصص في تنظيف الطّرق والمنطقة، ليتعوّدوا على النّظافة، كذلك يقوم بعض النّاشئين - كما أخبرت - بصنع الكعك، ثمّ بيعها، ويذهب ريعها إلى الفقراء والمشردين، إلى جانب التّعاون على مساعدتهم بالطّرق الاجتماعيّة الأخرى.

وهنا رأيت أنَّ مجموعة من جماعة المنطقة أعدّت ملعبًا كبيرًا للأطفال والنّاشئين، فهم يقسّمونهم إلى فرق رياضيّة تتبارى طول العام، كما يَحْملونهم لمشاهدة الدّوريات الرّياضيّة في المجمعات، ويقومون في بعض الأشهر بدوريات مكثفة، ومن حُسن الطّالع أنَّ وجودنا صادف المباراة النّهائيّة في الدّوري، وطُلب مِنّي حضور المباراة، ورأيت النّاشئين يرحّبون بالضّيف، ويأتي الجميع للسّلام عليه، وأغلبهم من البورميين، وجاءني أحدهم يحفظ سورة مريم، وصوته جميل جدًّا، فقال أريد أنْ أقرأ عليك بداية السّورة، فسرني

ذلك، وفعلًا كانت قراءته متقنة، وصوته جميلاً، وقال: أصلي بهم أحيانًا في مسجد قريب، وطلب مني زيارة مسجدهم، وفعلًا زرتهم في اليوم نفسه، وشاركتهم صلاة العِشاء.

وبعد نهاية الجلسة قمنا بجولة أنا والأستاذ بيان في دالاس لتناول العشاء ولنستعد ليوم آخر لحضور مشرق الأذكار وزيارة مؤسسة MDHA في علاج ظاهرة المشردين كما سنرى.

• حضور مشرق الأذكار وزيارة مؤسسة *MDHA* في علاج قضيّة المشردين

في صباح يوم الإثنين الثّاني عشر من أغسطس(آب) حضرتُ مشرق الأذكار في دالاس بعد شروق الشّمس، وشاركَنا أحد الإخوة من المكسيك، وكان يتمتع بالصّوت الحَسن في الدّعاء، وهنا الكل يدعو بلغته، بالعربيّة والإنجليزيّة والإسبانيّة حسب المجتمعين، ومجلس الأذكار مجلس ذكر بهائي، إلا أنَّه يحضره من جميع الأديان، ويذكرون الله مجتمعين، كلّ واحد يأتي بدعاء من حفظه أو يقرأ من كتاب، أو حتّى من كتابه المقدّس كالقرآن أو الكتاب الأقدس مثلًا، والباقي يصمت ويتأمل، وأفضل وقته عندهم وقت السّحر كما جاء في كتاب الأقدس: 115 «طوبى لمن توجه إلى مشرق الأذكار في الأسحار ذاكرًا متذكرًا مستغفرًا، وإذا دخل يقعد صامتًا للإصغاء لآيات الله الملك العزيز الحميد»، إلا أنَّهم يدعون في أيّ وقت، ويفضلون الدعاء في أول الصّباح بعد شروق الشّمس إنْ لم يكن بالإمكان وقت السّحر.

وأصل مشرق الأذكار كما جاء في كتاب (فهم الدّين البهائي) لندى مؤمن وموجان مؤمن ص: 237 عبارة عن «أبنية ومؤسسات مكرّسة لحُسن سير المجتمع روحانيًّا واجتماعيًّا، ولتوفير حاجاته التّربويّة والتّدريب العلميّ، بما فيها بيت للعبادة في وسطها، وجامعة، وفندق للمسافرين، ومستشفى وصيدليّة، ومدرسة للأيتام، وبيت للعجزة»، وسبق أنْ تحدّثنا في الرّحلة الشّيكاغيّة عن مشارق الأذكار كمبنى للعبادة في زيارتنا لمبنى مشرق الأذكار في شيكاغو، لهذا فلفظ مشرق الأذكار في الأصل عند البهائيّة إذا أطلق فيراد به بيت العبادة نفسه، إلا أنّه يشمل أيضًا «أيَّ مبنى أو غرفة مكرّسة للتّعبد، أو لجلسات الدّعاء، وبالأخص الدّعاء عند الفجر».

وبعد مشرق الأذكار أعددْنا الفطور، ثمّ ذهبت إلى ستار بكس قريب من النُّزُل، فهو يستغرق ثلاث دقائق بالسّيارة، وستار بكس كما جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا «شركة مقاهٍ أمريكيّة، بدأت عام 1971م في سياتل بولاية واشنطن على يد ثلاثة شركاء، وهم مدرس اللّغة الإنجليزية جيري بادوين، ومدرس التّأريخ زيف سايغل، والكاتب غوردان بوكر»، جلست فيه لأُعدّ بعض الجلسات الحواريّة، وأرفع بعض الحلقات اليوتيوبيّة، وكنت أعاني في النُّزُل من ضعف الأنترنت، فاشتريت شريحة أنترنت، وفيها النّت والاتصال مفتوح لمدة شهر، وبمبلغ زهيد جدًّا، فقمت بالتّحميل والرّفع في أيّ مكان، وظلّت معي حتى رجعت، ورأيت في ستار بكس تزاحم الطّلاب الذين يرطنون بأحاديث لا أفهمها إلا كلمات عابرة، وهو المكان المناسب أيضًا للتّعارف واللقاءات والحوارات.

وفي الظّهر ذهبنا إلى مؤسسة Metro Dallas Homeless alliance في منطقة Swiss Ave في دالاس هذه المؤسسة المعنية بعلاج قضيّة المشردين في دالاس، حيث كان لدينا موعد مع الحاخام رابي دايفيد جريبر، وسبق الحديث عنه، واستقبلنا بحفاوة، وفي البداية قال لي: هل تريد الشّاي أم الماء؟ فقلت له: الماء؛ لأنَّه لو قلت له شكرًا لك، لن يرجع مرة أخرى إلى سؤال ذلك، وهذه عادة وجدتها عندهم، فهم يسألونك مرة واحدة فقط، وعمومًا ذهبنا إلى مكتبه في المؤسسة، وسجلنا الحلقة (47) من برنامج حوارات، وكانت بعنوان: تجربة مؤسسة MDHA في علاج قضيّة المشردين في ولاية تكساس، وبُثت يوم الأربعاء 14 أغسطس(آب).

والحاخام رابي دايفيد جريبر يعمل في هذه المؤسسة بشكل رسمي من عام 2014م، وهذه المؤسسة تأسست في سبتمبر(أيلول) عام 2002م، وهي شركة لا تساعد المشردين مباشرة، وإنّما تتواصل مع الشّركات والجمعيات الخيريّة المهتمة بالفقراء والمحتاجين والمشردين واللّاجئين، لكي يسهل الوصول إلى المشرد بشكل منظم وسريع معًا.

ويقول بعد التّعريف بذاته وبالمؤسسة: إنّه يوجد في الولايات المتحدة الأمريكيّة حتى الآن خمسمئة وخمسون ألف مشرّد، منهم ثمانون بالمئة يحملون الجنسيّة الأمريكيّة، والباقي من اللّاجئين من دول مختلفة، وإحصائيّة عدد المشردين تكون في العَشر الأخير من شهر يناير من بداية كلّ عام، ولو وُجد مشرد واحد قبل يوم دخل في الإحصائيّة.

وفي دالاس يوجد أربعة آلاف وخمسمئة وثمانية وثلاثون مشردًا حسب إحصائيات عام 2019م، بزيادة تسعة بالمائة.

وبدأت قضيّة المشردين في أمريكا في السّبعينيات، خصوصًا أيام كارتر، وكذلك في عهد كلينتون وبوش الابن وأوباما وترامب تمّ الاهتمام بصورة كبيرة بها، ولهذا قلّ عدد المشردين بصورة أكبر.

والحكومة الفدراليّة لا تساعد المشردين بشكل مباشر، وإنّما تدعم المؤسسات القائمة بهذا العمل، فهي تدعم سنويًّا بمبلغ بليونين فاصل ستة مليون دولار، وهذا المبلغ في جملته ليس كبيرًا، وهذه المؤسسة تتلقى دعمًا كغيرها من الفدراليّة، ومن الولاية، ومن الجانب المحلي، بجانب التّبرعات الأهليّة ومؤسسات العمل المدني والأماكن الدّينيّة، وبالتّالي تقوم الشّركة بتوفير بيوت للمشردين، ولصعوبة توفير البيوت فإنَّهم يوفرون حاليًّا قاعات كبيرة، فيها أسرَّة وطاولات، تكون حلًّا عاجلًا حتى يتمّ توفير البيوت، كيلا يناموا في الشّوارع والطّرقات، والحكومة تريد منّا توفير بيوت بشكل عاجل، ولكنْ ليس من السّهولة توفير ذلك في أمريكا، فهو يحتاج إلى وقت، مع الاهتمام بجانب التّعليم والصّحة والعلاج.

وأمّا بالنّسبة إلى الأديان فيختلف من مؤسسة دينيّة إلى أخرى من حيث مساعدة الأديان، وفي الواقع فإنَّ أغلب المؤسسات الدّينيّة من كُنُس وكنائس ومساجد ودُور عبادة تُسهم في مساعدة المشردين، وبعض المؤسسات الدّينيّة بذاتها توفر قاعات تشمل أَسرَّة وطاولات للمشردين، مثل مؤسسة Faith Forward Dallas لمجموعة من رجال الدّين من أديان مختلفة، وهدفهم المساهمة في علاج قضيّة المشردين، كما أنَّ الشّركة أيضًا تواصلت مع كنس وكنائس ومساجد ودُور عبادة للمشاركة والمساهمة؛ لكنّها رفضت ذلك أو لم

تبادر إلى المساهمة، لاعتقادهم أنَّ دورهم في دُور العبادة يقتصر عند الطّقوس وممارسة الشّعائر، وهذا ليس من اختصاصهم.

والعديد من المؤسسات والمتدينين يساعدون لاعتقادهم أنَّ الله أمرهم بذلك، فيساعدون الجميع على مبدأ الإنسانيّة، بلا تفريق بين مشرد وآخر، بغض النّظر عن دينه وتوجُّهه، وبعض المؤسسات الدّينيّة هدفها تبشيري للدّخول في دينها أو مذهبها، وشركتنا لا يهمّها هذا، سواء أكان الهدف إنسانيًّا أم تبشيريًّا، فنحن نتعامل مع الجميع؛ لأنَّ الغاية مساعدة هذا المشرد، وعمل الشّركة إنسانيّ بشكل مطلق.

والأصل أنَّ أغلب النّاس لا يَصلون إلى درجة التّشريد لتوفر ثلاثة أغطية: الأول غطاء العمل، فإذا كان الإنسان يعمل فيستطيع توفير إيجار البيت أو الغرفة، والثّاني المال المدَّخر، فإذا خسر عمله، وكان لديه مبلغ من المال، فسيحميه حتّى يوفر عملًا بديلًا، والثّالث الأُسرة والأصدقاء حيث يحمونه من التّشرد حتّى يتيسر أمره، فعلى سبيل المثال فإنَّ اللّاجئين من المكسيك، ورغم أنَّ نسبتهم في تكساس ودالاس مرتفعة، فالقليل جدًّا من المشردين يكون من أصول مكسيكيّة بسبب العلاقات الأسريّة والاجتماعيّة الكبيرة بين المكسيكيين على عكس الأمريكيين.

وعندما نقرأ الخطّ الأفقي لأسباب التّشرد فقد يتصور البعض أنَّ لدى المشردين مشاكل عقليّة، أو كانوا ضحيّة مخدرات أو إكثار من الشّراب، ولكن ليس هذا السّبب الرّئيسي، وإنّما السّبب الرّئيسي هو التّفكك الأسري

والاجتماعي، وحاليًّا لا يهمُّنا الاشتغال بالأسباب أيًّا كانت، بل يهمنا توفير مأوى للمشردين، ثمّ نهتم بعلاج هذه الأسباب.

والضّرائب ليست سببًا كبيرًا في التّشرد إذا كان لدى الإنسان عمل أو دَخْل، وإنّما المشكلة الرّئيسة هي العِلاج، فهو يقود إلى التّشرد، وأغلب القروض في أمريكا لأجل العلاج، فثلث الذين يقترضون للعلاج قد يُفلس، فيقع في التّشرد، فمثلًا هناك امرأة تعمل في شركة، وقد أصيبت ابنتها بخلل في الأذن، وتركت عملها يومًا واحدًا فقط، ففصلت من عملها، فلم تستطع دفع إيجار البيت، فشردت هي وابنتها.

وأمّا المجتمع من حيث نظرتهم إلى المشردين، فتوجد فئة تنظر إلى أنَّهم بشر لا يختلفون عن غيرهم والفرق هو أنَّ أحدهم لديه مأوى والآخر بلا مأوى، ولكن للأسف فأكثر فئات المجتمع في أمريكا تنظر إلى المشرد نظرة دونيّة لسببين أولهما: إمّا أنَّهم يرون أنَّ المشرد لم يعمل بإخلاص، أو لكونه خالف القانون، وهذا عكس الإنسان النّاجح، وهذا ليس سببًا رئيسًا في الحقيقة، فالعديد من النّاس توفرت لديهم فرص عمل ذهبيّة ونجحوا فيها، بينما الآخرون لم تأتهم هذه الفرص الذّهبيّة من العمل، أو لم ينجحوا في عملهم لأسباب متعددة، فوقعوا ضحية التّشرد، فليس علينا أنْ ننظر إليهم نظرة دونيّة، وإنَّما نساعدهم في الرّجوع إلى حياتهم الطّبيعيّة كباقي البشر.

وتترتب على عدم مساعدة المشرد في النّهاية خطورة أكبر، إذ يمكن أنْ يكونَ عرضة لشخصيات مجهولة تستغله في الإرهاب أو المخدرات أو لأغراض أخرى.

وعمومًا فإنَّ شركتهم عملت بشكل جيد في علاج هذه القضيّة، ووحدوا الشّركات المساهمة في ذلك اجتماعيّة ودينيّة وأهليّة، ليعملوا تحت مظلّة واحدة، وبالتّالي اختُصر العلاج، وحال الاستمرارنا في هذا العمل، وبهذا العطاء والتّعاون والجديّة؛ سيُقضى على هذه الظّاهرة بعد خمسين عامًا، بل وقبل ذلك، صحيح أنَّ عَقَبة توفير البيوت في أمريكا من أكثر العقبات، ومع ذلك فنحن نسعى لتحقيق أهدافنا.

وفي الختام يقول في أمريكا فئة قليلة تعيش في درجة الغنى، وأغلب الشّعب في أمريكا مستواه متدنٍّ، فمثلًا نجد الدّول الإسكندنافيّة قد قدّمت نموذجًا رائعًا، ولكنَّك إذا خسرت وظيفتك في أمريكا فإنَّك تخسر تأمينك الصّحي، وبالتّالي تقع في الدّيون، فالإفلاس والتّشرّد، أمّا في الدّول الإسكندنافيّة ولو خسر الإنسان عمله فلن يخسر مكانته الاجتماعيّة كالتّأمين والصّحة والعلاج والتّعليم، بل لن يخسر طعامه، فأتعجب من عالم يتمتع بالغنى، وعوالم أخرى تعيش تحت خط الفقر، فالأصل أنْ تُقسم هذه الموارد بشكل عادل بين البشر، لتحقيق الإنسانيّة بين الجميع، فلو نزلت مخلوقات من السّماء لتعجّبت من حال هؤلاء البشر، وقد أعطاهم الله هذه الموارد الكافية في الطّبيعة، ولكنَّ أُمَمًا منهم تعيش تحت خط الفقر!!!

وبعد الحلقة ودّعنا الحاخام رابي دايفيد، وكان في الأصل لدينا موعد معه لزيارة الكنيس اليهودي، لأنَّني لم أزره من قبل، ورحّب بالأمر، وفعلًا تواصل معنا لاحقًا، ولكنَّ جدولنا للأسف كان مزدحمًا حينها، وعسى أنْ يكون ذلك مستقبلًا، لنذهب مرة أخرى إلى مول نورث بارك لتناول الغداء، ودبلجة هذه

الحلقة، وبعد جولة سريعة في دالاس رجعنا إلى النُّزُل لستتعدَّ ليوم آخر نزور فيه كاتدرائيّة الأمل، وجلسة الملحدين في دالاس كما سنرى.

• زيارة كاتدرائيّة الأمل والمشاركة في جلسة الملحدين

في صباح يوم الثّلاثاء الثّالث عشر من أغسطس(آب) ذهبت إلى ستار بكْس، وبعد الغداء ذهبنا إلى كاتدرائيّة الأمل، وهي الكنيسة البروتستانتيّة اللّيبراليّة، أو اللّاهوت التّحرري، وظهرت في القرنين الثّامن عشر والتّاسع عشر الميلاديين، وهي منفتحة بشكل كبير على الجانب الفرداني والميولات الجنسيّة، والحريات الجندريّة، وظهر نشاطهم في أمريكا بقوّة في القرن العشرين، وأشهرها كنيسة المسيح المتحدة، وكان الرّئيس أوباما عضوًا فيها، وكما جاء في موقع الكنيسة المتحدة في الشّبكة العالميّة أنَّها «تأسست في عام 1957م في كليفلاند بولاية أوهايو، مع اندماج الكنيسة الإنجيليّة والإصلاحيّة.... « وتقع كاتدرائيّة الأمل في منطقة Springs Cedar، وتبعد ربع ساعة عن النُّزُل، وهنا استقبلَنا القِس نيل سيزر تومس القائم في إدارة شأن الكاتدرائيّة، وأصله من كنيسة المورمون ثمّ خرج إلى كنيسة الأمل، وأصبح قسّيسًا فيها، وفي البداية أخذَنا في جولة حولها، فهي كاتدرائيّة كبيرة، تضمّ حديقة وأماكن للمشي وممارسة الرّياضة، وقاعة للمنشورات، وقاعة كبيرة للصّلاة والقدّاس، ولا يوجد فيها تصاوير كثيرة كالكنيسة الأرثذوكسيّة، ومكان إعداد سرّ القربان ليس في الوسط، ولا يوجد عندهم في الأمام قاعة سرّ الكهنوت، وفيها مكاتب عديدة، وهي نظيفة ومنظمة بشكل كبير جدًّا.

ثمّ ذهبنا إلى غرفة لتسجيل حلقة حول الكنيسة البروتستانتيّة اللّيبراليّة مع القس نيل سيزر تومس، ضمن برنامج حوارات حلقة (48)، وسجلت في السّاعة الرّابعة عصرًا بتوقيت تكساس.

في البداية أخبرَنا القس أنَّ أساس كنيسة الأمل تعود إلى كنيسة المسيح المتحدة، حيث انظموا إليهم، ولِفَهم مدار كنيستهم لابدّ من فهم مدار الكنائس المسيحيّة عمومًا، فهي على ثلاثة مذاهب: مذهب يأخذ بحرفيّة النّصوص المقدسة، ومذهب ليبرالي يتوّسع في تاريخيّة النّص المقدّس، وينفتح على الحرّيات بشكل كبير، ومذهب وسط بين المذهبين، فكنيسة الأمل تندرج تحت المذهب الثّاني، فهي ليبراليّة منفتحة بشكل كبير جدًّا.

وقد ظهرت كنيسة الأمل في عام 1972م، واهتمت في الأساس بقضيّة المثليين، وحرّيتهم رجالًا ونساء، أو ذوي الميول المشتركة من النّوعين، أو من المتحوّلين جنسيًّا.

وهنا طرحتُ عليه بعض النّصوص في العهدين القديم والحديث من الكتاب المقدّس المتعلق بالمثليّة، كنص «ولا تضاجع ذكرًا مضاجعة أنثى فإنّه رِجس» (سفر اللّاويين، (إصحاح: 18، آية 22)، وفي رسالة كورنثوس الأولى (إصحاح: 6، آية: 9) «إنَّ المثليين غير أبرار، ولن يرثوا ملكوت الله»، بجانب قصّة سدوم في سفر التّكوين، فأجاب: العهدان القديم والحديث من الكتاب المقدّس جاءا لفترة زمنيّة معينة، وليس بالشّريطة أنْ يتوافقا مع زمننا، والمسيح جاء برسالة المحبّة، الّتي تجسّدت في محبّة الإنسان واحترامه، ورفض المسيح نفسه العديد من التّعاليم الموجودة في العهد القديم، فنحن نجسّد المحبّة الّتي

جاء بها المسيح، ونتعامل بها حسب زمننا، وبالنّسبة للمثليّة فتوجد في العهد القديم أربعة أسفار، وسِفران في العهد الجديد أشارت إلى المثليّة، أهمها قصّة قرية سدوم في عهد لوط، لكنَّها ليست دليلًا على المَنع، وإنّما حدث ذلك بسبب سوء الضّيافة ومحاولة الاغتصاب، ولا يوجد في زمنهم ما يسمّى بالزّواج المثلي، فهي قضيّة جديدة ومستجدة، فلا يمكن أن نسقطها على القصّة.

ثمّ عقّبتُ على كلامه: لو سلّمنا بأنّ قضيّة المثليّة المشروعة هي تحت مظلّة الزّواج المثلي، وليس بمعنى العلاقة خارج إطار الزّواج، أو الاغتصاب؛ ألا ترى أنَّ المثليّة مخالفة للجانب الطّبيعي في العلاقة بين الذّكر والأنثى القائمة على بقاء النّوع البشريّ، وهي سبب في انتشار أمراض مختلفة، فأجاب: المثليّة لا تهدد النّوع البشري، وهم يتبنون أطفالًا أيضًا، عن طريق التّلقيح، وعن طريق أطفال الشّوارع والأيتام، فيساهمون في إيوائهم وتربيتهم والاهتمام بهم، وأمّا الأمراض فهي تنتشر في غير المثليين أيضًا، ولو سلّمنا بوجود المرض فهو ليس عذابًا، فالله محبّة، ولا يرسل كهذا لأبنائه.

ثمّ كان الحديث عن الكنيسة بشكل عام إذْ قال: هناك العديد من الكنائس رفضت المثليّين وغيرهم من أصحاب التّوجهات والميولات الأخرى غير المقبولين اجتماعيًّا، فهذه الكنيسة فتحت بابها للجميع، وهذا كما أسلفنا تجسيد للمحبّة الّتي جاء بها المسيح، والكنيسة مصدر لهذه المحبّة، فلا تفرق بين أحد في المجتمع.

والكنيسة تقوم بعقد الزّواج بين المثليين وغيرهم، ولا توجد إحصائيّة لزواج المثليين من خلال هذه الكنيسة؛ لأنَّه كان ممنوعًا في السّابق، وسُمح

بذلك في عهد أوباما عام 2015م، ولكن في الجملة المئات أتوا لأجل هذا الزّواج من خلال هذه الكنيسة فقط في دالاس فضلًا عن باقي أمريكا.

والكنيسة علاقتها جيدة مع الأديان المختلفة، كالهندوس والمسلمين والبهائيين والطّوائف المسيحيّة الأخرى، وغيرهم، وهناك كنائس أخرى أيضًا تؤمن بفكرهم ذاته، مع أنَّ دور هذه الكنيسة لا يقتصر على خدمة المثليين فحسب؛ وإنّما تقوم بدور كبير في مساعدة الفقراء والمشردين، ويتبرعون سنويًّا بآلاف الدّولارات، بجانب إيوائهم وخدمتم لليتامى وأبناء الشّوارع، ويوفرون لأطفال الفقراء الأكل في المدارس وغيرها، وهدفهم ليس محليًّا بل هو هدف إنسانيّ، حيث يقدّمون خدماتهم للبشر عمومًا في أيّ مكان كانوا، وعمل جميع القائمين في هذه الكاتدرائيّة هو تطوعيّ بحت.

وهم يناهضون حاليًّا فكرة منع اللّاجئين، وكذلك التّفريق بين الأطفال إذا كان والدهم ليس أمريكيّا؛ لأنَّ هذا يتعارض مع حقوق الإنسان، فهو إنسان أيًّا كان، وله حقوقه الإنسانيّة.

وفي هذه الكنيسة يمارسون العديد من الطّقوس، وعندهم دعاء تقليدي يوم الأحد، كما يستخدمون أيضًا الموسيقى المعاصرة والتّقليديّة، وطقوسهم في الذّكر والدّعاء تمارس باللّغتين الإنجليزيّة والإسبانيّة، وشعارهم شعار المسيح وهو المحبّة، وقانونهم ما لا ترضاه لنفسك فعليك ألّا ترضاه لغيرك، وشعارهم وقانونهم سواء مع جميع البشر والدّيانات، ويشاركون في مجمع الأديان Faith Forward Dallas، القائم على خدمة المجتمع.

وفي ختام اللّقاء كانت رسالته تأكيدًا على ما سبق من أنَّ الدّين محبّة، والمسيح جاء بالمحبّة، فعلينا أنْ نعيش في الأرض بمحبّة، وننشر السّلام بيننا، وفي الحكمة اليونانيّة الحبّ الّذي يخرج منك لابدّ أن يكون حقيقيًّا وليس مجرد كلام عابر، وأكبر سبب للحروب أنَّ البشر استخدموا اسم الله فيها وفي قتل الآخر وإيذائه، والله بريء من هذا لأنَّه مصدر هذه المحبّة.

وبعد المحاضرة ودعْنا القس، ثمّ ذهبنا إلى قاعة الصّلاة، وهي – كما أسلفت – كبيرة جدًّا، ثمّ ذهبنا إلى مطعم هندي في دالاس، يجتمع فيه الملحدون، وهم أقليّة في أمريكا، فالتّديُّن يغلب على الأمريكيين، وكما أخبروني أنَّ الملحد كان قبل أقل من عشرين سنة يتعرض لإقصاء مجتمعي، وإذا علم رئيس العمل بإلحاده فقد يفصله من العمل، لهذا قد يستخدم في مكتبه الشّعارات الدّينيّة كالصّور والتّماثيل حتى لا يلفت النّاس إليه، وهنا إذا كانت لك ميولات جنسيّة مختلفة فهو عندهم أهْون بكثير من أن تكون ملحدًا، ولكنَّ الوضع الآن انفتح بشكل كبير جدًّا، ولكنْ ليس بمطلق الحريّة، خصوصًا في تكساس، حيث ينتشر فيها الأنجليكانيون المتعصبون.

والملحدون هنا يطلقون على أنفسهم Ex Christian، أي كانوا مسيحيين فخرجوا من المسيحيّة، وهم ليسوا بالضرورة دهريين أو طبيعيين لا يؤمنون بالله، فقد يكونوا ربوبيين، أو لا أدريين، وفي دالاس يجتمعون مرتين في الأسبوع، ويعلنون ذلك عن طريق برنامج Meet Up، وهو برنامج مفتوح للجميع، وميزته لا يوجد فيه مراسلات جانبيّة، فصاحب الدّعوة فقط يعلن في أيّ تخصص أو مجال معرفيّ أو اجتماعي أو حياتي ستكون جلسة ما، ويذكر

المطعم والتّوقيت، لمن يحبّ المشاركة، كما فيه خاصيّة أنَّ كلّ واحد يدفع فاتورته بنفسه، وهذه عادة طيبة للّقاءات المعرفيّة واستمراريتها بلا تكليف على صاحب الدّعوة، وهنا دفعت فاتورتي، كما وجدت أنَّ كلّ واحد منهم يأخذ ما بقي من أكله فلا يرميه، ويتركون صحونهم نظيفة.

ووجدت أغلب مَن حضر من الرّجال والنّساء كبارًا في السّن، كما يوجد من فئة الشّباب وهم أقلّ، ويُمنع هنا التّبشر لأيّ مذهب أو فكرة، فالجلسة تقتصر فقط على الحوار والنّقاش والتّعارف الجانبي، وصاحب الدّعوة يبدو في بداية الخمسين من عمره، يأتي ويجلس مع كلّ واحد بكرسيه المتحرك، وهو مبتسم ويعامل الجميع بلطف، وصادف جلوسي على طاولة تتسع لعشرة أشخاص تقريبًا، وشاركَنا الحوار ثلاثة رجال وامرأتان، وأذكر أنَّنا تحدّثنا عن فكرة الإله، وعن نظريّة التّطور، وعن النّازية وارتباطها بنيتشه (ت 1900م)، وعلاقة الدّين بالعِلم، وما جاء في سِفر التّكوين من العهد القديم، كما تحدّثنا عن وضع الملحدين في أمريكا ودالاس خصوصًا.

وبعد اللّقاء دفع كلٌّ فاتورته، ثمّ رجعنا إلى النُّزُل لنستعد ليوم آخر، وزيارة مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW كما سنرى.

- **زيارة مؤسسة التعاطف والتعايش *Compassionate DFW***

في صباح يوم الأربعاء الرّابع عشر من أغسطس(آب) ارتأى مجموعة من الشّبان أنْ نقوم بقراءة في أحد كتبي، واخترت حينها (إضاءة قلم) لأنَّه يتحدّث عن التّعايش، ولكنْ لظروف طارئة في عدم مناسبة الوقت يومها ارتأينا التّأجيل

إلى يوم آخر، بيد أنَّ الظّروف لم تتح لنا ذلك أيضـاً لكـون الجدول مزدحمًا، فأخذت في الصّباح قسطًا من الرّاحة، مع بعض الأعمال الكتابيّة، فقد كنت حينها أصحّح كتابي (الجمال الصّوتي: مراجعة في النّص الدّيني حول الغناء والمعازف) لأجل طباعته من قبل الجمعيّة العُمانيّة للكُتّاب والأدباء، والآن ناشرون في الأردن.

قبل الظّهر ذهبنا إلى منطقة Compassionate Dallas – FT Worth في دالاس، وهي تبعُد عن النُّزُل عشر دقائق، وتكثر في المنطقة الأسواق والمطاعم والمساجد العربيّة؛ لأنَّ أكثر العرب يسكنون فيها.

ذهبنا إلى مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW، مع الطّبيب تشالرز باركير، الذي أسس هذه المؤسسة لتعنى بالتّعاطف والتّعايش بين الأديان من جهة، وبين الجنس البشري من جهة ثانيّة، واهتمامهم بالأديان لما لها من تأثير في المجتمع، فإذا قامت رسالتها على التّعاطف والتّعايش، ونشر المحبّة والسّلام، فإنَّ هذا بدوره سيؤثر في شريحة كبيرة من النّاس، إلا أنَّ هذا لا يعني إهمال بقيّة أفراد المجتمع، ممّن لهم توجهات أخرى.

ولمّا وصلنا رأينا الطّبيب تشالرز باركير ينتظرنا بالخارج، وهو كبير في السّن، وكان الجوّ رائعًا مع المطر الخفيف، وقدأنشأ الطّبيب هذه المؤسسة التّطوعيّة، وهي عبارة عن بيت قسّمه إلى مكاتب صغيرة، وكانت تساعده في ذلك – كما أخبرَنا – ابنته والعديد من المتطوعين، وممّا وجدته من الجميل عندهم أنَّ العمل التّطوعي حاضر بقوّة، والفرد يمارس العمل التّطوعي من صغره، حتّى في يومه بعد عمله يلتحق بأيّ عمل تطوعي يخدم المجتمع، فإذا

تقاعد لا يجد فراغًا، بل يساهم في الخدمات المجتمعيّة، أو يؤسس بذاته عملًا مجتمعيًّا في أيّ مجال كان، إذْ إنَّ البُعد الإنسانيّ حاضر عندهم بقوّة.

في البداية أخذَنا في جولة على البيت والمكاتب، ورأينا كيف رتّبها في شكل هندسي بديع، من حيث الدّيكور وبساطة المكتب، فغالبها عبارة عن كرسيّين أو ثلاثة على طاولة صغيرة، ونافذة مفتوحة على الحديقة ذات الأشجار الجميلة والمنظمة، فالمكان يعطيك نوعًا من الهدوء والطّمأنينة، كما يوجد عند الدّرج طاولة فيها منشوراتهم، وهي عبارة عن مطويات، وكتاب حول الموضوع أصدرته المؤسسة.

وهنا خُيّرنا في أيّ مكتب نريد تسجيل الحلقة؟، فاخترنا مكتبًا فيه إضاءة مناسبة في الطّابق الأعلى، حيث سجلنا معه حلقة حوارات (49) حول مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW، وبُثت يوم السّبت في السّابع عشر من أغسطس (آب) على قناة (أُنس) اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث أنّه لا أحد يولد وفي قلبه الكراهيّة ضدّ أحد، مهما اختلف عنه، فهو مولود على فِطرة بيضاء نقية، ومع مرور الزّمن يكسب سلوكيات معينة، لهذا كانت الرّحمة والتّعاطف ضروريّة لهذا الإنسان، وهو مثل النّقود التي تحمل وجهين: وجهها الأول المحبّة، ووجهها الثّاني التّعاطف، فبين المحبّة والتّعاطف مشترك كبير.

قلتُ: ولهم مطويّة حول التّعاطف والتّعايش بعنوان: for Compassion تتكوَّن من أربعة نصوص كمبادئ وقيم عامّة يعملون عليها، حيث بيّن الطّبيب تشالرز باركير أنَّ هذه النّصوص الأربعة جاءت من قِبل شخصيّات دينيّة

متعـددة، ومـن قِبـل شخصـيات لا دينيّـة أيضًـا، وكـذلك شخصـيّات فكريّـة وفلسفيّة، حيث كتب الجميع أو اتّفق مع هـذه النّصـوص الأربعة، وهـذا يعـود إلى عام 2008م لمّا كُرّمـت كـارن أرمسـتروتج بجـائزة عالميّة، وهـي بريطانيّـة الجنسيّة، فلمّا سُئلتْ ما أمنيتكِ؟ أجابت: أرجو أنْ يجتمع رجال الـدّين والفكـر عمومًـا معًـا، ويضـعوا نصوصًـا حـول التّسـامح والتّعـايش، فـاجتمعوا في عـام 2009م وكتبوا هذه النّصوص الأربعة.

يتحدث النّص الأول عن التّسامح والتّعايش مع الجميع، فمن حقّ الجميع أن يعيش في هـذه الحيـاة، وأن يتمتـع بمـا فيهـا مـن خيـرات، وأن يكـون الشـعار: أَحِبَّ للآخر مـا تُحبّـه لنفسـك، فالغايـة نشـر السّـلام والمحبّة بين الجميـع مـن البشر.

ويُبيّن النّص الثّاني أنَّ علينـا بشـكل عـامّ أو خـاصّ أنْ نشـعر بـآلام الآخـرين، ونبحث عن هذه الآلام لنقدّم الحلـول، ونبتعـد عـن الأنانيّـة، فـالكثير مـن البشـر محرومـون مـن أقـل حقـوقهم الإنسـانيّة، فعلينـا أنْ نسـاعدهم، وأنْ نسـعى في خدمتهو ولو كانوا معادين لنا، لقد خسرنا معركة مواجهة الكراهيّة، فقـد شـاعت بين البشريّة، ولكن علينـا ألّا نيـأس، بـل علينـا أنْ نواصـل الطّريـق في مواجهتهـا، ليحلّ محلّها المحبّة والتّعايش والسّلام.

ويتحـدّث الـنّص الثّالـث عـن الأديـان في السّـابق كيـف أنّهـا كانـت سـببًا في الكراهيّة والصّـراع بين البشـر، ومـع هـذا فالأديـان أيضًـا حُملـت فكـرة السّـلام والمحبّة، وعليه فالنّصوص القديمة في هذه الأديان إمّا أنّهـا نصـوص تـدعو إلـى الصّراع والكراهيّة، وإمّا نصوص تدعو إلى المحبّة والسّلام، فنصوص الصّـراع

والكراهيّة جاءت لزمنها، ولا علاقة لها بزمننا، بينما نصوص المحبّة والسّلام هي الّتي تفيدنا في زمننا، وتعامل مع هذه الأديان وتعاليمها بشكل إيجابي فيما يخدم البشريّة.

ويتحدّث النّص الرّابع عن ضرورة الإسراع في نشر التّعاطف والتّعايش بين النّاس، وأنْ نحارب الكراهيّة، وكلّما اتّحدنا أسرعنا في كسر خطاب الكراهيّة.

وبعد قراءة هذه النّصوص الأربعة يواصل حديثه قائلاً: إنَّ سبب وجود صراع في النّصوص الدّينيّة القديمة أنَّ البشريّة حينها كانت سائرة في البحث عن سبب الوجود، وعن خالق الوجود، إلا أنّه أيضًا بسبب الجوع والبحث عن الطّعام كانت القبائل تتقاتل فيما بينها، وقد سمح لهم الإله بذلك لأجل الحياة وبنائها واستعمارها، وأنا كمسيحي أجد في العهد القديم من الكتاب المقدّس من النّصوص الّتي تدعو حتّى إلى قتل الأطفال والنّساء، كما توجد نصوص تدعو إلى التّسامح والمحبّة، فعلينا أنْ نتجاوز نصوص الكراهيّة والعداوة، ولا نشتغل بها، ونتمسك بنصوص المحبّة والتّعايش والتّسامح.

وأنا كطبيب أيضًا أدرك أنّه يوجد مكان في أسفل الرّأس من الخلف يهيّج الصّراع ممّا يؤدي إلى القتل، بينما في أعلى الرّأس من الأمام يوجد مكان يدعو إلى التّعقل، فعلينا أن نأخذ بمقدّمة الرّأس، ولا تسيطر علينا آخر الرّأس.

وممّا يهدد المجتمع البشريّ الصّراعات الثّلاثة: الدّينيّة والعرقيّة والسّياسيّة، وخطورة الصّراع الدّيني أنَّه ينطلق من دائرة الغيب، وكذلك الصّراع العِرقي خطورته خصوصًا في اللّون واللّغة، وأمّا السّياسات فتختلف، فقد تستغِل الدّين والعِرق في تأجيج الصّراع، وقد تَحدّ من ذلك، وتكون سببًا

في التّعاطف والتّعايش، وهناك إشكاليّة في السّياسات أنَّها تهتمّ بالتّعاطف والتّعايش في دولها من باب المواطنة، لكنَّها لا تهتم بذلك في الدّول الأخرى، أو تكون سببًا في نشر الصّراع في أماكن من العالم.

وإذا كانت الأديان جاءت لتحقيق المحبّة وفق تعاليم تناسب ذلك الزّمان؛ فنحن اليوم بحاجة أيضًا إلى تحقيق هذه المحبّة من خلال تعاليم نصنعها نحن، وتحقق ذات الغاية بما يناسب زماننا.

وإذا كان الطّفل يُولد بلا كراهيّة، فيجب علينا تعميق المحبّة والتّعاطف والتّعايش بين الأطفال، خصوصًا الأطفال الذين تكون أعمارهم من ثلاث سنوات إلى ست سنوات، ونعمّق فيهم أنْ يحبّوا جميع البشر، وأنْ نُكرّس فيهم قيمة المساواة بين أبناء الجنس البشري، وفي هذه المؤسسة نظام دراسي من الطّفولة وحتّى اللّحد، فالكبار أيضًا بحاجة إلى تعميق المحبّة والتّعاطف والتّعايش، وبهذا نُسهم في المؤسسة ولو بقدر بسيط لأجل الإنسانيّة.

وفي السّنوات العشر الماضية قامت المؤسسة بعقد العديد من المؤتمرات والنّدوات، وعندنا يوم في السّنة نمشي فيه، ونعرّف النّاس بهذه القيم، ونتجمع في هذه المنطقة؛ أي Compassionate Dallas – FT Worth، وهي أيضًا منطقة تجمّع الأديان؛ ولأقرّب الصّورة لك أكثر؛ فإنَّنا لمّا نجتمع نشرب ثلاثة أكواب من الشّاي، الكوب الأول أعرّف لك بنفسي، والكوب الثّاني أتعرّف عليك، والكوب الثّالث نتباحث معًا في جوانب معرفيّة وحياتيّة، وهكذا يكون بين الأديان، وأنا جلست مع جميع الأديان الموجودة هنا، ونتج عن هذا تجمّع الأديان في السّنة، ونحن نقدم الطعام للفقراء والمحتاجين، ونقدّم معًا مئة ألف

وجبة لطلاب المدارس، ونسهم في مساعدة المشردين، وأفضل ما حققناه أنّنا خرجنا من حيّز الذّات والمذهب والدّين إلى حيز الإنسان.

ورسالتي الأخيرة: إنّ الحياة قصيرة، فعلينا أنْ نستمتع بها، ولا يكون ذلك إلّا بنشر روح السّلام والمحبّة والتّعايش، ومحاربة الكراهيّة، فلنعش في سلام، ونضع أيدينا معًا لأجل السّلام.

وبعد هذا اللّقاء أخذَنا في جولة أخرى في المؤسسة مع بعض الحديث الجانبي، ثمّ ذهبنا للغداء، وبعدها جولة بسيطة في دالاس، لنستعدّ ليوم جديد، ومع زيارة الكنيسة الأرثذوكسيّة، وتسجيل حلقة عنها، كذلك تسجيل حلقة عن مؤسسة مساواة دالاس كما سنرى.

• زيارة وتسجيل حلقة مع كاتدرائيّة الأرثوذوكس وتسجيل حلقة مع مؤسسة دالاس مساواة

في صباح يوم الخميس الخامس عشر من أغسطس(آب) ذهبتُ إلى مول نورث بارك، وجلستُ في ستار بكْس في المول حتّى الغداء، للقراءة والدّبلجة والتّحميل، ثمّ ذهبنا إلى منطقة Holy Trinity Dallas، وهي قريبة من شارع Hillcrest Road، وهي منطقة راقية، يقطنها العديد من الطّلاب بسبب وجود كُليّة فيها، حيث يتوفر فيها السّكن الخاصّ بالطّلاب.

وهنا ذهبنا إلى كاتدرائيّة الأرثوذوكس، وكان لدينا موعد مع البابا جراسر، وعندما وصلنا انتظرناه قليلًا في الخارج، ثمّ أتى إلينا يمشي بسَكينَة كمشية الرّهبان، وزاده وقارًا جسمه الضّخم ولحيته الكثيفة والطّويلة، ولباسه الدّيني

الأرثوذوكسي، إلّا أنَّه كان كثير الابتسامة، ويستمع إليك جيّدًا مع ابتسامته الّتي لا تفارقه في سماعه، وهو وُلد في كاليفورنيا، وله أَخوان، ومتواصل مع جميع الكنائس الأرثوذوكسيّة في العالم، وقريبًا كان في الأكوادور، ولمّا دخلنا أخذَنا في جولة عامّة حول الكاتدرائيّة، وأذكر أنّني سألته عن الرّسومات وعن الكراسي في الكنيسة، وقد تحدّثنا عن فكرة الرّسومات سابقًا في الرّحلة البحرينيّة أثناء الحديث حول الكنيسة المشيخيّة ورأينا أنّها دخلت متأخرة، وتقبلتها الكنيسة الأرثوذوكسيّة لأنَّها تُضفي جوًّا من الجمال والرّوحانيّة كالموسيقى، وأخبرني أنَّ كنيستهم في الأصل لا توجد فيها الكراسي، ولكنَّ هذا حدث مع تطور الكنيسة خصوصًا في الغرب، وقام يشرح لي أسرار الكنيسة وخصوصًا سرّ القربان، وأدخلني قريبًا من المكان حيث طاولة القربان، إلا أنَّه اعتذر لي عن الدّخول لقداسة المكان عندهم، كذلك تحدّثنا عن الحضور الأرثوذوكسي في أمريكا عمومًا، وتكساس خصوصًا أنَّهم أقليّة من حيث العدد.

طلبت منه تسجيل حلقة حول الكنيسة الأرثوذوكسيّة، فوافق، واقترح علينا أنْ نسجل في الأعلى قرب طاولة القربان، فأسعدني ذلك كثيرًا؛ حيث روحانيّة المكان وقداسته، فسجلت معه ضمن برنامج حوارات الحلقة (50)، في السّاعة الثّانية ظهرًا، وبُثّت يوم الأحد 18 أغسطس(آب) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث عن الأرثوذوكسيّة أي الطّريقة الصّحيحة (أو المستقيمة)، وكانت توجد مذاهب قبل ظهور الأرثوذوكس[1]، فالأرثوذوكسيّة أرجعت هذه المذاهب إلى الطّريقة الصّحيحة الّتي كان عليها السّيد المسيح، وممّا يدلّ على صحّتها وجودها في الأماكن الأولى كما في فلسطين ومصر؛ ولمّا كان الصّراع شديدًا بين الآريوسيين والأرثوذوكس، وكان النّقاش بينهم شديدًا في الكنيسة قرب أسطنبول (وفي مصر)، حيث يرى الآريوسيون (نسبة إلى آريوس ت 336م، وكان راهبًا في الإسكندرية) «أنَّ الآب وحده الله، والابن مخلوق مصنوع، وقد كان الآب إذْ لم يكن الابن»[2] بينما يرى الأرثوذوكس أنَّه إذا كان عيسى هو ابن الله؛ إذًا فله طبيعة الآب، والآب والابن حقيقة واحدة، والتّمايز في الأبوة والبنوة لا في الحقيقة والجوهر.

وانتشر الأرثوذوكس أكثر في الدّول الشّرقيّة، في بلاد الشّام ومصر والسّودان والحبشة وتركيا وروسيا، كما انتشرت في أروبا وأمريكا، وغيرها، بينما اتّجه الكاثوليك نحو الغرب في الجملة، ولهذا فإنَّ الاختلاف في الأماكن سيؤثر في بعض التّصورات اللّاهوتيّة، كما سيوثر في تفاسير بعض الطّقوس (مع

(1) الأرثوذوكسيّة في نظري امتداد للبولسيّة [نسبة إلى بولس الرّسول] ضد النّصرانيّة ابتداء بعد مجمع أورشليم (50 و51م)، وبعد دخول قسطنطين [ت 337م] المسيحيّة، تبنّى الجانب المسيحي القائم على عقيدة التّثليث بعد مجمع نيقيّة [325م]، إلا أنّ الافتراق داخل الخط المسيحي بين الكنيسة الغربيّة [الكاثوليك]، والكنيسة الشّرقيّة [الأرثوذوكس] كان بعد مجمع خلقيدونيّة (451م).

(2) أبو زهرة: محمّد؛ **محاضرات في النّصرانيّة**، ط مطبعة المدني/ مصر، الطّبعة الثّالثة، 1385هـ/ 1966م، ص: 136.

اشتراكهم في الطّقوس الكنسيّة: الأسرار السّبعة)، (وأصل الخلاف هو: هل للمسيح طبيعتان أم طبيعة واحدة، فذهب الكاثوليك إلى أنَّ له طبيعتين: لاهوتيّة وناسوتيّة، خلاف الأرثوذوكس الذين يرون أنَّ له طبيعة واحدة فقط، أي لاهوتيّة، وأنَّ لاهوته لم تفارق ناسوته)، ويرى الأرثوذوكس أنَّ الرّوح القدس منبثقة من الآب وحده (خلاف الكاثوليك الذين يرون أنَّها منبثقة من الآب والابن معًا)، ويرى الأرثذوكس أنَّ مريم لم تولد معصومة ولكنَّها طَهّرت نفسها خلاف الكاثوليك الّذين يرون أنَّها ولدت معصومة وطاهرة، (ويشتركون في شفاعة مريم، إلا أنَّهم يختلفون في منح الشّفاعة للقدّيسين، فيتوسع في ذلك الكاثوليك، بينما يرى الأرثوذوكس صعوبة تحقق ذلك مع إمكانيته، وتتفق الكنيستان أنَّ مريم هي أم الله خلافًا لكنيسة القدّيسين – وهي كنيسة قديمة مستقلة لا ترى أنَّ مريم أمّ الله؛ بل والدة المسيح).

وأصل فكرة الكنيسة أنَّها تكون في العالم الآخر؛ إلا أنَّها ظهرت عمليًّا بعد قيام المسيح من بين الأموات، وظلّ أربعين إلى اثنين وأربعين يوما، ثمّ بعده جاءت الرّوح القدس إلى الرّسل، ومن هؤلاء الرّسول بولس.

وتوجد أعظم كنيسة أرثذوكسيّة في إسطنبول في تركيا، ثمّ الإسكندرية، وهي ترجع إلى إسطنبول، ثمّ القدس، وهي ترجع إلى الإسكندرية، ثمّ روسيا، وروسيا ترجع إلى القدس، وبينهم اتّحاد واحد فيما يتعلق بالشّرق والمشرقيين، والمشرقيون لهم انتشار في أوروبّا وغيرها أيضًا مثل ألمانيا.

والكتاب المقدّس بما فيه الأناجيل الأربعة لم ينزل مكتوبًا من عند الله، ولكنّ الرّسل كتبوها تحت مشيئة الله، وهكذا الرّسائل الملحقة وأعمال

الرّسل، وأمّا الكتب الّتي ظهرت بعد ذلك كإنجيل برنابا ويهوذا وغيرها فقد كتبت لأغراض أخرى لهذا فهي غير قانونيّة، وتوجد كتب يهوديّة أيضًا غير العهد القديم نتعامل معها بحذر، وإنْ كنّا نستفيد منها.

وحين نرجع إلى العهد القديم في سفر التّكوين (إصحاح: 1، آية: 27): «فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ، عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ، ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ»، فنحن نُشبه الله، والسّؤال: كيف نُشبهه ونحن لم نره؟ ولم نجد لهذا جوابًا في سِفر التّكوين، وبالتّالي فالمسيح يشبه الله، (أي أيقونة الرّب)، ونحن هنا نجسّد عيسى في أقواله وأفعاله، وكذا بولس يشبه الله أيضًا.

ونحن نؤمن بالاعتراف والغفران، وهو موجود في العهد القديم، فهناك من فعل الخطايا والله تاب عليهم وغفر لهم، ورجال الدّين عندنا أكرمهم الله بهذه السّلطة، فيغفرون الخطايا، ونحن نؤمن بالجنّة والنّار، والجنّة في السّماوات عند نزول المطر، والرّب جالس فوق السّماء يحكم العباد، والنّار مذكورة في العهد القديم باسم جهنّم، وهو نفس المصطلح العربي.

والقوانين المسيحيّة أُخذت من اليهوديّة، ومن هؤلاء الرّسل الّذين أتوا من جبل صهيون[1]، وبشّر بهم العهد القديم (كقضيّة رفع الختان مثلًا).

وأوّل الأسرار السّبعة: سر المعموديّة، والتّعميد موجود قبل المسيحيّة،

(1) الجدل الأول الّذي حدث في المسيحيّة أنَّ فئة النّصارى ترى أنَّ المسيح بقي على الشّريعة اليهوديّة، ورفضوا ما جاء به الرّسل بعده من تعاليم كبولس وبرنابا، إلا أنَّ المسيحيّة استقرت على ما جاء به الرّسل، بجانب القوانين اليهوديّة، وأيضًا دخول القوانين الرّومانيّة إليهم كما سنرى في ملحق الكنيسة المارونيّة مع الأب حنّا إسكندر .

فيوحنا المعمدان (أي يحيى)[1] كان يعمّد، وغير المعمّد ليس مسيحيًّا، والتّعميد عندنا بعد الولادة بغَمس المعمّد في الماء، ويستحبّون الحركة في الماء، ثمّ يختارون اسمًا مسيحيًّا له، أو سمّوه بأحد أسماء القدّيسين.

والسّرُّ الثّاني: سرّ الميرون، (أي سرّ الحياة بمعنى العِطر أو الزّيت المعطّر)، ويكون بعد التّعميد، ويُطحن الزّيت ويُطبخ، ثمّ يُوضع على أجزاء الجسم كعلامة الصّليب، على جبهته وأنفه وصدره وظهره ويديه ورجليه، وسائر أجزاء جسمه، (وفي الكنيسة الأرثوذوكسيّة ست وثلاثون رشمة على جميع أجزاء الجسم).

والسّرّ الثّالث: سرّ القربان المقدّس (الأفخارستيا)، (وهو مُذكّر بالعشاء الأخير للمسيح قبل أخذه للرّومان أيّام الفصح)، حيث توجد طاولة في أعلى الكنيسة في مكان القربان المقدّس، فنضع فيها الخبز المجسّد لجسد المسيح، والخمر المجسّد لدمه، والخمر يؤتى من منطقة جبل أرارات في تركيا، ونسبة الكحول فيه بسيطة لا توصِل إلى السُّكْر، فيأتي الرّوح القُدُس، ويوم الأحد نمزج الخبز والخمر، ويُقدّمان للنّاس يوم الأحد.

والسّر الرّابع: سر التّوبة والاعتراف، والإنسان بطبعه يقع في الخطايا، لهذا لابدّ من التّوبة، والقساوسة يغفرون له ويسامحونه، والأصل أن يُعلن خطيّته في العلن، وإن أرادها سرًّا فله ذلك.

(1) سنجد حضور التّعميد عند الصّابئة أيضًا، وارتباطهم بتعميد النّبيّ يحيى، كما سنرى في ملحق الدّيانة الصّابئيّة مع الدّكتور بهادر قيّم.

والسّرّ الخامس: سر الزّواج، والزّواج مقدّس باسم الآب والابن والرّوح القدس، ويقرؤون في الزّواج آيات من العهد القديم، مثل آيات زواج إبراهيم بسارة، وزواج يعقوب براحيل، ويوسف بأسينات، ويمكنه أن يتزوّج الثّانية حال وفاة الأولى، أو حالة الطّلاق، وهو ليس سهلًا وقوعه في الكنيسة الأرثوذوكسيّة، ويقرؤون في هذه الحالة آيات أخرى.

والسّر السّادس: سرّ صحة المرض، وهذا مرتبط بالشّفاء، والعديد يذهب إلى المستشفيات لطلب الشّفاء، والطّبيب يعطيه دواء مؤقتًا، والشّفاء هنا شفاء دائم، وبعد توبة المريض يجلسون للدّعاء، يجتمع سبعة قساوسة، كل واحد يتلو آية ويدعو، ثمّ يضعون فيه سبع رشمات في سبعة أماكن، ورقم سبعة عندنا مقدّس، فأيام الأسبوع سبعة، وبولس بيّن أنَّه يوجد سبع هدايات، كما أنَّ رقم ثلاثة أيضًا مقدّس.

والسّر السّابع: سرّ الكَهَنوت، وفي الكنيسة عندنا ثلاثة أنواع من رجال الدّين، أعلاهم البطريرك، ثمّ القساوسة، ثمّ الخُدام (الشّماسة)، ويتم اختيار البطريرك من بين ثلاثة مرشّحين، ويسجد ثلاث مرات حتّى يصل إلى المكان المقدّس (أي طاولة القربان)، ويطوف عليه ثلاث مرات، ثمّ يتشاور النّاس فيه وفي صلاحه لهذه الرّتبة الكنسيّة، فإنْ رضوا به تكون له رمزيّة مقدّسة عند الآب والابن.

ويصحّ في الكنيسة الأرثوذوكسيّة زواج القسيس قبل الرّهبنة، ويحق أنْ يكون لديه زوجة وأولاد، والكنيسة الأرثوذوكسيّة لا تُجيز المثليّة؛ لأنَّ البركة

بذلك تذهب من الكنيسة، وتُحرّم الكنيسة أيضًا الإجهاض، فالطّفل نعمة وبركة، ولا يجوز حرمانه من الحياة ولو كان لسبب الفقر.

وهذه الكاتدرائيّة بُنيت عام 2000م، ويقام هنا القدّاس أيام الأربعاء والجمعة، وفيها العَشاء الأخير، بجانب السّبت والأحد، ويوم الأحد مقدّس، ويحضر يوم الأحد أكثر من مئتي شخص، ويقلّ في الأيام الأخرى.

وبعد التّسجيل طلبت منه الدّعاء، فدوّن اسمي كاملًا مع اسم الوالدة، ثمّ ودّعنا باتسامته المعهودة، وبعدها ذهبنا إلى مول مارت، حيث اشترينا بعض الأغراض النّباتيّة لطبخها للعشاء، حيث يشرّفنا في نُزل الأستاذ بيان الأستاذان مورك وفيك من مؤسسة دالاس مساواة، وهدفها تعميق قيمة المساواة في المجتمع التّكساسي خصوصًا في دالاس، ويركزون على جانب المساواة بين الذّكر والأنثى وما يتعلق بالجندريّة، والأستاذ مورك من المترشحين في بلدية تكساس، وخسر بأصوات قليلة من منافسه، وهو من مؤسسي مؤسسة مساواة دالاس، ومن المدراء النّافذين فيها، ويعمل أيضًا في جمعيّة حقوق الإنسان في تكساس.

وصل الأستاذان مبكّرَين، وقمنا بإعداد العَشاء النّباتي، ثمّ كان العشاء، وبعدها سجلنا حلقة عن قيمة المساواة من خلال نظرة مؤسسة مساواة دالاس، ضمن برنامج حوارات حلقة (51)، السّاعة الثّامنة مساء، وبُثت يوم الثّلاثاء 20 أغسطس (آب).

في البداية تحدّث عن أنَّ قيمة المساواة مرتبطة بالإنسان، وهي حقّ لجميع البشر، ويرتبط بها حقّ الحياة، وفي عام 1964م كانت القوانين في أمريكا تحمي

البشر وحقوقهم الإنسانيّة في العِرق والدّين والجنس، وأعطت الحرية لجميع الأديان بلا تفريق، وسابقًا كان الدّين مسيطرًا على القانون فظُلمت باقي الأديان (لأنّه سيتكئ على دين واحد)، وأمّا الآن فالقانون مسيطر على جميع الأديان، ويضيف فِيك: إنَّنا نشترك في أشياء كثيرة، ولكن للأسف نركّز على المختلف.

وفي أمريكا يشترك الجمهوريون والدّيمقراطيون في تمكين القيمة الإنسانيّة، وإعطاء المجتمع حقّه الإنسانيّ، ويفترقان في أنَّ الديّمقراطيين يرون أنَّ على الحكومة السّعي في توفير هذه القيمة الإنسانيّة مع الحرّيات، بينما يرى الجمهوريون أنَّ على الفرد أنْ يقوم بنفسه لإقرار ذلك.

ويُعتبر الصّراع العِرقي من أخطر الصّراعات المؤثرة على قيمة المساواة في أمريكا، ومع هذا يصعب تحديد الأسوأ من حيث درجة الصّراع الدّيني والسّياسي، ولكن الصّراع العرقي - في نظري - سبب كبير في الصّراع الدّيني، ويكون منشأ الصرّاع الدّيني في أكثر الأحيان لأسباب عرقية، وهذا يغلب في أمريكا على عكس إيرلندا مثلًا حيث يغلب عليهم الصّراع الدّيني بين الكاثوليك والبروتستانت، ويضيف فِيك: هذا مثلما قلناه سابقًا، يتركون جماليات الدّين إلى الأشياء السّيئة المنسوبة إليه (ولعلّه يريد ما يتعلق بظرفيات الأديان فيشتغلون بها، ويتصارعون حولها، ويتركون جوهر الأديان من حبّ وتعايش وسِلم مثلًا).

وسألتهم: ألا يمكن للسّياسي أنْ ينادي بهذه المبادئ المتعلقة بالمساواة والحريات ثمّ يخالفها عند الفوز؟ أجاب مورك: لا أتصوّر ذلك، فالسّياسي يريد الفوز والوصول إلى الحكم، ولا يكون هنا إذا أضرّ بهذه القيمة، وعند

فوزه في الأولى يرغب في التّرشح للثّانية فيحافظ عليها، حتّى لا يفقد جانبه الاجتماعيّ وجمهوره في الحزب، ويضيف فيك: أنا لا أخاف في الأساس من السّياسيين، حتّى ولو قالوا بذلك وخالفوه بعد فوزهم مثلما نراه الآن مع ترامب؛ ولكنّني أخاف من أفراد المجتمع عندما يعارضون هذه القيمة، أو ينافقون حولها، ويستبدلون المساواة بالتّعصب والتّمييز العنصري في المجتمع.

ويواصل مورك قائلا: نحن بحاجة إلى قوانين تحمي الحقوق والمساواة، ويوجد أشخاص في المجتمع ضدّ المساواة، وإذا لم توجد قوانين تحمي المساواة سيزداد التّعصب العنصري، وأنا محامٍ في الأصل، وأفهم مثل هذه القضايا.

وعلينا هنا أنْ نعرض أفكارنا المتعلقة بالمساواة، وننشرها في المجتمع، خصوصًا مع الطّلاب، وأنْ نشجّع على السّياحة لتتلاقح الثّقافات، ونغرس فيهم مثل هذه القيم، ويرجعون بها إلى بلادهم، كما نستفيد منهم. ويضيف فيك: أفضل طريقة في نظري علينا أنْ نتعرّف على الآخر؛ لكي نكسر حاجز عدم فهم الآخر، ففهمنا للآخر يجعلنا نقترب منه ونستفيد أكثر.

وأيام الحروب الأهليّة قام جيم كرو ببثّ قوانين الكراهيّة في المجتمع الأمريكي، ونتيجة الوعي قلّت بصورة كبيرة جدًّا، ولا تكاد تذكر، وأنا ولدت في عام 1960م، وأذكر أنَّ الحمَّامات كانت منفصلة بين البيض والسّود، فللبيض حماماتهم الخاصّة، ولا يمكن أن يدخلها السّود، واليوم انتخبنا رجلًا أسود؛ أي أوباما، وأصبحت الأمور أفضل بكثير من السّابق، ويضيف فِيك: الكراهيّة اليوم في أمريكا قلّت بشكل كبير جدًّا بدليل لو أنَّ أحداً بثّ الكراهيّة في

المجتمع لثار عليه النّاس، ومع هذا توجد أقليّة تحمل الكراهيّة، وصوتها يكون أحيانًا مرتفعًا.

وفي النهاية يؤكد فيك أنَّ علينا أنْ نتعرف على الآخر، وأنْ نزوره ونجلس معه؛ لنكسر حاجز البُعد، كما يؤكد مورك ألّا ننظر إلى أمريكا من خلال رئيسها وخطاباته، ولكنْ علينا أنْ ننظر إلى الشّعب الأمريكي، فأمريكا بشعبها شيء آخر تمامًا، وعلينا دومًا ألّا نكره آلاخر؛ بل نحبّه، وأنا شخصيًّا دائمًا أحْلِق في محل لأسرة أفغانيّة مسلمة، ولديّ علاقة جيدة مع هذه الأسرة المسلمة، ومع كافة المسلمين والأديان الأخرى.

وبعد اللّقاء ودَّعْنا الأستاذين مورك وفِيك، لنستعد ليوم آخر لتسجيل حلقة حول حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة، وتسجيل حلقة أخرى حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان كما سنرى.

- **تسجيل حلقة حول حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة، وحلقة أخرى حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان**

في صباح يوم الجمعة السّادس عشر من أغسطس(آب) كان مشرق الأذكار، وسبق الحديث حوله سابقًا، وكان ممّن حضر الأستاذ إليكس، وهو من أصل مسيحيّ من المكسيك، اعتنق البهائيّة، ويسكن حاليًّا في دالاس بولاية تكساس، وله دور كبير في الاهتمام بحلقات النّاشئين، وهي فكرة بهائيّة تعنى بنشر التّعليم للنّاشئين عن طريق الحوار وغرس العمل الاجتماعي، بجانب قيم

المساواة والمحبّة، وهي ليست مقصورة على الجامعة البهائيّة، لهذا سنجد مثلًا في دالاس ممّن يحضر هذه الحلقات من كافة الأديان والتّوجهات، ويحضرها حوالي مئتي طالب، وأغلبهم من المسلمين، لكون أغلب الجاليات في ويكوري ميدو من المسلمين البورميين، لهذا سجلت حلقة مع الأستاذ أليكس حول حلقات النّاشئين تجربة من دالاس، ضمن برنامج حوارات الحلقة الثّانية والخمسين، في السّاعة الثّامنة صباحًا، وبُثت يوم الأربعاء الحادي والعشرين من أغسطس(آب)، وأليكس شاب متواضع جدًّا، وصوته جميل جدًّا، ويدعو ويغني باللّغة الإسبانيّة، وأجد فيها تقاربًا مع اللّغة العربيّة، كما أجد المكسيكيين واللاّتينيين عمومًا يقتربون من الجنس العربي في ملامحهم وهيئاتهم وجمالهم، ورجوت لو أزور أمريكا اللّاتينيّة، وأخبرت بذلك إليكس فرَحّب بالفكرة، وعسى أن يتحقّق ذلك يومًا.

في البداية تحدّث الأستاذ إليكس عن أنَّ غايتهم تقويّة النّاشئين روحيًّا في الابتداء، وهذه الحلقات تضمّ أفرادًا من الطّفولة وحتّى مرحلة الشّباب، حيث هذه المرحلة من أهمّ المراحل الّتي يمر بها الإنسان وأخطرها، فإذا وصل سنَّ البلوغ مثلًا استطاع التّفريق بين الصّواب والخطأ، لهذا فقبل الوصول إلى مرحلة البلوغ تُركّز هذه الحلقات على غرس المبادئ والقيم والأخلاق.

والاهتمام بالنّاشئين عمومًا يعود إلى ثلاثة أسباب رئيسة: أولًا التّعبير عن الأفكار، فعند النّاشئة أفكار جميلة، ولا يستطيعون التّعبير عنها، فهذه الحلقات تفتح لهم ذلك بحريّة بعد تعلّمهم القراءة والكتابة، والثّاني لكي يستطيع النّاشئ

أن يميّز بنفسه بين الصّواب والخطأ، وبين الإيجاب والسّلب، والثّالث خدمة المجتمع، منطلقين من الجوانب الرّوحانيّة والأخلاقيّة معًا.

وهم يُرّكّزون على جانبين: الأول تنمية الفنون وخدمة المجتمع، وهدف الفنّ وخدمة المجتمع تحقيق المحبّة والصّداقة والأخوّة، ويهتمون بأشياء بسيطة، لكنَّ معانيها كبيرة، مثل تنظيف الطّرق والشّواطئ، وزيارة المرضى وكبار السّن، وإعادة تصنيع بعض ما يرمى في القُمامة، كما يغرسون في النّاشئة مساعدة الفقراء والمشردين عمليًّا، كما يهتمون بالمشردين داخليًّا بغرس أهميّة روح العمل والاعتماد على الذّات فيهم، ومن ذلك أنَّ بعض النّاشئين يصنعون الكعك بأنفسهم، ثمّ يبيعونه، وبثمنه يشترون الملابس والأحذية للفقراء والمشردين.

والمرحلة من خمس إلى عشر سنوات تعتبر عندهم مرحلة الطّفولة يدرسون فيها الأخلاقيات المتعلقة بالأطفال، والمرحلة من إحدى عشرة إلى أربعة عشرة سنة للنّاشئين، يدرسونهم فيها من كتاب «نسائم التّأييد إلى بوارق الأمل» وغيرها، وفي المرحلة من ستة عشر سنة فما فوق فلهم مناهج روحيّة متخصصة، بجانب جلسات الدّعاء، ويُشركون معهم جميع الأديان، حيث يدعون إلهًا واحدًا، مع جلسات النّقاش والحوار بعد جلسات الدّعاء.

في البداية يدرّسونهم كتاب (نسائم التّأييد) ويعلّم هذا الكتاب النّاشئة أنَّ الحياة ليست سهلة، فعلى الإنسان أنْ يتحمّل، وأنْ يستصحب معيّة الله في حياته، ويتكوّن الكتاب من إحدى عشرة إلى خمس عشرة مرحلة، أي من الأجزاء، والكتاب الأول مخصص للّذين تمتد أعمارهم من خمس سنوات

إلى عشر، وتشمل هذه الكتب أيضًا علومًا أخرى كالرّياضيات، والجغرافيا، وعلوم الطّبيعة والفيزياء وغيرها، بجانب تعليم القراءة والكتابة وكيفيّة التّفكير والتّعبير والحوار.

والكتب عمومًا على نوعين: نوع فيه آثار البهائيّة بدرجة بسيطة دون الإشارة إلى الأسماء، ونوع فيه آثار البهائيّة بصورة كبيرة مع الإسهاب في الاقتباس وذكر الأسماء، والإشارة إلى نصوصهم؛ لأنّ الفكرة بهائيّة، ولكن هذه النّصوص ليست تبشيريّة، وإنّما هي دعوة إلى القيم العليا الّتي تحقّق وحدة الجنس البشري.

وهذه الكتب عمومًا ليست مخصصة للبهائيّة، ولكن من منطلق إيمانهم أنَّ بهاء الله جاء بأدبيات تدعو إلى وحدة الجنس البشري.

أمّا حلقات تدريس النّاشئين فبدأت في دالاس قبل عشر سنوات، ويحضرها العديد من مختلف الأديان، وحققوا نتائج جيدة منها فمثلًا هناك طفل من أسرة مسيحيّة كاثوليكيّة كان بعيدًا عن الدّين هو وأسرته، ولما حضر هذه الحلقات، ورجع إلى أسرته؛ طلب أنْ تكون حلقات دعاء في البيت، وطلب منهم الذّهاب إلى الكنيسة أيضًا للدّعاء والصّلاة.

وكما هو معلوم هنا في أمريكا فإن شرب الكحوليات والمخدرات منتشر بكثرة، لذا فإن لهذه الحلقات دورًا مهمًّا في غرس الأخلاق والقيم الرّوحيّة في النّاشئة، كذلك لا يوجد في أمريكا اهتمام كبير بمواهب النّاشئين، لذلك تحاول هذه الحلقات تنمية هذه المواهب أيًّا كانت.

ومعظم النّاشئين يعشقون الكُرة، ويرغبون في أنْ يكونوا لاعبين مشهورين في نوادٍ عالمية، وأن تكون لهم قنوات يوتيوبيّة، وبعد هذه الحلقات تبيّن أنَّ للنّاشئين مواهب أخرى أيضًا، فمثلًا اكتشفوا أنَّ بعضهم له رغبة في الجانب الميكانيكي المتعلق بالسّيارات، فربطتهم الحلقات بورشات تصليح السّيارات ليكشفوا مواهبهم، ويدركوا كيفيّة تركيبها وصناعتها.

وفي أمريكا حريّة سياسيّة وعِرقيّة ودينيّة، لهذا يجدون هنا تقبّلًا في حلقاتهم من جميع الأديان والأعراق، كما يجدون الحرية الكاملة في ممارسة حلقاتهم كغيرهم من التّوجهات الأخرى، ومن باب العلم مثلًا فقد أرسلوا إلى رئيس البلديّة وشرحوا له الفكرة، فرحب بذلك وشجع، إلا أنَّه على مستوى الأُسَر قد لا تتقبل بعض الأسر ذلك لأسباب دينيّة، وهذا شيء طبيعي، ولكنَّنا نجد أيضًا تقبُّلًا من العديد حتّى على مستوى الكنائس، فإحدى المناطق مثلًا تعاني من أخلاقيات سلبيّة كثيرة عند النّاشئة، وعجزت الكنيسة من علاجها، ولمّا سمعتْ بهذا الأثر الّذي تحققه حلقات النّاشئين من قبل الجامعة البهائيّة (أي المجتمع البهائي)، فطلبت منهم إقامة هذه الحلقات في هذه المنطقة، وكان لهذه الحلقات تأثير حَسَن وجَيّد في تنمية السّلوكيات الحَسنة، وعلاج السّلوكيات السّيئة في هذه المنطقة عند النّاشئين خصوصًا.

وعمومًا أصبحت هذه الحلقات منتشرة في العديد من دول العالم، لهذا فنحن نستفيد منها، فعلى سبيل المثال توجد جزيرة في المحيط الهادي، كان العديد من سكانها في السّجون، وبعد هذه الحلقات لاحظوا تدني مستوى

الجريمة، وبالتّالي انخفاض عدد المساجين، فهذه الحلقات تقدّم خدمات إيجابيّة للنّاشئين خصوصًا، والمجتمع عمومًا.

وبعد تسجيل الحلقة ذهبنا إلى الفطور، وتحدثنا طويلًا، ثمّ أخذنا قسطًا من الرّاحة، لنذهب إلى مول نورث بارك في السّاعة الثّانية عشرة ظهرًا، حيث كان عندنا موعد مع البرفسور توماس مكفول، وهو عالم في الأديان معروف في أمريكا وتكساس، ويدرّس علم الأديان، ومهتمٌّ بتحقيق الحوار والسّلام والتّقريب بين الأديان، فوجدته ينتظرنا مع زوجته في المول، وهو رجل على كِبر علمه وسِنّه إلا أنّه متواضع جدًّا، ثمّ ذهبنا إلى حديقة المول لأنَّه كان مزدحمًا في وقت الظّهيرة، وهذا الوقت يزدحم فيه المول عندهم والمجمعات والأسواق، وسجلنا مع البرفسور حلقة حول فلسفة الوحدة والحوار بين الأديان في السّاعة الواحدة ظهرًا ضمن برنامج حوارات الحلقة الثّالثة والخمسين، وبُثت يوم الخميس الثّاني والعشرين من أغسطس(آب).

في البداية قال: إنَّه توجد قوّة في الخارج، وهي الله بالمعنى الشّمولي حاضر في جميع الأديان، وهناك إله الأديان، ودرجته أقل من حيث تصوّرات كلّ دين حول الإله، فجميعها تنظر إلى هذه القوّة في الخارج، ولكن ستختلف تصوّراتها حول هذه القوّة، لهذا فالأديان متطوّرة بعضها من بعض، ومتطوّرة في نظرتها إلى الإنسان ومعالجة قضايا البشريّة، ومع كوني مسيحيًّا إلا أنَّني أجد البهائية أكثر الأديان تطوّرًا في نظرتها إلى الإنسان، ومعالجة قضاياه، والأديان جميعها واحدة مثل الكونفوشيوسيّة أو الهندوسيّة أو البوذيّة، والبوذيّة ليست ديانة توحيديّة بل أقرب إلى الإلحاديّة، إلا أنَّ التّعاطف والقيم الموجودة فيها لا

تخرجها عن الأديان، وهي تمثّل الإله في صورة أخرى غير التّصور التّقليدي والظّاهري عند باقي الأديان، وهكذا إذا جئنا إلى الأديان الإبراهيميّة كاليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، فحضور الإله ظاهر فيها ومتشابه، وأمّا الملحدون (الدّهريون والرّبوبيون وألا أدريين) فهم يبحثون عن الإله، فلا نجعلهم على الهامش، بل نقرّبهم، ونتحاور معهم، فقد يصلون إلى الإله يومًا ما.

وأقدم الدّيانات في نظري الهندوسيّة والزّرادشتيّة واليهوديّة، وهي الدّيانات الرّئيسة الموجودة اليوم، وهذا يعني وجود ديانات قبلها، وهي شبه منقرضة، وهذه الدّيانات لا يمكن تحديد الأقدميّة منها، وهي تعود إلى زمن يمتد من أربعة آلاف سنة إلى خمسة آلاف، والهندوسيّة الأكثر عددًا، حيث يزيد أتباعها عن بليون نسمة، ثمّ تليها الزّرادشتيّة وعددها ليس كبيرًا، وكذا اليهوديّة، ومن اليهوديّة انبثقت المسيحيّة والإسلام والبهائيّة، وأمّا السّيخيّة فانبثقت من الهندوسيّة والإسلام.

فالدّيانات حالة طبيعيّة، ولكن خطورتها تكمن إقصائها الآخر ورفضه وتكفيره، ولكن إذا سادت فيها القاعدة الذّهبيّة أَحِبّ للآخر ما تحبّه لنفسك، وعامل الآخر كما تحبّ أنْ يعاملك الآخرون؛ وهذه قاعدة موجودة في جميع الأديان، وبها سنعيش جميعًا في محبّة وسلام.

ومن أفكار البهائيّة مثلًا وحدة الخالق والدّين والجنس البشري، وأنا اتّفق معها فيما يتعلق بوحدة الخالق والجنس البشري، ولكن اختلف من حيث الأديان، فلا يوجد وحدة بينها، ولكن يوجد تقارب، فالاختلاف كبير بين الأديان، وهذا بعيد عن الوحدة، لكنَّه قريب من التّقريب.

والاختلاف طبيعي موجود بين جميع البشر، ولهذا ستختلف ثقافات الأديان حتّى في داخل الدّين نفسه، وعلينا أنْ نجعل هذا الاختلاف في حيّزه الطّبيعي، وأنْ نُبعده عن التّكفير والصّراع وإلغاء الآخر وإيذائه.

واليوم بسبب أنَّ العالم يعيش متقاربًا في قرية عالميّة واحدة بسبب تقدّم وسائل النّقل والتّواصل التّكنولوجي من خلال الأنترنت؛ وهنا أصبح تحقق التّقريب والحوار بين الأديان سهلًا جدًّا.

وفي جميع الأديان نجد أتباعًا لها يؤمنون بأهميّة الحوار والتّقريب بين الأديان، كما نجد من الأتباع من يرفض هذه الفكرة، ونحن علينا أن نوسع دائرة المؤمنين بالحوار والتّقريب من جميع أتباع هذه الدّيانات، لنقلل من الفئة المعارضة.

والخطورة في نظري إذا تدخّلت السّياسة في الأديان، فالسّياسي يوجه الدّين حسب ما يريد هو، وعلينا أنْ نفصل السّياسة عن الدّين، وإلا كان الصّراع والتّنافر بين الأديان.

وعمومًا فالجماليات موجودة في جميع الأديان، وطلبتي يسألونني دائما أيّ الدّيانات تفضّل؟ وأيّها الصّحيح في نظرك؟ فأنا لا أجيبهم؛ حتّى لا يختلفون معي، وأنا أعمل لتدريس الأديان، لا لأجل التّبشير بدين، فالمدرس يكون على خطّ واحد مع جميع الأديان.

وأسألُ تلامذتي: ما مستقبل الأديان في عام 2050م مثلًا؟ فيجيب بعضهم أنَّ التّسامح والتّعايش سيسود بين الأديان، وبعضهم يرى العكس وهو أنَّها ستقود إلى الكراهيّة والحروب، ولكنني أرى ذلك بعد قرن من الزّمان، وهي

سنوات قليلة في عُمر المجتمع البشري، لأنَّ هذه الأديان ستتطور وتتقارب بشكل أكبر.

وبعد تسجيل الحلقة ودَّعْنا البرفسور توماس مكفول، كذلك ودَّعتُ الأستاذ بيان لارتباطه بعمله، أما أنا فذهبت للغداء، ومنها قمت بجولة في المول، وبعدها في المقهى لأقوم بالدبلجة وأرفع الحلقة على اليوتيوب، ثمّ رجعتُ إلى السّكن لأستعدّ ليوم آخر، حيث المشاركة في مؤتمر التّبليغ، وتسجيل حلقة مع الكنيستين اللّوثريّة والمورمون كما سنرى.

- **المشاركة في مؤتمر التبليغ، وتسجيل حلقة مع الكنيستين اللّوثريّة والمورمون**

في صباح يوم السّبت السّابع عشر من أغسطس(آب) ذهبنا إلى الكنيسة اللّوثريّة في منطقة في منطقة Mockingbird Ln Dallas، والكنيسة اللّوثريّة نسبة إلى مارتن لوثر (ت 1546)، وسبق الحديث عنه أثناء الحديث عن الكنيسة المشيخيّة الكالفينيّة في الرّحلة البحرينيّة، واللّوثريّة انقسمت إلى اللّوثريّة الأرثوذكسيّة، واللّوثريّة العليا والسّفلى، واللّوثريّة الحديثة اللّيبرالية، واللّوثريّة أقلّ انقسامًا وتمذهبًا من الكالفينيّة، وهما الجناحان الرّئيسان في البروتستانتيّة.

في البداية التقينا بالأستاذ القس روسيل، القائم في الكنيسة، وهذه الكنيسة تمثل الكنيسة اللّوثريّة الحديثة اللّيبرالية، ولمّا دخلنا كانت صورة مارتن لوثر في الواجهة بين مدخل الكنيسة ومدخل القاعات الملحقة بها، وهي صورة قديمة،

ويظهر من بناء الكنيسة أنّها قديمة، ومتواضعة في البناء، وكانت على يمين الكنيسة قاعة الصّلاة، وهي بسيطة، مكونة من الكراسي ومحراب الكنيسة، ولا توجد فيها تصاوير، ثمّ عن يسار القاعة ذهبنا إلى مكتبه ووجدنا امرأة تعمل معه، ووجدنا الكتب متناثرة على طاولته، وعلى الأرض بجانب الأوراق، ممّا يدلّ على انغماسه في المعرفة، وطول بحثه، وهذا لاحظناه من الحديث معه، ثمّ أدخلَنا إلى المكتبة وهي مكتبة قديمة، وفيها كتب قديمة جدًّا، وطبعات حجريّة، ومن ضمنها رسائل وأعمال مارتن لوثر في مجلدات، وليتها تُرجمت إلى العربيّة، وهنا شعرت بحُرْقة شديدة، وتحركت فيّ الأشجان، لأعرف ما تُبطنه هذه الكتب من معارف وأدبيات إنسانيّة ولاهوتيّة، ولكنْ حال بيني وبينها بُعد المكان واللّغة، والحمد لله على كلّ حال.

أهداني القس روسيل كتيّبًا صغيرًا بعنوان: The Small Catechism أي التّعليم المسيحي الصّغير، لمؤلفه: Martin Luther، وهو يحوي جميع تعاليم الكنيسة اللّوثريّة بشكل مختصر، في جُمل صغيرة، وينطلق من الوصايا العشر في العهد القديم، ويُختم الكتيب بأسئلة ومفاتيح تختصر له رسالة الكتاب عمومًا.

ثمّ ذهبنا إلى قاعة أخرى متواضعة أيضًا، فيها طاولة عرضيّة بسيطة، وصفوف الكراسي من الجانبين، لأسجل معه حلقة حول المذهب البروتستانتي اللّوثري، وكان ضمن برنامج حوارات الحلقة الرّابعة والخمسين، وبُثت يوم الجمعة في الثّالث والعشرين من أغسطس(آب) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث القس روسيل أنّ مارتن لوثر ظهر في نهايات القرن الخامس عشر كقسّ كاثوليكي، وشاهد بعض التعاليم الخاطئة في الكنيسة الكاثوليكيّة، من هنا ظهرت البروتستانتيّة (أي الاعتراضات)، ومنه ظهرت الكنيسة البروتستانتيّة اللّوثريّة نسبة إليه في عهده هو وليس بعد وفاته.

ومارتن لوثر من ألمانيا، وأمّا جان كالفن (ت 1564م) الّذي عاش عصره؛ فهو من أصل فرنسي عاش في سويسرا، ومارتن لوثر تمسّك بكاثوليكيّته مع الإصلاح الدّيني فيها، فلم يرَ الاستقلال خلاف كالفن الذي رأى الاستقلال عنها من الابتداء، وكلاهما مصلحان.

ومارتن لوثر شخصيّة إصلاحيّة عظيمة، وهو رسول ليس بمعنى الرّسل كما في الكتاب المقدّس، ومن أهم كتبه طريق الحياة، وهو كتاب مهم في اللّوثريّة، ويتضمّن الوصايا العشر، وكتابات الرّسل، وشرح تعاليم المسيحيّة، وهذا الكتاب ليس مقدّسًا، لكنّه عظيم الاستفادة والأهميّة، وما قام به من ترجمة الكتاب المقدّس جعل الجميع يفهم الكتاب المقدّس دون واسطة، وهو ترجمة ظرفيّة أيضًا حسب زمنه، ثمّ ترجم إلى اللّغة الإنجليزيّة.

وأهم انقسام في الكنيسة اللّوثريّة هو اللّوثريّة العليا، واللّوثريّة السّفلى، والأولى تهتمّ بالمظاهر كالشّكل واللّباس، والثّانية لا تهتم بذلك، بل اهتمامها بالبساطة واللّباس الشّعبي البسيط، وربما قد يهتمّ فيها القساوسة بالمظهر واللّباس ليس بصورة كبيرة، وأمّا اللّوثريون الأرثوذكس واللّوثريّة الحديثة فبينهم خلاف أكبر، فالأرثوذكس متشددون كثيرًا، ويهتمون بالتّفسير القديم (للنّص الدّيني)، فمثلًا لا يجيزون الطّلاق، ولا يجيزون أنْ يكون القسّ من

النّساء، ولا يجلسون مع مخالفيهم في الدّين، بل حتّى من نفس الكنيسة اللّوثريّة ممّن يختلف معهم، وأمّا اللّوثريّة الحديثة أو اللّبراليّة، فهي أكثر انفتاحًا على غيرها (من الأديان والكنائس والتّوجهات)، ويجيزون الطّلاق، ويصحّ عندهم أنْ يكون القسّيس امرأة، ويلبسون اللّباس المعاصر كربطة العنق خلاف الأرثوذكس، والأرثوذكس أقليّة في الكنيسة اللّوثريّة؛ (ومن مبادئ الإصلاح عند مارتن لوثر: الكتاب المقدس وحده، المسيح وحده، الإيمان وحده، النّعمة وحدها، المجد لله وحده)[1]، فالكثير من الكاثوليك كانوا يحملون كتابين: الكتاب التّاريخي والكتاب المقدّس، وقد رفض مارتن لوثر الكتاب التّاريخي، وتقيّد بالكتاب المقدّس، واعتبره المقدّم على التّقاليد، وهو الأصل في فهم الكتب الأخرى والتّعامل معها، وهكذا الإيمان والنّعمة مربوطة بالله تعالى.

(1) «مثّل هذه المبادئ الخمسة، للإيمان الإنجيلي المُصلَح، صُلب المُعتقدات التي ميّزت بين لاهوت الإصلاح ولاهوت الكنيسة الرومانيّة الكاثوليكيّة في القرن السّادس عشر، يأتي أولًا مبدأ الكتاب المقدّس وحده، فلكونه كلمة الله الموحى بها، لذا فهو معصوم، وكافٍ، وهو السّلطة النّهائيّة في الكنيسة، ويؤكد المبدأ الثّاني، المسيح وحده، على أنَّ المسيحَ وحده أساس تبرير الخُطاة أمام الله، ويأتي مبدأ الإيمان وحده، ليؤكد على أنَّ المؤمن ينال الفداء الّذي أنجزه المسيح عن طريق الإيمان فقط، بينما يُعلِن مبدأ النّعمة وحدها، أنَّ خلاصنا كُلّه، من البداية إلى النّهاية، هو بالنّعمة، والنّعمة دون سواها، وبناء على هذه المبادئ الأربعة، تمسَّك المُصلحون بقوّة بالمبدأ الخامس وهو المجد لله وحده؛ بمعنى أنَّ الله وحده هو المستحق لكلّ المجد جَرّاء خلاصنا». يُنظر: موقع الصّورة، تاريخ الزّيارة: الخميس 12 أغسطس(آب) 2021م، السّابعة والثّلث صباحًا بتوقيت مسقط .

وأهم الخلافات بين اللّوثرية والكاثوليك أنَّ اللّوثريين يرون أنَّ الكنيسة يمثلها فقط الله والمسيح، والكاثوليك يرون أنَّ الّذي يمثلها البابا الموجود في روما، والكاثوليك في جملتهم لا يجيزون زواج القساوسة من الرّجال والنّساء خلاف الموارنة[1] من الكاثوليك، وأمّا اللّوثريون فيتزوجون ويطلقون.

وفي المعتقد جملة يحملون المعتقد الكاثولوكي نفسه، فعلى سبيل المثال هم يرون أنَّ للمسيح طبيعتين: طبيعة لاهوتيّة وطبيعة ناسوتيّة، (وهكذا معالم ما يميز الكاثوليك عن الأرثذوكس من حيث المعالم الرّئيسة)[2].

وأهم الخلافات بين اللّوثرية والبروتستانتيّة أنَّ المسيح يَحضر حقيقةً في العَشاء الأخير في اللّوثريّة، وهذا يخالف باقي المذاهب البروتستانتيّة، كما توجد اختلافات في تفاسير بعض النّصوص في الكتاب المقدّس.

وفي العهد الجديد أكثر من الإشارة إلى العشاء الأخير، لهذا نهتم بهذه

(1) سيأتي الحديث عن المذهب الماروني مع الأب حنّا إسكندر في ملاحق الكتاب، وبتواصل مع الأب حنّا إسكندر الماروني عن طريق «الواتس أب» قال لي: «تتفق الموانة مع الكاثوليك والأرثوذكس أنَّ الرّاهب والرّاهبة لا يتزوجان؛ لأنَّ الرّاهبة خُطبت المسيح عريسًا لها، والرّاهب خطبها للمسيح، تمثلًا بيحيى أنَّه كان حَصورًا، ولأنَّ المسيح تعفّف عن النّساء، أمّا الكاهن (القسّيس) فمم الممكن أنْ يتزوّج، والعديد من الكهنة لا يتزوجون تأثرًا بالكاثوليك، أمّا الرّاهب فهو المترهّب والمبتعد عن العالم متوحدًا، ويسكن في الدّير والبراري، فهذا يتزوّج راهبًا أم راهبة، وأمّا الكاهن القائم بخدمة المجتمع في الكنيسة فله أن يتزوّج». تاريخ التّواصل: صباح الخميس 12 أغسطس(آب) 2021م، بتصرّف بسيط.

(2) وأشرنا إلى معالم ذلك في الحلقة مع الأرثذوكس ومع البابا جراسر.

المناسبة، وبهذا الحدث الّذي تجسّد في صلب المسيح ثمّ قيامته وارتفاعه؛ ونعتقد بحضور المسيح حقيقة (جسده ودمه) من خلال الخبز والخمر، (وعلى هذا يفترقون مع الكاثوليك والأرثوذكس بعدم الإيمان بالتّحول الجوهري للمسيح، ومع باقي البروتستانت مع عدم الإيمان بالحضور الحقيقي للمسيح في القربان المقدّس).

ونحن نؤمن بالأسرار السّبعة، ولكن مع التّركيز على سرَّي التّعميد والقربان أي العَشاء الأخير، والتّعميد عندنا بوضع الطّفل في الماء، وفي سر الكهنوت لا يوجد عندنا كهنوت مقدّس، نعم عندنا احتفاليّة بذلك لكنه لا يصل إلى درجة القداسة كما عند الكاثوليك، والمطْهر عندنا يكون في الوسط، ويطلب من الله والمسيح بغفران الذّنوب، وفي الخطايا الكبيرة يكون على انفراد لأجل طلب الغفران من الله والمسيح.

ونحن في الكنيسة اللّوثريّة الحديثة أو اللّبراليّة نعتقد أنَّ الله للجميع، ونحبّ الجميع، فنحبّ حتّى المثليّين، والمغايرين في الجنس، وعندنا قساوسة مثليّون من الرّجال والنّساء، (وبهذا يقتربون من الكنيسة البروتستانتيّة اللّيبراليّة، أو كنيسة المسيح المتحدة)[1]، وأما الإجهاض فجوازه أن يكون الخَيار الأخير فقط.

وهذه الكنيسة تأسست قبل خمس وتسعين سنة تقريبًا، وأغلب الحضور حاليًّا إلى الكنيسة من كِبار السّن، كما يوجد من صغار السّن، وتكون التّبرعات فيها بشكل فردي، ولا يوجد دعم لها، وكل أحد يقرؤون الأدعية مع القُدّاس،

(1) سبق الحديث عنها في هذه الرّحلة .

ويحتفلون بعيد الكريسمس، وعندهم عيد الشّكر (عيد الشّكر على نعمة الحصاد، ويختلف وقته من دولة إلى دولة، في أمريكا في الخميس الرّابع من شهر نوفمبر(تشرين الثاني))، والصّيام عندنا أنْ نصوم عن نوع معيَّن من الطّعام.

وفي الختام: إنَّ الكل يدّعي التّعاليم الإصلاحيّة الّتي نادى بها مارتن لوثر، ولكنَّنا سنقع في الإشكاليّة ذاتها إنْ بقينا على القديم، فمارتن لوثر نفسه ثار على القديم، ونادى بالتّجديد، فعلينا ألّا نتوقف مع القديم؛ بل علينا أنْ نتجدَّد، وفي كنيستنا أَعطينا المرأة مساحة كبيرة من الحريّة، فهي جزء كبير من الكنيسة عندنا، ورسالتنا: إن الله يحبّنا جميعًا.

وبعد تسجيل الحلقة ودَّعْنا الأستاذ القسّ روسيل ثمّ ذهبنا إلى بهائي سنتر في دالاس لحضور مؤتمر التّبيلغ، وبهائي سنتر مركز للتّجمع البهائي ينظّمه المحفل المتعلق بالمدينة، وهو أقلّ درجة من مشرق الأذكار بمفهومه البنائيّ والمادي الواسع والكبير، لا بمفهومه التّعبُّدي المرتبط بجلسات الدّعاء، فهذا لا يَحُدّه مكان أو زمان، وسبق الحديث عنه، وعند البهائيّة أربع سَنْتَرات بهائيّة في دالاس فورت ورث[1] في دالاس وأرفينج وبلينو ولويس ويل، وأصْل بهائي سنتر في تكساس كنيسة مشيخيّة تمّ شراؤها من قبل البهائيين، وتُعْقد فيها الجلسات البهائيّة من جلسات الدّعاء والمشورة والحوار وحلقات النّاشئين والمؤتمرات والاحتفالات وغيرها.

(1) دالاس فورت ورث أوسع من دالاس، ويدخل فيه مدن أخرى، مثل: بلينو، وأرفينج وغيرها، وإنْ كانت دالاس وفورت ورث من المدن الكبيرة في تكساس .

وشاركتُ معهم مؤتمر التّبليغ، وهو مؤتمر بسيط ومصغّر، يناقش جدليّة التّبليغ بالذّهاب إلى البيوت والأسواق، أي التّبليغ الفردي والمباشر إلى البهائيّة، وهذه عادة يستخدمها المورمون وشهود يهوه في أمريكا، حيث يذهبون إلى البيوت، وتجدهم يُبلِّغون في الأسواق والطرّقات، إلّا أنّ المحفل البهائي عندهم لم يتشجّع للفكرة، أو أنَّها ليست حاضرة حتّى الآن، بسبب طبيعة البهائيّة وهي الابتعاد عن التّصادم والاحتكاك مع الآخر قدر الإمكان، والتّركيز على الدّعوة غير المباشرة، من خلال التّعامل بالحُسنى أو الحوار أو جلسات الدّعاء ونحوها، دون إغراء أو طلب تغيير دين، أو تهجُّم على الآخر ومعتقده.

وأصل فكرة التّبليغ عند البهائيّة «هو عقد جلسة التّبليغ... حيث برز هذا الاصطلاح بين البهائيين الأوائل في مونتريال بكندا، مع أنَّ ذلك النّشاط كان مستمرًا آنذاك في عدّة مراكز، فجلسة التّبليغ (في بدايتها)... يعني اجتماع مجموعة دراسيّة صغيرة من النّاس في منزل خاصّ بصورة دوريّة ومستمرة، ويُدعى إليها المقربون من الأصدقاء، والرّاغبون في البحث والتّحري»[1].

كما نُوقش العديد من القضايا، وقُدّمت أوراق عَمَل مختصرة في ذلك، وأعقبته حفلة فنّية باللّغة الإسبانيّة من قبل الأستاذ إليكس، وهو من أصل مكسيكي سبق الحديث عنه، حيث كانت أغنيته الدّينية باللّغة الأسبانيّة مصحوبة بطبل (الطّرنجة)، ثمّ كانت وجبة الغداء وهي متواضعة عبارة عند

(1) مارتن: دوغلاس، وهاتشر: وليام؛ **الدّين البهائي: بحث ودراسة**، ترجمة عبد الحسين فكري، ط دار البديع للطّباعة والنّشر، لبنان/ بيروت، الطّبعة الثّانية، 2007م، ص: 220.

سندويشات وعصائر سريعة، وبعدها كانت جلسة مفتوحة في قاعة مفتوحة على الخارج، حيث وُزِّعْنا على حلقات صغيرة، لا يزيد أفرادها على سبعة أشخاص، يتدارسون مذكّرة من أوراق متعلقة بالتّبليغ عن طريق الإجابة عن الأسئلة الموجودة في المذكرة، فيتناقشون حولها، ويجيبون عن الأسئلة معًا، كذلك كانت ورشات وحلقات مصاحبة في غرف مغلقة، ولك الخيار في اختيار ما تريد من الورشات، إلا أنَّنا لم نُطِل لارتباطنا بموعد مع كنيسة المورمون.

ذهبنا إلى منطقة E Lake Highlands DR، واسم كنيسة المورمون كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة (The Church of Jesus Christ of latter - day Saints)، ولا يُطلقون على كنائسهم كنيسة المورمون، ولكن غلب عليهم هذا الاسم من غيرهم، فلا يعرفون كنائسهم إلا بهذا الاسم، وسبق في مقدّمة الرّحلة الشّيكاغيّة أنْ تحدّثنا عن المورمون بصورة سريعة، ورأينا أنَّها تأسّست عام 1830م على يدي جوزيف سميث (ت 1844م)، وينتشرون في مدينة Salt Lake بولاية يوتّا في أمريكا، ولهم كتاب مقدّس اسمه (كتاب مورمون: شهادة ثانية ليسوع المسيح).

وصلنا إلى المنطقة في قرب السّاعة السّادسة مساء، واستقبَلَنا الأسقف الدّكتور تيد آساي، وأخذنا في جولة حول الكنيسة، وهي كنيسة كبيرة، وبناؤها جديد ومنظم، وغاية في النّظافة، وبها مكاتب عديدة، وعند المدخل تجد صور المسيح ومريم وغيرهما من رموزهم، خصوصًا صورة العَشاء الأخير ليسوع المسيح مع حواريّيه، ولكنْ داخل الكنيسة لا يوجد تصاوير، ثمّ ذهبنا إلى قاعة اجتماع ملحقة بالكنيسة لنسجّل حلقة حول كنيسة المورمون مع الدّكتور تيد

آساي ضمن برنامج حوارات الحلقة 55، وبُثّت يوم الأحد الخامس والعشرين من أغسطس(آب) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث الدّكتور تيد آساي: إنَّنا لم نطلق على أنفسنا اسم المورمون، وإنّما سمّتْنا بذلك الكنائس المسيحيّة الأخرى، ومورمون اسم شخص وليس اسم مكان، (وعندهم النّبيّ مورمون، أحد الأمريكيين الأصليين، جاء قبل ألف سنة، وكتب ألواح مورمون «وبعد أنْ أكملها سلّم السّجل لابنه موروني، الّذي أضاف بعض الكلمات، وخبَّأ الصحائف في تلّ كومورة، وفي 21 سبتمبر(أيلول) ظهر موروني نفسه كشخص مُمجّد قائم من بين الأموات إلى النّبيّ جوزيف سميث وأخبره بالسّجل القديم، وبعد أربع سنوات سلّم موروني الصحائف إلى جوزيف سميث فترجمها بهبة الله وقوّته»[1])، ولا يوجد لدينا إشكاليّة في الاسم، ولكنَّنا نسمّي أنفسنا كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة.

والعَشاء الأخير من أهم مراحل حياة السّيد المسيح، وقدّم لهم في تلك اللّيلة الخبز والخمر، مبيّنًا لهم أنَّ هذه حياته، لهذا نحن نجسّد هذا المشهد كلّ أحَد، بيد أنَّنا نقدّم الماء بدل الخمر، والخمر والماء أشياء رمزية، والماء أقرب إلى (الصّفاء) والتّوبة، ونمتنع عنه لناحية طبيّة بالصّورة الكبرى، كما نمتنع عن جميع الكحوليات، والتّبغ والتّدخين، والشّاي والقهوة.

(1) ينظر: **مقدّمة كتاب مورمون: شهادة ثانية ليسوع المسيح**، نشر: كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، سولت ليك سيتي، بوتا/ أمريكا، 1985م،

وكتاب مورمون فيه إشارة إلى الرّسل الّذين عاشوا في أمريكا، من ستمئة سنة قبل الميلاد إلى أربعمئة وثمانين بعد الميلاد، وشهادتهم تعتبر الشّهادة الثّانية ليسوع المسيح بعد العهد الجديد (أي الإنجيل)، وهذه (أخذت من ألواح نافي) (سِجّل لما فعله الله بين سكان أمريكا القدماء، كما يحتوي على ملء إنجيل يسوع المسيح)[1] اختصرها النّبي مورمون على ألواح، وأشاروا أنَّه سيأتي المسيح، وسيتعرض للاضطهاد، وسيقوم من بين الأموات، وسيأتي المسيح إلى أمريكا أيضًا، ويلتقي بالنّاس، وسيشفي الكثير منهم.

ونعتقد أنَّ كِتاب مورمون وحي من عند الله، كما أنَّ العهدين القديم والجديد من الكتاب المقدّس وحْي أيضًا، والعهد القديم كتبه الرّسل على فترات زمنيّة مختلفة عدا الوصايا العشر نزلت مكتوبة كما عند الأغلب، وكذا العهد الجديد كتب نصوصه الرّسل، وأيضًا المورمون وحيٌ كَتَبه (أنبياء قدماء كثيرون عن طريق النّبوة والرّؤيا على صحائف ذهبيّة، ثمّ اختصر تلك الكلمات النّبيّ مورمون)[2]، وفيه أحكام مستقلة غير موجودة في الكتاب المقدّس.

ونعتقد أنَّ جوزيف سميث الّذي ظهر في 1930م نبيّ ورسول من قبل الله، ولمّا كان عمره أربع عشرة سنة أراد الانضمام إلى إحدى الكنائس البروتستانتيّة، وكانت الكنيسة اللّوثريّة والمعمدانيّة والمشيخيّة موجودة، فحار

(1) المصدر نفسه، بتصرّف بسيط .

(2) المصدر نفسه، بتصرّف بسيط .

بينها، ثـمّ دعـا الله تعـالى، وهنـا ارتقى روحانيًّـا إلى الله والمسيح، فقـال لـه: إنَّ جميـع هـذه الكنـائس خاطئـة، والكنيسـة الحقيقيّـة في الجنّـة في الـدّار الآخـرة، وأُرجعت هذه الكنيسة من تلك الدّار إلى العالم الأرضي، كما أنَّه التقى أيضًـا بالحواريين، ووهبوا له القوّة، لهذا فالقوّة بعد الحواريين ارتفعت ولـم تنزل إلّا على جوزيف سميث، ويشكلون أيضًا اثني عشر حواريًّا، وهـم أحياء، وينزل عليهم الـوحي، وهـم موجـودون في ولايـة يوتـا في أمريكـا، وهـؤلاء الحواريـون خَدَمُ الله في الأرض، ويخدمون العالم.

ونعتقـد أنَّ مـارتن لـوثر وجـان كـالفن رجُلـين صـالِحَين أصـلحا الكنيسـة الكاثولوكيّة، ومارتن لوثر سبب ظهـور جوزيـف سـميث، ويوجـد ثلاثـة فـروق رئيسة بين المورمون والبروتستانتيّة وغيرها من المذاهب المسيحيّة، أولهـا: أنّـه يوجد عند المورمون اثنا عشـر حواريًّا، ولا يزالـون أحيـاء يـوحى إليـهم، ولهـذا فإنَّ المورمون في تجدد دائم على خـلاف البروتسـتانت والمسيحيين يعتمـدون على الكتب السّابقة، والثّاني: أنَّ القساوسة في المورمـون توجـد لـديهم الحقيقـة الإلهيّة لوجود الحواريين، على خلاف البروتستانت والمسيحيين عمومًا الـذين ارتفعت من عند قساوستهم الحقيقة بعـد غيـاب الحـواريين الأوائـل، والثّالـث: نظـرتهم إلـى الله والمسـيح والـرّوح القـدس علـى أنّهـا ثـلاث حقـائق أو قـوى منفصلة، فالله جسد متميز، وكذلك المسيح أيضًا، والرّوح القُدس قـوّة روحيّـة، على خلاف البروتستانت والمسيحيين الذين يرونها حقيقة واحـدة، ويـرون أنَّنـا ولدنا مع الله، ونحن أولاده، جئنا إلى الحياة لنعيشـها بخيرهـا وشـرّها، ثـمّ نعـود إليه مع أسرنا.

ونحن – وإن كنّا نعتقد للمسيح صفة الأولوهيّة – إلا أنّنا نرى أنَّ الآب غير الابن، وجاء عن طريق مريم العذراء، ولم يُخطئ أبدًا، وجاء للخلاص، والّذي يعيش حياة مسيحيّة وإنْ أخطأ؛ المسيخ يغفر له، والمسيح موجود في العالم اليوم.

وأمّا كيف نعرف أنَّ الحواريين يوحى إليهم، فهذا مذكور في كتب ورسائل جوزيف سميث بشكل مختلف عن كتاب مورمون، ففي العهد القديم وجد أنبياء، وكذلك في العهد الجديد، فلماذا لا يوجد اليوم وينقطعون؟! (سؤال تعجبي)، وإذا كان أولئك يُوحى إليهم؛ فأيضًا يُوحى إلى هؤلاء، وكان لجوزيف سميث ثلاثة شهود (أولفر كاودري (ت 1850م) ودافيد ويتمر (ت 1888م) ومارتن هارس (ت 1875م))، ومع هؤلاء ثمانية شهود أيضًا، (كريستان ويتمر وجيكوب ويتمر وبيتر ويتمر الابن وجون ويتمر وهايرم بيج وجوزيف سميث الأب وهايرم سميث وصموئيل سميث) ومع جوزيف سميث النّبيّ يكونون اثني عشر حواريًّا للمسيح، ومن الثّلاثة الأوائل يكون أقدمُهم خادمًا له حواريًّا بديلًا عنه، أمّا الحواريون اليوم؛ فَهُم إذا مات أحدهم اختار الرّئيس بعد الدّعاء والمناجاة حواريًّا بديلًا عنه.

ونحن نقوم بالتّعميد، فلا يمكن أنْ تكون مسيحيًّا إلا عن طريق التّعميد، وعندنا سرُّ الكهنوت: وهم الاثنا عشر حواريًّا، وهؤلاء يُديرون شؤون الكنائس، بحيث يختارون البطريرك، والبطريرك يختار الأساقفة، وأنا كنت بطريرك، والآن أنا من الثّلاثة المستشارين، وأُشرف على اثنتي عشرة كنيسة،

وعددنا في العالم ستة عشر مليونًا في مائة وخمسين دولة، ولدينا خمس وستون ألف مُبلّغ، (يُبلّغون في البيوت والطّرق والأسواق والأماكن العامّة وغيرها).

والأُسرة عندنا أهمّ ركن في المجتمع، ولهذا فإنَّ تعدّد الزّوجات كان جائزاً عندنا سابقًا، وبعد عام 1898م مُنع، كما نهتمُّ بكثرة إنجاب الأولاد، والجميع عندنا ممّن في الكنيسة يتزوّج بما في ذلك البطريرك، ولا يجوز عندنا الإجهاض إلا في حالات نادرة كاغتصاب المرأة، أو أنَّ حياة المرأة متحققة بإجهاض الطّفل، فيُقَدّم الحيُّ على الميت، فالطّفل والرّوح نعمة من الله، (علينا الإكثار منها والحفاظ عليها)، ولا نجيز المثليّة، فلا تتحقق الأسرة دون زواج طبيعي، وكذلك العلاقات خارج إطار الزّواج لا تجوز عندنا، وفي كلتا الحالتين لا نقوم بمحاربة المثليّة والعلاقات خارج إطار الزّواج والتضييق عليها وإيذائها.

ونصوم كلّ أحد من بداية كلّ شهر أربعًا وعشرين ساعة عن الأكل والشّراب، ونجمع فيه وجبتين يأخذونها إلى الكنيسة، والكنيسة توزِّعها على الفقراء والمساكين والمشردين، كما نساعد عن طريق المال المنكوبين بسبب الفيضانات والزّلازل والحروب وغيرها، كما نعمل على حفر الآبار، وتوصيل المياه العذبة، وقد تمّ جمع حوالي أربعين مليون دولار العام الماضي لهذا الغرض، وأمّا الأعياد فعندنا الكريسمس والفصح، ونحترم أعياد الأديان الأخرى.

ونحن نختلف مع شهود يهوه، إلا أنني شخصيًّا أجلّهم واحترمهم لأنّهم يعملون بإخلاص، وأرى لديهم سوء فهم في تفسير بعض آيات الكتاب المقدّس والآثار المسيحيّة.

وبعد التسجيل أهداني الدّكتور نسخة من كتاب مورمون باللّغة الإنجليزيّة، قائلا في الإهداء:

«بدر،

كان من دواعي سروري أن ألتقي بك.

أشكرك لعملك الرّائع الّذي قمتَ به.

باركك الرّبّ دومًا.

صديقك: تيد آساي»

وكان الأستاذ بيان أهدى إليّ نسخة من الكتاب باللّغة العربيّة، وهنا ودعنا الدّكتور تيد آساي، ورجعنا إلى النّزل، لنستعدَّ ليوم جديد، ومع حضور قُدّاس الأحد في كنيسة الأمل، وزيارة المتحف الّذي يحكي قصة اغتيال الرّئيس الأمريكي جون كينيدي عام 1963م كما سنرى.

- **حضور قدّاس الأحد في كنيسة الأمل وزيارة المتحف الّذي يحكي قصة اغتيال الرّئيس الأمريكي جون كينيدي عام 1963م**

في صباح يوم الأحد الثّامن عشر من أغسطس(آب) بعد الفطور طلب منّي الأستاذ بيان أنْ أشاركهم في حلقات النّاشئين، فاعتذرت له لأنّني أريد حضور قُدّاس الأحد، فذهبت إلى كاتدرائيّة الأمل في منطقة Cedar Springs؛ لقُربها من النُّزُل، ولأنّها ليبراليّة قد لا يُسبّب وجودي فيها حَرَجًا أو تساؤلا، وسبق الحديث عنها، وتسجيل حلقة مع القس نيل سيزر القائم بأعمال الكاتدرائيّة.

وصلتُ إلى الكاتدرائيّة مبكّرًا، ووجدت النّاس يتوافدون إلى الكنيسة، ويُحضرون معهم أطفالهم، ولعلّ ذلك من أجل دروس الأحد المتعلقة بالأطفال، مع أنَّ الكاتدرائيّة تحوي أماكن مخصّصة للعب الأطفال، ولدور الأيتام، وتعليم الأطفال والنّاشئين، ووجدت النّاس يُحضرون معهم صَدَقات ماديّة من أحذية وملابس وأغراض أخرى لتوزيعها على المحتاجين والمشردين.

وعلمت لاحقًا أنَّ هذه الكاتدرائيّة وغيرها من الكنائس لكثرة من يأتي إليها يوم الأحد تقوم بأكثر من قُدّاس؛ لأنَّهم لو قاموا بقُدّاس واحد لازدحم المكان، ومع أنَّها كنيسة ليبراليّة لكنني وجدت الكراسي شبه ممتلئة في قاعتها الكبيرة والأنيقة والنّظيفة.

فجلست في الوسط، وكان في يسار الكنيسة من الأعلى الفرقة الموسيقيّة، ولهم لباس معيّن، ويأتون بألحان روحانيّة تضيف جمالًا على المكان، كما رأيت أغلب الناس من كِبار السّن، مع وجود فئة لا بأس بها من الشّبان، وقليل من صغار السّن.

هنا دخل مجموعة من الخدم والشّماسين يتقدّمهم القس نيل سيزر في صف منتظم عن يمينه ويساره، وكان دخوله مع الموسيقى، ووقف الجميع يردّدون دعاءهم مع أصوات الموسيقى، وتقدّم القِسّ إلى حيث القربان المقدّس، وليس له غرفة خاصّة، هناك فقط طاولة فيها القربان من خبز وخمر، وهو يدور حولها، والنّاس في ذكرهم ودعائهم، ثمّ جلسوا وألقى فيهم القس خُطبة طويلة لم أفهم غالبها؛ لأنّي لا أُتْقن الإنجليزّية جيّدًا، وبعد خُطبته أيضًا وقف النّاس مع ألحان الفرقة الموسيقيّة، وهنا وجدتهم يُمررون صندوقًا صغيرا لمن أراد التّبرع.

وبعد هذا ذهب النّاس للسّلام على القس ومن معه من الخدم والشّماسين، ووجدته يُلْقِمُهم من القربان المقدّس، ورأيت السّعادة في وجوههم، وكلٌّ يسلّم على الآخر وذكرني هذا بالانتهاء من صلاة الجمعة، لكنْ هنا نظام بديع، الكل يرجع إلى مكانه، ثمّ وقفوا جميعًا مع ألحان الفرقة الموسيقيّة ونشيدها، وخرج القس مع خدمه وشماسته إلى الخارج، ووقف عند الباب، والنّاس يقفون صفوفًا يودّعُهم واحدًا واحدًا، وهنا سلّمت عليه، وصافحني بحرارة شديدة مع ابتسامة وترحيب كبير، وهو يعلم أنَّني مسلم، ولكنَّه لم يسألني أبدًا عن سبب مجيئي؛ لأنَّه يؤمن بالمحبّة للجميع.

وبعد هذا كانت ساعة فراغ حتى يبدأ القُدّاس الثّاني، فذهبت إلى مكتبة الكاتدرائيّة، ثمّ ذهبت إلى الحديقة، وكان فيها ممشى، ومشيت فيها متأمّلًا تنسيقها وجمالها، ومتأمّلًا نظافتها، ثمّ حضرت القُدّاس الآخر، فكان كالأوّل عدا اختلاف وجوه مَنْ حَضَرَ.

ثمّ رجعتُ إلى النُّزل، وقمنا بجولة عامّة في دالاس، وفي مساء يوم الإثنين، التّاسع عشر من أُغسطس (آب)، تحديدًا بعد الظّهر ذهبنا إلى منطقة Downtown Dallas، وهي المقابل لمنطقة Uptown Dallas، ومنطقة Downtown Dallas تعتبر المنطقة القديمة في دالاس، وفيها عمارات شاهقة، ومزدحمة بالسّيّاح، لهذا فطُرُقها مزدحمة، ومواقف السّيارات فيها قليلة، لذا استغرقْنا وقتًا طويلاً حتّى نجد موقفًا، لنذهب إلى المُتحف الّذي يحكي مقتل الرّئيس الأمريكي جون كينيدي في الثّاني والعشرين من نوفمبر(تشرين الثاني) عام 1963م.

والرّئيس جون كينيدي هو الرّئيس الخامس والثّلاثون في أمريكا، وانتُخب في العشرين من يناير (كانون الثاني) 1961م، ورغم أنَّه لم يرأس أمريكا سوى سنتين؛ إلا أنَّه كان من أشهر رموز من حكم أمريكا، كما أنَّه من أشهر الرّموز في الحزب الدّيمقراطي الأمريكي، وأبوه جوزيف باتريك (ت 1969م)، من كبار الأثرياء والدّبلوماسيين الأمريكيين.

وأصل كينيدي من ولاية ماساتشوستس من أسرة كاثوليكيّة، وشارك في الحرب العالميّة الثّانية (1939 - 1945م) في الجانب البحري جبهة المحيط الهادئ، أصدر كتابه الأول: Why England slept? في فترة مبكرة من حياته، كما فاز في مجلس الشّيوخ الأمريكي كمنافس للحزب الجمهوري.

ساهم كنيدي في إصلاحات اجتماعيّة واقتصاديّة وقانونيّة في أمريكا، ممّا جعله محبوبًا من الجميع، مع وسامته وقربه من الكل، إلا أنَّ فترة رئاسته توافقت مع الحرب الباردة مع الاتّحاد السّوفييتي، ومع حركات التّحرر الشّيوعي في كوبا وفيتنام.

قرّر كنيدي زيارة دالاس لأغراض سياسيّة في الثّاني والعشرين من نوفمبر عام 1963م، بيد أنَّه حُذّر من الزّيارة، لِما تمثله تكساس حينها من عدم استقرار، لوجود المعارضين ضدّه فيها من المتعصِّبين الجمهوريين، بجانب الحركات اليساريّة، إلا أنَّه قرّر الذّهاب مع زوجته جاكلين كينيدي (ت 1994م)، وصاحَبَهم من المطار حاكم ولاية تكساس جون كونالي (ت 1993م).

وفي احتفال مَهيب، وحضور حشد كبير لاستقباله، وبما أنَّ الجوّ كان صحوًا يومها، فتح كنيدي غطاء سيارته، لتُصيبه ثلاث رصاصات في السّاعة الثّانية عشرة والنّصف ظهرًا من قبل الماركسي الأمريكي هارفي أوزوالد (ت 1964م)، ليفارق كنيدي الحياة قرب الواحدة ظهرًا.

والماركسي الأمريكي هارفي أوزوالد ذاته قُتِل في مقرّ الشّرطة في دالاس، وعلى الهواء مباشرة!

وصلنا إلى المتحف عند الخامسة عصرًا؛ لكن للأسف وجدناه مغلقًا، ولعلّهم يُغلقون مبكرين يوم الأحد، ولم تأتِ فرصة أخرى لزيارته، وفكرة المتحف لها جانب اقتصاديّ وسياحيّ، فمن جهة يحكي القصّة صوتًا وصورة وشرحًا وافيًا، مع أخذ السّائح إلى الأماكن الّتي قُتل فيها كنيدي، وكيف أُطلق عليه الرّصاص، وكأنَّه حاضر المشهد، فلا زالت صدمة الذّاكرة باقية، كما أنَّ المُتحف يستثمر الذّاكرة اقتصاديًّا وسياحيًّا.

ثمّ ذهبنا إلى مطعم قريب للغداء، وبعدها قمنا بجولة مشي، وعند محطّة المطار رأينا أمريكيين سود البشرة، أجسامهم أفريقيّة ضخمة، ينادون بصوت مرتفع، وفي أيديهم الكتاب المقدّس لدى المسيحيين، ولمّا رأوني نادوني بقوّة أنْ أحضُر إليهم وأقرأ من الكتاب المقدّس، فخشيت الاقتراب منهم، وهنا ذهب الأستاذ بيان، فطلبوا منه أن يَقرأ نصوص ما يتعلق بعلاقة بني إسرائيل في فلسطين، فاكشفنا لاحقًا أنَّها جماعة مسيحيّة متعصّبة، ترى أحقيّة اليهود في فلسطين، وأنَّها الأرض الموعودة لهم، وإشكاليّة مثل هذه القراءات للنّصوص المقدّسة أنَّها تجعل في دائرة الإطلاق، خاصّة النّصوص المتعلقة بالشّخوص

والبلدان والقبائل والأجناس، فهي ظرفيّة بالكليّة، ومثلها عندنا قوله تعالى عن بني إسرائيل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة/ 47)، هذا التّفضيل ظرفيٌّ لأداء الأمانة، ولا يعني أنَّ بني إسرائيل مميزون في الجنس البشري، فهذا يتعارض مع رسالات الأنبياء ذاتها، ومنها رسالة موسى عليه السّلام، ولو نزلت هذه الآية في أتباع محمّد عليه السّلام لكان الحُكم واحدًا، ومنها قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ (آل عمران/ 110)، فالخيريّة هنا ليست خيريّة جِنس، ولكن خيريّة أداء أمانة، فهي متعلّقة بسببها، وتدخل في السّنن المجتمعيّة، وأيّ أمّة تؤدي هذا الدّور من الأمانة كانت الخيريّة معها، سواء أكانت الأمّة عربيّة أم أعجميّة.

ثمّ ذهبنا إلى منطقة بلينو في ضيافة الأستاذة هيلين فرهاني، وهي امرأة بهائيّة عاشت فترة طويلة في دولة الإمارات العربيّة المتحدة، ولهجتها إماراتيّة، وتعشق الإمارات، وتحنّ بالعودة إليها، وهنا شربنا معها القهوة الإماراتيّة.

وقد كان للأستاذ بيان موعد معها؛ حيث عندها جلسة مشورة، والمشورة من أهم عناصر الجامعة البهائيّة بعد مشرق الأذكار في الجانب المجتمعي، وجاء في ألواح حضرة بهاء الله: «إنَّ سماء الحكمة الإلهيّة مستضيئة ومستنيرة بنورين: المشورة والشّفقة، تمّسكوا بالمشورة في جميع الأمور، فهي سِراج الهداية، إنّها تهدي السّبيل، وتَهَب المعرفة»، والمشورة من التّشاور، وهنا يتشاورون في الاحتفال الّذي سيُقيمونه بمرور مئتي عام على ولادة الباب عليّ محمّد الشّيرازيّ (ت 1850م)، حيث ولد في 20 أكتوبر 1819م، وهو المبشِّر

عندهم ببهاء الله الميرزا حسين عليّ (ت 1892م)، وسبق الحديث عن البهائيّة بتفصيل في الرّحلة الشّيكاغيّة.

والاحتفالات حينها بمولد الباب في 29 و30 أكتوبر 2019م، وكانت لي كلمة في الجانب الإنساني في الاحتفال الّذي أقامه الأستاذ فريد أحمد عبد الوهاب من البحرين في منزله في مسقط بعد رجوعي، وقد أعدّ البهائيون في دالاس حفلًا كبيرًا في بهائي سنتر، وكان على الأستاذ بيان إعداد بطاقات الدّعوة، وشاورني في تصميمها، وتشاوروا فيها، وفي توجيه الدّعوة إلى أصحاب الأديان وغيرهم من الشّخصيات السّياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة والعلميّة، كما تشاوروا في فقرات الحفل، وفي الجوانب الماديّة، ولاحظت معاناتهم في الجانب المادي، وضعف التّعاون من المنتسبين إلى الجامعة البهائيّة كما أخبرني الأستاذ بيان نفسه، وتجدهم ينفقون من جيبهم الخاص رغم بساطة حالتهم المادية، وشارك المشورة مجموعة من الشّباب البهائيين النّاطقين بالعربيّة والفارسيّة.

وبعد المشورة رجعنا إلى النُّزُل لنستعد للذّهاب إلى مدينة دينسون في تكساس، وحضور ضيافة تسعة عشر، وبعدها الذّهاب إلى شيكاغو برًّا كما سنرى.

• حضور ضيافة تسعة عشر في مدينة دينسون ثمّ الذّهاب إلى شيكاغو

في صباح يوم الثّلاثاء، في العشرين من أغسطس(آب)، بعد الفطور انتظرت وصول الأستاذ بيان، فقد حمل سيارته إلى (السّيرفس)، ومعالجة بعض

الإطارات، حيث ينتظرنا طريق طويل برًّا إلى شيكاغو، وهي تبعد عن دالاس حوالي ستة عشر ساعة دون توقف.

في الابتداء ذهبنا إلى مدينة دينسون، وتبعد عن النُّزُل ما يقرب من ثلاث ساعات، وهي مدينة ريفيّة تقع آخر تكساس من جهة ولاية أوكلاهوما، وهذه المدينة تكثر فيها المزارع والمزارعون، ولا ترى فيها عناصر الحداثة من حيث العمارات الشّاهقة، والأسواق العصريّة، والمولات الكبيرة، فأهلها يرفضون ذلك، ويعشقون حياة البساطة مع الطّبيعة، إلا أنّهم يعانون من انتشار المخدّرات بين النّاشئين والشّبان، كما لا توجد بها فرص كبيرة للعمل؛ لهذا فالعديد من السّكان خصوصًا الشّبان يهاجرون إلى المدن الأخرى، ويأتون هنا لزيارة عائلاتهم أو الاستجمام في الطّبيعة، وغالب السّكان في هذه المنطقة من البيض.

ذهبنا إلى منزل الأستاذ مفيد سعيد، وهو بهائيّ مولود في لبنان من أصول تركيّة، وهاجر إلى أمريكا، وعاش مزارعًا في الرّيف، كما أنَّه عمل في أحد المستشفيات طباخًا، وقد تطبَّع بعاداتهم، وأصبحت لغته العربيّة ضعيفة؛ لأنَّه كما أخبرني أنَّه تَمُرُّ عليه سنوات لا يتحدّث بها، ولا يقرأ أو يستمع إليها، وفرح كثيرًا بزيارتنا له، والتّحدّث معه بالعربيّة، وله زوجة أمريكيّة بهائيّة من البِيض، ولمّا دخلنا بيتهم الجميل بين الزّروع والحشائش آوَت إلينا الكلاب مُلاعبة، والحقيقة لم نتعوّد على الكلاب، حيث تصيبُنا خيفة منها، بينما هم متعوّدون عليها وكأنّها من أفراد الأسرة، يلاعبونها ويداعبونها، فلمّا رأت تحرُّجي منها أدخلتها في غرفة قريبة، كما وجدنا امرأة أمريكيّة أخرى من البيض من سكان المنطقة، وهي كانت مسيحيّة ثمّ أصبحت بهائيّة.

وكانت لديهم ضيافة تسعة عشر، «وهي القاعدة لحياة الجامعة البهائيّة الاجتماعيّة على المستوى المحلي»[1]، وفي الكتاب الأقدس: 57 «قدر رقم عليكم الضّيافة في كلّ شهر مرّة واحدة ولو بالماء، إنَّ الله يؤلّف بين القلوب ولو بأسباب السّماوات والأراضين»، وجاء عن وليّ أمر الله شوقي أفندي (ت 1957م): «إنَّ الاشتراك في الضّيافة التّسع عشريّة ليس فرضًا، ولكنَّه أمرٌ مهمّ جدًّا، وينبغي لكلّ مؤمن أنْ يعتبر حضور الضّيافة واجبًا شخصيًّا، وامتيازًا خاصًّا»[2].

وكما قلنا في الرّحلة الشّيكاغيّة: إنَّ للبهائيّة تسعة عشر شهرًا في العام، وعدد أيام الشّهر تسعة عشر يومًا، فتكون الضّيافة في اليوم الأخير من كلّ شهر، بلا كلفة على المضيف، ولو أكرم ضيوفه بالماء فقط، والهدف منها تحقّق المشورة بينهم، والإصلاح بين المتخاصمين، ومساعدة المحتاج، وقراءة ما يصدر عن بيت العدل والمحفل المركزي، ورفع ما يلزم بعد المشورة إلى المحفل المركزي، والّتي قد يرفع المهم منها إلى بيت العدل في حيفا مركز البهائيين في العالم أجمع، ولهذا فهم يقسّمون الجلسة إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول قسم الرّوحانيات من دعاء وذِكْر، والقسم الثّاني القسم الإداري، وفيها يناقشون رسائل بيت العدل إنْ وُجِدَت، وكذا المحفل المركزي أي في الدّولة القُطريّة، والمحفل المحلي أي في المدينة، وكذا يناقشون ما يتعلّق بالمنطقة

(1) مارتن: دوغلاس، وهاتشر: وليام؛ **الدّين البهائي: بحث ودراسة**، مرجع سابق، ص: 224.

(2) **خلاصة وترتيب أحكام الكتاب الأقدس وأوامره**، ملحق بالكتاب الأقدس، ص: 216.

واحتياجتها، ثمّ القسم الثّالث؛ أي القسم الاجتماعي، وفيه الإصلاح بين المتخاصمين والأكل والشّرب مع المسابقات للأطفال والحضور.

وفي الجلسة بعد الدّعاء قرأت رسالة بيت العدل، وتضمنت دعوة البهائيين إلى الاهتمام بالعصر، والمشاركة في إصلاح العالم، والمشاركة البناءة في حياة المجتمع، دون التّدخل في الأمور السّياسيّة؛ لأنَّ التّدخل يؤدي إلى هدر طاقاتهم وتبديدها، وركزت رسالة بيت العدل على ما تُعانيه المجتمعات البشريّة من انحدار الحِوارات العامّة، لتنزل إلى دَرَكات الضّغينة والعداء، والتّعصّب للأحزاب، وما يُسايرها من عبارات القّدْح والاستهزاء، ولهذا كما لا يصحّ للبهائيّ أنْ يتدخَّل في صراع السّياسات، عليه أنْ يجتنّب أيضًا الصّراعات الحزبيّة والإثنية، وخصوصًا ما يحدث في وسائل التّواصل الاجتماعي.

وبعدها ناقشوا الاحتفال الّذي سيُقيمونه بمرور مئتي عام على ولادة الباب عليّ محمّد الشّيرازيّ (ت 1850م)، والّذي سيقام في بهائي سنتر في دالاس كما أسلفنا سابقًا، وسلّم الأستاذ بيان الحضور بطاقات الدّعوة، وسيقُام أيضًا في كليّة Austin College في مدينة شيرمان قريب دنيسون، ثمّ ناقشوا قضايا مجتمعيّة، كما أخذني حديث طويل مع الأستاذ مفيد سعيد عن لبنان وحياته خصوصًا.

وبَعد الظّهر ودعْنا الإخوة، ثمّ ذهبنا إلى مطعم مكسيكي للغداء، ثمّ انطلقنا إلى ولاية أوكلاهوما، وهي مدينة اقتصاديّة نِفطيّة منتجة للغاز الطّبيعي مثل تكساس، وأوكلاهوما تعني النّاس الحُمْر، وهنا رأينا في بدايتها مول كبير،

فأخبرني الأستاذ بيان أنَّ هذا مكان لِلَعب القِمار، فطلبت منه أن ندخل ونرى، وهذه أول مرة أدخل فيها مكانا لِلَعب القِمار، وفي أسفله قاعة كبيرة لذلك، وفي الطّابق الثّاني محلّات تجاريّة ومحلّات أخرى، وفي تكساس يُمنع لَعِب القِمار لأسباب دينيّة، ولكون الهنود الحُمْر لهم تعلّق كبير بالقِمار، فتجدهم وقت الإجازة يتوافدون بشكل كبير من دالاس إلى أوكلاهوما.

ثمّ مررْنا بولاية كانساس، وتعني شعب الرّيح الجنوبيّة، وجاء في ويكيبيديا: «استقرَّ في كانساس الأمريكيون من ولاية ماساتشوسِتْس منذ عام 1850م، وكانوا يحاولون إيقاف العبوديّة في ولاية ميزوري المجاورة»، وسكنَها الهنود الحُمْر منذ أكثر من ألف سنة.

ثمّ عند المغرب دخلنا ولاية ميزوري، ومررْنا مع الغروب على نهر ميزوري، أطول نهر في أمريكا الشّماليّة، وينبثق من نهر المسيسيبي، وهو في قمّة الجمال والرّوعة، وولاية ميزوري من الولايات الشّهيرة في أمريكا، ولها تأثير كبير في التّاريخ الأمريكي خصوصًا الحديث، وهنا توقفنا للصّلاة والعشاء وأَخْذِ قسط مِنَ الرّاحة، ورأيت محطات البترول في أمريكا كبيرة، ومنظمة، وتجد في «سيلّكت» ليس كما عندنا، ففيها جميع الخدمات، من مقاهٍ، ومطاعم سريعة، ومشروبات، ومختلف أنواع القهوة، وهنا تختار بنفسك من المشروبات الغازية والقهوة بحيث تختار الكوب المناسب لك، ثمّ تذهب إلى المحاسبة، كما يتوفر في «سّيلكت» ما تحتاجه من أغراض السّفر، ودورات مياه، ومقاعد للاسترخاء والرّاحة وتناول الطّعام، وتذكرتُ كِبَر حجم هذه

المحطّات، وكَثرة الشّاحنات بالطّرق في المملكة العربيّة السّعوديّة، فأخذني بعض الحنين لذلك، فلنا في طرق المملكة ذكريات عديدة.

وهنا أخذ الأستاذ بيان قسطًا من الرّاحة، فاستثمرتُ الوقت في رياضة المشي والتّأمّل في المواقف، وأردت أن أتولّى قيادة السيارة عنه، فأنا لا أشعر بالتّعب، إلا أنّني لم أكن أملك حينها رخصة قيادة دوليّة، لنواصل بعدها الطّريق، وندخل في ولاية إلينوي، وهي الولاية الّتي تنتمي إليها مدينة شيكاغو، وسبق الحديث عنها في الرّحلة الشّيكاغيّة.

وصلنا صباح يوم الأربعاء إلى شيكاغو، في الحادي والعشرين من أغسطس(آب)، لنذهب إلى نُزُل MOTRL 6، وهو النُّزُل ذاته الّذي نزلنا فيه سابقًا في رحلتنا إلى شيكاغو، فأخذنا راحة طويلة، وحتّى المساء تجولنا في شيكاغو وأسواقها لنستحضر رحلة عام 2018م، ومن يَزُرْ شيكاغو لمرة يشدّه الشّوق لزيارتها سنويًّا، لنأخذ راحة ونستعد لافتتاح المؤتمر، وجدول محاضرات اليوم الأول منه كما سنرى.

- **حضور جلسة افتتاح مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي الثّامن واليوم الأول منه**

في صباح يوم الخميس، في الثّاني والعشرين من أغسطس(آب) أخذنا جولة طويلة في شيكاغو، واسترجعنا بعض زياراتنا السّابقة لها، في طرقها وأسواقها ومكتباتها وحدائقها ومطاعمها.

وفي السّاعة الخامسة عصرًا توجهنا إلى فندق Double Tree Hilton في منطقة Skokie Blvd لحضور جلسة افتتاح مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي الثّامن، وسبق أنْ شاركنا المؤتمر السّابع وكان بعنوان: الوحدة في التّنوع، وأشرنا إليه بإسهاب في الرّحلة الشّيكاغيّة، وأمّا هذا العام بعنوان: تطلعات لمستقبل الإنسانيّة[1].

وجلسة الافتتاح عبارة عن جلسة تعارف بين المحاضرين والحضور مع القائمين على المؤتمر، يتضمّنها جلسة عَشاء، مع توزيع برنامج المؤتمر، والتّسجيل فيه، وهنا التّقيت بمجموعة مِمَّن رأيتهم سابقًا، مثل الباحثة سوسن حسني وأخيها عمرو حسني، والثّاني من القائمين على المؤتمر، كما التقيت بثريّا وأخيها سمير، وهؤلاء من أصول عراقيّة، وسبق الحديث عن سمير في الرّحلة الشّيكاغيّة، وهو من ولاية أريزونا، وعاتَبَنا على عدم زيارته والتّعرف على الهنود الحُمْر، فأكّدنا عليه زيارتنا له 2020م، ولكن كورونا حالت دون ذلك، كما التقيت مرة ثانية بالأستاذ ورقاء كنعاني من كندا وقد عاش في السّعوديّة سابقًا، وهو شخص فاضل، وكنت قد وعدته في المؤتمر السّابق بنسخة من كتابي (فقه التّطرف)، وقد حضر هو وزوجته ألحان رحيمي وعائلته

(1) كما شاركتُ في مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي التّاسع، وكان بعنوان: قراءة واقعنا أداة محوريّة لبناء مستقبلنا، وعقد افتراضيًّا بسبب جائحة كورونا 1 – 2 أغسطس(آب) عام 2020م، كذلك شاركت مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي العاشر، وكان بعنوان: التّمكين المجتمعي: استلهام من الماضي ورؤى للمستقبل، افتراضيًّا في 17 – 18 أغسطس(آب)عام 2021م .

برًّا بالسّيارة من كندا وحتّى شيكاغو، كذلك التقينا بالأستاذ فريد شريفي من كندا الذي عاش في السّعوديّة أيضًا سابقًا مع زوجته مرجان رحيمي، والأستاذتان ألحان ومرجان كلتاهما كانتا في قطر، والتقيت مرة ثانية بالأستاذة هيلين فرهاني حيث زرتها في بيتها في دالاس، كما التقيت بالأستاذة سناء روحاني، وهي عضو في المؤتمر، وكذلك الأستاذ عبير من العراق، وهوعضو في المؤتمر أيضًا، كما كان حديث طويل على العَشاء مع الدّكتور نبيل إلياس، وقد التقيتُ به في المؤتمر السّابع، ومن حُسن الطّالع التقيت مرة أخرى بالمشرف السّوداني على المطعم القائم بتقديم الوجَبات في المؤتمر، وجرى بيننا حديث جانبي أيضًا، والتقيت بالعديد من الجدد الّذين تعرفت عليهم لأول مرة، وعلى رأسهم الأستاذ محمود عطيّة الله روحاني من مملكة البحرين، حيث جاءني مسلِّمًا بقوّة وحرارة، وأخبرني أنَّه عرفني من خلال القناة اليوتيوبيّة (أُنْس)، وحدثت بيننا ألفة كبيرة وصحبة بعدها.

وفي صباح يوم الجمعة في الثّالث والعشرين من أغسطس(آب) كان افتتاح المؤتمر في التّاسعة والنّصف صباحًا، وقبل الجلسة كانت جلسة الفطور في الفندق على نفقة المؤتمر، ثمّ جلسة الافتتاح، وأدارت الجلسة الأستاذة مي رو، وأعقبتها الأستاذة سارة أحمدي أخوان، عضو اللّجنة المنظمة لمؤتمر العرب الأمريكيين، مرحّبة بالحُضور، ومبيّنة رسالة المؤتمر لهذا العام وجدول أعماله، ثمّ قرأ الأستاذ كن بورز سكرتير المحفل الرّوحاني للبهائيين في أمريكا رسالةَ المحفل المركزي في أمريكا، مبينًّا سعادتهم في ارتفاع عدد مناصري حقوق الإنسان في الدّول العربيّة، مع الغوص في أعماق الثّقافة العربيّة، جامعين

بين الماضي والحاضر، لتشكل حضارة عالميّة إنسانيّة، وعلى الرّغم من المشاكل الّتي تَعمّ العالم؛ إلا أنَّ المتمعِّن في الأوضاع الحالية يجد أيضًا تقدّمًا كبيرًا، فنجد أنَّ التّعصب والنّزاعات بدأت تتلاشى أمام التّفاهم الإنساني، وأَمَلنا أنْ تتوسَّع الحقوق المدنيّة للأقليّات، وتمكين المرأة، واحترام الأديان، وفهم القواسم المشتركة بينها، وهذا سيعود أثره إيجابًا أيضًا على العالم العربي.

ثمّ كانت ورقة الدّكتورة صبا حدّاد، وهي باحثة أكاديميّة في الطّب الحيوي، وشاركت في تقديم برامج تعليميّة للشّباب في ألمانيا والنّمسا وسويسرا، في الابتداء عرضَتْ فيلمًا جميلًا يُصوّر مساعدات إنسانيّة يقوم بها صِغار السّنّ لمساعدة الكبار وذوي الحاجة في الأسواق والطّرق في الغرب فعلى سبيل المثال: إذا رأى الشاب امرأة كبيرة في السّنّ، تحمل أغراضًا كثيرة، فإنَّه الولد على مساعدتها وخدمتها إنسانيًّا دون مقابل، وأشارت الدّكتورة صبا إلى حالة اجتماعيّة حقيقيّة تتمثل في ناشئين يقدّمون خدمات اللّغة لآبائهم الكبار، ولا تقتصر هذه الخدمات عند التّرجمة فقط، ولهذا ترى أنَّه لابدّ من بناء جامعات نابضة بالحياة، ولا تقتصر فقط على تلقين المعرفة، كما لابدّ من تدريب النّاشئة والشّباب على الخدمات الاجتماعيّة ليَكْبُروا عليها، وليدركوا أنَّ السّعادة الحقيقيّة تتمثل في تقديم خدمة للآخر.

ثمّ كانت استراحة لمدة ربع ساعة، وفيها تعرّفتُ على الدّكتور فريدون جواهري، وهو عضو سابق في بيت العدل الأعظم في حيفا، كما أنَّه رمزيّة بهائيّة لها مكانتها، وأهديتُه كتابي (إضاءة قلم) حول التّعايش، وسُرَّ بذلك، وقال لي: هذا اشتغال الأديان جميعًا، وإنّ الإنسان واحد علينا التّعاون في الرّقيّ به

وإحياه، وكنت قد كتبت ترجمة بسيطة حول البهائيّة في (إضاءة قلم) من خلال لقائي بالدّكتورة إميلي جوشي في الكويت، وأثنى كثيرًا على التّرجمة، وطلب منّي أنْ نلتقي في وقت أوسع، كما رجوت منه تسجيل حلقة يوتيوبيّة، إلا أنَّه اعتذر بسبب منصبه.

وبعد الاستراحة كانت كلمة الأستاذ بارازان باران رشيد من كردستان العراق، ويعمل في وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة في كردستان العراق، وعمله مرتبط بخطب الجمعة والأئمة، وهو ذاته إمام وخطيب في مدينة أربيل عاصمة كردستان العراق، وناشط في مجال حقوق الإنسان، ومهتم بالتّعايش الدّيني بين الأديان، وقد كان شاركَنا في المؤتمر السّابع مريوان النّقشبنديّ، وكلاهما على الطّريقة النّقشبنديّة، وأصبح بيننا تواصل وتعارف حتّى كتابة هذه الرّحلة، وشاركَنا في العديد من الحلقات الحواريّة الّتي كانت عبر برنامج ZOOM، كما طلبت منه زيارة كردستان العراق وتسجيل حلقات مع الأديان الثّمانية أو بعضها، كما أرجو أنْ أصوِّر حلقات عن الطّرق الصّوفيّة أيضًا، وكان لي أمل أنْ أزور البصرة والمناطق المتاخمة لها، برًّا عن طريق الكويت في ديسمبر عام 2020م، وقد نَسقتُ مع الدّكتور سعد سلوم، وهو من أهمّ الباحثين المعاصرين في شؤون الأديان في العراق، ورحَّب بالفكرة وقام بما يلزم هناك، ولكن كورونا حالت دون ذلك، وعمومًا سجلتُ حلقة مع الأستاذ بارازان باران حول التّعايش الدّيني في كُردستان العراق نذكرها في حينه.

وكانت ورقة الأستاذ بارازان حول دور رجال الدّين في تعزيز التّعايش وتقويته وتوطيده بين عناصر المجتمع المتنوعة، وأشار فيها إلى أهميّة دور

علماء الدّين في تحقيق ذلك في مجتمعهم، لِما لهم من تأثير إيجابيّ وسلبيّ، فيمكن لعلماء الدّين استخدام تعاليم دينهم في بناء السّلام، وغَرس التّعايش وقِيم الإنسان في المجتمع، فضلًا عن الصّحة والاقتصاد والثّقافة وغيرها، ولهم دور في مدافعة العُنف، ومواجهة التّطرف، وأنْ يُكملوا أدوار الدّولة لثلاثة أسباب رئيسة: الأول: تَمتُّعهم بالسّلطة الأخلاقيّة لهذا يستمع لهم عدد كبير من السّكان، والثّاني: ارتباطهم بقوّة قاعدة مجتمعاتهم، وبالتّالي تأثيرهم على شريحة أكبر من النّاس، والثالّث: توجيه الدّعم المادي من خلال التّعاون المجتمعي في توجيه المشاريع الخيريّة في المجتمع، ممّا يُسهم في الاقتصاد واستقرار الأمن.

وبعد هذه الجلسة كانت الحلقة النّقاشيّة والّتي أدارتها أيضًا الأستاذة مي رو، وفيها وجَّهتُ العديد من الأسئلة رغم أنّها كتابيّة، وأنا شخصيًّا لا أحبّ الأسئلة الكتابيّة بل المباشرة، ثمّ كانت فترة الغداء وبعدها استراحة، وهنا كنّا في رحاب الفندق مع الدّكتور فريدون جواهري، ومعَنا الأستاذ بيان النّوري ومحمود روحاني، وحدث جدل بين بيان ومحمود، فبيان يرى أنَّ الدّعوة تكون بشكل مباشر، ولا تحتاج إلى كتمان أو تعريض، فكلّ يُعَرّف بدينه، واستشهد في أمريكا بشهود يهوه والمورمون مثلًا، بينما يرى محمود الدّعوة بإظهار القيم وليس شرطًا أن تكون مباشرة، بل الحكمة مطلوبة، وهنا عقّب فريدون جواهري، وقال: إنَّ العديد من أصحاب الأديان ليسوا بهائيين، ولكنهم يحملون القيم نفسها الّتي يدعو إليها البهائيّون، فنحن جميعًا في طريق واحد، وإن اختلفت مسميات ديننا، وأمّا الخلاف بينكما - أي بيان ومحمود -

ليس كبيرًا، وهو يختلف حسب الوضع، لكنْ علينا أنْ نتمسك بالمبادئ الّتي تدعو إليها جميع الأديان في رقيّ الإنسان.

وفي السّاعة الثّالثة والرّبع كانت ورقة الدّكتور فريدون جواهري، وهو إضافة إلى كونه عضوًا سابقًا في بيت العدل الأعظم؛ فهو كبير المستشارين لمنظمة الأغذية والزّراعة للأمم المتحدة في زاميبا، وشارك في تأسيس مدرسة بناتي الثّانوية الدّوليّة، وتحدّث في ورقته حول السّلام العالمي والفرد، وبين أهميّة الفرد أيًّا كان دينه ومركزه في تحقيق هذا السّلام العالمي، والمرتبط بالماهيّة الإنسانيّة.

ثمّ كانت دردشة مع الأستاذة ألحان رحيمي كنعاني، وقد ولدت في الدّوحة، وتحمل البكالوريوس في تخصص اللغة العربيّة والماجستير في تخصص الترجمة، كما عاشت في الإمارات وتونس وبريطانيا ثمّ كندا، وهي مترجِمة وقامت بتأليف ثلاثة كتب للأطفال، وتهتمُّ في قصصها بشؤون اللّاجئين والانخراط المُجتمعي في المجتمع الغربي، ومن قصصها الثّلاثة قصّة: يارا صديقتي من سوريا، وكانت في أسلوب قصصي على شكل رسومات بريشة أناهيت أليكسانيان، وأدارت الأستاذة سنا روحاني الدّردشة، وتدور القصّة حول يارا البنت السوريّة، التي جاءت من سوريا إلى كندا بسبب الحرب، إذْ أتى عدد كبير من اللّاجئين السّورين إلى كندا قبل أربع سنوات، وتتناول القصّة أول يوم لها في المدرسة، وهي تشعر بالخجل كونَها لا تتكلم الإنجليزيّة، مع وجود طلاب يرحّبون بها، وهي لا تفهم ما يقولون، وهنا شاهدت تفاحة في يد أحد الطّلاب، فتذكرت شجرة التّفاح في بيتها في سوريّة، وهي لم تسطع إحضار

العديد من ألعابها وملابسها من سوريّة بسبب الحرب، لكن أحضرت أوراقًا من شجرة التّفاح، ثمّ أحضرتها لأصدقائها ليشاهدوها، وكوّنت لها علاقة مع أنجلا من أصول أروبيّة، وأليفر من أصول كنديّة.

والفكرة من التّفاحة أنَّ اللّاجئ ليس فقيرًا أو مِسكينًا كما يُتصوّر، بل جاء ومعه ثقافة قد تشترك في جوانب مع الآخر، فهو إنسان له ثقافته الخاصّة، لهذا تحاول الكاتبة غرس هذا الجانب في الأطفال وهو أنْ ينظروا إيجابيًّا مع اللّاجئين، لهذا تكوّنت علاقة بين ثلاثة أطفال يختلفون في أصولهم، لكنّهم يشتركون في بناء الحياة والإنسان.

لقيت القصّة قَبولًا كبيرًا من وزارة التّعليم في المقاطعة الّتي تسكن فيها الكاتبة في كندا، وكان طلب كبير على القصّة، مع إقامة حلقات حولها للأطفال في المدارس.

ومن أسباب كتابة القصّة كما تقول الكاتبة: أنَّ مقاطعتهم في كندا أول مدينة تستقبل عائلتين سوريتين، فشكَّلوا لجنة، ووطلب منّي أنا وزوجي خدمة العائلتين، وهذه المدينة لا يوجد بها تعدّد كبير، والأغلبيّة فيها من أصول أروبيّة، فكنّا نحن أيضًا محطّ أنظارهم، ولهذا قد يعاني أطفالهم من بعض المصاعب، ووجدت سابقًا عائلة سورية أطفالهم يُتقِنون الفرنسيّة لأنّهم عاشوا في لبنان قبل المجيء إلى كندا، فاللّاجئ جاء من بلد له تراثه الزّاخر؛ وليس مجرّد لاجئ فقير أو مسكين، والعائلة الأخرى كان لها مصنع شوكلاته في سوريّة، فلمّا أتَوا إلى كندا بدؤوا المشروع ذاته في بيتهم، وشيئًا فشيئًا أصبح لديهم مصنع في بيتهم، وقاموا بتطويره، حتّى إنَّ رئيس الوزاراء الكندي تحدّث عنهم.

ثـمّ كانـت جلسـة راحـة، وبعـدها كـان جـدول ورشـات العمـل، فكانـت ورشتان: الأولى عن المشورة: بحث جماعي عـن الحقيقـة، مـع الـدّكتورة صبا حـداد، والثّانيـة حـول تسـخير حريّـة الإرادة للتّغلـب علـى العـادات الجماعيّـة المـدمَّرة، مـع الأسـتاذة سـويدا معـاني يوينـغ، واخـترت الورشـة الأولـى؛ لأنّهـا تهمُّني في العمل المجتمعي.

وبعد الورشة حضرنا عرضًا فنيًّا شاميًّا مع الفنان بهاء الـدّين عسّـاف والفرقـة الموسيقيّة، وكان جوًّا موسيقيًّا رائعًا، لنذهب بعده إلى العَشاء وصاحبنا الأستاذ محمود روحـاني في مطعـم عربيّ في شيكاغو، لنرجـع إلـى النُّزُل ونستعدّ ليـوم جديـد، ومـع اليـوم الثّـاني مـن المـؤتمر، وتسـجيل حلقـة مـع الـدّكتورة سوسـن حسني حول اللّغة العربيّة وتعليم النّاطقين بغيرها كما سنرى.

• اليوم الثّاني للمـؤتمر وتسـجيل حلقـة حـول اللّغـة العربيّة وتعليم النّاطقين بغيرها

في صـباح يـوم السّـبت في الرّابـع والعشـرين مـن أغسـطس(آب) وكـان مـن المقرّر أنْ أقوم بزيارة المعبد البهـائيّ (مشـرق الأذكـار) في ويلمـت في شـيكاغو، إلا أنّني اعتذرت لثلاثة أسباب؛ الأول: لأنَّ تعب السّفر لا زال باقيًا، خاصّـة أنَّ اليوم الأول من المؤتمر كان مزدحمًا بالأعمال كما رأينـا، والثّـاني: لكـوني زرت المعبد مرتين سـابقًا وكتبـت عنـه، والأصـل أنْ أزوره للـدّعاء ولكـنَّ الوقـت لـم يتسع، والثّالث: كي أضع تصورًا لحلقـات يوتيوبيّـة مقبلـة في وقـت ضـيّق، لهـذا أخذت قسطًا من الرّاحة مـع التّأمـل والبحـث، ثـمّ ذهبـت إلـى فنـدق المـؤتمر،

وبعد الغداء كانت صورة جماعيّة، وطُلِبَ من الحضور أنْ يكون باللّباس الشّعبي، إلا أنّني فضَّلت شخصيًّا خِلاف ذلك، واعتذرتُ منهم.

ثمّ كانت الورقة الأولى في اليوم الثّاني للمؤتمر مع الأستاذة رباب كمال من مصر، وهي إعلاميّة في الإذاعة، وكاتبة وناشطة ضّد التّطرف الدّيني، ومهتمة بالتّعايش وحقوق المرأة والإنسان في الوطن العربي، وكانت ورقتها بعنوان: الثّورات النّاعمة وآليات التّغيير المجتمعي: قضايا المساواة بين الجنسين، والحريات العقائديّة كركيزة لمواجهة التّعصب، وقد شدتني عبارتها «التّسامح الانتقائي»، وهو تسامح مرتبط بالهوّيّة لا بالإنسان، وفعلًا كان كلامها عين الصّواب، فأغلب الدّول والمتأدلجين يمارسون التّسامح الانتقائي، وقلّ من يمارس التّسامح بمفهومه الإنساني الواسع، خصوصًا مع الانفتاح الإعلامي الواسع اليوم، لهذا بينَت المحاضرة أنَّ الثّورات الرّقميّة جعلت سقف الحريّة أعلى، فالإنسان ليس بحاجة إلى أنْ يتعاقد مع صحيفة أو مؤسسة، أو أنْ يكون على تواصل مع أصحاب القرار، فكلّ ما يحتاجه قلم ومدونة لا أكثر، ليعبّر بهما عن حريته، وبهذا كانت نتائج جيّدة على المستوى العملي، وهنا ضربت مثلًا لنموذجين في مصر، الأول لشاب مصري بسيط من الفلاحين اسمه نعيم، شارك في مبادرة لإلغاء الدّيانة من خانة البطاقة الشّخصيّة أو بطاقة الهوّيّة، ولمّا انتهت الوقفة شطب على مكان الدّيانة في بطاقته، ثمّ نزل إلى الرّيف وأخبرهم: لماذا تطلب النّاس هذا؟ قائلًا لهم: الصّحة والتّعليم أهمّ من الدّيانة في البطاقة، إنَّهم وضعوا الدّيانة في البطاقة ولم يضعوا فصيلة الدّم، ولو وقعت حادثة فهل يحتاجون حينها إلى اسم ديانتك أم إلى فصيلة دمك؟!! والنّموذج الثّاني لفتاة مصريّة اسمها سهام عثمان، أتَت من مجتمع قَبَليّ متشدّد ضدّ المرأة، وتقدّمت

لانتخابات المجلس النّوبي كأول امرأة في مصر، وأصبحت مناهضة نسويّة للعنف ضدّ المرأة، والعنف الجسدي، مع تغيير الصّورة النّمطيّة للمرأة، وإشراك المرأة في العمل المدنيّ والحزبيّ، وللنساء في مصر مدوّنات، مثل مدونة مصريات، ونشاطهنّ مبني على اللّامركزيّة واللّاسلطويّة، أي ليس حكرًا على منطقة، ولا يتبع أي سلطة.

وبعد هذه الورقة كانت استراحة سريعة، وخلالها ذهبت إلى الأستاذة رباب كمال، وشكرتها على كلمتها، وأهديتها كتابي (فقه التّطرف)، فسُرَّت به، وكان بيننا بعض النّقاش في جوانب التّطرف.

ثمّ كانت ورقة الدّكتور نبيل إلياس، وهو عضو فخري في جامعة كارولينا الشّماليّة في شارلوت، وأستاذ سابق في جامعة مانيتوبا في كندا، ويعمل حاليًّا في منصب عميد التّعليم في مؤسسة الأعمال الأخلاقيّة لبناء المستقبل (EPPF)، وكانت ورقته حول مبادئ اقتصاديّة وتجاريّة لعصر جديد، وفيها تحدّث عن المبادئ الاقتصاديّة الّتي ترقى بالوضع الإنساني، وتحقق له كرامته ومكانته الإنسانيّة، أيًّا كان دينه وعرقه، وأيًّا كانت جغرافيّة عيشه.

ثمّ كانت الحلقة النّقاشيّة تحت إدارة الأستاذة تماره إبراهيم، وأتبعت بدردشة مع الأستاذة إلهام كرم، وهي ناشطة اجتماعيّة، ومهتمة بشأن الحوار التّعايشي مع قادة الفكر في المجتمع الكويتي، وذكرت نماذج لذلك من المجتمع الكويتي[1].

(1) في كتابنا إضاءة قلم: الحلقة الأولى، خصّصنا الحديث حول التّعايش، ومنها كانت رحلتنا إلى الكويت، ووضعنا الرّحلة الكويتيّة كاملة في الكتاب.

وبعد الحلقة كان لديّ موعد مع الدّكتورة سوسن حسني، وهي مصريّة مستقرة في بريطانيا، لأسجّل معها حلقة حول اللّغة العربيّة وتعليم النّاطقين بغيرها، ضمن برنامج حوارات الحلقة السّادسة والخمسين، وبُثت على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة يوم الإثنين 26 أغسطس(آب).

وسبق الحديث عن الدّكتورة سوسن في الرّحلة الشّيكاغيّة فقلت فيها: «الدّكتورة سوسن خريجة الدّفعة الأولى من الفتيات من جامعة الأزهر، بعدها حصلت على الماجستير (والدكتوراه) في اللّغة العربيّة، ودرّست هذه اللّغة لمدة أربعة عقود في مصر والإمارات والسّودان والصّين ونيوزيلندا، وأخيرًا في بريطانيا».

في البداية قالت: رحلتي مع النّاطقين بغير اللّغة العربيّة بدأت مع غير العرب في الإمارات والسّودان، وبعدها تطورت بذهابي إلى الصّين، فهي رحلة طويلة زمنيًّا، فقد دعيت أنا وزوجي لتدريسها في جامعة بكين في الصّين، وعشنا في الصّين حوالي أربعة عشرَ عامًا، وتخرج على أيدينا العشرات من الطلبّة الجامعيين، وطلبة الدّراسات العليا، والجميل في الصّين اهتمامها بذلك، فإذا ذهبت إلى أيّ سفارة صينيّة في الدّول العربيّة تجد السّفير والقنصل يتحدّث بهذه اللّغة، ومن الصّينيين من نبغ فيها نبوغًا كبيرًا.

ولي عشق قديم للّغة العربيّة، فأنا منذ الصّغر عشقت القراءة، ومن القراءة أحببت الأدب والشّعر، ومع دخولي إلى الأزهر تعرفت كثيرًا عن هذه اللّغة، وهي وإن كانت لغة قريش؛ إلا أنَّ الّذي أعطاها الحياة هو القرآن الكريم، فجعلها تعيش حتّى يومنا هذا، ومن خلال الدّراسة والتّعمّق وجدت أنَّ اللّغة

العربيّة من أغنى اللّغات، وقادرة على استيعاب أيّ تطور، ولكنْ للأسف فإنَّ أكثر العرب لا يعرفون قيمتها!!

لهذا فإنَّ محبتي وعشقي لهذه اللّغة جعلني أسعى إلى إحيائها ونشرها، فلمّا دُعينا أنا وزوجي كخبراء للغة العربيّة في الصّين؛ هذه التّجربة عمّقت لدي فكرة أنَّ هناك الكثير من غير العرب يرجون تعلُّمها، وذكرني هذا وقت انتشار الإسلام في بداياته في مناطق لا تتحدّث العربيّة، فعندما دخلوا في الإسلام تَبَنَّوا لغة الإسلام وتعلموها، لهذا فمعظم علماء العربيّة من غير العرب، هنا أدركت أنَّ هذه اللّغة تستحق أن تنشر، وأن يتمتَّع بجمالها أكبرُ عدد من البشر.

وفي الصّين تلقيت فرصة للمشاركة في مركز كبير لتدريس اللّغة العربيّة، وهو من أكبر المراكز في آسيا، واسمه مركز الإمارات للغة العربيّة، وكان منحة من الشّيخ زايد بن سلطان آل نهيان (ت 2004م)، وكان للمركز دور كبير في نشر اللّغة العربيّة هناك، وعمومًا نجد الصّين في الخمسينيات من القرن العشرين بعد مؤتمر الحياد الإيجابي بدأت تأسيس أقسام للغات المختلفة، ومنها اللّغة العربيّة، لشرح قضيتها للعالم، وقد كتبتُ كتابًا عن اللّغة العربيّة في الصّين عام 1995م، حيث وجدت أنَّ اللّغة العربيّة وصلت إلى الصّين قبل الإسلام (البعثة المحمديّة)، كما لي بحوث أخرى عن تحليل اللّغة وفي المناهج.

ثمّ ذهبنا إلى نيوزيلندا، وفيها كانت الفرصة في تأسيس أول (كورس) أكاديمي للغة العربيّة في جامعات نيوزيلندا، وكانت البداية في جامعة كانتربري، ووجدت في الغرب أنَّ المتحدثين باللّغة الإنجليزيّة لا يحتاجون إلى تعلّم لغة

أخرى؛ لأنَّهم يستطيعون بلغتهم الحديث في معظم أجزاء العالم، بيد أنّي اندهشت لمّا أسست أول (كورس) أكاديمي في نيوزيلندا حيث أقبل عليه عدد كبير لتعلُّم هذه اللّغة لم أكنْ أتوقّعه، وفاقت اللّغات الأخرى، وكان هذا محل تساؤل للجامعة والأقسام فيها: لماذا هذا الإقبال على تعلم اللّغة العربيّة؟ وأعتقد أنَّ السّبب حينها لم يكن دينيًّا؛ حيث إنَّ الازدهار الّذي بدأ في الخليج، والثّورة النّفطيّة، أحدثا نوعًا من الطّفرة الاقتصاديّة، وبالتّالي جعل البعض يفكر بالعمل في الخليج، فضلًا عن الدّراسات الاستشراقيّة التي مازالت باقية ومستمرة أيضًا لم تتوقف، وأنا ضدّ نظريّة أنَّ الآخر يتعلّم اللّغة العربيّة لأجل تشويه الإسلام من الدّاخل، فسوء النّية لا يصل إلى هذه الدّرجة لكي يقضي عمره في دراسة لغة ليست سهلة، أي أنَّها بالنّسبة للأجانب لغة صعبة، فلها تراكيبها ونظامها وكتابتها المختلفة عن اللّغات اللّاتينيّة واللّغات الأخرى.

وهناك صعوبات يواجهها النّاطق بغير العربيّة، وقد وضعتُ بحثًا في تحليل الأخطاء اللّغويّة للطّلبة الصّينيين لأجل وضع مناهج تناسبهم، وأحيانًا المعوّقات من اللّغة العربيّة نفسها كأسلوب الكتابة، ومخارج الحروف مثل الحاء والهاء، ومعوّقات من اللّغة الأمّ الّتي يتحدّث بها الدّارس للعربيّة، تُعوّق تعلّم لغة أخرى، حيث تجعل الطّالب يُخطئ.

ومن متطلبات الوحدة في الجنس البشري وجود لغة مشتركة، حيث تشكل لغة التّفاهم بين الجميع، وقد لا يحتاج الإنسان إلى لغة، فمثلًا نجد أطفالًا من خلفيات مختلفة يجتمعون ويتفاهمون ويلعبون وهم لا يفهمون لغات بعضهم بعضًا، بيد أنَّ اللّغة أساس يَختصر هذا التّفاهم، وأنا أشجّع على وجود لغة

عالميّة يتكلّمها الجميع، ولغة خاصّة في حدود الوطن أو الجنس أو الدّين، فوجود لغة مشتركة يحلّ العديد من المشاكل المترتبة من سوء الفهم، فالطّفل يتعلم من الصّغر لغته القوميّة، ثمّ يتعلم اللّغة العالميّة المتّفق عليها، ولا يتعلمها كلغة ثانويّة؛ بل كلغة أصليّة منذ نعومة أظفاره، ولمّا يكبر ستكون لغته الثّانويّة كلغته الأمّ تمامًا، وهذه اللغة حاليًّا هي اللّغة الإنجليزيّة تقريبًا.

ففي العالم العربي والإسلامي مثلًا توجد لغات ولهجات مختلفة، إلا أنَّ اللّغة العربيّة الفصحى وحّدت التّفاهم إلى حدّ ما، وفي الصّين مثلًا توجد ست وخمسون قوميّة، لها خلفيات ولغات مختلفة، ولمّا بدأت جمهوريّة الصّين الشّعبيّة قررت أنْ تُدَرّس اللّغة الصّينيّة الفصحى (الماندرينيّة) في جميع المدارس في كل مناطق الصّين، إضافة إلى لغة الطّفل القومية الخاصّة به، فأصبح وجود تفاهم واتّحاد بين جميع هذه القوميات، وفي الماضي كانت الكتابة واحدة، لكنّهم لا يفهمون معنى الكلمات، وكانت الجدّة مثلًا لا تفهم حفيدها؛ لأنّه يتكلم بالفصحى وهي لا تفهم الفصحى، ولكن هذه المشكلة انتهت تقريبًا في الصّين.

وسابقًا ارتبط انتشار اللّغة بالقوّة الاقتصاديّة والاستعماريّة، واللّغة الإنجليزيّة اليوم لغة التّكولنوجيا والاقتصاد، فأصبح حتّى الفرنسيون والإيطاليون والإسبان مضطرين إلى تعلم هذه اللّغة، ولو خُيِّرت في اختيار لغة عالمية فإنّني أرى – من وجهة نظري – أنَّ اللّغة الوافية الكافية هي اللّغة العربيّة، لكونها لغة غنيّة بالمفردات، تحتوي على جميع المكونات لكي تكون لغة عالميّة، ولا أقول هذا تعصُّبًا منّي لكون العربيّة لغتي الأمّ، بل من خلال

دراساتي وأبحاثي، وقد قضيت عُمرًا طويلًا في الخليج والدّول العربيّة والصّين وأروبا، ووجدتها لغة غنيّة، وليس هذا رأيي فقط؛ بل هو رأي الكثير من الكتّاب والباحثين.

وأنا اليوم أتأسّف أنْ أجد الشّباب العربي يضع مصطلحات أو مفردات إنجليزيّة أثناء التّحدث بالعربيّة، مع أنَّ وافية وكافية، وأنا عشتُ أكثر من أربعين سنة خارج الوطن العربي، إلا أنّني أحاول دائمًا أنْ أتحدَّث بالعربيّة كاملة، ولا أمزج بين الإنجليزيّة والعربيّة مثلًا، ومعروف اللّغات تتطور، فاللّاتينيّة خرج منها العديد من اللّغات، والعربيّة قوّتها في مكوّناتها وأسلوبها (وهي متطوّرة أيضًا)، وسهلة التّطوير والتّبسيط والتّطويع، وأنا ضدّ الكتابة بالعاميّة، فهذا إماتة للغة وتضييع لها ولجمالها، أمّا استخدامها في الحديث فلا بأس في ذلك.

وأمّا الجانب الجمالي فلكل لغة جمالها، وجميع اللّغات لها خصوصيات ومشتركات جمالية، والّذي لا يتكلم لغة الآخر قد لا يشعر بالجمال الموجود في تلك اللّغة، واللّغة الإنجليزيّة مثلًا فيها جمال وأدب ورقيّ أيضًا، ولا تجوز المقارنة بين لغة وأخرى، فلكلّ لغة خصوصياتها.

وفي اللّغة الإنجليزيّة عمومًا العديد من المفردات التي أُخذت من العربيّة، وهذا مُثبت في القواميس الإنجليزيّة، كما أنَّ العديد من المفردات في الإنجليزيّة أضيفت الآن إلى العربيّة، وثلث اللّغة الإسبانيّة أخذت من العربيّة.

وفي الختام تقول الدّكتوره: رسالتي للجميع أنْ نحافظ على هذه اللّغة الجميلة، وأنْ نتحدّث بها دائمًا، وأنْ نفتخر بها، وهي اللّغة السّادسة من لغات الأمم المتحدة.

وبعد تسجيل الحلقة ذهبنا إلى المشي أنا والأستاذ بيان النّوري بصحبة الأستاذ محمود روحاني، حيث يوجد ممشى تجاري جميل ومنظّم قريب الفندق من الجهة الأخرى، فيه ممشى طويل مزود بالكراسي للجلوس ودورات مياه، مع محلّات عديدة ومطاعم، وذهبت هناك إلى مكتبة كبيرة من طابقين تشبه في خدماتها مكتبة جرير، أغلب كتبها باللّغة الإنجليزيّة، كذلك ذهبنا إلى أحد المطاعم، وتناولنا العَشاء في مطعم للوجبات السّريعة، ثمّ ذهبنا إلى محل الآيس كريم، حيث يُصنع بالفانيلا، وكأنَّه طحين خبز وضع في صحن مستدير، والفارق هنا أنَّ الصّحن بارد جدًّا، ويستخدم العامل أدوات طبخ الخبز ذاتها، فالّذي يراه من بعيد يتصوّره يطبخ خبزًا، ثمّ يُقطِّعه إلى قطع مستطيلة، وبعدها يلفها على شكل دائري في كوب الآيس كريم، وهذا الشّاب في بداية العشرين، وأصله من إيران، وسألَنا هل حضرتم للمؤتمر، قلتُ له: نعم، قال: يوجد بعد أسبوع ذات المؤتمر ولكنّه بالفارسيّة وأنا أحضُره، وأُخبرت أنّ المؤتمر بالفارسيّة يحضره عدد كبير يتجاوز ألفي شخص.

ثمّ بعدها رجعنا إلى الفندق، وحضرنا عرض فيلم «محبس»، وكما جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا: فيلم سوري لبناني يعود إلى عام 2017م من إخراج صوفي بطرس، يناقش قضيّة الصّراع السّياسي بين لبنان وسوريا وأثره على الواقع الاجتماعي سلبًا، متمثلًا في أم لبنانيّة تحمل كرها للسّوريين بسبب فقدان أخيها نتيجة الوِصاية السّوريّة على لبنان، فهو يغرس قيمة التّسامح، ويطرح إشكاليّة التّعصب والكراهيّة ورفض الآخر من خلال محاكاة الواقع السّوري اللّبناني.

وبعد الفيلم رجعنا إلى النُّزُل، لنستعدَّ ليوم جديد ولليوم الأخير من المؤتمر، وتسجيل حلقة مع الأستاذ بارازان باران رشيد حول تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني كما سنرى.

- **اليوم الأخير من المؤتمر وتسجيل حلقة حول تجربة كردستان العراق في التعايش الدّيني ثمّ الرّجوع إلى تكساس**

في صباح يوم الأحد في الخامس والعشرين من أغسطس(آب) أتممنا إجراءات الخروج THECK OUT في نُزل MOTRL 6، ثمّ ذهبنا إلى فندق المؤتمر للفطور، وقبل بداية جدول عمل اليوم الأخير من المؤتمر طلبت من الأستاذ بارازان باران رشيد تسجيل حلقة يوتيوبيّة حواريّة حول تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني، في برنامج حوارات الحلقة السّابعة والخمسين، في السّاعة التّاسعة صباحًا، وبُثت على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة يوم الثّلاثاء السّابع والعشرين من أغسطس(آب)

وفيما سبق تمّت ترجمة الأستاذ بارازان باران، وما حدث بيننا من تواصل حتّى اليوم، وهو شخصيّة وحدويّة كثير التّواضع، وعظيم المعرفة، وكردستان العراق كما رأينا في الرّحلة الشّيكاغيّة فيها ثماني ديانات، فضلًا عن الطّرق الصّوفيّة، والتّوجّهات المعاصرة، وبينها تعايش كبير، لهذا أردنا توثيق هذه التّجربة من العالم العربي.

في البداية تحدّث الأستاذ بارازان باران عن أنَّ كردستان العراق جزء من الحكومة العراقيّة المركزيّة، وهو أيضًا إقليم خاصٌّ له حكومة خاصّة، وبرلمان ورئاسة إقليم خاصّة أيضًا، وعدد سكان كردستان العراق حوالي خمسة ملايين نسمة، خمسة وتسعون بالمئة منهم - وقيل سبعة وتسعون بالمئة حسب مصادر أخرى- من المسلمين، وأغلب هؤلاء على الفقه الشّافعيّ، وفيه الطّرق الصّوفية المتنوّعة أشهرها النّقشبنديّة والقادريّة، والنّاس هناك بطبيعتها متصوّفة، منهم من لديه شيخ أو طريقة، ومنهم من يحمل تصوّفًا داخليًّا بعيدًا عن الطّرق.

وفيه مكوّنات أخرى من الزّرادشتيين والمسيحيين والصّابئة المندائيّة والكاكائيين والإيزيديين والبهائيين والقليل من اليهود، كما يوجد العِرق التّركماني من النّازحين إلى أربيل بعد حرب داعش من بغداد والفلوجة والأنبار والمناطق السّنيّة بشكل عام، وأعدادهم كبيرة.

وعاصمة كردستان العراق أربيل، ويتكون من أربع محافظات: محافظة كركوك وهي مُتنازَع عليها دوليًّا، وتشمل مكوّنات دينيّة وعِرقيّة متنوعة من العرب والكُرد والتّركمان، ومن الشّيعة والسّنة والكاكائيّة، ثمّ محافظة أربيل وهي كما أسلفنا عاصمة كردستان العراق، ومحافظة السّليمانيّة، ومحافظة دهوك.

واللّغة الرّسميّة في الأقليم عمومًا اللّغة الكرديّة، كما توجد مدارس باللّغات الأخرى كالعربيّة والفارسيّة والتّركيّة والإنجليزيّة، ويوجد تداخل كبير في المفردات بين العربيّة والكُرديّة، خصوصًا أنَّ أغلب المدارس من الستينيّات

حتّى بداية التّسعينيات من القرن العشرين كانت باللّغة العربيّة، (وهو ما أدّى إلى تداخل كبير في المفردات بين اللّغتين)، وبعد انتفاضة شعب كردستان أصبح التّعليم باللّغة الكرديّة.

ولغة الخطابة في المساجد عمومًا اللّغة الكرديّة، ولكن عند بعض المساجد الّتي يكثر فيها النّازحون يكون فيها نصف الخطبة بالعربيّة، ونصفها الآخر بالكرديّة، والخُطب في الإقليم مكتوبة من قبل وزارة الأوقاف، حيث فيها لجنة خاصّة لخُطب الجمعة، وفي كلّ جمعة ثلاثة عناوين للخطيب حريّة اختيار المناسب منها له وللجامع، وله حقُّ الإضافة على الخطبة المكتوبة في إطار العنوان، وتركز الخُطبة على القواسم والعنوانات المشتركة بين أفراد المجتمع كالإنسان والسّلم والصّدق ونحوها، شريطة ألّا تكون بعيدة عن واقع النّاس؛ لأنَّ الخطبة تجسّد هذا الواقع.

وللفتوى في كردستان العراق لجنة خاصّة تابعة لاتّحاد علماء المسلمين الكردستاني، وفي داخل الاتّحاد لجنة إفتاء كردستان، والفتوى لا تكون فرديّة وإنّما بشكل جماعي حيث يتجاوز عدد المفتين عشرين مفتيًا من كبار العلماء والمجتهدين.

وكانت وزارة الأوقاف في الإقليم في بداية التّسعينيات تعرف باسم وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، ثمّ تحوّلت إلى وزارة الأوقاف والشّؤون الدّينيّة، لتشمل الأديان الأخرى، وكان للمسيحيّة فرع خاص في الوزارة، وفي عام 2011م افتُتحت فيها مديريتان: مديريّة الشّؤون المسيحيّة، ومديريّة الشّؤون الإيزيديّة، وفي عام 2013م افتتحت مديريّة خاصّة لشؤون الأديان،

مُسجل فيها ثمانية أديان رسميّة، تتضمن هذه المديريّة مجموعة من المديريات على التّسلسل التّالي: المديريّة العامّة لشؤون المسلمين، والمديريّة العامّة لشؤون المسيحيين، والمديريّة العامّة لشؤون الإيزيديين، وتوجد فيها ممثليات لباقي الأديان المتبقية؛ لأنّ أعداد أتباعها قليلة جدًّا في الإقليم.

وتعتبر الدّيانة الإيزيديّة الدّيانة الثّانية بعد الإسلام في الإقليم؛ لأنَّ أغلب المسيحيين بعد حرب داعش هاجروا إلى خارج العراق، وقد كانوا يمثلون الديانة الثّانية بعد المسلمين من حيث العدد.

وأمّا مع التّيارات المعاصرة الخارجة عن الأديان كالرّبوبيّة واللّاأدريّة؛ فالشّعب الكردي متسامح في داخله، ويتعايش مع الآخر، مهما كان توجهه العقدي.

ومع هذا توجد أصوات نشاز تدعو إلى كراهيّة الآخر، ونتخوّف منها كأي مجتمع آخر متعايش، إلا أنّ أصحابها قلّة لا يتقبلهم الشّعب الكردي، حيث اعتاد من داخله على التّعايش والتّسامح، خاصّة أنَّ النّاس - كما أسلفنا- بفطرتهم متصوّفة، والتّصوف يدعو إلى المحبّة والتّعايش مع الآخر، لهذا نعيش حالة من الاطمئنان والتّفاؤل.

وبعد تسجيل هذا اللّقاء السّريع حضرنا ورقة الأستاذة سويدا معاني يوبنغ، وهي محامية متخصّصة في القانون الدّولي، ومديرة مؤسسة السّلام والحكم العالمي، وكانت ورقتها في التّاسعة والنّصف صباحًا بعنوان: الحلول المبدئيّة للمشاكل العالميّة، وأدارت الجلسة الأستاذة هند التّميمي.

وقالت الأستاذة سويدا معاني يوبنغ: إنّ العالم يعاني من أزمات متجدّدة وبشكل مستمر كالإبادة الجماعيّة، والتّغيير المناخي وتهديده لحياة النّباتات والحيوانات والبشر، إذ هناك مليون صِنْف من النّباتات مهدّد بالانقراض، فضلًا عن الأوبئة وتهديداتها، والأزمات المالية، والهولوكست النّووي، ومشكلة اللّاجئين والتّشرد والفقر، والتّعامل مع هذا الأزمات يكون عن طريق النّفعيّة يزيدها ضررًا تحت مسميات كالوطنيّة والأنانيّة والانعزاليّة والتّحيزات الفئويّة.

فعلى سبيل المثال: القرار الذي اتخذته حكومة الإكوادور لاستدانة أموال كبيرة من الصّين لبناء سدّ يُلبّي احتياجات الدّولة من الطّاقة، وبالتّالي تخفيف درجة الفقر بين السّكان، ولكن الإكوادور لم تنتبه وكذلك الصّين أثناء التّوقيع أنَّ السّدَّ بُني أسفل منطقة بركانيّة، وبعد عامين من انتهاء بنائه حدث للسّد تصدّعات تجاوزت سبعة آلاف تصدّع، ممّا جعله غير فعّال، ولم يسهم في حلّ مشكلة الفقر بل زاد من معدّله، فلم تستطع الإكوادور سداد الدّين المترتّب عليها مع الصّين، واحتفظت الصّين اليوم بقيمة ثمانين بالمائة من صادرات الإكوادور من النّفط.

والمثال الثّاني القرار الّذي اتخذته اليابان بعد كارثة هورشيما النّوويّة، ورغبة منها في تخفيف الهلع والقلق الّذي أُصيب به اليابانيون بعد هذه الحادثة وعَدت اليابان بإغلاق تسع وثلاثين من أصل أربع وخمسين محطة للطّاقة النّوويّة، ووفرت ثلاثين بالمائة من الكهرباء عن طريقها، وهذا ما جعلها تبحث عن وسائل بديلة للطّاقة، فهي ثالث مستهلك للكهرباء بعد الصّين وأمريكا،

ولكونها لا تملك المصادر الطّبيعيّة للطّاقة كالنّفط والغاز بدأت تستورد ذلك من الخارج، ولكن هذا أسهم بشكل أكبر في الانحباس الحراري الّذي يهدد الحياة البشريّة اليوم، فكانت اليابان نموذجًا في دفع ذلك إلى أنْ أصبحت جزءًا من المشكلة.

والسّؤال: ما الحل بدل النّفعيّة؟ إنَّ الحلَّ وجود منهج عالميٍّ جديد مبنيٍّ على تأسيس مبادئ مشتركة للعلاقات الدّوليّة، أيْ تحتَ مسمّى الأخلاقيّات العالميّة المشتركة، وأهمُّ هذه المبادئ وحدة الشّعوب والدّول، وهذا يَنبني على أنَّ منفعة الجزء (الدّولة) لا تتحقق إلا بمنفعة الكل (جميع الدّول)، وينبني أيضًا على أنَّ الوطنيّة غير المقيّدة أصبحت من الماضي، أي الوطنية القائمة على مصلحة دولة معينة بعيدًا عن مصلحة الدّول الأخرى، ويتضح هذا مثلًا من التّوزيع غير العادل للثّروات الطّبيعيّة، فنجد من الدّول الّتي تملك هذه الثّروات تمنع الدّول الأخرى من الاستفادة لكونها تملك الموقع الجغرافيّ، وهذا يعني أنَّه لابدّ من تحقيق المساواة والعدالة المتمثلة في حكومة وطنيّة عالميّة عليها أنْ تجعل جميع الشّعوب والدّول تستفيد من هذه الثّروات، وهذه الحكومة الوطنيّة الواحدة منتخبة ديمقراطيًّا من جميع الدّول، همّها مصلحة العالم أجمع بعيدًا عن الأحادية، ولابدّ من حلّ أزمة الفيتو الّتي جُعِلَت لخمس دول فقط من أصل مئة وثلاثة وتسعين دولة، حيث يملك أعضاؤها سلطة غير عادلة فيما يتعلَّق بالدّول الأخرى، فالفيتو يجسّد النّفعيّة السّلبيّة واستخدامها بشكل متكرر.

وتحدّثت أنّ اللّجوء إلى القوة لا يستخدم إلا في حالة تحقيق العدالة فقط، فعلى الدّول أنْ تتنازل في استخدام القوة في العلاقات الدّولية، وتكون لأجل منفعة جميع الدّول وليس لهيمنة دول معينة يدعمها حقُّ الفيتو أو المصالح النّفعيّة السّلبيّة.

ثمّ كانت جلسة الاستراحة، وبعدها حلقة النّقاش بإدارة الأستاذ عمرو حسني، ثمّ تأمُّلات المشاركين وكلمة خِتام المؤتمر، وبعدها ودعْنا الجميع، ولكون الأستاذ بيان مرتبطًا قمتُ بجولة مشي طويلة في المنطقة مع الغداء، وفي العصر انطلقنا من شيكاغو متوجّهين إلى تكساس، وشاركَنا الرّجوع الأستاذ بارازان باران، ورجوْنا أن يشاركَنا الأستاذ محمود روحاني أيضًا لكنَّه اعتذر بسبب الطّيران والمغادرة مع رغبته في المشاركة، وعمومًا استفدنا كثيرًا من الأستاذ بارزان، وكان بيننا حديث طويل حول جوانب فكريّة ودينيّة اختصر لنا الطّريق، لنصل دالاس قُبيل المغرب يوم الإثنين في السّادس والعشرين من أغسطس(آب)، لنستعدَّ لزيارة الأستاذ توم مور، وتسجيل حلقة حول التّناسخ وعالم الأرواح كما سنرى.

• تسجيل حلقة حول التناسخ وعالم الأرواح

رأينا سابقًا أنّنا وصلْنا دالاس يوم الإثنين في السّادس والعشرين من أغسطس(آب) مساء، فأخذَنا نومُ التّعب، إلا أنّه كان عندنا صباح الثّلاثاء في السّابع والعشرين موعد في السّاعة التّاسعة صباحًا في منطقة بلينو مع الأستاذ توم مور حول التّناسخ وعالم الأرواح، فذهبنا والتّعب يصاحبنا.

والأستاذ مور مؤلف لثلاثة كتب: Firest Contact، وThe Gentle Way، وAtlantis and Lemuria، وفي أمريكا توجد حريَّات حتّى للأفكار الّتي نراها شاذَّة، وهناك عجائب التّناقضات، فمن أقصى العلمويّة الماديّة، الّتي لا تؤمن إلا بالماديّة التّجريبيّة إلى أقصى عالم الخيال والخرافة، ولهذا أحبْنا التّعرف على شيء من هذا العالم الثّاني، فكما نجد النّاس يُقْبلون على العلوم الأولى ولا يتجاوزونها، نجد أيضًا أنَّ هناك من يؤمن بالعالم الثّاني، ويَتَقَبَّل أيّ شيء يُشبِع حاجاته الرّوحيّة، ونجدها مرتعًا للتّكسب في الكثير من الأحيان، وهذا ما وجده الأستاذ توم مور، حيث لقي إقبالًا شديدًا لدرجة أنَّ صفحته الشّهريّة الّتي يدعمها في المجلات تحولت إلى أسبوعيّة لكثرة الطّلب.

وصلنا إلى منزله في منطقة بلينو في دالاس قرب التّاسعة صباحًا، ووجدناه قد أعدّ لنا إضاءات التّصوير، وتصوّر في البداية أنَّ لديّ كاميرات وأجهزة وطاقم إعلامي، فتعجَّب من أنَّني أصوّر بهاتفي فقط، وقلت له الغاية هي المعرفة وتكفي عن طريق الهاتف، ومع ذلك سُرَّ كثيرًا، ونشر منشورًا في صفحته على الفيس بوك يشكر فيه هذا العمل، وأبدى سعادته في أنْ يسمع له أشخاص مِن العالم العربي، إلا أنَّه كتب عنّي أنّي من عَمّان في الأردن، ولعلّه تصوَّر عَمّان عاصمة الأردن، وكثيرًا ما يحدث هذا الخلط.

وكان بيننا حديث طويل قبل التّسجيل، حيث سجَّلنا ضمن برنامج حوارات الحلقة الثّامنة والخمسين في العاشرة صباحًا، وبُثت يوم الإثنين الثّاني من سبتمبر (أيلول) على قناة (أُنس) اليوتيوبيّة.

في البداية بيّن أنَّ كُتُبه قريبة من الأديان، ولا تخالفها أوتناقضها، ولكنْ كلّما خرجنا من الأديان إلى الكون؛ نجد حقيقة ذلك بشكل أكبر، ولهذا لمّا كتبت أفكاري، وجدت هنا قبولًا كبيرًا لها من قبل المهتمّين بالجانب الرّوحاني، وقد تواصلْتُ مع الملائكة، وكتبْت أول كُتبي الطّريقة المحترمة The Gentle Way.

وقد كنتُ تاجرًا فسمعتُ نداءً أنْ أكتب هذه الكتب، فاعتذرت بداية لشغلي بالتّجارة، إلا أنَّني قررت كتابة كتابي الأول بعد تسعين يومًا، وبعد ثلاث سنوات وجدت أنَّ ما كتبته كان أكثر انتشارًا عندنا، وكَثُر الاتّصال مع النّاس، وحصلت على شهادات خصوصًا ممّن يعملون في القطاع الصّحّي، وتُرجمت كتبي إلى اليونانيّة والإسبانيّة والألمانيّة، والآن كتابي الأول صوتيًّا باللّغة الإنجليزيّة.

ولمّا كنتُ أختلي مع نفسي وأدعو، ولمّا كنت أتواصل مع الملائكة؛ توصلت إلى أنَّ للكون إلهًا، ولكن عندنا أيضًا ملايين الأكوان، وليس كونًا واحدًا، ولكلّ كون إله، ولهذه الملايين من الآلهة فوقها إله واحد، وأرى خالق هذا الكون هو من أقوى وأذكى الخمسة الأوائل من الآلهة، وأرى الّذي يؤمن بهذا أو يؤمن بإله واحد أو حتّى الّذي يُنكِر هو في النّهاية لا يخرج عن دائرة الاعتقاد والإيمان بشيء ما إثباتًا أو نَفْيًا.

ونحن لدينا أرواح قويّة، لهذا نستطيع التّواصل مع الملائكة، فيوجد من خمسة آلاف إلى مليون من الملائكة في العالم، والملائكة الّتي تواصلت معهم من كِبار السّن من الأرواح القديمة، لهم لون ذهبيّ، وهم متطوّعون لخدمة العالم، وعندهم آلاف الأرواح، والمَلَك الّذي جاءني قال: اختر اسمًا لك، ففكرت في الأمر، حيث قلت: أختار إمّا توم أو ثيو، فقال لي: توم اسمك،

فاختر ثيو، وهو اسم يوناني، فاخترت هذا الاسم، ولم أكن أعرف معناه، وبعد فترة كنتُ في الكنيسة المعمدانيّة سألوني: هل تعرف اللّغة اليونانيّة؟ فقلت: لا.

وكما يُوجد ملائكة فإنَّه يوجد أرواح كاملة، وهذه تُشرف على الأرواح غير الكاملة كأرواح النّبات والحيوانات والإنسان، وأنا متواصل مع روح كاملة على شكل امرأة اسمها جايا، وهذه المرأة متواصلة مع أربعة ملايين من الأرواح في العالم خصوصًا من الحيوانات.

والهندوسيّة من أقدم الدّيانات، وفيها النّاس العاديون تحوّلوا إلى آلهة، (وعندهم عقيدة التّناسخ)، وفي نظري أنَّ الأرواح تنتقل من رحلة إلى أخرى؛ فلا استبعد أنْ تنتقل من عالم الحيوان إلى عالم الإنسان، فأنا أَصْلي نَمِر، ثمّ تطوّرتُ، ورجوع الرّوح مرة أخرى يجعلها تكتسب صفة السّرعة والقوّة والذّكاء، فتندمج هذه الأرواح بعضها مع بعضٍ لتصبح كقوّة الخالق، وبالتّالي فالخالق الّذي أكبر منها يُعطى وظيفة أخرى.

وكنتُ أرى في البداية توقف أدوار التّحول، ولكن تبيَّن لي أنّها حالة مستمرة تتشكَّل في مجموعات لها اهتمامات مختلفة، وهي معقدة جدًّا؛ لأنَّ الكون مُعَقّد بطبيعته، وعندنا اثنا عشر وقتًا؛ واثنتا عشرة مرحلة أيضًا، أَصْعَبها المراحل الأولى، وأسهلها المراحل الأخيرة، وأنا في المرحلة الأولى والثّانية تعرّضتُ لسَكْتة قلبيّة؛ لأنّي كنت في الجيش، والجنود لهم أُسَر، وتأثرتُ كثيرًا بقَتْلهم، فأُصبْتُ بهذه السّكتة القلبيّة، ولهذا أدعو يوميًّا في الصّباح لمَنْ ظلمتُهم ماديًّا أو معنويًّا، وأرجو السّعادة للبَشَر، وقال المَلاك: ينبغي أن يدعو النّاس بمثل دعائي، ولمّا كنت امرأة تزوجتُ وطلقت في المرحلة الثّالثة والرّابعة، وفي

المرحلة الخامسة إلى الثّامنة كنت جنديًّا، ولم أشارك في حرب فيتنام، وإنّما ذهبت إلى كوريا، ومن التاسعة إلى الثانية عشرة أصبحتُ كاتبًا.

والرّوح عبارة عن طاقة، والسائد في الأديان عندما نُتوفى نرجع إلى عالم الآخرة، ولكنَّني أرى أنَّنا نذهب إلى عالَم آخر لتحضير الأرواح في شكل آخر في الحياة، وأنا عشْتُ آلاف السّنين قبل هذا الكوكب، وسيأتي زمن أرجع فيه مرة أخرى إلى كوكبٍ تسعون بالمائة منه ماء، وعشرة بالمائة منه يابِسةٌ، وسأكون من البرمائيّات، كما سأرجع مرة أخرى بعد ثلاثة آلاف سنة أيضًا على شكل امرأة فضائيّة، وقد أرجع إلى الماضي إلى عام ستمئة، وأعتنق ديانة الجمايقي، وأصلها من أثيوبيا، وكذلك الدّيانة العلميّة الّتي أسّسها ال رول هايبر، وأكون زوجته الثّانية، وكلا الدّيانتين لم أعتنقهما سابقًا، ولمّا وُلدتُ في اليونان سنة ثلاثة وستين قبل الميلاد كنت باسم شخص علميّ مشهور، كما عِشْت في زمن المسيح كأمّ ليوحنا، وعند المسيح ثلاثة أضعاف من الأرواح العاديّة، ولا اتصوّر الرّوح القدس هو الخالق.

وأرى أنَّ الإنسان يُولد من ستمئة إلى ثلاثمئة مرة في تشكل مختلف في دينه وجنسه وعرقه، وتوجد منطقة خلف المخ حسب العلماء تقوم بعمل واحد، لكن في الحقيقة لها قدرة في التّواصل مع جميع الأشياء، وبعد النّوم العميق يقوم بطرح الأسئلة.

وتوجد أربع طاقات لا نعرفها، والبشر منذ تسعة آلاف سنة حاولوا اكتشاف هذه الطّاقات، ونحتاج إلى مئات السّنين لاكتشافها، وتوجد عمومًا أربع طاقات سلبيّة، وعشر طاقات إيجابيّة، وأراد الخالق أنْ تكون الطّاقة الإيجابيّة خارج الكون، والطّاقات السّلبيّة تدمّر البشريّة، وقد فعلتْ ذلك مرّتين سابقًا،

مرة في اليابان عن طريق القنابل الهيدروجينيّة، ومرة دمَّرت قارة في المحيط الهادي، ولن يحدث ذلك مستقبلًا، لهذا في المستقبل ستتضاءل الحروب.

وقد بدأتُ أكتبُ أسئلة النّاس في الصّحافة، وأنشرها بشكل شهري من عام 2007م وحتّى يومنا هذا، ومع الإقبال الكبير جعلتها بشكل أسبوعي، ونشرت العديد من الصّفحات.

وبعد اللّقاء ودعْنا الأستاذ توم مور، ثمّ ذهبت إلى مول نورث بارك للغداء، ولأقوم ببرمجة للحلقة، وكذلك لكوني أراجع كتاب (الجمال الصّوتي) كما أسلفت، ولابدّ من إرساله إلى الجمعيّة العُمانيّة للكُتّاب والأدباء، ولنستعدّ ليوم جديد مزدحم أيضًا، حيث نسجّل حلقتين حول واقع المسلمين في أمريكا مع الدّاعية الشّهير عُمّر سليمان، وحول الكنيسة المعمدانيّة مع القس مايك جريد كما سنرى.

• تسجيل حلقتين حول واقع المسلمين في أمريكا وحول الكنيسة المعمدانيّة

في صباح الأربعاء في الثّامن والعشرين من أغسطس(آب) ذهبنا إلى مدينة أرفينج في تكساس، وهي تَبْعد عن النُّزل حوالي خمس وعشرين دقيقة، وفيها زُرنا مؤسسة (يقين) للإبحاث والدّراسات الإسلاميّة، ومع المؤسس ورئيسها الدّاعية الشّهير في أمريكا الدّكتور عُمَر سليمان، وهو من أصل فلسطينيّ، حيث وصلنا قرب التّاسعة صباحًا، وبحثنا قليلًا عن المؤسسة حتّى اهتدينا إليها، وهي في الطّابق العلوي، ورحب بنا الدّكتور عُمر سليمان، لنسجل معه حلقة يوتيوبيّة عن واقع المسلمين في أمريكا ضمن برنامج (حوارات)، الحلقة

التّاسعة والخمسين في العاشرة صباحًا، وبُثت يوم الخميس في التّاسع والعشرين من أغسطس(آب) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية قال: إنَّ الهدف من هذه المؤسسة هو إعادة صياغة الخطاب الفكريّ والدّيني تحت مظلّة القرآن والسّنة والآثار وفق المنظومة الإسلاميّة؛ لأنَّ العديد من المتشدّدين يُفسّرون هذه المنظومة تفسيرًا خاطئًا، وننطلق من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: 24 – 25)، ونحن كما نُدَرّس هذه المنظومة في جوّها التّقليدي؛ فنحن أيضًا نُدَرّسها في ضوء الوحدة الإنسانيّة، لنعمّق الصّفات الحسنة منها، كما في حديث: «خَيرُ النّاسِ أَنْفَعُهُمْ للنّاسِ»، فنقدّم المنفعة العامّة على المنفعة الشّخصيّة، وهذه المنفعة مرتبطة بالإنسان على اختلاف دينه وجنسه وهوّيّته.

وغاية المؤسسة التّنقل من مرحلة الشّك إلى الإيمان ثمّ اليقين، ولهذا سُمِّيت مؤسسة (يَقين)، والمؤسسة ليست مقتصرة على ولاية تكساس أو أمريكا فقط، بل نُعد مشروعنا للعالم أجمع، ونستقبل جميع الأفراد مهما كان عددهم ولو قلّ في أماكن أخرى، ولدينا مناهج مخصّصة في هذا، وعملنا ينطلق من قوله تعالى في وصف نبيّه محمّد ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: 107)، فهو رحمة للعالم أجمع.

والمتشدّدون عمومًا يُعطون صورة سيِّئة عن الإسلام، حيث يقفون شكليّا مع النّصوص، ويتشدّدون في أمور واسعة، لهذا نحن نُظْهر دائمًا أنَّ الإسلام دين محبّة وسلام، ونحثُّ على الانفتاح على الآخر، ولهذا نجد في هذه

المؤسسة احترامًا كبيرًا من الحاخامات والقساوسة وغيرهم؛ لأنَّها تعطي صورة حسنة عن الإسلام وروحه.

وفي الرّواية عن النّبيّ ﷺ: «سألتُ ربي ثلاثًا، فأعطاني اثنتين، ومَنَعني واحدة، سألت ربّي ألّا يُهلِك أمّتي بالسَّنَة فأعطانيها، وسألته ألّا يُهلك أمّتي بالغَرَق فأعطانيها، وسألته ألَّا يجعل بأسهم بينهم فمَنَعنيها»، ويُجسّد هذا قوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الأنفال:46)، وفي هذا دعوة إلى عدم الفرقة والاختلاف.

وأكبر الاختلافات بين التّيارات الإسلاميّة في أمريكا شخصيّة أكثر منها مذهبيّة، كما يتعلّق بطريقة الخُطبة والخَطابة مثلًا، مع الاتّفاق على الغاية، وللمسلمين هنا لقاءات مستمرة، خصوصًا في المدرسة السّنيّة، كما يوجد لقاءات بين السّنة والشّيعة، ومؤسّستنا تُعمّق الأُلفة والوحدة بين المسلمين أيضًا، كما تُعمّق ذلك مع الأديان والتّوجهات الإنسانيّة الأخرى، ومع غير الدّينيين والرّبوبيين أيضًا، ونتعاون جميعًا بلا تفريق في العمل الاجتماعي، وفي مساعدة الفقراء والمشردين.

وفي نظري الشّخصي أنَّ العِلمانيّة واللّبراليّة قادت إلى العديد من المشاكل كمشاكل الحربين العالميتين الأولى والثّانية، وهذه الحرب ليست بسبب الأديان، وقد راح ضحيتها أكثر من مئتين وخمسين مليون قتيل وجريح ومشرد، فضلًا عن خراب الشّعوب، وهكذا إذا جئنا إلى التّخلف في العالم الإسلامي مثلًا؛ فهو ليس بسبب الإسلام، بل إنَّ العلمانيّة الغربيّة أحيانًا يهمّها

أن تبقي العالم الإسلامي متخلفًا وتسعى إلى خرابه، للاستفادة من خيرات شّعوبه.

وقد أسهم الإسلام طوال التّاريخ في الجوانب العلميّة كالطّب والأدوية والهندسة والفيزياء، وكما ساهم الإسلام في الماضي؛ فهو قادر على المساهمة في الحاضر، ومؤسستنا تقوم ببيان ذلك، وبِردّ الشّبهات والإساءات التي تُوجَّه للإسلام، مع تقديم الإسلام الصّحيح أيضًا (وليس المشوّه من الدّاخل).

وأنا أرى أنَّ الظّلم والطّغيان واحد، جاء من قِبل العِلمانيين أو من قِبل أصحاب الأديان، فإذا أردنا محاربة الظّلم والطّغيان علينا أنْ نحاربهما من جميع الجوانب، لا أنْ نجعل الأديان الضّحيّة دائمًا. ومن باب ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (إبراهيم: 7) أجد حال المسلمين في أمريكا أفضل من حالهم في العديد من الدّول الإسلاميّة من حيث الحريّات، ويتجسّد هذا في حديث النّبيّ ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء»، والشّخص هنا يُمْكن أن يُبدي رأيه بكل حريّة حتّى في القضايا السّياسيّة، فضلًا عن القضايا الدّينيّة والمذهبيّة، وأنا كأمريكي - وإن كنتُ مسلمًا من أصول عربيّة - لي الحريّة الكاملة في نقد الحكومة الأمريكيّة وسياساتها، ولي الحق في تقديم الآراء والمقترحات، كما لنا الحريّة الكاملة في ممارسة الشّعائر والطّقوس.

نحن نعيش هنا مع العنصريّة ضدّ الأديان عمومًا من داخلها، وليس الإسلام فقط، فهناك من يمارس العنف والتّفجير ضدّ دور العبادة باسم الأديان، ونحن نناصر المستضعفين في كلّ مكان، في فلسطين وكشمير وبورما وغيرها.

وأنا أجلس شخصيًّا مع مُعتنقي جميع الأديان في أمريكا كإنسان مسلم، لا أتشكل من دين لآخر، وقد عُورضت من قبل بعضهم من باب ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة: 42)، لكني أنا أُجسّد القُرآن، فأجلس وأتحاور واحترم الجميع، وبهذا أمَر القرآن الكريم: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ (آل عمران: 64)، فنحن ننطلق جميعًا من أشياء متوافقة، ونعيش في مجتمع واحد، وهناك قضايا مجتمعيّة تهمّنا جميعًا، مثل قضايا الفقر والمشردين، وإذا جئنا إلى حلف الفُضول قبل البعثة نجد أنَّ النّبيّ – ﷺ - تعاون مع المشركين في المبادئ الكبرى في تحقيق المنفعة بين النّاس جميعًا.

وأنا أيضًا أقتدي بالإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ) عندما زاره قسيس في مرض موته، ردًّا للجميل الّذي قدّمه هذا الإمام لغيره من البشر، وإن كانوا غير مسلمين، وأنا شخصيًّا شاركت في فيلم وضعت فكرته بنفسي مع قسيس مسيحي، والفيلم بعنوان: شيخ وقسيس وحلم، والحلم أي المحبة والألفة والتّعاون بين الجميع، ووقفَتْ داعش ضدّي، واتّهمتني بالرِّدة، وأنزلوا عليّ قوله تعالى: ﴿**وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ**﴾ (التّوبة/ 12).

وفي ختام اللّقاء بيّن محبّته لعُمان، وأنَّه زارها أكثر من مرة، ولمّا كان ساكنًا في الشّارقة زار عُمان أكثر من مرّة، فهو يزور مسقط مرتين في السّنة، ويزور خريف صَلالة، وهو مُعْجَب بأخلاق أهل عُمان.

بعد هذا ودَّعْنا الدّكتور عُمر سليمان لنتَّجه إلى منطقة رويل في دالاس، حيث عندنا موعد مع الكنيسة المعمدانيّة، أي المذهب البروتستانتي الكالفِني المعمداني، والمعمدانيّة تعود إلى عام 1609م في إنجلترا إلى جون سميث وتوماس هلويز.

وصلْنا الكنيسة في السّاعة الواحدة ظهرًا، واستقبلَنا القِس مايك جريج، وهو القائم في الكنيسة، وهو رجل أنيق مبتسم، استقبلنا بترحيب كبير، وعرّفنا على الكنيسة، وهي تُشبه الكنيسة المشيخيّة، ولا يوجد فيها تصاوير، وخيَّرنا في أيّ مكان نحبّ التّصوير، فاخترنا داخل الكنيسة أسفل المحراب، فسجَّلنا معه حلقة حواريّة يوتيوبيّة حول الكنيسة المعمدانيّة ضمن برنامج (حوارات) من الحلقة ستين في الثّانية ظهرًا، وبُثت يوم الأربعاء في الرّابع من سبتمبر(أيلول) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية تحدّث أنّ جون سميث وتوماس هلويز عاشا قريبًا من فترة جان كالفِن (ت 1564م)، ثمّ جاء روجر وليامز (ت 1683م)، وهو أمريكيّ نشر المعمدانيّة في أمريكا، وله مكانة كبيرة في الكنائس المعمدانيّة في أمريكا بشكل خاصّ.

وفكرة جون سميث وتوماس هلويز أنَّ التّعميد يكون بعد البلوغ؛ لأنّ الشّخص عندنا له ولادتان: الولادة الأولى ولادة الخروج إلى هذه الحياة، والولادة الثّانية الإيمان والدّخول في المسيحيّة، وهذا يتطلب أنْ يكون حرًّا في دخوله في المسيحيّة، لهذا يكون التّعميد بعد البلوغ.

وعادة تكون أسماء الكنائس المعمدانيّة حسب الشّوارع الّتي توجد فيها، وأحيانًا تعطى أسماء روحانيّة كالأمل والإيمان والمحبّة، وكل كنيسة معمدانيّة

مستقلَّة، فليست تجارة تحت اتّحاد واحد؛ بل لكلٍّ استقلاليته، ولكلّ كنيسة حرّيتها في طقوسها وبرامجها، وهكذا في التّرانيم والموسيقى، فبعضهم يحبّذ الموسيقى العصريّة، وبعضهم يحبّذ الموسيقى الكلاسيكيّة، وأنا أحبّذ الكلاسيكيّة؛ لأنَّها تتوافق مع الجوّ الروحانيّ، ومن أراد العصريّة يجدها في أماكن خارج الكنيسة كالسّينما والمهرجانات.

ومع الاتّفاق بين الكنائس المعمدانيّة في التّعميد وقُدّاس الأحد من حيث الخبز والخمر؛ إلا أنَّها تختلف في طريقة ذلك، فمثلًا في التّعميد اختلفوا في سنّ المعمّد، وهل يُرَشّ عليه الماء أو يُغطس فيه، وإذا مات الطّفل ولم يُعمَّد فهل هو في الجنّة أم لا؟، وأنا قلتُ لا قيمة لهذا الاختلاف، ولا ينبغي الالتفات إليه، وكذا اللّباس عند القِساوسة وطريقته يختلف من كنيسة معمدانيّة إلى أخرى.

ولا توجد عندنا – كأغلب البروتستانت – فكرة الأسرار السّبعة، فقط نركز على المَعموديّة والعَشاء الأخير، وتختلف الكنائس في وضع الخبز والخمر، وبعض الكنائس تجعله في الأعلى أي في طاولة القربان، وبعض الكنائس توزعه على المؤمنين، وأنا أرى أنَّ هذا رمزي، ولا أؤمن بالتّجسد الحقيقي إلى جسد ودم، وإنّما هو يعطي جانبًا رمزيًّا روحانيّا ليصل إلى درجة الخلاص.

ولمّا دخل قسطنطين (ت 337م) المسيحيّة خصوصًا، وفي الدّولة الرّومانيّة المسيحيّة عمومًا ظهرت خلافات عديدة، سبقها خلافات مع الآريوسيين والنّسطوريين، ثمّ بَيْن الأرثوذوكس والكاثوليك، ونحن البروتستانت لا علاقة لنا بهذه الخلافات، ولا نهتمّ بها كثيرًا، وليس لدينا فكرة الكهنوت أو البابا في المعمدانيّة.

وفكرة الكاثوليك الّتي تتمثّل في وجود واسطة بين الله وبين النّاس عن طريق الكهنوت أو البابا، فلمّا جاء مارتن لوثر (ت 1546) نقض فكرة الواسطة، فالإنسان حرّ في اختياره، وهذا ما تبناه جون سميث[1]، وما يؤديه القس في الكنيسة أداء وظيفيّ وتنظيميّ لا أكثر.

ويوجد في المعمدانيّة يمينيّون أرثوذوكس، ويساريّون ليبراليون، ويوجد وسط بينهما، فاليمينيون الأرثوذوكس يأخذون بجميع ما في الكتاب المقدّس، ويعتبرونه أصلًا لفهم حياة الإنسان، عكس اليساريّين اللّبراليين وكذلك الوسط فيرون في الكتاب المقدّس ما هو ليس صحيحًا، وهم يهتمون بحياة المسيح وتجسيدها (روحانيّا) في حياة النّاس.

ونحن نعتقد أنَّ للمسيح طبيعة الإله والبشر معًا، والجدل حول الأقانيم الثّلاثة تجد طريقها أحيانًا في الكنيسة المعمدانيّة، وأنا أرى شخصيًّا أنَّ الأَوْلى عدم الاهتمام بها، فليس المهم الجدليات حولها، ولكنَّ المهمّ كيف وصل الله إلينا من خلال هذه الأقانيم الثّلاثة المتجسدة في رسالته إلينا.

ونحن لا نؤمن بسُلطة الكتاب المقدّس، نعم بعض المعمدانيين يؤمنون بها، ويطبّقونها حرفيًّا، فهناك تعاليم في الكتاب المقدس لا تتوافق مع عصرنا، فلا ينبغي الأخذ بها، وعندنا فصل كامل للدّين عن السّياسة، والغاية من ذلك حتّى لا تتدخل السّياسة في الدّين، وهذا ما وجدناه مثلًا في الأنجليكانيّة تدخّلت السّياسة في الدّين، وكنيستنا تهتمّ بالإحياء الرّوحي، ولا علاقة لها بما

(1) جاء في الموسوعة العالميّة ويكيبيديا أنَّ هناك من المعمدانيين «مَنْ آمن... بالجبريّة، متأثرين بالإيمان الكالفِني».

في السّياسة، ومن هنا يأتي مفهوم حريّة الضّمير، أي أنَّ كلّ شخص حرّ في اعتقاده واختياره.

وفي الختام شجعنا على هذا العمل الّذي أقوم به، والتّعرف على الآخر، مبينًّا وجوب التّعرف والاستماع للآخر، وأنْ نتعلّم منه، وهكذا كان السّيد المسيح عليه السّلام.

ثمّ ودّعْنا القِس مايك جريج، والأصل أنَّه كان عندنا موعد آخر مع المذهب الإسماعيلي من المسلمين الشّيعة[1]، إلا أنَّه لم يصلنا يومها ردّ بتوكيد الموعد، مع موافقتهم سلفًا لفكرة اللّقاء والتّسجيل، وهنا ذهبت إلى مول نورث بارك للغداء، ولأقوم ببرمجة للحلقتين، ثمّ نعود إلى النُّزُل، لنستعدّ للذّهاب إلى ولاية لوبوك - تكساس في ضيافة الأستاذ سعيد السّلماني، وتسجيل حلقة حول الواقع الإفتائي في أمريكا مع الأستاذ سامر الطّباع كما سنرى.

• الذّهاب إلى لوبوك في تكساس وتسجيل حلقة حول الواقع الإفتائي في أمريكا

كان الأصل يوم الخميس، في التّاسع والعشرين من أغسطس(آب) موعد رجوعي إلى عُمان، ولمّا عَلِم الأستاذ سعيد السّلماني بوجودي في تكساس ألحَّ عليَّ أنْ أزوره، وكان الجدول مزدحمًا ومُعدًّا مسبقًا، فأجّلت العودة ليومين آخرين، وأنا أعرف الأستاذ سعيد منذ قرابة خمس عشرة سنة، فقد عملنا معًا في الوعظ في وزارة الأوقاف، ووجدته رجلًا فاضلًا متواضعًا، وعالمًا باحثًا يتقبّل الآخر وإنْ اختلف عنه، وهو في أمريكا مرتبط بدراسة زوجه، وتعليم أولاده،

(1) نرجو تسجيل ذلك في مشاريع أخرى ضمن حلقات إضاءة قلم.

وهو يواصل دراساته العليا في الجامعة الإسلاميّة في ماليزيا، ويسكن في مدينة لوبوك في تكساس، وهي تَبْعد عن دالاس أكثر من ساعتين ونصف، وهي مدينة ريفيّة في الشّكل العام، وهادئة عكس دالاس، ورأيت فيها المزارع والحيوانات الرّيفيّة.

خرجنا بعد الفجر، ووصلنا منزل الأستاذ سعيد قرب التّاسعة والنّصف، ورأيتُه ينتظرنا، وقد أعدّ لنا الفطور العُماني، وأخذَنا حديثٌ طويلٌ عن عُمان وذكريات الماضي، مع حديث في جوانب فكريّة وفقهيّة مختلفة.

ثمّ شَرُفْنا في منزل الأستاذ سعيد بفضيلة الشّيخ سامر الطّباع، وهو من مواليد سوريّة، ورحل إلى أمريكا منذ عشرين عامًا، وهو الآن إمام مسجد لوبوك، وعضو لجنة الإفتاء في ولاية تكساس وفي أمريكا عمومًا، طلبت منه تسجيل حلقة يوتيوبيّة حول الواقع الإفتائي في أمريكا، فلم يتردّد، فسجلتُ معه في الحادية عشرة صباحًا ضمن برنامج (حوارات) الحلقة الواحدة والسّتين، وهي آخر حلقة يوتيوبيّة سجَّلتها في هذه الرّحلة، وبُثَّت يوم الأربعاء في الرّابع من سبتمبر (أيلول) على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة.

في البداية قال الشّيح الطّبّاع: إنَّ موضوع الفتوى في أمريكا من الأمور الشّائكة، ولهذا أسّستْ مؤسسة خاصّة للفتوى في أمريكا سُمّيت بفقهاء الشّريعة في شمال أمريكا، ولها موقع خاص على شبكة الأنترنت، مع هاتف خاصّ للمُستفتين، ولاختلاف مذاهب المسلمين في أمريكا فليسوا جميع يستقون الفتوى من هذه المؤسسة، لهذا توجد مؤسسات أخرى أيضًا تابعة لجمعيّات ومنظّمات مختلفة، وهناك من المسلمين أيضًا من يَطمئنّ لعلماء المسلمين في المشرق، أو في بلده حسب مذهبه، وهناك من يستفتي الإمام في

مسجده، أو في أقرب مسجد إليه، ولهذا يوجد تنوع كبير في الإفتاء وما يَنْتج عنه من تنوع في الفتاوى حتّى في المسألة الواحدة، وتنوع الفتاوى رحمة للأمّة، وفيه ثراء وتوسعة على النّاس، ورفع للمشقة، فالفتوى الواحدة تَحدُث بها مشقة على النّاس، وتعطي للنّاس مساحة من النّظر والاطمئنان الفرديّ.

وللأسف حتّى على مستوى المؤسسات الإفتائيّة في أمريكا لا يوجد اتّحاد أو حتّى تواصل كبير، أغلبها فقط تواصل على شكل علاقات طبيعيّة لا أكثر، لا علاقات تعامل وعمل منظّم.

ولا تقتصر مؤسسة الافتاء على مذهب واحد، وتتكون من لجنة من أربعة إلى خمسة فقهاء، (لهم مكنتهم في الشّريعة)، والرّموز الإفتائيّة في الجملة في أمريكا ليس شخوصًا وإنَّما مؤسسات له رمزيتها، مع وجود أشخاص لهم رمزيتهم الإفتائيّة والدّعويّة، وقبل الإفتاء يتدارسون الفتوى، ثمّ يخرجون بفتوى مناسبة للسّائل، وإذا كانت الفتوى تحتاج إلى آراء وبحث أكبر؛ تؤجل إلى اجتماع سَنَويّ، ويحضرُها حوالي ثلاثمئة إمام وفقيه، يُناقشون هذه الفتاوى المؤجلة، ويخرجون بفتوى متّفَق عليها، وليس بالضرورة أنْ يتوافق عليها الجميع؛ وإنّما حسب رأي الأغلبيّة.

وبالنّسبة لاستيراد الفتوى من الشّرق فأنا أرى أنَّ لكلّ فتوى حكم يختلف عن الفتوى الأخرى، فبعض الفتاوى لا يمكن استيرادها؛ لأنَّنا نعيش في مجتمع يختلف عن الشّرق، وله طبيعته الخاصّة، له نُظُمه وعاداته الخاصّة به، فيحتاج إلى أخذ رأي ممّن عاش في هذا البلد، ويعرف طبيعته، ولكنَّ هذا لا يعني الانغلاق عن المشرق، فالمشرق له علماؤه ورموزه الكبيرة، وهو أصل الشّريعة والفقه.

قلتُ: (شاع في فقه الأقليات أو فقه المغتربين عند آخرين تقديم المقاصد والمصالح في الغرب على ظاهر النّصوص، بحُكم اختلاف طبيعة المكان، وكثر الاستدلال بقاعدة: المشقة تجلب التّيسير، والأمر إذا ضاق اتّسع، وإذا اتّسع ضاق، فمثلًا قضيّة الأطعمة، والأحكام المالية)، فعقّب الطّباع: أوافقك الرّأي، فهناك أحكام لو كانت في الشّرق الإسلامي لكانت أسهل في الحكم، بينما هنا تُحدث مشقة على المسلمين، فمثلًا في التّعاملات المالية يوجد اتّجاه لا يؤيّده كثير من الفقهاء، بينما أيّده آخرون، كشراء المنازل على أقساط، فهنا من الصّعب شراء المنزل دفعة واحدة، ولابدّ من أنْ تدخل في القرض الّذي يجرّ منفعة، فأجيزَ هنا من باب الضّرورة ورفع المشقة عن النّاس.

وبالنّسبة للأطعمة فنحن نعيش في مجتمع كِتابي، فإذا سألت أيّ إنسان أمريكي عن إيمانه، سيقول لك: أنا أؤمن بالله والمسيح والإنجيل والجنّة والنّار، ولكن العديد منهم لا يُمارس تعاليم دينه، ولكن الممارسة شيء، والاعتقاد شيء آخر، فهذا لا يُخرجهم عن مسيحيتهم، فالنّاس هنا مسيحيون متعصّبون لها، فلا تمشي في شارع إلا وتجد فيه أكثر من كنيسة، وترى آثار ذلك في المدارس وأماكن العمل أيضًا، ولكنَّ قضيّة الأطعمة هنا ليس لكونهم من أهل الكتاب أم لا، وإنّما الخلاف في التّسمية، فهل لحِليّة الذّبح لابدّ من التّسمية قبله، وكذلك هل يذبحونه ذبحًا أم عن طريق الصّعق الكهربائي، وأنا مع عموم قوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ**﴾ (المائدة: 5)، دون البحث والتّشدد في الجوانب الأخرى، ونحن زرنا المسالخ وأماكن الذّبح فوجدناهم يذبحون، والقانون هنا يمنع بيع الحيوان الميت وأكل لحمه؛ لفساد دمه.

وأمّا قضيّة رؤية الهلال القمري؛ المتعارف عليه في الشّرق الإسلامي؛ فهو يرجع إلى الدّولة، وهي الّتي تُقرر ثُبوته من عدمه، أمّا في أمريكا فتوجد مؤسسات لها رؤيتها المختلفة، وأشهرها في أمريكا أربعة آراء، فعندنا مؤسسات تعتمد على الحساب الفلكي فقط، ومؤسسات ترى بوحدة المطالع إذا رؤي في بلد إسلامي يأخذون به[1]، ومؤسسات ترى اختلاف المطالع، فكلّ بلد رؤيته، ومؤسسات تتبع أم القرى أي السّعوديّة، وهذا رأي ضعيف جدًّا في أمريكا، هذا على مستوى المؤسسات، كما يوجد على مستوى الأفراد من يتّبع بلده (أو مرجعيّته الدّينيّة كما عند الشّيعة الإماميّة)، وأمّا في مؤسستنا الفقهيّة فيرون وحدة المطالع، فإذا ثبتت رؤيته في أيّ بلد إسلامي اعتمدوا عليه، وشرْطه أنْ يكون سابقًا لأمريكا، وأنْ لا يتعارض مع الحساب الفلكي إذا ثَبَتتْ استحالة الرّؤية في هذا البلد، أمّا في مسجد لوبوك، والعديد من المساجد فيأخذون بالحساب الفلكي، لكونه أسهل على النّاس، خصوصًا الموظف في أمريكا الذي لابدّ من تحديد يوم إجازته، فلا يمكن أنْ تخيّر صاحب العمل بأنّك تريد الإجازة يوم كذا أو يوم كذا.

وأمّا ساعات الصّيام في أمريكا فمتوسطة إلى العالية قليلًا، فنصوم تقريبًا سبع عشرة ساعة، لهذا لا يسبب الصّوم حرجًا على النّاس، بيد أنّه إذا وجدت مشقة في العمل بسبب الصّيام، وعندما يكون رمضان في الصّيف، وبعض

(1) هنا يوجد خلاف هل إذا رؤي في أي بلد في العالم يؤخذ به، أم يشترط في ذلك شرط الاشتراك في جزء من اللّيل.

العمال يعمل في البناء في الخارج، أو يعمل في حقول نفطيّة، فله حرية الإفطار ابتداء، ويقضي في الشّتاء[1].

وأمّا الزّواج من غير الكتابيات كهندوسيّة أو بوذيّة أو ملحدة لا نتعرض له هنا؛ لأنَّ غالب الزّواج من أهل الكتاب بحكم المكان، ولا أذكر أنَّنا تَعرضْنا لمثل هذه الحالات، وأمّا عن فقه الأسرة فتوجد قوانين في أمريكا تُلزم الجميع، فمثلًا يمنع القانون الأمريكي تعدد الزّوجات.

وأمّا العمل في محلات فيها بيع للخمور، فهناك من المؤسسات الإفتائيّة عندنا من أجازها، وهناك من مَنَعها، وهناك من أجازها لشرط الضّرورة مثلًا، وعندنا أجيزت للضّرورة، فإذا لم يجد مكانًا آخر يعمل فيه، وهو مضطرّ لذلك، فلا حرج عليه.

وكما أسلفنا فللمسجد دور إفتائي، فالعديد من النّاس يستفتي إمام المسجد، وتختلف نوعيّة الفتوى حسب الإمام، أو مذهب المسجد، أو المؤسسة الإفتائيّة الّتي يرجع إليها المسجد.

والمساجد في أمريكا عمومًا ليست أماكن للصّلاة فحسب، فهي أيضًا مراكز تحوي أنشطة للعائلة والمجتمع، وأنشطة للأطفال والنّاشئين والشّباب، كما تشمل أنشطة تعليميّة وترفيهيّة ورياضيّة ودعويّة.

والمساجد هنا لها دور كبير في تحقيق التّعايش مع غير المسلمين، فهناك اجتماعات مع اليهود والنّصارى، ونتناقش في مواضيع عامّة تخدم الأديان

(1) ناقشت القضيّة في كتابي **أيام رمضان**، طبع مكتبة مسقط 2019م، وخلصت أنَّ عليه الفدية فقط دون القضاء، لظاهر قوله تعالى: ﴿**وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة/ 184].

والمجتمع، ونتعاون جميعًا في ذلك، وإذا حدث ضرر للمسلمين تجد الدّعم من غير المسلمين، وكذلك العكس إذا حدث ضرر لليهود والنّصارى أو غيرهم من الأديان، نقوم جميعًا بدعمهم، فعلى سبيل المثال فقد حدث قبل سنوات تفجير في كنيس يهودي في ولاية بنسيلفانيا، وقُتل بعض اليهود، وذهب مجموعة من مسجدنا إلى كنس لوبوك، مبيّنين لهم تضامننا معهم، وإنكارنا لمثل هذه الجرائم، ودعْمنا لهم، وكذلك لمّا حدث تفجير المسجد في فنزويلا ضدّ المسلمين؛ أتى العديد متضامنًا معنا من اليهود وغيرهم.

وكذلك كما يوجد هنا تعايش مع غير المسلمين؛ ويوجد تعايش أيضًا بين المسلمين أنفسهم، فلا ننظر إلى الحواجز المذهبيّة، سواء أكانت عقديّة أو فقهيّة، ففي مسجدنا سنّة وشيعة، وأنا شخصيًّا غدًا مسافر، وغدًا الجمعة، وسيخطُب نيابة عنّي صديقي الشّيعي، ومسجدُنا تابع لأهل السّنة، ومع هذا التّعايش بين المسلمين؛ لكنَّ سببه للأسف الحريّات في أمريكا، وإنْ كنت أرجو أنْ ينبع ذلك من داخل المجتمع المسلم، ولكنْ ليس على العموم، فهناك من يتقبّل لأنَّ دينه يأمره بذلك.

وفي الختام قال: أنا سعيد أن أجد مسلمًا، يقطع هذه الطّرق، ويجلس مع الآخر، ويستمع له، ولا يتعصّب لذاته ودينه ومذهبه، فوقت التّعصب تجاوزه الزّمن.

وبعد تسجيل الحلقة كان موعد الصّلاة فالغداء، وكما فطرنا الفطور العُماني؛ كان الغداء كذلك، ثمّ أطلْنا الحديث والحوار، وبعد الظُّهر رجعنا إلى دالاس، وكانت لديَّ ملابس أخذتها إلى محل غسيل الملابس، وهذه أول مرة أحملها، فهناك تقوم بغسلها وكيّها بنفسك، ولكن أصيبت آلة الغسيل بخلل،

ولأنّني أحتاج الملابس للرّجوع، وخشيت أنْ أتأخر عن المحلّ، إذْ يغلق السّادسة مساء، والسّيارة أصيبت بخلل، وهؤلاء لا يتقدّمون دقيقة في عملهم ولا يتأخّرون دقيقة، والحمد لله وصلنا قبل الغلق بأقل من خمس دقائق، لنعود إلى النُّزُل بعد جهد كبير، ونستعدّ ليوم آخر مع لقاء مع شهود يهوه، ثمّ الرّجوع إلى أرض الوطن، كما سنرى في الحلقة القادمة.

- **لقاء مع شهود يهوه والرّجوع إلى أرض الوطن**

في صباح يوم الجمعة في الثّلاثين من أغسطس(آب) كان لدينا موعد مع شهود يهوه، والتقينا بهم في ستار بكْس في بلينو، وأتى إلينا شابان أحدهما إيراني من أصول مسيحيّة أصبح من شهود يهوه، والثّاني أمريكي، وكما أسلفت في الرّحلة الشّيكاغيّة فهم يهتمون بهندامهم وجمال جسمهم ونظافته، وهم مرحون ومبتسمون، إلّا أنّهم لا يُحبّون أنْ تجادلهم نقديًّا، أو تعرض لهم دينك ومذهبك، يقبلون فقط أنْ تسألهم عن مذهبهم فيجيبون، ويرفضون التّسجيل الصّوتيّ أو المرئيّ، ولا يحضرون مكانًا لا يذكر فيه اسم «يهوه»، ويعتبرونه مكانًا للشّيطان، وكنت قد ناقشتهم فيما كتبته في الرّحلة الشّيكاغيّة عنهم، فأغلبه أقرّوه، والبعض كان لديهم ملحوظات وتحفُّظ، وكتبت ذلك في مذكرة، إلا أنّني فقدتها.

وأهدوني الكتاب المقدّس: ترجمة العالم الجديد، الكتاب الّذي يعتمده شهود يهوه للكتاب المقدّس، إلا أنّني لم أجد فيه تقسيم العهدين القديم والحديث، وكأنّه كتاب واحد، وجاء في مقدّمته: «الكتاب المقدّس كتاب أوحى به السّيد الرّب يهوه من أجل كلّ النّاس على هذه الأرض، ولهذا

الكتاب الموحى به جاذبيّة عالميّة؛ لأنَّه يحتوي على بِشارة ملكوت الله الّذي سيبثّ السّلام والبرّ، فتصير الأرض فِردوسًا للجميع، ويُظهر الكتاب المقدّس أنَّ الله خلّص بمحبّته عالم البشريّة الخاطئة من الموت، وذلك بواسطة ذبيحة ابنه يسوع المسيح الفدائيّة»، وهذا الكتاب ترجم عن الإنجليزيّة عام 1984م.

كما أهدوني منشورة «بِشارة من الله» باللّغة العربيّة، وفيها يركزون على فكرة البِشارة، وفيها يرون أنَّه «لم تنجح حكومة قطّ في إزالة العنف والمرض والموت، ولكنْ.... سيبدّل الله بعد فترة وجيزة كلّ الحكومات البشريّة بحكومته هو، وسينْعَم رعايا هذه الحكومة بالسّلام وتمام العافية»، حيث يرون وُجود حكومة سماويّة برئاسة المسيح، وبعدها تتحقّق بشارة تَحَقُّقِ الحكومة الأرضيّة مع السّماوية، وإسقاط الحكومات الأرضيّة، وفيها يعيشون بسلام، لهذا - فيما يبدو لي – أنَّهم لا يرون الحكومات المعاصرة حاليًّا، ولديهم نظرة سلبيّة حول النّشيد الوطني والعمل في الجيش، وبهذا يختلفون مع كنيسة الله القدير[1]، أو ما تسمّى بالبرق الشّرقي، وهي طائفة جديدة تنتسب إلى المسيحيّة ظهرت في الصّين عام 1991م، وهؤلاء يُقسّمون العصور إلى ثلاثة؛ عصر النّاموس: أي العهد القديم واسم الله فيه يهوه، وعصر النّعمة: أي ولادة المسيح والفداء، واسم الله فيه يسوع، وعصر الملكوت: الّذي بدأ بالبرق الشّرقي في الصّين، واسم الله فيه الله القدير، ولهم كتاب مقدّس: «الكلمة يظهر في الجسد»، أي أنَّ (يسوع المسيح) قد جاء في الجسد في عصر النّعمة.

(1) عسى أن نفصّل أكثر عن هذه الطّائفة في الحلقات المقبلة من (إضاءة قلم)، وقد تواصلتُ معهم، إلا أنَّهم فيما يبدو لا يرحّبون كذلك بالتّسجيل، ولهم نشاط كبير في وسائل التّواصل الاجتماعي .

وفي المنشور يرون أنَّه «لا يوجد أحد من البشر رأى الله لأنَّه روح، والرّوح شكل من أشكال الحياة، أسمى من المخلوقات الماديّة»، ويرَون التّعرف على الله من خلال مخلوقاته، ولله ألقاب كثيرة واسم واحد هو يهوه، وأمّا الله ويسوع فهما لقبان وليسا اسمين.

ويرَون أنَّ الأسفار الخمسة من الكتاب المقدّس كتبها موسى(ع) منذ ثلاثة آلاف وخمسمئة سنة، والسِّفر الأخير أي الرّؤيا كتبه يوحنّا منذ ألف وتسعمئة سنة، فالله نقل أفكاره إلى الكَتَبَة بواسطة الرّوح القدس، والكَتَبَة كتبوا أفكار الله لا أفكارهم، وبالتّالي فإنَّ يهوه هو مؤلف الكتاب المقدّس، والدّليل أنَّه كتاب يهوه النّبوءات المستقبليّة فيه والمتعذرة على أيّ إنسان، وهذه البلايين من النّسخ الّتي تُدوولَت قديمًا وحديثًا لا يوجد بينها تناقض، والمدار الّذي يدور عليه الكتاب المقدّس البِشارة بالحكومة الأرضيّة، وهي أرض الفردوس.

ويرَون حسب النّشرة أنَّ يسوع أول خليفة خُلِق مباشرة من يهوه، فدعي مولوده الوحيد، وعاش حياة روحانيّة في السّماء، وكان ناطقًا باسم الله فهو الكلمة، أرسله الله إلى رَحِم العذراء مريم، ليُحقّق مشيئة الفداء في الأرض، وهو الآن عن يمين الله، باسطًا سلطتة السّماويّة، وقريبًا يبسط سلطته الأرضيّة بعد معركة هَرْمَجدون، ويقود المعركة الملائكة، ويسجُن الشّيطان ألف سنة، ويحكم يسوع ألف سنة، ويحكم معه فريق يدعى القدّوسين، وهم رسل يسوع الأمناء، وعددهم مئة وأربعة وأربعون ألفًا، وسينجو شعب الله، وينتهي الألم والمرض والشّيخوخة من الأرض.

ويرَون أنَّ الإنسان ليس روحًا يعيش في جسم لحميّ، بل هو مخلوق مادي، فلمّا نموت لا يبقى أيّ جزء منّا حيًّا بعد الموت، فنكون في حالة عدم

وعي، لهذا لا يوجد نار وعذاب بعد حالة عدم الوعي، ولكن سيعود البشر إلى الحياة على الأرض وهي القيامة، والمقصّرون سيُعربون عن إيمانهم بيسوع، والصّالحون ينْعُمون بالحياة على الأرض إلى الأبد.

ويرون هناك دين واحد فقط، وهو الدّين الحقُّ الّذي يؤدي إلى الحياة الأبديّة، وقليل من يَجِدُه، وهناك أنبياء دجّالون يُفسدون المسيحيّة، وصفة الدّين الحقيقي الخضوع لمبادئ الكتاب المقدّس والإيمان به بصفته كلمة الله، وتكريم اسم الله يهوه، ويكرزون (أي يبلغون) بملكوت الله، وليسوا جزءًا من العالم الشّرير، كالصّراعات السّياسيّة والاجتماعيّة، ويحبّ بعضُهم بعضًا من الأعراق كافّة.

ويرون «أنَّ كلّ الأديان تضمّ أشخاصًا مخلصين.... ولكنَّ هناك من يستغلّ الدّين لتحقيق غاياته الشّريرة»، كالإرهاب، والإبادة الجماعيّة، والحروب، وستنقضي قريبًا جميع هذه الأديان، ويهوه لن ينسى الأشخاص المخلصين في الأديان الباطلة، وسيعلّمهم الحقّ.

ويرون أنَّ الله نظّم المنحدرين من إبراهيم، وجعلهم أمّة باسم إسرائيل، وجعلهم شهودًا له، ولمّا فقد إسرائيل رضا الله استعاض يهوه عنهم بالمسيحيين، وأمّا الآن هذا الرّضا يتمثّل في شهود يهوه، وهم من سيوحدوا جميع الأمم عن طريق الكرازة، وبدؤوا في سبعينيّات القرن التّاسع عشر في فريق صغير من تلاميذ الكتاب المقدّس، لتبدأ الكَرازَة بالملكوت على نطاق عالميّ، واليوم يطبَعون كُتبهم لأكثر من ستمائة لغة، وعندهم أكثر من مئة ألف جماعة حول العالم، وفيها رجال أكفاء كشيوخ روحيين.

كما أعطوني نشرة «من يفعلون: مشيئة يهوه اليوم»، والعدد الأول لعام 2019م من مجلتهم برج المراقبة، وكانت بعنوان: من هو الله؟، وبعد الجلوس مع شهود يهوه ذهبنا إلى مول نورث بارك، ثمّ استأذنتُ الأستاذ بيان نوري، وقمتُ بجولة في دالاس عن طريق سيارة أوبر.

وفي صباح يوم السّبت في الحادي والثّلاثين من أغسطس(آب) كان موعد رجوعنا إلى عُمان، فخرجنا الثّامنة صباحًا مِن النُّزُل في ويكوري ميدو، ثمّ ذهبنا إلى سوبر ماركت ول مارت لشراء بعض الأغراض، وفي الطّريق كان الشّارع شبه متوقف بسبب حادث سير، فتأخرنا حوالي ساعة وزيادة، ووصلنا إلى مطار دالاس فورت ورث الدّولي، وكان موقع الإقلاع عن طريق الطّيران الألماني في الثّالثة والنّصف مساء، وكان لدي وقت، فودعت بيان نوري، وشكرته على ما بذله من وقت ومال وتنسيق، فكان نِعْمَ الأخ، ونِعْمَ الصّديق المثقّف الخَلوق المتواضع، وما رأيته من أبيه وأمّه، وكأنّي فرد من عائلتهم، لم ينقطعوا عن الضّيافة والسّؤال، فلهم جزيل الثّواب.

ومن مطار دالاس إلى فرانكفورت في ألمانيا، ومنها إلى مسقط عن طريق الطّيران العُماني، لأصل مسقط صباح يوم الأحد الأول من سبتمبر(أيلول)، وأختم بذلك رحلة من أجمل رحلات العُمر، رأيت فيها الإنسان في أبهى صوره، والحضارة في أعظم تجلياتها، والمعرفة في أرقى بهائها، رأيت التّنوع الّذي يقود إلى البناء، لا إلى الشّقاق والنّزاع، ورأيت الدّولة الّتي لا تخاف من التّنوع والاختلاف، ورأيت القانون العادل بين الجميع، وقد أثبتُّ في هذه الرّحلة ما رأيت، وركزت على الإنسان من حيث التّعارف، وجعلت للقارئ مجال التّأمل والنّقد، لأختم كتابتها في مكتبتي في الموالح الجنوبيّة بولاية

السّيب؛ محافظة مسقط، في ظهيرة السّبت، الموافق للتّاسع من محرم 1443هـ/ الثّامن والعشرين من أغسطس(آب) 2021م، وبدأت كتابتها في منتصف يوليو(تموز) 2021م، حيث تأخرت في كتابتها لسبب كورونا، ولسبب فقدان مذكرتي، ولكنّني حاولت تذكُّر ما استطعت تذكره، والحمد لله على كلّ حال.

• ملحق (1) المذهب المسيحي الماروني مع الأب الدّكتور حنّا أسكندر من لبنان(1)

يقول الأب الجليل الدّكتور جميل إسكندر (حنّا إسكندر)[2]: نحن الموارنة من صلب النّسيج الشّرقي العربي، ونحن من السُّريان الغربيين، ولنا يد طولى في النّهضة العربيّة المعاصرة، ومنّا ظهر كتّاب كثيرون، ونحن كذلك أول من

(1) تمّ التّسجيل ضمن برنامج (حوارات) الحلقة السّادسة والتّسعين عن طريق برنامج ZOOM، يوم الأحد 22 شوال 1441هـ/ 14 يونيو 2020م، السّاعة العاشرة والنّصف مساء بتوقيت مسقط، وبُثت يوم الإثنين 23 يونيو 2020م على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة .

(2) الأب الدّكتور جميل إسكندر من لبنان، وهو من رموز المذهب الماروني في لبنان والشّرق عمومًا، وهو أستاذ تاريخ اللّغات القديمة في الجامعة اللّبنانيّة، وعضو مجلس الأبحاث في كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بجامعة القدّيس يوسف، له أطروحة دكتوراه حول مكاريوس سمعان المتحول [ت بعد 400م]، وكتاب القدّيس شربل [ت 1898م] كما شاهده معاصروه، وكتاب النّبيّ والتّرهّب، والمعموديّة من خلال نصوص القرآن، والجهاد بين الإسلام والمسيحيّة، وله عشرات المؤلفات والأبحاث والمقالات في اللّاهوت المسيحي واللّغات القديمة ومقارنة الأديان والحوار الإسلامي المسيحي، بجانب التّحقيقات العلميّة .

أدخل الطّباعة إلى الشّرق، وهي موجودة في الدّير، فنحن كنيسة صغيرة، لكنْ كان منّا رموز كبيرة كالقدّيس شربل (ت 1898م)، ومنا من هاجر إلى أوربا وأمريكا.

والقدّيس مارون (ت 410م) ليس له علاقة مباشرة بالموارنة، حيث تأسّست الكنيسة المارونيّة في أواخر القرن الثّامن الميلادي عندما دخل العرب أنطاكية، فانقطعت العلاقة مع بطريرك القسطنطينيّة؛ فاضطُرّ الموارنة إلى انتخاب الرّاهب يوحنّا مارون (ت 707م) أول بطريرك للكنيسة المارونيّة في أنطاكيا، واعتبَر الرّوم هذا انشقاقًا لخلافهم مع العرب، ومنها حدث صراع كبير بين الرّوم البيزنطيين والموارنة.

وبانتخاب يوحنّا مارون تأسّست الكنيسة المارونيّة، وسُمِّيت مارونيّة لأنَّ الحياة الرّهبانيّة كَثُرت في القرن الثّالث الميلادي، وقَويت أكثر في القرن الرّابع الميلادي، خصوصًا بعدما دخل قسطنطين (ت 337م) المسيحيّة وبدأ النّاس يتدفّقون إليها، وبدأت تدخل العادات الوثنيّة في المسيحيّة، لهذا نشطت الحياة الرّهبانيّة في مصر وسوريّة وإيران وتركيا وإيطاليا وغيرها، ومن بين هذه النّشاطات الرّهبانيّة كان نشاط القدّيس مارون، وقد عاش للرّهبانيّة زاهدًا متنسكًا، صنع المعجزات، وأحبّه النّاس، ولم يكن همّه تأسيس طائفة أو مذهب، وعلى جنبه تأسّست مدرسة لوستيّة يعيشون الإنجيل، وبعد وفاته تنازع النّاس وتقاتلوا حول من ينتزع جثمانه؛ لأنَّه بركة وصانع للمعجزات، فنشأت أديرة على اسم القدّيس مارون، من بينها دير على ضفاف نهر العاصي قرب حماة اليوم في سوريّة، وكان يوحنّا مارون رئيسًا له، وكان فيه ثمانمئة راهب، وكان رئيسه أسقفًا، ثمّ انتخِب بطريركًا، ومن هنا بدأ مصطلح الموارنة

نسبة إلى هذا الدّير الّذي سمّي تيمُّنًا باسم القدّيس مارون، وكان بين وفاة مارون وظهور المصطلح حوالي أربعمائة سنة.

والدّير ليس كنيسة، والكنيسة هي مجموعة أديرة، وإداريّا للكنيسة رأس وقلب وعامّة النّاس، فهناك كنائس بطريركيّة أي يرأسها بَطْرَك مثل كنيسة موسكو والأقباط والأرمن والسّريان، وهناك كنائس عند الأرثوذوكس مثلًا يرأسها أُسْقُفٌ، وهنا أتحدّث عن الكنيسة كجماعة وليس كبناء، وأصل معنى الكنيسة في السّريانيّة والعربيّة أي جماعة أو مجموعة من المؤمنين.

وفي القرآن جاء مصطلح البِيَع، والبَيْعَة هي الكنيسة لها قبّة دائريّة، وفي السّريانيّة البيعة يعني البيضة، أي أعلاها على شكل بيضة، وهنا بمعنى الكنيسة بالشّكل البنائي.

وبالنّسبة لعلاقة الموارنة بالكاثوليك توجد إشكاليّة عند المؤرخين الموارنة، فبعضهم يقول: إننا كنّا خارج الكنيسة الكاثولكيّة، ولكنَّ النّاظر في تاريخنا القديم يجد علاقة بين الموارنة والرّوم الكاثوليك من حيث الإيمان ابتداء، حيث حدث صراع بين المسيحيين في ماهيّة طبيعة المسيح بعد مَجْمَع خلقدونيّة سنة 451م، وأحدث هذا المجمع انشقاقًا كبيرًا، حيث انشقت أربع كنائس عن الكنيسة الرّسميّة: السُّريان، والأقباط المصريون، والأرمن، والأحباش، والسّبب اللّاهوتي في الانشقاق - وإن كنت أرى بدايته سياسيّة - هل للمسيح طبيعة لاهوتيّة وناسوتيّة، أم طبيعة لاهوتيّة فقط، فيرى الأقباط واللّاخلقدونيّة أنَّ للمسيح طبيعة لاهوتيّة فقط من حيث الأساس، بينما يرى الخَلْقدونيّون أنَّ للمسيح طبيعتين، وإلا فلا معنى للتّجسّد، وحاول الإمبراطور التّوفيق بين الفريقين، فقال: له طبيعتان ومشيئة واحدة، فازداد الانشقاق

والخلاف، والآن بعد دراسة موسّعة أصبح هناك محاولة للتّوفيق بين الفريقين، لأنَّ الخلاف لا يتعدّى الخلاف اللّفظي والمعنى نفسه.

وعمومًا فإنَّ هذه الكنائس الأرثوذوكسيّة مع الوقت، ومع الإرساليات الغربيّة بعد عصر النّهضة كالبوشيين والعذاريين والكرمليين واليسوعيين اتجهت إلى الشّرق، وحدث احتكاك مع الكنائس الشّرقيّة، فحدث انفصال، فانشقَّ فريق من الأقباط وتبع روما، وهكذا الحال مع السّريان والأرمن، ولكلّ كنيسة لغتها وطقوسها، ولكنها تتبع روما إداريًّا.

ويقول الكاثوليك: للمسيح طبيعتان ومشيئتان، وبمثله يقول الأرثوذوكس الرّوس واليونان وعموم أوروبا الشّرقيّة، على خلاف الأقباط والسّريان والأرمن والأحباش الذين يقولون بالطّبيعة والمشيئة الواحدة، والكنيسة المارونيّة تقول: إنَّ للمسيح طبيعتين ومشيئتين، واتُّهم الموارنة بأنَّهم يقولون: إنَّ له طبيعتين ومشيئة واحدة، ولكن هذا ليس صحيحًا.

وأصل المشكلة أنَّ هناك فرقًا بين مسيحيّة يهوديّة ونصرانيّة كانت ترفض ألوهيّة المسيح، لكنها اندثرت الآن، ولم يبقَ لها أثر، ولمّا جاء آريوس (ت 336م) قال: إذا كان الله واحدًا؛ فلا يمكن أنْ يكون المسيح هو الله، وتابَعَه الكثير من الأساقفة، وبعض الأباطرة الرّوم، وأصبح العديد معه، وعارضه البابا أثناسيوس (ت 373م) بابا الإسكندريّة الأقباط، وقال: إذا لم يتجسّد الله فأين الفداء؟، فلا معنى للفداء بدون تجسّد، لذا حُرّم آريوس، وطُرِدَ أتباعه إلى خارج الإمبراطوريّة الرّومانيّة، وبقي منهم مجموعة سَهَّلوا دخول العرب إلى الأندلس لاشتراكهم في واحديّة الخالق.

ثمّ ظهرت إشكاليّة السؤال: هل الله ثلاثة: الآب والابن والرّوح القدس، أم هو اثنان: الآب والابن؟ وفي مَجْمَع القسطنطينيّة عام 381م قرروا ألوهيّة الرّوح القدس، وفي القرآن: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ**﴾ (النّساء: 171)، ونحن نقول إنَّ لله كلمة، والكلمة هي المسيح، والرّوح القدس، ولهذا نقول: الآب والابن والرّوح القدس إله واحد في ثلاثة أقانيم.

ثمّ ظهرت إشكاليّة تتمثل في شخصيّة السيد المسيح، بما أنَّه إله متجسّد، فهل بقي كاملًا، أم صار إنسانًا أيضًا، فذهب بعضهم من الأقباط والأرمن والسُّريان والأحباش إلى أنَّه إله كامل، والطّبيعة البشريّة ذابت في الطّبيعة الإلهيّة كما تذوب قطرة الماء في البحر، فلا وجود للطّبيعة البشريّة، لكن مشكلة الفداء بقيت، فهو عاش معنا، وتشبَّه بنا، فإذا لم يكن إنسانًا كاملًا؛ فلا معنى أنْ يكون قدوة لنا، (لهذا قال الآخرون له طبيعتان)، واليوم حلّت هذه القضيّة، واعتُبر أنَّ الحق كان مع الأقباط؛ لكن التّعبير كان خاطئًا.

وأما حول جدليّة الرّوح القدس؛ فهل هي منبثقة من الآب والابن، أم من الآب فقط؟ ونحن نقول: هو منبثق من الآب، لكن القدّيس شارلمان (814م) في القرن التّاسع الميلادي قال: إنَّه منبثق من الآب والابن، فأضاف الابن، بينما في مجمع نِيقيّة عام 325م بيّنوا أنَّ الرّوح القدس منبثق من الآب فقط، وخالف شارلمان ذلك، ومشَت الكنيسة الغربيّة على رأي شارلمان، والآن يوجد نوع من المفاوضات استنادًا إلى إنجيل يوحنا أنَّه منبثق من الآب بالابن، وبهذا تُحَلُّ الإشكاليّة.

والخَلاص عندنا بالإيمان المشروط بالأعمال، ومن هنا يأتي الاعتراف، فهو قول وعمل، وهذا مبنيّ على حريّة اختيار الإنسان ذاته، يقول القدّيس أغسطينوس (ت 430م): «الله الّذي خلقك بدونك؛ لا يقدر أن يخلّصك بدونك»، فلابدّ من العمل والمجاهدة للوصول إلى الخلاص.

وصكوك الغفران تختلف عن سرّ الاعتراف، فعندما كان البابا يبني مبنى كنيسة القدّيس بطرس، وهي كنيسة ضخمة جدًّا، وكلفت أموالًا ضخمة، وكان البابا بحاجة إلى المال، فباع صكوك الغفران لبناء الكنيسة، وهذا هو المشهور، ولكنْ في نظري ليس هذا أصل المسألة، أصل المسألة سياسيّ بَحْت، فالبابا حينها ليس مجرد زعيم دينيّ فقط؛ بل كان زعيمًا سياسيًّا أيضًا، وهناك من الأمراء من يريد التّحررمن سلطته، فالخطأ هنا أنَّ الكنيسة دخلت في السّياسة، والسّياسة لا دين لها، فالسّياسي يقتل ويهجّر والله لا يرضى بذلك، ورجل الدّين عندما يصبح سياسيًّا يتصرف مثل السّياسي.

وسرّ الاعتراف موجود عند جميع المسيحيين بما فيهم البروتستانت، فعند البروتستانت يُعْتَرَف للرّب مباشرة، وسرّ الاعتراف عندنا لم يكن مثل اليوم في بدايته، وفي الرّسالة إلى العبرانيين مفادها بعدما تعرّف على الرّب، وأخطأ من جديد؛ لا مجال للغفران، وكان سابقًا لمّا يخطئ يضعونه على باب الكنيسة، ويدوسون رقبته لأنَّه أخطأ، فنَفَرَ كثير من النّاس من الخطيّة، ولم يعودوا إليها، ثمّ سهّلوا الأمر وأنشؤوا سرَّ الاعتراف بشكله الحالي، فهذه الصّورة ظرفيّة متأخرة، وأساس سرّ الاعتراف التّوبة مع الله، وبما أنَّ الكاهن له سلطة على الكنيسة، ويمثّل الله، فالاعتراف أمام الكاهن نوع من المصالحة بين الإنسان والله، والكاهن ليس مجرد إداري في الكنيسة؛ فهو أيضًا طبيب روحي.

والموارنة كغيرهم من الأرثوذوكس والكاثوليك يقولون بالأسرار السّبعة، سواء أكانوا خَلقدونيين أم لاخَلقدونيين، وصحيح أنَّ البروتستانت لا يقولون بسرّ الكهنوت؛ لكنْ لديهم المشيخة، وهي قريبة من سرّ الكهنوت، ومِنَ البروتستانت مَنْ يعتبر القُربان رمزًا وليس حقيقة.

وتفسير أنَّ الإنسان خُلِق على أَيْقُونة الرّبّ، وأَيْقُونة كلمة يونانيّة تعني صورة، ومنها (على صورة الله خَلَقَه، ذكَرًا وأُنثى خَلَقهم) (التّكوين: 1/ 27)، ونحن نقول كمسيحيين: إنَّنا لسنا فقط صورة الله؛ بل أولاد الله، وفي رسالة يوحنّا الأولى (3/ 1-2): «تأمَّلوا ما أعظم المحبّة الّتي أحبَّنا إيّاها الآب حتّى صرنا نُدعى أولاد الله، ونحن أولاده حقًّا، ولكنْ، بما أنَّ أهل العالم لا يعرفون الله، فهم لا يعرفوننا، أيّها الأحبّاء، نحن الآن أولاد الله، ولا نعلم حتّى الآن ماذا سنكون، لكنَّنا نعلم أنَّه متى ظهر المسيح، سنكون مثله، لأنَّنا سنراه عندئذ كما هو».

وجميع الكنائس المسيحيّة تتفق على الأناجيل الأربعة وعلى العهد الجديد والكتاب المقدّس، وأمّا الأناجيل الأخرى كَبرنابا ويهوذا وغيرها فهي غير قانونيّة، وتشبه الحديث عند المسلمين، وبما أنَّ القرآن هو الأساس للحديث، ومقدّم عليه، فإنْ وافقه قُبِل، وإلّا رُدَّ؛ لأنَّ الحديث جاء متأخّرًا، ونحن كذلك، الأناجيل الأربعة كتبت في القرن الأول الميلادي، وبعد ثلاثين سنة من وفاة عيسى، ومن كتبها عاصر المسيح، نعم كانت في البداية شهادات جُمِعَتْ، يُقال: إنَّ إنجيل مرقس دُوّن في سنة 60 إلى 70م، وتوجد أجزاء صغيرة من إنجيل متّى باليونانيّة في مصر إلى ما قبل 70م، أمّا الأناجيل الأخرى فمشكلتها أنَّها جعلت المسيح أشبه بسوبرمان، أمّا الأناجيل القانونيّة فصَوّرت المسيح إنسانًا عاديًّا، لهذا حدث التّعجب كيف لهذا الإنسان العادي أنْ يصنع هذه

المعجزات، لذا عندما استقرّ الوضع على ألوهيّته بعد القرن الثّاني الميلادي بدؤوا يصوّرونه من البداية أنَّه إنسان آخر مختلف، وحتّى في الأيقونات الشّرقيّة والغربيّة ترى المسيح مولودًا وهو شابّ، وهل هناك أحد يولد وهو شابّ، وقد أتى هذا التصوّر من الكتب المنحولة، بينما ورد في الأناجيل القانونيّة أنَّه تكلّم وهو في المهد، وكانت له مُعجزات، وهي معجزات خارقة غير طّبيعيّة.

وأمّا من حيث الفقه؛ فالمسيح لم يتدخّل في القضايا الفقهيّة والشّرعيّة، والمسيحيّة في بدايتها تركت الشّرائع للحُكْم المدنيّ، فالمسيحيّة في البداية ليست دولة، ولمّا دخلت في الدّولة وهنا تَدَاخَل الدّين مع الدّولة، وهنا دخلت الشّرائع الرّومانيّة إلى الشّريعة الكَنسيّة في الزّواج وغيره، كما تأثر التّشريع الكنسي أيضًا بالعهد القديم.

ولمّا فَتَحت الكنيسة الغربيّة مجال التّعليم استقبلتْ طلابنا من الشّرق، وبدأ التّمزّق بين الثّقافتين، وخصوصًا فيما يتعلّق بالطّقوس والصّلوات، فحدث التّأثر بالفكر الغربي، مع بقاء الجوهر.

وهناك فرق في الزّواج بين الرّاهب والكاهن، فالرّاهب فهو المترهّب والمبتعِد عن العالم متوحِّدًا، ويسكن في الدّير والبراري، فالزّواج يُبطل الرّهبنة، فمن أساس الرّاهب التّبتّل، ومنه قول امرئ القيس (ت 540م):

تُضيءُ الظّلامَ بالعِشاءِ كَأَنَّها منارةُ مُمْسَى راهبٍ مُتَبَتّلِ

أمّا الكاهن القائم بخدمة المجتمع في الكنيسة فله أنْ يتزوّج، وكثير من الكَهَنة في الشّرق متزوّجون، ولديهم عائلات، وأمّا في الغرب فقد اتّخذت الكنيسة الغربيّة قرارًا بعدم زواج الكاهن، وكان قبل ذلك مسموحًا عندهم، والآن

يدرسون موضوع زواجه، ونحن الموارنة كان جميع كهنتنا متزوجين قديمًا، ولمّا تأثرنا بالكنيسة الغربيّة أصبح عندنا أعضاء قسم من الكهنة غير متزوجين.

وعند الموارنة فرديّة في الرّأي، فلكلٍّ رأيه، مع مُشْتَرَكات عامّة، فنحن ثلاثة عشر كاهنًا في هذا الدّير، وأنّا شخصيًّا لي رأيي، خاصَّة أنَّ الكنيسة المارونيّة صغيرة لا تتحمل وجود تيارات كبرى فيها بقدر ما هي آراء فرديّة، نعم، توجد آراء وخلافات سياسيّة بين الموارنة كمجتمع، وهناك من يكتب ويفكر ويحمل رأيه وتوجهه، ولكنْ داخل الكنيسة يبقى الإيمان المشترك بين الجميع.

ونحن – كما أسلفتُ – سُريان وكانت جميع صلواتنا بالسّريانيّة، ولا زال البعض يصلّي بها، وعُرّبت الصّلوات على الوزن واللّحن نفسه، ليتمكن الجميع الصّلاة وفَهمها.

وأمّا موقفنا من الكنائس المعاصرة كشهود يهوه والمورمون وكنيسة الله القدير فهم كأشخاص نحبّهم، والله أوصانا بمحبّة الجميع، لكن معتقدهم يختلف عن معتقدنا المسيحي في أشياء جوهريّة، فمثلًا يقول بعضهم: إنَّ المسيح سوف يحكم الأرض لألف عام، أي هو مَلِك أرضي، ونحن نعتقد أنَّ السّماء هي الحياة الأبديّة، والعيش مع المسيح إلى الأبد، وهم يُنْكِرون الثّالوث، لهذا أرى أنَّهم أقرب إلى الفكر اليهودي منه الفكر المسيحي، وأرى نشأتهم سياسيّة أكثر منها دينيّة، ومدعومون سياسيًّا لمناهضة الكنيسة المسيحيّة.

وفي الختام لا بدّ من القول: إنَّ الكنيسة المارونيّة نجحت في تحقيق التّعايش والتّعارف في المجتمع العربي والشّرقي، وأنا أضرب هنا مثلًا بالقدّيس شَرْبِل، وقد كان راكعًا في الكنيسة، فدخل عليه أبٌ لزيارته، ووجده

باكيًا متحسّرًا، وكان القدّيس يومها في السّتينات من عمره، فتعجب الأب لماذا يبكي القدّيس شَرْبِل بهذه المرارة، فسأله عن سبب ذلك، فلم يجبه، وألحَّ عليه الأب ثانية ولم يجبه، وألحّ عليه ثالثة وقال له القدّيس: أجيبك بشرط ألّا تُخبر أحدًا إلا بعد وفاتي، توفي قريبًا منّا رجل من عَلْمان، وعَلْمان منطقة شيعيّة، وسقطت نفسه في جهنّم، فكان يحبّ النّاس جميعًا، وليس له أعداء، فقال له الأب: تبكي على إنسان مُسلم، وكلّهم هالكون، فلمّا خرج الأب سمع إطلاق رصاص، وعرف أنَّ رجلًا غنيًّا كان في أمريكا ظلم النّاس ثمّ توفي (مقتولًا)، وأدرك أنَّ القدّيس لم يكن يبكي لأنَّ شيعيًّا مات، فقد كان يحبّ الجميع، ولكنْ لأنَّ الميّت خالف تعاليم الله بظلمه واستخدامه المال استخداما سلبيًّا (حتى ولو كان مسيحيًّا الأمر واحد عند القدّيس).

وأخبرتني امرأة لبنانيّة سُنيّة من البِقاع، وكانت فقيرة جدًّا، وكان أبو زوجها يَحِنُّ عليها، وبنى لها كوخًا، ولمّا توفي شَمِت بها زوجها، وقال لها: ذلك الجبل الّذي كان يحميك سقط، وباع كلّ ما ورثه من أبيه، وترك عائلته في حالة يُرثى لها، وكان لديها خمسة أطفال، وطلب منها أبوها أنْ تتطلق وتترك له أولاده، لكنَّ قلب الأم متعلّق بأطفالها، فرفضت ذلك، وكان لديها بنت كبيرة، وعندها بنت أصغر منها وكانت مريضة، ولا يوجد لديها مال لأجل أخذها إلى الطّبيب، فذهبت إلى الطّبيب المجاني، وتركت أطفالها لخمس ساعات، وفي الشّتاء في البقاع برد قارس، ولا يوجد تدفئة، وفجأة دخل إلى بيتهم شيخ كبير في السّن، فخاف الأولاد، وذهب إلى المدفأة، وأشعلها بالزّيت، واجتمع حولها الأولاد للتّدفئة، ثمّ دخل إلى المطبخ وطبخ الرزّ بالحليب للأطفال، ثمّ أتى إليهم للتّعليم، حتّى جاءت الأمّ فخرج مسرعًا، فأخبر الأولاد أمّهم

بالقصّة، وسألتهم من قام بهذا؟ فأخبروها أنَّه شيخ، وبعد أسبوعين من الحدث ذهبوا إلى منطقة مختلطة بين المسيحيين والمسلمين لزيارة أحد أقاربها، وكانت صورة القدّيس شربل معلقة في أحد الأماكن، فقال أحد أطفالهم للأم: أمي هذا الشّيخ الّذي زارنا وعلّمنا.

هنا علينا أنْ نبعث رسالة الحبّ والتعايش والخدمة، وهذه رسالتنا نحن كموارنة، ورسالتنا جميعًا كشرقيين، وهي رسالتنا في العالم أجمع.

• ملحق (2) ديانة الصّابئة المندائيّة مع الدّكتور بهادر قيّم من إيران[1]

يقول الدّكتور الجليل بهادر قيّم[2]: الصّابئة المندائيُّون لهم ارتباط كبير بإيران، وهذا الارتباط له مميزاته وعوائقه، وبحثي في المندائيّة انطلق من ثلاثة مصادر رئيسة أولًا: البحث الشفوي، فقد حضرتُ طقوسهم واجتماعاتهم في المندي (مكان العبادة)، والثّاني: المصادر المقدّسة للطّائفة المندائيّة مثل كنزا ربا، وهو الكنز الكبير المتكوّن من قسمين: قسم اليمين وهو قسم التّوحيد، وقسم اليسار وهو قسم المعاد والوعد والوعيد، ويعتقدون هذا الكتاب من

(1) تمّ التّسجيل ضمن برنامج حوارات الحلقة السّبعين في مقهى هوم لاند بمنطقة المَعبيلة الجنوبيّة؛ ولاية السّيب بمحافظة مسقط، يوم الأحد 22 أكتوبر 2019م، السّاعة السّابعة مساء بتوقيت مسقط، وبُثَّت في اليوم نفسه على قناة (أُنْس) اليوتيوبيّة .

(2) الدّكتور بهادر قيّم من الجمهوريّة الإيرانيّة الإسلاميّة، وهو باحث متخصص في التّأريخ الإسلامي، يحمل دكتوراه في تاريخ شمال أفريقيا من جامعة طهران الدّولية، ويحمل امتيازاً في البحث العلمي لعام 2018م، ألف وترجم العشرات من الكتب، وهو متخصص في الصّابئة المندائيّة .

تعاليم آدم، وكتاب دراشا إد يهيا، ويعتقدون أنَّ هذا الكتاب من تعاليم يحيى، والثّالث: التّواريخ العامّة والجغرافيّة.

ولغة الصّابئة منبثقة من اللّغة الآراميّة القديمة، وهي ديانة عِرفانيّة غَنوصيّة رمزيّة، واعتبر العديد من المؤرخين العرب الصّابئة لفظة عربيّة أي الانتقال من دين إلى آخر، واعتبرها الشّهرستاني (ت 548هـ) مُقابِلة للحنفيّة، وهذا أحدث خللًا كبيرًا في التّعامل مع هذه الطّائفة جعلتهم في خانة الزّنادقة، ولكن إذا أتينا إلى الآراميّة نجد أنَّ الصّابئة تكتب في أصلها صباة، وفي اللّهجة المندائيّة يقلبون الباء واوًا فتكون صواة، مثل مصبّتة ينطقونها مصوّتة، والمصوّتة بمعنى التّعميد، والصّواة يعني التّغطيس في الماء، ومن هنا الصّابئة بمعنى التّعميد أو الغطس في الماء، ويسميهم ابن النّديم (ت 384هـ) بالمغتسلة، ومعنى الصّابئة التّعميد أو الغطس يتوافق مع أصول الدّيانة.

والمندائيّة من المندى وهو العِرفان، والمندائي هو العارف بالشّريعة، ومكان عبادتهم المندي، وجاء التّخصيص بالمندائيّة تمييزًا لهم عن الصّابئة الحَرّانيّة، ولفظة الصّابئة الحَرّانيّة ظهرت في أواخر أيام المأمون العباسي (ت 218هـ)، عندما عبر مع عسكره في حروبه مع بيزنطة، ومرّ على ديار مُضر، والتقى بمجموعة من حَرّان جاؤوا لاستقباله، فسأل عنهم فأجابوه بأجوبة لم يفهمها، فقال لهم: إذا رجعت من بيزنطة ولم أجد عندكم جوابًا فأنتم زنادقة، أُقيم فيكم حكمهم، فقال قسم منهم: نحن نصارى، وقال قسم آخر: نحن يهود، وقال قسم ثالث نحن صابئة، ولهذا سُمّوا صابئة حَرَّان، وهذا هو المشهور، لكنَّنا سنجد لاحقًا هلال الصّابئ (ت 448هـ) في عام 380هـ في الدّولة البويهيّة يجعل هذا الكاتب والمؤرّخ الصّابئ، وقد كان حافظًا للقرآن

الكريم؛ يجعل في ديوان الإنشاء، وأصله من حَرّان، (ويقال: إنَّه دخل الإسلام، وقيل: لم يدخل الإسلام).

والصّابئة المندائيون يعتقدون أنَّ ديانتهم أم الأديان؛ لأنَّ أول شخص عُمّد واغتسل آدم عليه السّلام في سَرَنْديب أي سيلان، وعمّده الملائكة، وعندهم ثمانية أنبياء يعتبرونهم من أُولِي العزم: آدم وشيث وأنوش ونوح وسام وإدريس وإبراهيم ويحيى.

ولعلّ اتّهام الصّابئة بعبادة الكواكب نتيجة الخلط؛ لأنَّ للكواكب اهتمام عند الصّابئة، ويهتمّون بها في قراءة المستقبل، وتحليل الحوادث، وتحديد اسم المواليد، لكنّ الصّابئة في الحقيقة هم موحدون، تأثّروا بالزّرادشتيّة والمانويّة والمسيحيّة.

والمعتقد الصّابئي ينقسم إلى معتقدات كلاميّة، ومعتقدات فقهيّة، والمعتقدات الكلاميّة تدور حول التّوحيد والمَعاد والنّبوَّات، ومن حيث التّوحيد فهم موحدون، وفي كنزا ربّا في قسم اليمين يبدأ بالتّوحيد الأزلي: «هو الحيّ العظيم، البصير القدير العليم، العزيز الحكيم، هو الأزليّ القديم، الغريب عن أكوان النّور، الغنيّ عن أكوان النّور»، ويعتقدون أنَّ للملائكة دوراً في تبسيط الخليقة بأمر من الله، ولهذا للملائكة أهميّة كبيرة عند الصّابئة.

وأمّا يوم المَعاد فيرون فيه فَناء الدّنيا، والخلود الحقيقي في الآخرة، والموت ليس فَناء، وإنَّما انتقال من محلّ إلى محلّ، وروح الصّالح والزّاهد تنتقل إلى عالم النّور، والمسيء تنتقل روحه إلى عالم الظّلمات، وأرى نظريّتهم أقرب إلى المَعاد الرّوحاني منه إلى الجسماني.

وهم يحترمون جميع الأنبياء، ويحترمون جميع أتباعهم، ولكنْ كما أسلفنا عندهم ثمانية أنبياء أصليّون، وهم أُلُو العَزْم.

وأمّا المعتقدات الفقهيّة فهي الجوانب العمليّة، والصلاة عندهم في ثلاثة أوقات (الصّبح والظُّهر والعصر)، وقِبْلتهم النَّجم القطبيّ في جهة الشّمال، ويعتقدون أنَّها أقرب إلى عالم النّور والضّياء، والصّوم عندهم يسمّى المُبطّلات، وينقسم إلى المُبطّلات الثّقيلة، والمُبطّلات الخفيفة[1].

والتّعْميد ركن أساس في ديانة الصّابئة المندائيّة، وعندهم تعميد الطّفل والميت والمحتضر ومُريد الزّواج، وغيرهم، والتّعميد يكون في الماء الجاري وليس الماء المنقطع، وهم في هذا يختلفون مع المسيحيين، والمندي مكان العبادة هو حَوض التّعميد، من قصب وطين أحمروله سقف، يكون على ماء جارٍ.

(1) جاء في موقع الجمعيّة المندائيّة في لاهاي: «الصّوم الأكبر صوم انضباط الرّوح... [ويسمى] الصّوم الكبير، وهو فرض على جميع المندائيين، وعلى مدار أيام السّنة، وهو صوم انضباط النّفس، ومحاسبة الذّات، وهو صوم الانضباط بالصّفات الحَسنة، والأخلاق الحميدة، وهي فترة انقطاع عن الشّهوات الرّوحيّة، والأعمال السّيئة، وكلّ ما يسوء الخالق، والامتناع عن المحرمات»، والصّوم الصّغير وهو «صوم لتذكير الإنسان بصيامه الأكبر.. ويتمّ بالكفّ عن تناول لحوم الحيوانات وذبحها خلال أيام معينة من السّنة، لكون أبواب الشّر مفتوحة على مصراعيها، فتَقْوى فيها الشّياطين وقوى الشّر والظّلام، لذلك يُطلق عليها أيام المُبطّلات، يتمثل الصّوم الاصغر باثنين وثلاثين يومًا موزعه على أشهر السّنة، وأربعة أيام إضافيّة تخص رجال الدّين». تأريخ الزّيارة: الأحد 19 أغسطس(آب) 2021م، السّاعة الثّانية عشرة زوالًا .

- **ملحق (3) زيارة مؤسسة جمعة الماجد وسلطان العويسي للتراث والثّقافة في دبي[1]**

لعلّ من أكثر الأماكن التي يصعب زيارتها في دبي الأماكن الثّقافية، خاصَّة إذا لم تحفظ اسم الشّارع والبناية، وأقرب مَعْلم لها، وهذا ما وقع لي عندما أردت زيارة مؤسسة جمعة الماجد يوم الأحد الماضي، فعلى الرغم من قرب المؤسسة من النُّزُل المقيم فيه، إذْ يستغرق الوصول إليه بالسّيارة أقلّ من عشر دقائق، إلّا أنَّني احتجت ساعتين حتى أدرك مكانه، بالمشي، ولأنَّ أحد الدّكاترة العاملين هناك أعطاني رقمه سابقًا؛ إلّا أنَّ هاتفه كان مغلقًا، ولم أسجّل أرقام المؤسسة حتى يتواصل معها سائق الأجرة، وذلك لأنَّ غالب من في دبي من جنسيات أخرى، وقالوا: إنهم لا يعرفونها، بل والعجيب لقيت بعضًا من الإخوة في الإمارات، وعندما سألتهم قالوا:مؤسسة جمعة الماجد هذه نعرفها مؤسسة للسّيارات، وفعلًا فهو عنده فروع للسّيارات والأجهزة الكهربائيّة، ولكنَّهم لا يعرفون مؤسسته الكبيرة في خدمة التّراث والثّقافة.

وهنا لا أريد أنْ أضيّع وقتكم بحكاية القصص الّتي لا تهمّ كثيرًا، ولكنّي أريد أنْ ألفت السّادة القراء إلى قضيّة جوهريّة، وهي أنَّ جُمعة الماجد وسلطان العويس من التّجار الكبار في دبي والإمارات، والأخير أوقف وقفًا خاصًا لنشر الثّقافة، والآن يعمل بها أبناؤه بعد وفاته، وله جائزة كبيرة أعدّها لدعم الثّقافة كمشروع دعم الفائزين، ونُشرت منها كتب قيّمة ككتاب مصادر الشّعر الجاهلي وقيمتها التّاريخيّة للدّكتور ناصر الدّين الأسد، وكتاب موسوعة تاريخ الصّهيونيّة للدّكتور عبد الوهاب المسيري، كما أنَّها أعدّت ندوات عديدة،

(1) كانت الزّيارة في صيف 2017م.

ونُشرت هذه النّدوات في كتب كندوة عن طه حسين، وندوة عن ابن دُريد نُشرت في أربعة أجزاء.

ودار العويس الوقفيّة دار ضخمة جدًا، عندما دخلتها في البداية تصوّرتها فندقًا، فإذا هي دار خاصّة بالمشروع، وفيها قاعة كبيرة للنّدوات والمؤتمرات، وتركّز كذلك على الأدب والفنون بأنواعها كالرّسم والنّقش والتّصوير لهدف نشر الثّقافة، وتشجيع الباحثين والكتّاب والأدباء.

أمّا مؤسسة جمعة الماجد فهي أيضًا كبيرة، واستطاع الرّجل أنْ يحتفظ بآلاف المخطوطات ومنها مخطوطات عُمانيّة، وأنْ يشتريها، ويجعلها في متناول للباحثين والمحققين وفق فهرسة إلكترونيّة، ومن هذه الكتب الّتي نشرها مؤخرا كتاب «علم السّنن الإلهيّة من الوعي النّظري والتأسيس العمليّ» للدّكتور أبي اليسر كهوس، وكتاب العقد المنظوم في ذكر أفاضل الرّوم لعليّ بن القاضي أزون، وتحقيق أحمد الشّرقاوي، كما أنَّ المركز يصدر مجلّة فصليّة بعنوان آفاق الثّقافة والتّراث.

إنَّه لعمل رائع أنْ تجد رجال أعمال، وتجّاراً كباراً يهتمون بالوعي الثّقافي، والتّنوير المعرفي، ويُوقِفون لها البنايات التّجارية، ليعود ريعُها على الثّقافة والكُتّاب، وتشجيع الباحث والمثقف، وهي مرحلة مهمّة أفضل من بناء ألف مسجد ونقشه، وأقرب إلى الله تعالى من ألف حَجّة وعُمرة. عندنا في عُمان على سبيل المثال مكتبة السّيد أحمد البوسعيدي، إلا أنَّ المكتبة في جُملتها مقصورة على المخطوطات وهذا جميل، ولكنْ لو وُضِعَ لها من الأوقاف في تشجيع الباحثين حتى في الجانب التّحقيقي والنّقدي لكان حَسَنا جميلًا.

وكذلك ما يقوم به ابن عُمير من المسابقة السّنويّة هو أيضًا عمل رائع، ولكنَّه لو وضع كمؤسسة لها وقفها ونتاجها المستمر بصورة أكبر من الصّورة الحاليّة؛ لكان أكثر أثرًا، خاصّة أنَّ الجانب الإعلامي للمسابقة ضعيف جدًّا.

والخلاصة: إنَّ ما أردته أنَّ نزوع رجال الأعمال إلى بناء المؤسسات الثّقافية والعلميّة، ووضع أوقاف لها، هو ما نرجوه اليوم، في وطننا العربي عامة، فالتّنافس في صنع الإنسان أعظم ما يقدّمه الإنسان في هذه الحياة. على أنَّ هذه المؤسسات ينبغي ألّا تَقْتَصر على الجانب الأدبيّ والرّوائيّ والتّراث؛ بل تشتمل على الصّناعات والتّربية والفلسفة والإنتاج والبحث الكوني والمجتمعي والإبداعي والاختراعي، (وفي هذا فَلْيتنافَسِ المتنافسون!!!)

- **الملحق (4) المغرب والسَّرَف**[1]

من خلال زيارتي الأخيرة إلى دولة المغرب الشّقيقة وجدتُ لديهم عادة جميلة أصبحَت عُرفًا مُتَّبَعا وهو أنَّهم لا يُسرفون، لا في الكهرباء ولا في الماء ولا الغذاء، وأقول هذا حسب ما رأيته في خلال بعض المساجد، ومنها أكبر مسجد بالمغرب في الدّار البيضاء جامع الحسن الثّانيّ، ففي هذا المسجد تجد الإضاءة في الدّاخل في مكان الصّلاة، وفي أماكن الوضوء يستخدمون إناء صغيراً يضعون فيه الماء بقدر الوضوء بغض النّظر عن أصل الرّأي الفقهيّ، وهذا رأيته في العديد من المساجد.

(1) كانت الرّحلة في سبتمبر (أيلول) 2019م.

وفي الجامعات أيضًا تجد هذا، فتجد مثلًا أنَّ الإضاءة تفتح في أماكن الحاجة، وعادة لِلَطافة الجوّ لا يستخدمون المبردات الهوائيّة (التّكييف)، وإن استخدمت فبقَدَر.

وكذا الحال في الفنادق (النُّزُل) فمثلًا في الأماكن المُعدّة للجلوس والقهوة بعد انتهاء وقتها تجد الإضاءة مغلقة أو مخفّفة لعدم وجود الدّاعي إليها؛ ولكنْ عندنا للأسف يحدث العكس، فتذهب إلى مساجد نائية في منتصف الظّهيرة، وليست على الطّريق؛ فتجد جميع المبرّدات والإضاءة مفتوحة، من الصّباح وحتى اللّيل، فما بالك بمساجد القرى والمُدن، وهذا تجده في الأماكن الخَدميّة، في المكاتب والأماكن في غير وقت الحاجة!!

ونتذكر هنا ثقافة الآباء قديمًا إذْ كنّا إذا خرجنا من المكان داخل البيت نغلق المصباح لغير حاجة رغم صِغَر المنزل، وكان بعضهم يسخر من هذا ويصفه بالبُخل، واليوم تجد بيتًا مؤلفًا من عدة طوابق لا تُغلق إضاءته، واليوم لا توجد لدى الأولاد ثقافة الاستهلاك إلا إذا قامت عاملة المنزل بذلك نيابة عنهم، ثمّ تجد الأهل يحتجون من ارتفاع فواتير الكهرباء والماء!!

والقضيّة في الحقيقة ليست قضيّة ارتفاع فواتير الكهرباء والماء قَدْر ما هي قضيّة مجتمعيّة؛ فالبيئة تتأثّر سلبًا بهذا، وأموال تُنفق في سَرَف يمكن استثمارها في النواحي الإيجابيّة، ثمّ لماذا تُستهلك أموال المجتمع أو المال العامّ بصورة رهيبة في المساجد والأماكن الخَدميّة ونحوها لغير ضرورة، فالمتضرر بهذا السَّرف الفرد أوّلًا، ثمّ المجتمع والبيئة!!

كذلك رأيتُ عندهم لما زرت بعض الأُسَر وفي المطاعم عدم السّرف في الطّعام يضاف إلى ذلك غذاؤهم الصّحيّ، بيد أنَّنا في مجتمعنا نُعاني من

الصّحون المليئة بالأرز أيّام الولائم، والطعام الّذي يرمى كثير منه في القمامة، كما نشاهد في العاصمة وبعض الولايات، وتغيير ثقافة العادات وتهذيبها مهمٌّ كاستخدام الصّحون الصّغيرة، والأخذ بقَدَر.

وأخيرًا: إنَّه لجميل أنْ نستفيد من الأمم والمجتمعات الأخرى، فالتّداخل الإيجابيّ بين الشّعوب والثّقافات له جماليته الخاصة.

- **الملحق (5) الحِوار الثّقافيّ: ودوره في تعزيز التّماسك الاجتماعيّ (البيت الإسلامي إنموذجا)**[1]

يعيش العالم اليوم ضمن قرية واحدة متداخلة، وأصبح البيت الإسلاميّ مكشوفًا على الجميع بأصل نصوصه، وزيادات تراثه وتاريخه، بحَسَناته وسيِّئاته، كغيره من البيوت داخل المجتمع الإنساني، لهذا أصبحت هذه البيوت ليس مفتوحة على العالم فحسب؛ بل على أفرادها ومكوناتها ذاتها في الدّاخل؛ فالتّعددية داخل البيت الواحد حقيقة واقعيّة يجب أنْ تُستثمر في بناء هذا البيت، وخدمة المجتمع الإنسانيّ الكبير.

وبما أنَّ هذه الورقة تركز على الحوار الثّقافيّ ودوره في البناء المجتمعيّ والتّنمية المستدامة، فقد سبق أنْ كتبت بحثا بعنوان: **الثّقافة العربيّة والحراك**

(1) أصل البحث ورقة مقدّمَة للمنظمة الإسلاميّة للتّربيّة والعلوم الثّقافيّة - إيسسكو - واللّجنة الوطنيّة الكويتيّة للتّربيّة والعلوم والثّقافة ضمن ورشة عمل شبه إقليميّة حول تعزيز الحوار والتّماسك المجتمعيّ في إطار العمل الثّقافيّ الإسلاميّ المشترك بدولة الكويت، من 15 – 17 سبتمبر(أيلول) 2019م، مع تصرّف بسيط ليناسب الكتاب .

الاجتماعيّ، نشر في كتابي «إضاءة قلم»[1]، تطرقت فيه إلى الثّقافة والمشهد السّياسيّ والتّفرق القوميّ في العالم العربيّ، والثّقافة والتّطرف الدّينيّ، والثّقافة والجانب الفنيّ والجماليّ، والثّقافة والوضع الاقتصاديّ والاجتماعيّ المُترديّ، لهذا لن ألجأ إلى تكرار ذلك، وإنَّما نركّز هنا على الحوار وضرورته في الواقع الثّقافيّ في البيت الإسلاميّ الكبير خصوصًا.

• ماهيّة الحوار الثّقافيّ

أسند الحوار ـ حسب محاور الورشة ـ إلى الثّقافة، والحوار مصطلح قديم في المنظومة الإسلاميّة خلاف الثّقافة الّتي استخدمت بكثرة في العصر الحديث خصوصًا في نهاية القرن الثّامن عشر وبداية القرن التّاسع عشر، وظهرت بصورة أكبر في القرن العشرين مع علماء الأنثروبولوجيا.

وكما ذكرنا في مبحث الثّقافة في «إضاءة قلم»[2] عرّفها إدوارد تايلور (ت 1917م) بأنَّها: «الكلّ المركب الّذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنّ والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى الّتي يكتسبها

(1) ينظر «**إضاءة قلم»: التّعايش تأمّلات ومذكرات**، بدر العبري، ط الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، سلطنة عُمان، ودار مسعى للنّشر والتّوزيع، كندا، الطّبعة الأولى، 2019م، ص: 37 – 64 .

(2) ينظر: العبريّ: بدر؛ **إضاءة قلم: التّعايش تأملات ومذكرات**، مرجع سابق، ص: 39 – 40، بتصرف .

الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع»[1]، ويعرّف تركي الحَمَد (معاصر) الثّقافة «بمعايير العقل والسّلوك، والّتي تحدِّد معنى الحياة، حيث لا معنى لها دون هذه المعايير، ورموز تحدد غايات الحياة، الّتي لا غاية لها دون تلك الّرموز، بمعنى أنَّ الثّقافة هي إجابة لسؤال الفرد والجماعة عن كيف ولماذا وإلى أين، أي الغاية من الوجود»[2]، ويعرّفها محمد فيضي (معاصر) «بمجموع العقائد والقيم والقواعد الّتي يقْبَلها ويمتثل لها أفراد المجتمع، ذلك لأنَّ الثّقافة هي قوة وسلطة موجهة لسلوك المجتمع، تحدد لأفراده تصوراتهم عن أنفسهم والعالم من حولهم، وتحدد لهم ما يحبّون ويكرهون ويرغبون فيه، ويرغبون عنه، كنوع الطعام الّذي يأكلون، ونوع الملابس الّتي يرتدون، والطّريقة الّتي يتكلمون بها، والألعاب الرّياضيّة الّتي يمارسونها، والأبطال التّاريخيين الّذين خُلّدوا في ضمائرهم، والرموز الّتي يتخذونها للإفصاح عن مكنونات أنفسهم ونحو ذلك»[3].

---

(1) الحمد: تركي، **الثقافة العربية في عصر العولمة**، ط دار الساقي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى 1999م، ص 17 .

ينظر أيضًا: موقع أرنتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، تاريخ الزيارة: 24/ 6/ 2016م، الساعة الثالثة والنصف ظُهْرًا، الرابط: http://www. aranthropos. com/ .

(2) الحَمَد: تركي، الثقافة العربية في عصر العولمة، مرجع سابق، ص 18 .

(3) فيضي: محمد، **مقالة حول تعريف الثّقافة**، موقع موضوع، تاريخ الزيارة: 24/ 6/ 2016م، السّاعة الرابعة عصرًا، الرابط: http://mawdoo3. com/ .

وأمّا الحِوار فيعرّفه أسامة خيريّ (معاصر) بأنّه: «ظاهرة إنسانيّة، لازمت المجتمع الإنسانيّ منذ بدء الخليقة، فالإنسان السّويّ يحاور نفسه، وأسرته، ومجتمعه، شرط أنْ يكون الحوار مستمرًا وفاعلًا ومفيدًا»[1]، وجاء استخدامه في القرآن بمعنى الجدل، «والجدال من جَدَلَ الحَبْلَ إذا فَتَلَه، وهو مستعمل في الأصل لمن خاصم بما يشتغل عن ظهور الحقّ ووضوح الصّواب، ثمّ استعمل في مقابلة الأدلّة لظهور أرجحها، والحوار والجدال لهما دلالة واحدة، وقد اجتمع اللّفظان في قوله تعالى: ﴿**قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إلى اللهِ وَاللهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**﴾ المجادلة/ 1»[2].

فإسناد الحوار إلى الثّقافة إسناد إلى العموم، ليشمل أبعاد المجتمع الإسلاميّ سياسيًّا ودينيًّا وتربويًّا واقتصاديًّا وفنيًّا ومجتمعيًّا؛ لأنَّ الحوار في ذاته يشمل العُنصَرَيْن: عنصر التّلاقح والاستفادة من الآخر، وعنصر التّقويم والمراجعة، فلمّا أُسند إلى الثّقافة كان الإسناد إلى الثّقافة لأنَّها «تعتبر خيطًا مشتركًا بين المجتمع الإنسانيّ، فهي الخيط المرتبط بذات الإنسان كعقل مفكر، وجسد متأثّر بما حوله في الطّبيعة والكون وأخيه الإنسان، وبما ورثه من حضارة وفكر وتراث، وبما وصل إليه من معرفة واختراع وإنتاج، هذا الخيط الإنسانيّ تتشكل به الحضارة الإنسانيّة المتعددة في طقوسها ومعارفها،

(1) خيري: أسامة؛ **مهارات الحِوار**، ط دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، الأردن/ عَمّان، ط 2014م، ص: 13.

(2) زايد: فهد خليل؛ **فنّ الحوار والإقناع**، ط دار النّفائس، الأردن/ عَمّان، الطّبعة الأولى، 1427هـ/ 2007م، ص: 12.

والمتنوعة في نتاجها وآثارها، وعليه تتشكل ثقافاتٌ تحت الثّقافة الأم للإنسان، وحضاراتٌ تندرج تحت حضارة الإنسان»[1].

وأمّا الجانب المجتمعيّ أو ما يُسمّى بالحراك المجتمعيّ فهو «الحراك الاجتماعيّ بالوضع الّذي يشير إلى إمكانية تحرك الأفراد أو الجماعات إلى أسفل أو إلى أعلى الطّبقة أو المكانة الاجتماعيّة في هَرَم التّدرج الاجتماعيّ أو في إطار النّسق الاجتماعيّ»[2]، وكثيرًا ما يُستخدم الحراك الاجتماعيّ في الجانب الاقتصاديّ، إلا أنَّ الثّقافة «أصبحت محور عمليّة التّنمية الاجتماعيّة الشّاملة، في حين أصبحت تكنولوجيا المعلومات هي محور التّنمية العلميّة التّكلنوجيّة»[3].

لهذا كان للحوار الثّقافيّ ضرورة في تعزيز الحَراك المجتمعيّ في البيت الإسلاميّ خصوصًا، والبيت الإنسانيّ عمومًا.

(1) العبريّ: بدر؛ **إضاءة قلم: التّعايش تأملات ومذكرات**، مرجع سابق، ص: 38، بتصرف بسيط .

(2) الصغير: كاوجة محمد الصغير، وابتسام: كوشي، **الحَراك الاجتماعيّ وعلاقته بالمتغيّرات المجتمعيّة للمجالات الاجتماعيّة في المدينة الجزائريّة**، دراسة ميدانية لترامواي ورقلة - الجزائر، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ص 338 .

(3) علي: نبيل، **الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة رقم: 265، ص 6 .

- **مسح أهم معوّقات مجتمع البيت الإسلاميّ من الدّاخل**

في نظري من أهم المعوّقات الّتي يعانيها مجتمع البيت الإسلاميّ من الدّاخل حاليًّا، والّتي يمكن النّظر فيها حواريّا التّالي:

(المعوقات الفكريّة)

أولا: التّاريخ السّلبيّ: حيث تشكلت فرق البيت الإسلاميّ نتيجة صراع سياسيّ بعد وفاة الرّسول الأكرم - ﷺ - وهو صراع بشريّ كأيّ أمّة من الأمم، إلا أنَّ هذا الصّراع انتهى بوفاة تلك النّفوس، ومع هذا نجد التّعصب للرّموز التّاريخيّة، أو محاكمة الشّخوص وفق روايات تاريخيّة، دوّنت في فترة التّعصّب للحزب والمذهب، والأصل في الماضي قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (البقرة/ 134).

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقق الحوار في نظري من خلال مفاهيم ثلاثة: الأنسنة والظّنيّة النّسبيّة والحاكميّة، أمّا الأنسنة فإنَّ تاريخ هذه الأمّة تاريخ بشريّ إنسانيّ يحوي النّجدين: الخير والشّر، الصّواب والخطأ، الإيجاب والسّلب، كتاريخ أيّ أمّة في الأرض، فليس ملائكيًّا مميزًا، وليس حيوانيًّا شهوانيًّا، ولابد من أنسنة التّاريخ أي رفع القداسة عنه، فهو ليس نصًّا تشريعيًّا مغلقًا ولا مفتوحًا، بل هو تجربة بشريّة، تُدْرَس بشكل أكاديميّ لا أكثر، فإذا جعلتَ التّاريخ مقدّسًا، ارتفع الحوار هنا، فأصبحت تدافع عن مقدّس لديك، وتبذل كافة الحجج لتأليهه أو شيطنة غيره.

وأمّا الظّنّيّة النّسبيّة، فلأنَّه كُتب متأخرًا من جهة، والقلم الكاتب في العادة إمّا مُحِبّ مُغالٍ، أو حاقد كارِه، فنسبة الخطأ والتّلاعب في الرّواية التّاريخيّة نسبة كبيرة جدًّا، وهي ظنيّة بامتياز، فإذا كان كذلك وجب جعلها على مائدة الحوار الطّبيعيّ غير المقدس.

وأمّا الحاكميّة، فهي لله وحده، هو أعلم بعباده، وهو عَدْل، فهنا لا نُطالب ديانة من حيث الولاء والبَراء النّبش في قبور الأموات، والصّراع حولهم، وليس لنا البحث عن نجاتهم أو هلاكهم، فهم بشر مثلنا، فالحوار في قضايا غيبيّة لا فائدة منه لمجتمع البيت الإسلاميّ، لأجيال هذا المجتمع؛ لأنَّهم يعيشون في صراع وهميّ لا فائدة منه، والأصل توجيهه نحو العلم والمعرفة، والنّتاج والحاضر والمستقبل.

ثانيا: التّضخم العَقَديّ (الكلاميّ): نجد القرآن يركز على الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصّالح، وهذه أركان ثلاثة يقوم عليها مجتمع البيت الإسلاميّ كباقي المجتمع الإنساني بأديانه وطوائفه، فالكلّ يُعظّم الله، وما أنزل من كُتُب، وما أَرسل من أنبياء، فالجميع يؤمن باليوم الآخر، وبالعذاب والنّعيم، ويعمل صالحًا ابتغاء ما عند الله من ثواب، إلّا أنَّ هذا الحدّ تضخم بشكل كبير، بعد الصّراع بين مدرستيّ الاعتزال وأهل الحديث، وأدت كثرة الجدل إلى تكوّن مدارس كلاميّة جميعها تعظّم ما أسلفنا بيانه، وحول هذا يقول الإمام الرّازيّ (ت 604 – 606هـ) في تفسيره: «فأمّا الّذي يعرف بالدّليل أنَّه من دينه مثل كونه عالمًا بالعلم أو لذاته وأنَّه مرئيّ أو غير مرئيّ، وأنَّه خالق أعمال العباد أم لا، فلم ينقل بالتّواتر القاطع لعذر مجيئه عليه السّلام بأحد القولين دون

الثّاني، بل إنّما يعلم صحة أحد القولين وبُطلان الثّاني بالاستدلال، فلا جَرَم لم يكن إنكاره، ولا الإقرار به داخلًا في ماهيّة الإيمان فلا يكون موجبًا للكفر، والدّليل عليه أنَّه لو كان ذلك جزء ماهيّة الإيمان لكان يجب على الرّسول - ﷺ - أنْ لا يحكم بإيمان أحد إلّا بعد أنْ يعرف أنّه هل يعرف الحق في تلك المسألة، ولو كان الأمر كذلك لاشتُهر قوله في تلك المسألة بين جميع الأمّة، ونُقل ذلك على سبيل التّواتر، فلمّا لم يُنْقل ذلك دلّ على أنَّه عليه السّلام ما وقف الإيمان عليها، وإذا كان كذلك وجب أن لا تكون معرفتها من الإيمان، ولا إنكارها موجبًا للكفر، ولأجل هذه القاعدة لا يُكفّر أحد من هذه الأمّة، ولا نكفّر أرباب التّأويل»[1].

كيف يتحقّق الحوار هنا؟ يتحقق من خلال مفاهيم ثلاثة: الأنسنة والتّعدديّة والحاكميّة.

أمّا الأنسنة فطبيعيّ حدوث هذا الخلاف لأسباب أهمّها أنَّ النّص القرآني بطبيعته نصّ مفتوح، ولكونه مفتوحًا فهو قابل للتّأويل، فأَنسنته هنا أي جعله في قدره الإنسانيّ الطّبيعيّ، وهي حالة صحيّة، لا يترتب عليه تكفير ولا تفسيق.

فلمّا كان التّأويل واسعًا كانت التّعدديّة حاضرة، وعليه يرتفع الحُكم على المختلفين في البيت الإسلاميّ بالجنّة والنّار، وترك الحكم لله وحده.

(1) ينظر: الرّازيّ: فخر الدّين محمّد بن عمر؛ **تفسير الفخر الرّازيّ**، ط دار الفكر، لبنان/ بيروت، ط 1414هـ/ 1993م، ج: 2، ص: 43.

فالحوار هنا دائرة المشترَك حوله واسع جدًّا، وهي الدّوائر الثّلاثة: الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصّالح، فيضيق ما دونه، على أن يكون الحوار حوله كتجربة بشريّة في التّأويل لا كنص آخر، فننطلق من المشترَك لفهم الآخر لا لتكفيره وتضليله؛ لأنَّ «تحديد المتحاورين لنقاط الالتقاء فإنّهم بذلك قد وضعوا قاعدة مشتركة فيما بينهم تدفع الحوار إلى الأمام، والبدء بالنّقاط المُتَّفَق عليها يوثق الصّلة بين المتحاورين، ويجعلهما يتقبَّلان ما يُطرح في الموضوع بنفس طيبة»[1].

ثالثا: التّضخم الرّوائيّ: حدث تضخّم كبير في الرّواية، وزاد معدّلها، فضلًا عن دخول الرّواية المذهبيّة والسّياسيّة والتّاريخيّة[2]، وأصبحت محلّ جدل كبير داخل مجتمع البيت الإسلاميّ اليوم، وظهور تيارات جديدة كالقرآنيين والعقلانيين الّذين ينظرون إلى الرّواية بشكل سلبيّ، أو عند التّجديديين أو بعض الإصلاحيين الّذين لهم رؤى توافقيّة.

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقق من خلال العرض والنّسبيّة، أمّا العرض فيكون على الشّيء المتفق عليه في مجتمع البيت الإسلاميّ، وهو يحمل النّسبة الأكبر، سواء في العبادات أم في المعاملات والأخلاق، ومن خلال العرض على كتاب الله لأنّه المتفق بين الجميع.

---

(1) خيري: أسامة؛ **مهارات الحوار**، مرجع سابق، ص: 19.

(2) ينظر مثلًا مقالنا: **الرّواية عند الإباضيّة وقاعدتي العرض على القرآن وعمل المسلمين (مدونة أبي غانم الخراسانيّ أنموذجا)**، نشر دورية الحياة، جمعيّة التّراث، الجزائر، رمضان 1434هـ/ 2013م، عدد 17، ص: 66 – 81.

ثمّ النّسبيّة، أي أنَّ هذه الرّوايات في الجملة نسبيّة، فهي أغلبها آحاد، فتُقْرأ في خطّها النّسبيّ لا المطلق، والتّعامل معها بمرونة واسعة، على أنْ ينطلق الحوار من المشتركات الكبرى كما أسلفنا.

رابعا – تقديس التّراث وإطلاقه: يعتبر التّراث بنصوصه وتطبيقاته، بأساطيره وواقعيّته، الشفويّ منه والماديّ، ملكًا للجميع، وتراث مجتمع البيت الإسلاميّ تراث إنسانيّ مفتوح، وهو تجربة بشريّة في مختلف فنون المعرفة الإنسانيّة والتّجريبيّة، إلّا أنَّ الإشكاليّة الّتي تؤثر على مجتمع البيت الإسلاميّ هو جعل التّراث جملة نصًّا مطلقًا، والتّعصب له، وحُرمة نقده، والبحث في سوآت الآخرين عن طريق قصاصات الكتب الصّفراء.

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقّق الحوار من خلال الأنسنة والظّرفيّة، أي قراءة التّراث قراءة إنسانيّة طبيعيّة، وهو ظرفيّ مرتبط بفترة زمنيّة، فقراءته لا تكون مطلقة، وإنّما يُراعى الزّمان والمكان الّذي وضع فيه، فيُستفاد من حسناته لينطلق منها في الحوار، وتُنتقد سيئاته، ولا يُتعصب لها.

خامسا: الألقاب والمصطلحات والأحكام المسبقة: لا تخدم الحوار داخل المجتمع الإسلاميّ، فلا فائدة من إطلاق الأحكام على سبيل المثال: الرّافضة والخوارج والنّواصب والحشويّة والمجسمة والزّنادقة.

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقّق الحوار من خلال أسْلَمة المذاهب الّتي يسعها قوله تعالى: ﴿**هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ (الحج/ 78)، مع احترام الألقاب المدرسيّة، «والمحاوِر المُنصف هو الّذي يلتزم القول الحَسَن خلال

محاوراتـه، كمـا عليـه أن يبتعـد عـن أسـلوب الطّعـن والتّجـريح والهُـزء والسّخرية»[1].

سادسا – أَسْلَمة السّياسة، وحياة النّاس، ومعاشهم ومعاملاتهم: وأقصد بالأسلمة التّوسع في إضافة المقدّس في حياة النّاس، وتضييق جانب البشريّة والحراك الطّبيعيّ فيها.

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقّق الحوار من خلال الانطلاق من القيم الكبرى، والأخلاقيات الإنسانيّة، ثمّ تَرك التّدافع الطّبيعيّ في حياة النّاس ومعاشهم وسياساتهم، لأنَّ توسعة المقدّس تجعل الحوار ضيّقًا، والخلاف كبيرًا.

(المعوّقات السّياسيّة والاجتماعيّة)

أولا: التّخوف من التّعدديّة والأبويّة الزّائدة: وذلك لطبيعة مجتمعاتنا كونها أبويّة بشكل كبير، وتتكئ على اتجاه وفكر معين، فيحدث التّصادم نتيجة الانفتاح الكبير على الآخر في المجتمع من جهة في ظلّ أبويّة جامدة من جهة أخرى ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ (غافر/ 29).

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقّق من خلال إدراك أنَّ التّعدديّة حالة صحيّة، وفتح المجال لأكبر درجة من الحريّات المبنيّة على الحوار المطلق، والتّدافع الطّبيعيّ، واستثماره في خدمة المجتمع.

---

(1) خيري: أسامة؛ **مهارات الحوار**، مرجع سابق، ص: 20.

ثانيا – التّركيز على القضايا الهامشيّة: وتحويلها إلى قضايا رأي، فكثيرًا ما يشغل المجتمع قضايا هامشيّة جدًّا، نتيجة جمود المجتمع على فكر معين، أو نتيجة الفجوة بين الأجيال.

كيف يتحقق الحوار هنا؟ يتحقق من خلال غرس التّركيز على الأساسيات، والمساهمة في بناء نظريات تخدم المجتمع الإنساني، لا مجرد ردّات فعل لأحداث آنيّة، وهذا يتحقق من خلال الحريّة في إقامة مؤسسات، والانطلاق من العمل الفرديّ إلى المؤسسيّ.

(المعوّقات الثّقافيّة)

أولا– النّظرة السّلبيّة إلى الشّرق وتراثه: من المثقفين من ينظر سلبيًّا إلى الشّرق، ويعتبر تراثه مصدر التّخلف والرّجعيّة، وسبب تخلف المجتمع.

كيف يتحقّق الحِوار هنا؟ من خلال ما أسلفنا من الأنسنة والظّرفيّة، فتراث الأمّة كأي تراث إنسانيّ فيه ما ينفع، وفيه ما يضرّ، على أنْ يُقرأ وفق ظرفيته.

ثانيا – اللّغة العلويّة المبالغ فيها، وعدم الاستماع للآخر: سواء في الكتابة أو الخطاب أو في النّظرة للآخر، «ويقع فيها بعض المثقفين حين تدور مناقشتهم حول قضايا فلسفيّة أو شبه فلسفيّة مقطوعة الصّلة بواقع الحياة اليوميّ وواقع مجتمعاتهم»[1].

كيف يتحقّق الحوار هنا؟ من خلال إدراك هدف الثّقافة وهو التّنوير والإصلاح، وهذا لا يتحقق إلا باحترام المختلف، والاستماع إليه، ولو رأيته

(1) خيري: أسامة؛ **مهارات الحوار**، مرجع سابق، ص: 40.

في نظرك متخلّفًا رجعيًّا ماضويًّا، وهذه إسقاطات علاجها باحترام ذاته ثمّ الحوار معه، «فمجال الثّقافة ليس مجال التّنافس وإثبات الأسبقيات، بل هو مجال التّعاون والحوار المثمر»[1].

ثالثا – النّظرة المصلحيّة المبالغ بها: فهو يقف مع المصلحة سياسيًّا أو منصبيًّا أو ماليًّا، فيكون الحوار بقدر ما يحقق مصلحته وغايته.

كيف يتحقّق الحوار هنا؟ الحوار وسيلة لتنمية المجتمع بعيدًا عن المصالح الذّاتيّة، فهو مرتبط بحقّ الإنسان كإنسان أولًا، ثمّ كمواطن ثانيًا في المجتمع، ولأنَّ «الثّقافة لها دور في تفعيل التّعايش بين الآخرين، وذلك لما تحمله من معان سامية تميزها عن غيرها، فخصائصها تكمن في أنَّها ظاهرة إنسانيّة»[2].

• البناءات السّتّ في تحقيق حوار ثقافيّ في مجتمع البيت الإسلاميّ

من خلال ما تقدّم من معوّقات في تحقيق الحوار داخل مجتمع البيت الإسلاميّ؛ نرى أنَّ الخروج من هذه المعوّقات يكون في رأينا المتواضع جدًّا من خلال إدراك هذه البناءات السّت: (التّكوينيّ، والتّعارفيّ، والإنسانيّ، والأخلاقيّ، والتّشريعيّ، والاستثماريّ).

---

(1) أنجيليسكو: ناديا؛ **الاستشراق والحوار الثّقافيّ**، ط دائرة الثّقافة والإعلام، الإمارات العربيّة المتحدة/ الشّارقة، الطّبعة الأولى، 1999م، ص: 25.

(2) غالب: عبد السّلام حمود؛ **أثر الحوار في التّعايش مع الآخر**، طبعة إلكترونيّة على شبكة الألوكة، ص: 21.

أولا- الجانب التّكوينيّ: وهذا ينطلق من قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ**﴾ (هود/ 118-119)، وأصل الاختلاف جانب تكوينيّ فطري، ثمّ يُلازمه خلال نشأة الإنسان وعلاقته بما حوله في المجتمع الإنساني الاختلاف الكَسبي، وما يُنظّمه الإنسان لنفسه في بيئته كان الاختلاف التّشريعيّ، مثل الاختلاف على أساس اللّغة أو العرق أو الدّين أو الفكر، فالاختلاف شيء طبيعيّ جدًّا.

ثانيا- الجانب التّعارفيّ: وهذا ينطلق من خلال قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحُجُرات/ 13)، فالاختلاف وسيلة إلى التّعارف وفهم الآخر، والاستفادة منه، والعيش معه، سواء أكان في ظلّ المواطنة أم غيرها.

ثالثا- الجانب الإنسانيّ: الشّراكة في الوطن أو المجتمع مبنيّة على الذّات الإنسانيّة، وبما أنّها مختلفة تكوينًا من حيث الاختلاف التّكويني وما ينتج عنه من هُوّيّات متعدّدة؛ إذا وجب عليّ احترام هذا الاختلاف من باب احترام هذه الذّات، ويكون الحوار وسيلة مهمة لكشفها والاستفادة منها.

رابعا- الجانب الأخلاقيّ: فالحوار يُبنى على الأخلاق والقِيم المشتركة، فإذا ارتفعت الأخلاق فلا فائدة من الحوار، ومثالُه في القرآن: ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ (العنكبوت/ 46)، وقوله: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ (البقرة/ 83).

خامسا- الجانب التّشريعيّ: حيث تكون التّشريعات الدّستوريّة والقانونيّة حافظة لحريّات النّاس وحق الاختلاف والتّعدديّة والتّعبير عن الرّأي، ومن أشكاله الحوار مع الآخر.

سادسا- الجانب الاستثماريّ: بحيث يستثمر هذا الاختلاف إيجابيًّا في تنمية المجتمع كالإصلاح السّياسيّ والدّينيّ والمجتمعيّ والاقتصاديّ، وجعل الاختلاف مادّة تُسهم في رقي المجتمع تعايشيًّا وسياحيًّا وفكريًّا واقتصاديًّا.

المراجع[1]

1. العبريّ: بدر؛ **إضاءة قلم: التّعايش تأملات ومذكرات**، الجمعيّة العمانيّة للكتّاب والأدباء، سلطنة عُمان/ مسقط، ودار مسعى، كندا، الطّبعة الأولى، 2019م.
2. الحَمَد: تركي، **الثقافة العربيّة في عصر العولمة**، دار السّاقي، بيروت/ لبنان، الطّبعة الأولى 1999م.
3. موقع أرنتروبوس: الموقع العربي الأول في الأنثروبولوجيا والسوسيوأنثروبولوجيا، تاريخ الزيارة: 24/ 6/ 2016م، السّاعة الثّالثة والنّصف ظهرًا، الرابط: http://www. aranthropos. com/
4. فيضي: محمّد، **مقالة حول تعريف الثّقافة**، موقع موضوع، تاريخ الزّيارة: 24/ 6/ 2016م، السّاعة الرّابعة عصرًا، الرابط: http://mawdoo3. com/ .
5. خيري: أسامة؛ **مهارات الحوار**، دار الرّاية للنّشر والتّوزيع، الأردن/ عَمّان، ط 2014م.
6. زايد: فهد خليل؛ **فنّ الحوار والإقناع**، دار النّفائس، الأردن/ عَمّان، الطّبعة الأولى، 1427هـ/ 2007م.

(1) تم ترتيب حسب ورودها في البحث لا حسب التّرتيب الألفبائيّ .

7. الصّغير: كاوجة محمّد الصّغير، وابتسام: كوشي، **الحَراك الاجتماعيّ وعلاقته بالمتغيرات المجتمعيّة للمجالات الاجتماعيّة في المدينة الجزائريّة**، دراسة ميدانيّة لترامواي ورقلة – الجزائر، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة.

8. عليّ: نبيل، **الثّقافة العربيّة وعصر المعلومات**، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة رقم: 265.

9. الرّازيّ: فخر الدّين محمّد بن عمر؛ **تفسير الفخر الرّازيّ**، دار الفكر، لبنان/ بيروت، ط 1414هـ/ 1993م.

10. العبريّ: بدر؛ **الرّواية عند الإباضيّة وقاعدتي العرض على القرآن وعمل المسلمين (مدوّنة أبي غانم الخراسانيّ أنموذجا)**، نشر دوّرية الحياة، جمعية التّراث، الجزائر، رمضان 1434هـ/ 2013م، عدد 17.

11. أنجيليسكو: ناديا؛ **الاستشراق والحوار الثّقافيّ**، دائرة الثّقافة والإعلام، الإمارات العربيّة المتحدة/ الشّارقة، الطّبعة الأولى، 1999م.

12. غالب: عبد السّلام حمود؛ **أثر الحوار في التّعايش مع الآخر**، طبعة إلكترونيّة على شبكة الألوكة.

الكشاف[1]

أولا: البلدان والمواقع السّياحيّة والدّينية

البلد والمواقع	الصّفحة
مدينة الملح – الأمريكيّة	
معبد زرادشتيان	
منطقة مينوموني في شيكاغو	
مطعم SUBWAY	
معبد ميدوست	
معبد إيسكان للفيدس (الهندوس)	
أقليم كُردستان العراق	
معبد مَشرق الأذكار في شيكاغو	
منطقة Downtown Chicago	
شركة ماكدونالدز	
حديقة Millennium Park	
مسرح Jay Pritzker Pavilion	
مبنى بوابة السّحاب	
بحيرة Lake Michigan	
قاعة مركز الجاليات العربيّة ICCI – شيكاغو	

(1) التّرتيب حسب ورودها في الكتاب .

المعبد الهندوسي – شيكاغو	
معبد جورد زيلاجس سو سني	
مطار صَلالة	
ولاية طاقة	
مسجد الشّيخ أحمد في طاقة	
مسجد الشّيخ العفيف في طاقة	
جبل سمحان	
جبل حيور السّياحيّ	
ولاية مرباط	
مرقد صاحب مرباط	
مكتبة دار الكتاب بصَلالة	
جسر الملك فهد	
ضاحية السّيف – المنامة	
مقهى حاجّي عند باب البحرين	
منطقة باب البحرين	
متحف دائرة البريد – البحرين	
منطقة الجفير في المنامة	
مركز عيسى الثّقافي	
المكتبة الوطنيّة – البحرين	

جامع أحمد الفاتح	
مسجد الخميس الأثري	
مكتبة المصطفى في المنامة	
مجلس جابري الثّقافي في الجسرة – البحرين	
مجمّع الأديان في البحرين	
مستشفى الإرساليّة الأمريكيّة في البحرين	
مكتبة الشّيخ حسن الصّفار في القطيف	
قلعة البحرين	
مُتحف قلعة البحرين	
جمعيّة التّجديد البحرينيّة الثّقافيّة الاجتماعيّة	
ولاية تكساس	
مطار دالاس فورت ورث الدّولي	
مدينة دالاس	
منطقة ويكوري ميدو في دالاس	
منطقة بلينو في دالاس	
مدينة أرفينج في دالاس	
معبد جورد نيكشام سيفا جوارا السّيخي في أرفينج	
ستار بكس	
مؤسسة Metro Dallas Homeless allane في دالاس	

كاتدرائيّة الأمل في دالاس	
مؤسسة التّعاطف والتّعايش Compassionate DFW دالاس	
منطقة Holy Trinity Dallas في دالاس	
كاتدرائيّة الأرثوذوكس في دالاس	
الكنيسة اللّوثريّة الحديثة اللّيبرالية	
بهائي سنتر في دالاس	
كنيسة المورمون: كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة	
منطقة Downtown Dallas	
مدينة دينسون – تكساس	
ولاية أوكلاهوما – أمريكا	
ولاية كانساس – أمريكا	
ولاية ميزوري – أمريكا	
نهر ميزوري في ولاية ميزوري	
مؤسسة يقين للإبحاث والدّراسات الإسلاميّة في أرفينج – تكساس	
الكنيسة المعمدانيّة في دالاس	
مدينة لوبوك في تكساس	
مؤسسة جمعة الماجد – دبي	
مؤسسة دار العويسي الوقفيّة – دبي	

ثانيا: الشّخصيات المهمّة

الشّخصيات	الصّفحة
الأستاذ كيخسرو مؤبد	
الأستاذ هوشدار	
الرّاهب جيسي زفالا	
الرّاهب أتشاريا	
الأستاذ بيان النّوريّ	
الدّكتورة سنا روحانيّ	م
السّيد سمندريّ هنداويّ	
السّيدة نهى كرمستجي	
السّيد مريوان النّقشبنديّ	
الدّكتورة هدى محموديّ	
الدّكتورة ناديا بو هناد	
الدّكتورة سوسن حسني	م
السّيد كريس	
الأستاذ كونت ستج	
القاضي أحمد بن محمّد الخطيب	
الشّيخ سعيد المعشنيّ	
الأستاذ محمّد المعشنيّ	

الحبيب سالم المشهور	
الحبيب علوي الكاف	
الأستاذ أحمد النّوفلي	
أحمد بن محمّد آل خليفة الفاتح	
الشّيخ صلاح بن يوسف الجودر	
سماحة العالم السّيد عبد الله الغريفي	
القسّ هاني عزيز	
الشّيخ حسن الصّفار	
الدّكتور سلمان المحاري	
الأستاذ هربجن سنج	
الحاخام رابي دايفيد جريبر	م
القس نيل سيزر تومس	
الطّبيب تشالرز باركير	
البابا جراسر	
الأستاذ مورك	
الأستاذ فيك	
الأستاذ إليكس	
البرفسور توماس مكفول	
القس روسيل	

الأسقف الدّكتور تيد آساي	
الأستاذ كن بورز	
الدّكتورة صبا حدّاد	
الدّكتور فريدون جواهري	
الأستاذ بارازان باران رشيد	م
الأستاذ محمود عطيّة الله روحاني	م
الأستاذة ألحان رحيمي كنعاني	
الفنان بهاء الدّين عسّاف	
الأستاذة رباب كمال	
الدّكتور نبيل إلياس	
الأستاذة إلهام كرم	
الأستاذة سويدا معاني يوبنغ	
الأستاذ توم مور	
الدّاعية الدّكتور عمر سليمان	
القس مايك جريج	
الأستاذ سعيد السّلماني	
الشّيخ سامر الطّباع	
الأب الدّكتور حنّا إسكندر	
الدّكتور بهادر قيّم	

ثالثا: الأديان والمذاهب

الأديان والمذاهب	الصّفحة
المورمون	م
الزّرادشتيّة	
البوذيّة	
المذهب الياباني البوذيّ الجديد	
الفيدس المنبثق من الهندوسيّة	
جماعة شهود يهوه	م
الدّيانة البهائيّة	
المذهب الهندوسي – شيكاغو	
الدّيانة السّيخيّة	م
الكنيسة المشيخيّة	
الدّيانة اليهوديّة	
المذهب البروتستانتي اللّيبرالي	
الكنيسة الأرثوذوكسيّة	
المذهب اللّوثري	
المذهب البروتستانتي الكالفني المعمداني	
المذهب المسيحي الماروني	
ديانة الصّابئة المندائيّة	

رابعا: الخصوصيّات (العادات والتّقاليد والثّقافات)

الخصوصيات	الصّفحة
طريقة جمّع التّبرعات في المساجد	
تأخّر الغداء في ظَفار	م
ذكريات وعادات رمضان في ظَفار	
المناسبات الدّينيّة في ظَفار مقارنة بعموم عُمان	
عادات الاحتفاء بالأقمار الشّعبانيّة في البحرين	
أعراف المطاعم في دالاس	
عادة الجهر بالتّكبير والتّهليل قبل صلاة العيد عند الأحناف	
كيفيّة صلاة وخطبة العيد عند الأحناف	
عادة مشرق الأذكار عند البهائيّة	
حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة	
عادات قدّاس الأحد	
قضيّة المشورة عند البهائيّة	
ضيافة تسعة عشر عند البهائيّة	

خامسا: الجدليات الفقهيّة والتّراثيّة

الجدليات التّراثيّة	الصّفحة
الصّلاة حال عدم معرفة القبلة	

جواز عموم أكل طعام أهل الكتاب	
جدليّة هلال ذي الحجة عند المسلمين	
مسألة قبر النّبيّ أيوب في صَلالة	
مسألة قبر النّبيّ عِمران في صَلالة	
مسألة قبر النّبيّين هود وصالح في ظفار	
تشريك المتوسّل بالقبور	م
قضيّة الأخذ من مذهب آخر	
قضيّة الطّلاق بالثّلاث	
كتابات ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم	
آية القوامة والضّرب في سورة النّساء	
جدليّة صيام يوم عاشوراء	
الاحتفاء بالمولد النّبويّ	
جدليّة المعراج	
تعدد صلاة الجمعة	
قضية ذبيح إبراهيم: هل هو إسماعيل أم إسحاق؟	
التّناسخ وعالم الأرواح	

سادسا: الجدليات الفكريّة والمعاصرة

الجدليات الفكريّة	الصّفحة
التّناقض بين العلم والدّين	
الأصل بين البشر التّنوع أم الوحدة؟	
الخلاف والاختلاف	
التّفريق بين الشّرق والغرب إنسانيّا وجَغرافيّا	
الحوار المجتمعيّ	
دور الأسرة في حماية الأطفال من التّطرف	
هل التّبشير يهدّد السّياج المجتمعي؟	
تشويه صورة الهنود الحمر	
عدم تقبّل المجتمع لتساؤلات الشّباب	
القرآن في رمضان	
سننيّة قراءة الآخر	
التّسامح والتّعايش في جنّة دلمون	
علم الآثار ودوره في الاقتصاد والتّعايش الإنساني	
حضور اجتماع الملحدين في دالاس	
قيمة المساواة في المجتمع التّكساسي والأمريكي	
فلسفة الوحدة والحوار بين الأديان	
قضيّة التّبليغ في البيوت عند البهائيّة	

قضيّة مقتل كيندي	
تربية النّاشئين على المساعدات الإنسانيّة	
دور رجال الدّين في تعزيز التّعايش وتقويته وتوطيده	
قضيّة اللّاجئين والانخراط المجتمعي في المجتمع الغربي	
التّسامح الانتقائي	
اللّغة العربيّة مع النّاطقين بغيرها	
تجربة كردستان العراق في التّعايش الدّيني	
الحلول المبدئيّة للمشاكل العالميّة	
واقع المسلمين في أمريكا	
الواقع الافتائي في أمريكا	

فهرس المحتويات

إضاءة قلم 5
تقدمة 7
الرّحلة الشّيكاغيّة 9
الغاية والاستعداد والذّهاب: 9
زيارة معبد زرادشتيان وتسجيل حلقة عن الزّرادشتيّة 16
زيارة معبد ميدوست وتسجيل حلقة عن البوذيّة 25
زيارة معبد إيسكان وتسجيل حلقة عن الفيدس من الهندوس 31
افتتاح المؤتمر (الوحدة في التّنوع) 36
اليوم الأول للمؤتمر (1-2) 40
اليوم الأول للمؤتمر (2-2) 44
اليوم الثّاني للمؤتمر (زيارة مشرق الأذكار في شيكاغو) (1-2) 50
اليوم الثّاني للمؤتمر: الجلسات (2-2) 54
اليوم الأخير للمؤتمر وسياحة سريعة مع زيارة لشهود يهوه 57
تسجيل حلقة مع السّيد كريس حول البهائيّة 66
صلاة عيد الأضحى المبارك وزيارة المعبد الهندوسيّ الأكبر في شيكاغو ... 73
حلقة حول الدّيانة السّيخيّة 79
الرّجوع إلى الوطن ومن فوائد الرّحلة 84

الرّحلة الظّفاريّة 88
التّعريف والوصول 88
زيارة فضيلة القاضي أحمد الخطيب 96
الذّهاب إلى طاقة وزيارة الشّيخ سعيد المعشني 101
تسجيل حلقة مع سالم المشهور والذّهاب إلى جبل سمحان 105
الذّهاب إلى صالون الحبيب سالم المشهور الثّقافي وتسجيل حلقة مع
الحبيب علوي الكاف 109
جلسة آية القوامة والضّرب في سورة النّساء 116
الذّهاب إلى مجلس الحبيب علوي الكاف 127
الذّهاب إلى مرباط ومحاضرة الجمعيّة العُمانيّة للكتّاب والأدباء في
مكتبة دار الكتاب بصَلالة والرّجوع إلى مسقط 140
الرّحلة البحرينيّة 153
الوصول إلى مملكة البحرين 153
زيارة باب البحرين ومركز عيسى الثّقافي وجامع أحمد الفاتح 158
زيارة مسجد الخميس الأثري وتسجيل حلقة مع الدّكتور صلاح الجودر 164
حضور محاضرة صلاح الجودر في صالون جابري الثّقافي بالجسرة .. 172
زيارة السّيد عبد الله الغريفي ثمّ الذّهاب إلى مَجْمَع الأديان وتسجيل
حلقة مع الكنيسة المشيخيّة 180
الذّهاب إلى القطيف وزيارة سماحة الشّيخ حسن الصّفار 192
زيارة القلعة الهرمزيّة البرتغاليّة وتسجيل حلقة مع الدّكتور سلمان المحاري 200

زيارة جمعيّة التّجديد البحرينيّة وحضور ثاني ليالي الأقمار الشّعبانيّة والرّجوع إلى عُمان 206
الرّحلة التّكساسيّة 212
الغاية والوصول 212
الغداء في المطعم المكسيكي وزيارة معبد جورد نيكشام سيفا جوارا وتسجيل حلقة تكميليّة حول الدّيانة السّيخيّة 219
صلاة عيد الأضحى وتسجيل حلقة حول الدّيانة اليهوديّة وحضور الدّوري النّهائي للنّاشئين 227
حضور مشرق الأذكار وزيارة مؤسسة MDHA في علاج قضيّة المشردين 237
زيارة كاتدرائيّة الأمل والمشاركة في جلسة الملحدين 244
زيارة مؤسسة التّعاطف والتّعايش COMPASSIONATE DFW 249
زيارة وتسجيل حلقة مع كاتدرائيّة الأرثوذوكس وتسجيل حلقة مع مؤسسة دالاس مساواة 255
تسجيل حلقة حول حلقات تدريس النّاشئين عند البهائيّة، وحلقة أخرى حول فلسفة الوحدة والحوار مع الأديان 265
المشاركة في مؤتمر التّبليغ، وتسجيل حلقة مع الكنيستين اللّوثريّة والمورمون 273
حضور قدّاس الأحد في كنيسة الأمل وزيارة المتحف الّذي يحكي قصة اغتيال الرّئيس الأمريكي جون كينيدي عام 1963م 287

حضور ضيافة تسعة عشر في مدينة دينسون ثمّ الذّهاب إلى شيكاغو 293
حضور جلسة افتتاح مؤتمر العرب الأمريكيين السّنوي الثّامن واليوم
الأول منه 298
اليوم الثّاني للمؤتمر وتسجيل حلقة حول اللّغة العربيّة وتعليم النّاطقين
بغيرها 306
اليوم الأخير من المؤتمر وتسجيل حلقة حول تجربة كردستان العراق في
التّعايش الدّيني ثمّ الرّجوع إلى تكساس 315
تسجيل حلقة حول التّناسخ وعالم الأرواح 321
تسجيل حلقتين حول واقع المسلمين في أمريكا وحول الكنيسة
المعمدانيّة 326
الذّهاب إلى لوبوك في تكساس وتسجيل حلقة حول الواقع الإفتائي في
أمريكا 334
لقاء مع شهود يهوه والرّجوع إلى أرض الوطن 341
ملحق (1) المذهب المسيحي الماروني مع الأب الدّكتور حنّا أسكندر
من لبنان 346
ملحق (2) ديانة الصّابئة المندائيّة مع الدّكتور بهادر قيّم من إيران.. 356
ملحق (3) زيارة مؤسسة جمعة الماجد وسلطان العويسي للتّراث
والثّقافة في دبي 360
الملحق (4) المغرب والسَّرَف..... 362

الملحق (5) الحِوار الثّقافيّ: ودوره في تعزيز التّماسك الاجتماعيّ
(البيت الإسلامي إنموذجا) 364
ماهيّة الحوار الثّقافيّ 365
مسح أهم معوّقات مجتمع البيت الإسلاميّ من الدّاخل 369
(المعوقات الفكريّة) 369
(المعوّقات السّياسيّة والاجتماعيّة) 374
(المعوّقات الثّقافيّة) 375
البناءات السّتّ في تحقيق حوار ثقافيّ في مجتمع البيت الإسلاميّ.. 376
المراجع 379
الكشاف 381
أولا: البلدان والمواقع السّياحيّة والدّينية 381
ثانيا: الشّخصيات المهمّة 385
ثالثا: الأديان والمذاهب 388
رابعا: الخصوصيّات (العادات والتّقاليد والثّقافات) 389
خامسا: الجدليات الفقهيّة والتّراثيّة 389
سادسا: الجدليات الفكريّة والمعاصرة 391